

مجلة علمية دورية محكمة تصدرها
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية سابقا

المجلد: 15 العدد 27 - 2018

ISSN .1112-4776

EISSN:2588-1906

الإيداع القانوني: 650-2004



المجلد: 15 العدد: 27 2018 N°27
جامعة سطيف 2
مجلة العلوم الاجتماعية

REVUE DES SCIENCES SOCIALES Université Sétif2

المجلد: 15 العدد: 27 2018 N°27

جامعة سطيف 2
مجلة العلوم الاجتماعية



المجلد: 15 العدد: 27 2018 N°27
جامعة سطيف 2
مجلة العلوم الاجتماعية

REVUE DES SCIENCES SOCIALES

Anciennement Revue des Lettres et des Sciences Sociales

Vol:15 N° 27 - 2018

Dépôt légal :650-2004

EISSN:2588-1906

ISSN .1112-4776

Revue scientifique périodique indexée éditée par
L'Université Mohamed Lamine Debaghine Sétif2

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية سابقا

هوية المجلة وأهدافها

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة علمية دورية محكمة ، ومنبر معرفي ومنهجي ، يُسهم في إثراء البحث العلمي والحوار المنهجي الموضوعي في حقول المعرفة الاجتماعية ؛ وتهدف إلى :

- 1- الارتقاء بالبحث العلمي إلى مستويات عالية من الجودة من خلال البناء المنهجي للفكر والممارسة البحثية.
- 2- تحقيق التكامل المعرفي بين حقول المعرفة الاجتماعية ومختلف المناهج البحثية.
- 3- وصل الحركة العلمية في العلوم الاجتماعية بالتنمية الاجتماعية وقضايا المجتمع الواقعية.
- 4- إثارة الجدل العلمي في القضايا المستحدثة في مجال العلوم الاجتماعية ، وتوجيهها نحو أفق العالمية.

مجلة العلوم الاجتماعية

- مجلة العلوم الآداب والعلوم الاجتماعية سابقا -

مجلة علمية دورية محكمة تصدر عن جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

اللجنة العلمية

جامعة سطيف 2	أ.د. نوارى سعودي
جامعة سطيف 2	أ.د. موسى بلعيد
جامعة سطيف 2	أ.د. محمد الصغير شرفي
جامعة سطيف 2	أ.د. لحسن بوعلام
جامعة سطيف 2	أ.د. السعيد كسكاس
جامعة سطيف 2	د. نورالدين بن الشيخ
جامعة سطيف 2	د. نصرالدين غراف
جامعة سطيف 2	د. التوفيق سامعي
جامعة سطيف 2	د. محمد قجالي
جامعة سطيف 2	د. سفيان زدادقة
جامعة سطيف 2	د. فوزية رقاد
جامعة سطيف 2	أ.د. فتيحة كحلوش
جامعة سطيف 2	أ.د. محمد بوادي
جامعة سطيف 2	د. أنور مقراني
جامعة سطيف 2	د. فارس كهوان
جامعة سطيف 2	د. رؤوف بوسعدية
جامعة سطيف 2	د. عبد السلام دعبش
جامعة سطيف 2	د. عبد السلام يحي
جامعة باتنة	أ.د. مبروك غضبان
جامعة الجزائر	أ.د. أمحمد برفوق
جامعة جيجل	أ.د. نصرالدين سيار
جامعة قسنطينة 2	أ.د. فضيل دليو
جامعة قسنطينة 2	أ.د. بوبه مجاني
جامعة الجزائر 2	أ.د. محمود بوسنة
جامعة باتنة	أ.د. الطيب بودريالة
جامعة وهران	أ.د. عبد القادر شرشار
جامعة عنابة	أ.د. بشير إبير
جامعة تلمسان	أ.د. كروم بومدين
جامعة أدرار	أ.د. محمد بومدين
المدرسة العليا للاساتذة تونس	أ.د. محمد أحسن
مركز جمعة الماجد دبي	أ.د. عزالدين بن زغبية
فرنسا	أ.د. أرزقي مديني
الأردن	أ.د. محمد الطراونة
المغرب	أ.د. أحمد بريسول
الأردن	أ.د. اسماعيل محمود القيام
المغرب	أ.د. عبد اللطيف محفوظ
جامعة ليون 2 فرنسا	أ.د. هوارى عدي
جامعة مانثيستر	أ.د. جوزيف م. كون قول
جامعة جونييف سويسرا	أ.د. جليل أ. كاري

مدير المجلة

أ.د. الخير قشبي مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ.د. يوسف عيبش

نائب مدير الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

هيئة التحرير

أ.د. ميلود سفاري

أ.د. جازية لشهب صاهب

أ.د. صلاح الدين زرال

أ.د. محمد عزوي

أ.د. عبد الملك بومنجل

د. محمد بن أعراب

د. عبد الرزاق بلعقروز

د. محمد الطاهر بلعيساوي

أمانة المجلة

مبروك صبايحي

مفيدة شريفي

شروط النشر في المجلة

تنشر مجلة العلوم الاجتماعية ، الأبحاث والدراسات العلمية ، الفكرية والأدبية في تخصصات العلوم الإنسانية ، الاجتماعية ، الحقوق والعلوم السياسية مكتوبة باللغة العربية ، الانجليزية ، أو الفرنسية .
كما ترحب المجلة بالدراسات النقدية التي تتناول المنشورات الجديدة والتعريف بها في حدود 2000 كلمة .

• يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي :

- 1/ أن يكون المقال أصيلاً وجديداً ، لم يسبق نشره في نشرات أخرى مهما كانت ، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي . وألا يكون مستلماً من رسالة أكاديمية (ماجستير أو دكتوراه) .
- 2/ الالتزام بأداب الحوار الهادف والنقد البناء بعيداً عن التجريح .
- 3/ اعتماد منهجية موحدة في ترتيب عناصر البحث والالتزام باعتماد تقسيم من التقسيمات المعروفة (مبحث ، مطلب ، فرع ، أولاً...)

4/ ألا يقل عدد صفحات المقال عن 12 صفحات ولا يزيد عن 25 صفحة ، بما فيها المصادر ، الهوامش ، الجداول والرسوم التوضيحية ، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً .

5/ أن يكون المقال مطبوعاً على الكومبيوتر وفق برنامج "Microsoft Word" ، ومسجلاً في قرص صلب .

6/ هوامش الصفحة تكون كما يلي: يمين 03 سم ، يسار 1.5 سم ، رأس الورقة 1.5 سم ، أسفل الورقة 1.5 سم ، حجم الصفحة 29.7 cmX21 cm .

7/ تكتب المادة العلمية العربية بخطّ من نوع Traditional Arabic مقاسة 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر ، العنوان الرئيسي Traditional Arabic 14 Gras ، العناوين الفرعية Traditional Arabic 12 Gras ، أما الفرنسية أو الإنجليزية فتقدّم بخطّ من نوع Times New Roman مقاسة 12 .

8/ تحتفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتاليين لمؤلف واحد

9/ يراعى عند كتابة المقال ما يلي :

- يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان .

- الالتزام بقواعد ضبط الكتابة من خلال :

- احترام مسافة بداية الفقرات ، وتجنب الفقرات والجملة الطويلة جداً .

- عدم ترك مسافة (فراغ) قبل علامات الضبط المنفردة كالنقطة (.) والفاصلة (،) والنقطة الفاصلة (؛) والنقطتين (:). وعلامة

التعجب (!) وعلامة الاستفهام (?) وترك مسافة بعدها إذا أتبعته بكلمة أو نص ، وعدم ترك مسافة بعد الواو (و) التي تليها كلمة .

- يُتَجَنَّب الاختزال ما لم يُشْرَ إلى ذلك .

- يُذْكَر مرة واحدة في البحث المصطلح العلمي وأسماء الأعلام باللغة العربية وبجانبه المصطلح باللغة الإنجليزية أو الفرنسية

عند وروده أول مرة ، ويكتفى بعد ذلك بكتابه باللغة العربية .

- يجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة ، أو أسماء أعلام ضبطها بالشكل وتخريج

والأحاديث والأبيات الشعرية .

10/ أن توضع الهوامش والإحالات والمراجع والمصادر في آخر المقال ، وبطريقة الإدراج الآلي مع اتباع ترقيم تسلسلي حسب

ظهورها في النص ، (مراجع المقال هي فقط المراجع والمصادر المقتبس منها فعلاً). ويراعى في طريقة التمهيش المنهج التالي :

*الكتب : إسم ولقب المؤلف ، عنوان الكتاب ، الجزء ، الترجمة (إن وجدت) ، الطبعة ، دار النشر (الناشر) ، مكان النشر ،

وسنة النشر ، رقم الصفحة . (في حالة التأكد من عدم وجود البيانات الجوهرية الإيجابية فقط (دار النشر ، بلد النشر ، سنة النشر)

على المؤلف الإشارة إلى ذلك باستعمال مختصرات د.د.ن/د.ب.ن/د.س.ن) حسب الحالة .

*المقالات : إسم ولقب المؤلف ، "عنوان المقال" ، عنوان المجلة ، (الجهة التي تصدر عنها) ، العدد ، الصفحة .

*البحوث المدرجة ضمن كتاب : إسم ولقب المؤلف ، "عنوان المقال" ، ضمن كتاب: (العنوان) ، المنسق العام (اسم من

أشرف على تجميع مادته العلمية) ، الجزء ، الطبعة ، دار النشر (الناشر) ، مكان النشر ، وسنة النشر ، رقم الصفحة .

*الأطروحات والرسائل الجامعية : اسم الطالب ، عنوان الأطروحة أو المذكرة (تحت خط) ، بيان نوعها (دكتوراه ،

ماجستير) ، تحديد الكلية والجامعة التي نوقشت فيها هذه الرسالة ، تحديد السنة ، بيان حالة النشر (رسالة منشورة ، أو غير

منشورة) ، الصفحة .

*النصوص القانونية : بيان نوع النص (دستور ، قانون عضوي ،....) ، رقمه (15/01) ، المؤرخ في (ذكر اليوم والشهر

والسنة) ، موضوع النص (المتضمن كذا:...) ، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، العدد ، تاريخ نشرها .

* الأحكام والقرارات القضائية: لا بد من بيان الهيئة المصدرة (محكمة ، مجلس)، تحديد القسم أو الغرفة (رقمها ، تخصصها)، رقم الحكم أو القرار ، تاريخ صدوره (ذكر اليوم والشهر والسنة)، ذكر أطراف القضية أو الحرف الأول لألقابهم ثم الاسم ، (قضية بين..)، بيان حالة النشر (قرار أو حكم منشور أو غير منشور)، المصدر (مجلة ، نشرية ، صادرة عن)، العدد ، السنة ، الصفحة.

* المنشورات الداخلية: بيان الجهة المصدرة ، بيان رقم التعلية أو المقرر ، تحديد موضوعه.

* التقارير: الجهة المصدرة للتقرير ، موضوع التقرير ، مناسبة تقديمه ، التاريخ ، الصفحة.

* المراجع الإلكترونية: اسم المؤلف ، أو المنظمة "عنوان المقال" ، العنوان الإلكتروني كاملاً ، (تاريخ التصفح: اليوم ، الشهر ، السنة).

* المخطوطات: اسم المؤلف كاملاً ، عنوان المخطوط كاملاً ، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة ، وعدد أوراقها. ويذكر رقم الورقة مع بيان الوجه أو الظهر المأخوذ منه الاقتباس ، ويشار لوجه الورقة بالرمز (أ) كما يشار لظهرها بالرمز (ب).

* الصحف: إذا كان خبرا يكتب اسم الصحيفة ، والعدد ، والتاريخ ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب ، "وعنوان المقالة" واسم الصحيفة ، ثم تحديد نوعها (يومية ، أسبوعية ، شهرية) ، (ومكان الصدور) والعدد ، والتاريخ ، والصفحة. * عند تكرار ذكر نفس المرجع يكتب بعد رقم الإحالة عبارة: المرجع نفسه ، ثم الصفحة ، أما في حالة ما إذا كان التكرار غير مباشر (فصل تكرار المرجع بمرجع آخر أو عدة مراجع أو بصفحة جديدة) فينبغي بعد رقم الإحالة ذكر اسم ولقب الباحث ، كتابة عبارة: المرجع السابق ، ثم بيان رقم الصفحة.

* تكون الأشكال والخرائط والرسوم البيانية على درجة عالية من الجودة مع تجنب التظليل الثقيل ، وترقم الجداول والأشكال ترقيماً متسلسلاً مستقلاً ، مع إعطاء عنوان قصير لكل منها تتم كتابته (أعلى) الشكل ، ويكون المصدر أسفله. (على الباحث إرسال الخرائط والصور في ملفات مستقلة عن النص ، أي ملف لكل خريطة أو صورة وهذا من نوع (jpeg)) لتسهيل عمل الهيئة التقنية للمجلة.

11/ ترسل أو تسلّم نسخة ورقية من المقال مرفقة بقرص مدمج (CD) فضلاً عن ضرورة إرسالها في ملف عبر البريد الإلكتروني للمجلة المدون أدناه ، مع مراعاة ما يلي:

- على الباحث إخفاء شخصيته في الدراسة ، وتجنب وضع أي إشارة تكشف هويته من خلال الدراسة ، ولأجل ذلك تكتب المعلومات الشخصية (اسم المؤلف ، ورتبته العلمية ، والمؤسسة التي يعمل فيها) على صفحة منفصلة ، ثم يكتب عنوان البحث مرة أخرى على الصفحة الأولى من البحث دون ذكر الاسم. - تقديم صورة رقمية حديثة خاصة.

- التزام الدقة عند إمضاء تعهد (عقد نشر) خطي من المؤلف أو المترجم على نموذج تعدده هيئة تحرير المجلة.

- ترك نسخة من بيان السيرة الذاتية للمؤلف أو المترجم (وفي حالة تقديم المقال من طرف باحثين ، يجب إرسال الموافقة الصريحة لكل واحد منهما بقبول النشر المشترك).

- تقديم ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث ، بالنسبة للبحوث المقدمة من طلبة الدكتوراه (L.M.D).

- تقديم نسخة من الكتاب الأصلي إذا تعلق الأمر بعرض لكتاب.

12/ أن يرفق المقال وجوباً بملخص مُعَرَّب عن محتوى المقال بصورة شاملة وصادقة (في حدود 150 كلمة) باللغات الثلاث عربي ، فرنسي وإنجليزي ، متبوعاً بالكلمات المفتاحية ذات الدلالة على محتوى المقال (Key words) والتي لا تتعدى 7 كلمات تُرتَّب حسب ورودها في المقال ، وينبغي أن تشملها الترجمة باللغات الثلاث.

تنبهات هامة:

* في حالة وجود أكثر من مؤلف يتم مراسلة الاسم الذي يرد أولاً في ترتيب الأسماء في حالة تساوي الدرجات العلمية ، والأعلى درجة في حالة اختلاف الدرجات العلمية.

* يحول المقال إلى لجنة التحكيم السرية المختصة لتحكيمة علمياً بعد التأكد من ملاءمته لقواعد النشر ، وعلى صاحب المقال إجراء التصحيحات المطلوبة منه خلال مدة زمنية تحددها هيئة التحرير.

* كل مقال يخالف شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار ، والمجلة غير معنية بإعلام صاحب المقال بذلك. كما لا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.

* يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها ، كما تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

* ترتب البحوث في كل عدد ، واختيار حيزها الزمني يتم وفق اعتبارات فنية تقدّرها اللجنة العلمية ولا علاقة لها باسم الباحث أو رتبته العلمية أو قيمة العمل .
* الأبحاث المنشورة في المجلة لا يعاد نشرها في جهة أخرى إلا بإذن مكتوب من مدير تحريرها ، ولا تلتزم المجلة برد المقالات غير المقبولة للنشر إلى أصحابها .
* يتحمل كاتب المقال جميع التبعات الناتجة عن خرق حقوق الملكية الفكرية المترتبة للغير .
-لا تدفع مكافآت عن البحوث التي تقبل للنشر بالمجلة ، غير أن الباحث يستفيد من نسختين من العدد الذي نُشر فيه مقاله .
- تنشر موضوعات المجلة في موقع الجامعة الإلكتروني بعد صدورها .

* الدراسات التي تنشرها المجلة تُعَبَّر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة .

المراسلة والاشتراك: ترسل جميع المراسلات إلى السيد

رئيس التحرير: مجلة العلوم الاجتماعية-جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

الهاتف: 036661181

البريد الإلكتروني:

revue@univ-setif2.dz

revue.setif2@gmail.com

الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://revues.univ-setif2.dz>

الفهرس

صفحة	عنوان المقال	المؤلف
08	تأثير الإعلان التلفزيوني على السلوك الشرائي للشباب مدينة العلمة - نموذجاً -	عفاف أم الرثم
23	التكريس الدستوري للحق في البيئة. دراسة مقارنة على ضوء نص المادة 68 من القانون 01-16 المتضمن التعديل الدستوري الجزائري 2016 -	مهنى وردة
38	تجليات الغياب والحضور في الرواية العربية المعاصرة مقاربة تحليلية في شعرية السرد التناوبي لرواية " مصائر " لربيعي المدهون (*)	محمد الغزالي بن يطو
45	دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري للمؤسسات الاقتصادية -دراسة ميدانية لبعض المؤسسات بسطيف -	زواوي خالصة
61	الجانب التجديدي في الخطاب الابدستمولوجي عند ميشال سير	تبان مصطفى مذبوب لخصر
74	"درجة إسهام أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة جامعة الملك خالد في تعزيز المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة لدى طلبتهم من وجهة نظر الطلاب "	هاني صلاح حسن سعد المقداي
92	المشاركة الإلكترونية - نحو مفهوم يتجاوز التغريد-	يوسف زدام
108	التفكيك نحو التأسيس للمختلف	حنان حطاب
117	الاستدلال البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني	شهرزاد بلعري
129	القيم - سياق التداول والمقاربة السوسولوجية -	فتيحة حنفوف
151	دراسة تحليلية لكتاب "مرأت الجزائر" لعلي رضا باشا الجزائري -من العهد العثماني إلى الاحتلال الفرنسي-	خيرالدين سعيدي
164	الحوار الشعري عند أحمد عبد المعطي حجازي.	حنان بومالي
174	معايير السواء ومؤشرات الصحة النفسية -دراسة نظرية تحليلية	ناجية دايلي
193	الهوية التنظيمية وآليات تفعيلها في المؤسسة	صونية براهيمية
208	اللغة العربية: من المنطق الرياضي إلى الحوسبة	نبيلة قدور
225	الأساليب الاقناعية الموظفة من قبل التنظيمات الارهابية لاستقطاب الشباب عبر الميديا الجديدة -تنظيم داعش أمودجا-	أمينة بكار
237	Contribution à l'amélioration des pratiques scolaires d'écriture. Cas des élèves de 3 ^{eme} A S « Je pense en fait avec ma plume car ma tête bien souvent ne sait rien de ce que. ma main écrit »Wittgenstein	Naima Dembra

تأثير الإعلان التلفزيوني على السلوك الشرائي للشباب بمدينة العلمة - نموذجا -

The Impact Of TV Advertising On The Shopping Behavior Of Young People: The Case Of Young People In The City Of El Eulma

تاريخ الارسال: 2017-05-30 تاريخ القبول: 2018-06-05

عفاف أم الرتم، جامعة سطيف 2
afafoumertem@gmail.com

المخلص

تم من خلال هذا البحث دراسة تأثير الإعلان التلفزيوني على سلوك الاستهلاكي للشباب بمدينة العلمة، حيث تم التعرف على مدى تعرض الشباب الجزائري للإعلان التلفزيوني، وكذلك معرفة اتجاهاته نحو محتوياتها، بالإضافة إلى الوقوف على مدى تأثير المستهلك الجزائري بهذه الإعلانات وفقا لخصائصه الشخصية.

وقد تم استخدام منهج البحث الميداني للوصول إلى نتائج البحث، حيث قمنا بإعداد استبيان لعينة من المجتمع الجزائري في مدينة العلمة، بلغت " 200 " مفردة، وذلك للحصول على تصور كامل ودقيق حول موضوع البحث. وقد تم التوصل إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

- محدودية تأثير الإعلان في توجيه السلوك الشرائي للشباب.

الكلمات المفتاحية: التأثير، الإعلان التلفزيوني، السلوك الاستهلاكي، الشباب.

Résumé

Vous connaissez à travers cette étude de recherche de l'effet de la publicité télévisée sur le comportement des consommateurs de jeunes à El Eulma, où il était de déterminer l'ampleur de l'exposition de la jeunesse algérienne à la publicité télévisée, ainsi que la connaissance des tendances vers son contenu, en plus de la position sur les consommateurs algériens touchés par ces déclarations en fonction des caractéristiques personnelles. J'ai été en utilisant enquête sur le terrain pour avoir accès aux résultats de la recherche, Lorsque nous avons préparé un questionnaire à un échantillon de la communauté algérienne dans la ville d'El Eulma, s'élève a single "200", et ainsi d'obtenir une perception complète et précise sur l'objet de la recherche a été atteint a un groupe de résultats les plus importants :

- L'effet limité de la publicité à diriger le comportement d'achat des jeunes.

Mots clés: Effet, la publicité télévisée, le comportement des consommateurs, les jeunes.

Summary

Been through this research study the effect of TV advertising on consumer behavior of young people in El Eulma, where it was to identify the extent of Algerian youth exposure to television advertising, as well as knowledge of trends towards its contents, in addition to the stand over the Algerian consumers affected by these declarations in accordance with personal characteristics. I have been using Approach field resarch to gain access to search results, where we have prepared a questionnaire to a sample of the Algerian community in the city of El Eulma, amounted to "200" Single, and so as to obtain a full and accurate on the subject of the search has been reached:

- The limited effect of advertising in directing purchasing behavior of young people.

Keywords: Effect, TV advertising, consumer behavior, youth.

إشكالية الدراسة

المناسبة لجعل الإعلان فعال⁽⁴⁾، فاستعملت بداية الصحافة المكتوبة التي كانت سابقة في نشر الإعلانات التي تستهدف جمهور القراء، وهذا ما جعلها أقل فاعلية، ثم استعملت الإذاعة التي وسعت من عملية الإعلان من خلال تكرارها خلال فترات زمنية طويلة مما يزيد فرص الاستماع إليها ومع ظهور وتطور التلفزيون عرف الإعلان الإذاعي نوعاً من التراجع فهو يتطلب جهداً في وصف التفاصيل وخلق الصورة المطلوبة عكس التلفزيون الذي يعتمد على الصورة وما تتضمنه من مؤثرات وألوان وحركات وتعابير وجوه الشخصيات المؤدية للرسالة الإعلانية إضافة إلى الصوت واعتماد الأغاني وغيرها من المؤثرات الصوتية بالإضافة إلى التغطية الكبيرة من حيث عدد الجمهور الذي يشاهده وإمكانية بث رسالة إعلانية بعيدة عن إعلانات المنافسين في اللحظة نفسها فالإعلان التلفزيوني يشمل حاستي السمع والبصر مما يجعل إمكانته التأثير أكبر⁽⁵⁾.

وكما هو معروف أن الأفراد من مشتريين ومستهلكين وموزعين يقضون يومهم بين العمل والراحة ومشاهدة التلفزيون، لهذا فإن أفضل الظروف للتأثير بالرسالة التسويقية هي فترة الراحة والاستمتاع أمام شاشة التلفزيون عن طريق ربط الإعلان بالبرامج المفضلة لشريحة المستهلكين للسلعة أو الخدمة التي تتضمنها الرسالة الإعلانية التلفزيونية أو ما يسمى بـ "رعاية البرامج" وبأسلوب التكرار والاستمرار لذلك الإعلان يتأثر المستهلك المشاهد وتولد عنده الرغبة في تجربة المنتج بإتمام عملية التبادل الشرائي، وبهذا فإن الإعلان التلفزيوني هو مجموعة من الوسائل الفنية المتنوعة المستخدمة من خلال الوقت المباع من قبل التلفزيون إلى المعلن بقصد تعريف الجمهور بخدمة أو سلعة أو فكرة بالشكل والمضمون الذي يؤثر في معلوماته وقيمه وسلوكه الاستهلاكي، وأفعاله وسائر المقومات الثقافية الأخرى⁽⁶⁾.

والجمهور الجزائري كغيره من شعوب العالم يتلقى أنواعاً مختلفة من هذه الرسائل الإعلانية التلفزيونية التي تبث في القنوات الفضائية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة، حيث أصبحت هذه القنوات تستقطب العديد من المشاهدين الجزائريين خاصة فئة الشباب الذين يبحثون عن آخر صيحات الموضة والجمال ومواكبة كل ما هو جديد ومفيد، وتعمل هذه الإعلانات على إبراز خصائص ومزايا وفوائد

أصبح الإعلان ضرورة من ضروريات الحياة الاقتصادية وأحد المستلزمات الأساسية للمنتج والموزع والمستهلك على حد سواء، باعتباره أحد الأنشطة الرئيسية في مجال تسويق السلع والخدمات والأفكار، إضافة إلى كون الوظيفة الأساسية التي يقوم بها الإعلان تتمثل في نقل المستهلك من مرحلة عدم المعرفة إلى المعرفة بالسلعة المعلن عنها، من خلال ما يقدمه من معلومات وحقائق حول السلعة المعلن عنها⁽¹⁾، وهو بذلك يمثل مختلف الجهود الاتصالية والإعلامية غير الشخصية المدفوعة الأجر والتي تنشر أو تعرض أو تذاع من خلال إحدى وسائل الاتصال أو أكثر، وتظهر من خلالها شخصية المعلن بهدف تعريف جمهور معين بمعلومات تتعلق بسلعة أو خدمة ما وحثه على القيام بسلوك محدد⁽²⁾ ويعد أيضاً أحد الأنشطة الرئيسية في مجال التسويق والترويج للسلع والخدمات ووسيلة اتصالية فريدة من نوعها لأنه يجمع عنصرين مهمين وهما الصوت والصورة، هذا الذي يجعلها أكثر تأثيراً وتميزاً عن بقية العناصر الترويجية وما يجعلها تأخذ طابعاً أو أسلوباً اقناعياً بهدف إحداث سلسلة من الآثار المتتابة عن طريق دمج الصورة والصوت لتهيئة المستهلكين ذهنياً حتى يستجيبوا سلوكياً وفي الاتجاه المرغوب فيه⁽³⁾، وعليه فالإعلان هو أحد سمات عصرنا بحيث أصبح يحاصرنا أينما ذهبنا وحيثما سرنا، ففي داخل المنزل نستقبل مئات الإعلانات عبر شاشات التلفزيون ناهيك عن الصحف والمجلات التي نطالعها يومياً، وعندما نخرج للشارع نجد العديد من اللافتات التي تحتوي على أنواع مختلفة من الإعلان، هذا فضلاً عما يطل علينا ونحن أمام شاشة الكمبيوتر عند البحث عما نريده على شبكة الإنترنت من معلومات أو الإطلاع على البريد الإلكتروني.

وبهذا أصبح الإعلان يكتسي أهمية كبيرة، حيث يعتبر عنصراً أساسياً في إستراتيجية أي مؤسسة كانت خصوصاً ونحن نعيش اليوم عصر الانفتاح على السوق وغزو المنتجات الأجنبية للأسواق المحلية مما أدى إلى وجود منافسة قوية بين مختلف المنشآت حيث تسعى كل منها إلى إظهار منتجاتها في أحسن صورة وأفضل المواصفات، السبب الذي دعا للجوء إلى أسلوب الإعلانات واختيار الوسائل

إشهار فقد تم ذكره في أغلب المراجع الجزائرية التي تم الاعتماد

يمكن أن نعطي تعريفا للإعلان التلفزيوني على أنه " عملية اتصال سمعي بصري يتم من خلالها نقل المعلومات والبيانات عن السلع والخدمات والأفكار أو أحداث معينة مقابل أجر مدفوع من طرف المعلن بغرض التأثير في المتلقي ودفعه لتقبل محتوى الرسالة الإعلانية والاستجابة لها والتعبير عن هذه الاستجابة من خلال استغلال مختلف مؤثرات التلفزيون من أجل زيادة الإغراء واستثارة أكبر لمختلف الحواس ومن أجل تحقيق الهدف المنشود والمسطر من قبل المعلن"⁽¹⁰⁾

❖ السلوك الاستهلاكي:

السلوك الاستهلاكي هو إشباع رغبات الفرد، بحصوله على كل ما يريده من سلع وخدمات ويمثل نوعاً أساسياً من أنواع السلوك الإنساني، ويعرف أيضاً على أنه تعبير يلخص عملية شراء السلع والخدمات المختلفة التي يرى الأفراد أنها صالحة لإشباع رغباتهم واحتياجاتهم فيقررون شراء كميات معينة منها.⁽¹¹⁾

❖ الشباب:

تجدر الإشارة إلى مفهومنا لمصطلح الشباب في هذه الدراسة حيث نحدد مرحلة الشباب تحديداً إجرائياً بين سن 18 و30 سن.

ويرتبط سن 18 سنة بالمرحلة الزمنية التي تعبر عن بلوغ النضج العقلي والنفسي والاجتماعي والثقافي قدراً معقولاً، يسمح للشخص بتحمل مسؤولياته وعواقب تصرفاته، لذلك فإن هذه المرحلة تتزامن مع عدد من المحطات الهامة مثل:

- سن الدخول للجامعة (أو يكون بينها مجال زمني قصير)، سن الزواج، سن الانتخاب وربما الترشح، سن الحصول على رخصة قيادة السيارة، سن الرشد القانوني.

-الإجراءات المنهجية للدراسة:

1-منهج الدراسة:

في دراستي هذه وقصد الوصول إلى نتائج تجيب عن الإشكالية المطروحة في البحث، والمتمحورة حول السلوك

السلع أو الخدمات أو الأفكار المعروضة من أجل إحداث التأثير المطلوب في سلوكه الاستهلاكي، هذا الأخير يعرف على أنه "النمط الذي يتبعه المستهلك في سلوكه للبحث أو الشراء أو الاستخدام أو التقييم للسلع والخدمات والأفكار التي يتوقع منها أن تشبع

حاجاته ورغباته"⁽⁷⁾ كما يعرف أيضاً على أنه "مجموعة من التصرفات التي يتبعها الأفراد بصورة مباشرة للحصول على السلع والخدمات الاقتصادية واستعمالها بما في ذلك الإجراءات التي تسبق هذه التصرفات وتحددها"⁽⁸⁾.

لهذا فإن محاولة معرفة مدى تأثير مواقف وقرارات المستهلك النهائي "الشباب" بالإعلانات التلفزيونية تستدعي طرح التساؤل الرئيسي الآتي: ما تأثير الإعلان التلفزيوني على السلوك الاستهلاكي للشباب بمدينة العلمة؟.

-تحديد المفاهيم:

❖ التأثير: Influence

يعرفه "محمد منير حجاب" أنه التغيير الذي يطرأ على مستقبل الرسالة كفرد فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة وقد تجعله يتصرف اتجاهات جديدة أو يعدل اتجاهاته القديمة وقد تجعله يتصرف بطريقة جديدة أو يعدل سلوكه السابق، فهناك مستويات عديدة من التأثير ابتداء من الاهتمام إلى حدوث تدعيم داخلي إلى حدوث تغيير على تلك الاتجاهات ثم في النهاية إقدام الفرد على سلوك علني.⁽⁹⁾

❖ الإعلان التلفزيوني:

كما يجب الإشارة إلى وجود اختلاف بين المشرق العربي حيث يستخدم كلمة "إعلان" وبين المغرب العربي الذي يستخدم كلمة "إشهار" ويحدث هذا الاختلاف صعوبة للباحثين في الاعتماد على المراجع والاقبانات، باعتبار أن الكم الأكبر للمراجع في الموضوع مصدرها المشرق العربي، فيجد الباحث عندنا نفسه متأرجحاً بين التسميتين، هذا ما يؤدي إلى استخدام الباحثين للتسميتين، لهذا ارتأينا المزوجة في استخدام الكلمتين "إعلان" و"إشهار" في هذه الدراسة، بحكم شيوع استخدام اللفظ "إعلان" في أغلب المراجع التي تم الاعتماد عليها والتي كان مصدرها المشرق العربي، أما لفظ

عينة البحث:

بما أن الجمهور المستهدف من الدراسة هو الشباب بمدينة "العلمة" فإن المجتمع البحثي هنا غير متجانس ويصعب الوصول إلى مفرداته، وبالتالي كان لزاماً اختيار عينة بحثية ممثلة لهذا المجتمع، ولعل أنسب العينات في مثل هذه الحالة هي العينة العرضية (الصدفة Accidental Sample) وهي عينة من العينات غير الاحتمالية يتم اختيار مفرداتها عن طريق الصدفة من قبل الباحث نظراً لصعوبة الحصر وما يتطلبه من إمكانيات ووقت وجهد، كما أن غياب إطار مضبوط وواضح يجعل اختيارنا للمفردات بالطريقة العشوائية أمراً غير ممكن، والمعينة العرضية هي تلك المعينة غير الاحتمالية التي تواجه صعوبات أقل أثناء انتقاء العناصر، ويتم اللجوء إلى هذا الصنف من المعينة عندما لا يكون أمامنا أي اختيار، إنها الحالة التي لا نستطيع فيها أن نحصي في البداية مجتمع البحث المستهدف ولا اختيار العناصر بطريقة عشوائية⁽¹⁵⁾.

أما عن حجم العينة رأينا أن اختيار (200) مفردة هو عدد كاف بحكم وجود الجمهور المستهدف في إطار جغرافي واحد هو مدينة "العلمة" إضافة إلى سعينا للحصول على معلومات ونتائج دقيقة وذلك طبعاً في حدود الإمكانيات المتوفرة .

3- أدوات جمع البيانات :

و لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على أداتين يهدف جمع المعلومات اللازمة.

➤ **الملاحظة:** وتجدر الإشارة إلى أنه تم اعتماد الملاحظة البسيطة؛ وهي ملاحظة الظواهر والوقائع كما تحدث تلقائياً، دون إخضاعها للضبط وللشروط العلمية ودون استخدام أدوات دقيقة للقياس⁽¹⁶⁾. ولقد تم استخدامها بغية ملاحظة سلوك الشباب أثناء اقتناء المنتجات، التعرف على رغبات الشباب من السلع والخدمات، نسبة الإقبال على مشاهدة الإعلانات التلفزيونية ومدى تأثير سلوكهم الاستهلاكي بما هو معروض في الإعلان.

➤ الاستمارة:

قسمت الاستمارة إلى أربعة (4) محاور أساسية:
* المحور الأول: المتغيرات السوسيوديمغرافية.

الاستهلاكي للشباب في مدينة العلمة وعلاقته بالإعلانات التي يبثها التلفزيون وجدت أن أنسب الطرق هو معالجة هذه الإشكالية في إطار البحوث الوصفية.

و يعتبر منهج البحث الميداني أو كما يعرف بالمنهج المسحي، من أبرز المناهج العلمية المستخدمة لوصف الظاهرة الإعلامية، حيث يستخدم لوصف وتقرير واقع معين لمجتمع أو جماعة ما أو نظام محدد في فترة زمنية محددة بوقت إجراء الدراسة، وطريقة المسح تسعى إلى الحصول على المعلومات اللازمة عن المجتمع المبحوث، معتمدة على مجموعة من الأدوات، شرط أن تكون تلك المعلومات مصنفة ومرتبطة⁽¹²⁾.

وكما يعرفه موريس أنجرس على أنه "مجموعة من الإجراءات والخطوات الدقيقة المتباعدة من أجل الوصول إلى نتيجة، وهو إخضاع الباحث لنشاطه البحثي من أجل تنظيم دقيق في شكل خطوات معلومة يحدد فيها مساره، من حيث نقطة الانطلاق وخط السير ونقطة الوصول"⁽¹³⁾.

2-مجتمع وعينة الدراسة::

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة إلى أي مدى يؤثر الإعلان التلفزيوني على السلوك الاستهلاكي للشباب الجزائري -العلمة نموذجاً- وعليه فقد انحصرت مجتمع البحث في فئة محددة من الجمهور وهي في الشباب في بلدية العلمة ولاية سطيف، وقد قسمت إلى: عمال وطلبة، والذين تتراوح أعمارهم ما بين 18 و30 سنة.

وقد تم تحدد بداية مرحلة -موضوع دراستنا- بسن الثامنة عشر، لأن تلك السن يمكن للشباب عندها أن يمارس حقوقه المدنية والقانونية، وأول سن يطلب فيه الشباب للخدمة العسكرية والوطنية، وبما أن الدراسة تتعلق بالعديد من الشباب وليس فقط الطلبة فإن كثيراً من الشباب في تلك السن - وربما قبله - يكون قد دخل سوق العمل بالفعل، وربما يتزوج وينجب قبل التحاقه بالخدمة العسكرية الوطنية، خاصة الشباب المتعلم (الطلبة) يكون قد أنهى دراسته الجامعية ويكون قد حصل على عمل وتزوج وأنجب أطفالاً ومن ثم يكون على مشارف حياة البالغين بوصفه عضواً كاملاً في المجتمع إلى غاية 30 سنة وهو الحد الأقصى لمجتمعنا⁽¹⁴⁾.

النسبة 34% أما نسبة ذوي المستوى دون المتوسط فكانت 0%.

وطبعاً تلعب الوضعية المادية المادية دوراً مهماً في اتخاذ قرار الشراء داخل الأسرة وإمكانية الاستجابة للإعلانات، فالجانب المادي والوضعية الاقتصادية الجيدة تدفع إلى عملية الشراء وبأدنى تفكير، خلافاً للوضعية الاقتصادية المتوسطة والأقل، كما يؤكد "حسين مكاوي" و"ليلي حسن السيد" أن الفئات ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض، لا ينعقد لديها تدفق المعلومات بشكل عام، ولكن اكتسابها للمعلومات يظهر أقل نسبياً من الفئات الأعلى في المستوى الاجتماعي والاقتصادي⁽¹⁸⁾.

المحور الثاني: عادات وأنماط تعرض الشباب للإعلان التلفزيوني

- أغلبية المبحوثين يشاهدون الفواصل الاعلانية التي تمر خلال البرنامج المشاهدة وذلك بنسبة 56%، أما الذين لا يشاهدون هذه الفواصل قد يقومون بسلوكيات أخرى.

- مشاهدة الإعلانات بالنسبة لأغلبية المبحوثين تكون أحياناً قسدية، حيث بلغت نسبتهم 55.17% من إجمالي العينة ويمكن أن نرجع السبب لكون هذه الفواصل الاعلانية تبث أثناء عرض البرامج المفضلة لدى الشباب مما يجعلهم يشاهدونها، بينما قدرت نسبة المبحوثين الذين يشاهدون الإعلانات حسب الظروف ب 17.24%. في حين نجد تقارب في نسب الشباب الذين يشاهدون الفواصل الاعلانية بشكل قسدي والذين يشاهدونها دائماً بالصدفة حيث بلغت النسبة 13.79%.

- هناك اختلافاً بين الجنسين في مشاهدة الفواصل الاعلانية التي تعرض خلال البرنامج، إذ أجابت نسبة 54.5% من الذكور بأنهم لا يشاهدون الفواصل الاعلانية التي تعرض خلال البرنامج المشاهد، في حين فإن نسبة 53.6% من الإناث يشاهدن هذه الفواصل، وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها الباحثة حنان شعبان في دراستها المعنونة ب "تلقي الاشهار التلفزيوني".

ويمكن تفسير هذا الاختلاف في المشاهدة حسب النوع، كون ربما أن الذكور ليس لديهم الوقت الكافي لمشاهدة الفواصل الاعلانية من جهة، وكونهم أصحاب مسؤوليات من

* المحور الثاني : عادات وأنماط تعرض الشباب للإعلان التلفزيوني.

* المحور الثالث: اتجاهات الشباب نحو الإعلانات التلفزيونية.

* المحور الرابع: تأثير الإعلان التلفزيوني على السلوك الاستهلاكي للشباب.

نتائج الدراسة الميدانية:

المحور الأول: خصائص أفراد العينة: يتميز الشباب الذين تم اختيارهم عن طريق الصدفة بما يلي:

- بلغ عدد الذكور 100 مفردة وذلك بنسبة 50% في حين كان عدد الإناث 100 مفردة بنسبة 50% أيضاً، ويعود السبب في تساوي النسبتين لأن هدفنا كان عند اختيار العينة هو أن نساوي بين حجم الذكور والإناث، لأن متغير الجنس هو متغير أساسي في دراسة الجمهور، إذ أن هناك اختلافات عديدة بين المرأة والرجل، تؤثر تأثيراً كبيراً على مضامين ما تبثه وسائل الاتصال. هذه الاختلافات قد تكون من حيث الاهتمامات الاجتماعية والتربوية والثقافية، أو من حيث العواطف والمشاعر الإنسانية، فضلاً عن اختلافات أخرى تتعلق بالمزاج وأوقات الفراغ⁽¹⁷⁾.

- هناك نسب متفاوتة عند أفراد عينة البحث، فيما يتعلق بمتغير المستوى التعليمي، فقد بلغت النسبة الكبيرة للجامعيين بنسبة 44% من مجمل العينة، تلتها في المرتبة الموالية فئة التعليم الثانوي بنسبة 24%، في حين راوحت النسبة الفئوية الخاصة بمستوى ما بعد التدرج نسبة قدرت ب 10% تليها الفئة الخاصة بمستوى التكوين المهني والفئة الخاصة بالتعليم المتوسط بنسبة متساوية قدرت ب 8% وسجلت فئة المستوى الابتدائي أقل النسب حيث بلغت 6%.

- معظم أفراد العينة هم عازبين حيث شكلت نسبة العازبين (80%) من إجمالي العينة وتلتها مباشرة الفئة المتزوجة التي كانت نسبتهم (20%)، في حين كانت نسبة فئة المطلقين وفئة الأرمال (0%).

- نسبة كبيرة من المبحوثين مستواهم الاقتصادي متوسط حيث كانت نسبتهم 66% من مجمل العينة، وتلتها نسبة معتبرة من المبحوثين ذوي المستوى الجيد حيث بلغت

نعتبره عنصراً من المعرفة المسبقة والخبرة في دراستنا هذه. وهذا ما تؤكدته دراسة الباحث الليبي عز بوسينة حيث وجد أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين أثر الإعلان التلفزيوني على سلوك المستهلك، والمستوى التعليمي للمستهلكين، فكلما ارتفع المستوى التعليمي للمستهلكين كان تأثيرهم بالإعلان التلفزيوني أكثر إيجابية (21).

- هناك علاقة واضحة بين متغير الحالة الاجتماعية ومدى مشاهدة الإعلانات حيث نجد أن الفئة العزباء أكثر مشاهدة للإعلانات وذلك بنسبة 78.6% من مجموع الشباب، في حين احتلت الفئة المتزوجة المرتبة الثانية وذلك بنسبة 21.4% من مجموع المتزوجين، وفي المقابل نلاحظ أن فئة المطلقين والأرامل قد انعدمت.

- فيما يخص أسباب عدم مشاهدة الجمهور المبحوث للفواصل الإعلانية) فيظهر بأن نشاط التحدث مع الأعضاء الآخرين من الأفراد المشاهدين يحتل المرتبة الأولى وذلك بنسبة 31.8% أما السلوك الثاني فيعود إلى أولئك الذين يتحدثون مع الآخرين في الهاتف بنسبة 27.3% في حين أولئك الذين يقومون بتحضير شيء ما احتل المرتبة الثالثة بنسبة 18.2%، أما الذين يقومون بواجبات منزلية فاحتلت نسبتهم المرتبة ما قبل الأخيرة وذلك بنسبة 13.6%، وعادت المرتبة الأخيرة إلى أولئك الذين يقومون بواجبات الدراسة، فقد بلغت نسبتهم 9.1%، وهذا ما أطلق عليه علماء الاتصال مفهوم "الانطفاء الفكري" الذي يجعل المتلقي أثناء وجود الفاصل الإعلاني يقوم ببعض الوظائف كالتحدث مع الآخرين أو الذهاب للتلابة، وهذا ما يوفر له قسطاً من الراحة والتوقف عن التركيز، وهذا الفاصل يمكن أن يلقي مدحاً من طرف الجمهور المبحوث، كما قد يلقي دماً بسبب قطعه للبرنامج المشاهد (22).

- إن سياق مشاهدة الفواصل الإعلانية التي تبث أثناء عرض البرامج التلفزيونية يتباين بين مفردات مجتمع البحث، حيث أجمع أغليتهم أنهم يشاهدونها بمفردهم وذلك بنسبة 44%، في حين تعود المرتبة الثانية لأولئك الذين يشاهدون الإعلانات في سياق الأسرة حيث بلغت نسبتهم 30%، أما الذين يشاهدونها مع بعض أفراد الأسرة والذين تقصد بهم الإخوة والأخوات بلغت نسبتهم 26%. ويمكن أن نرجع

جهة أخرى مما يستلزم عليهم القيام بسلوكيات أخرى، على خلاف الإناث اللواتي يشاهدن هذه الفواصل، ربما بحكم طبيعتهم التي تفرض عليهن الحصول على معلومات أو تحقيق أغراض أخرى من جراء مشاهدة هذه الفواصل، أو أنهن يقضين وقتاً أطول من الذكور في البيت وبالتالي مشاهدة كل ما يعرض في التلفزيون.

- ذوي الدخل المتوسط يشاهدون بصفة كبيرة الإعلانات التلفزيونية بنسبة 78.6% ذلك أن للوضع الاقتصادية تأثير على المشاهدة والتعرض للإعلانات التلفزيونية التي تبث أثناء عرض البرنامج ويمكن تفسير ذلك بكون فئة ذوي الدخل المتوسط تعتمد على الإعلانات في معرفة المنتجات واختيار الأفضل بما يتناسب مع قدرتهم المالية وهذا ما يجعلهم يشاهدون الفواصل الإعلانية بدرجة أكبر، في حين أن الفئة الثانية لا تعتمد على الإعلان بل تعتمد على الماركة وإقتناء المنتجات ذات العلامات التجارية المعروفة والشهيرة وهذا ما تؤكدته دراسة الباحث نضال عبد الله تايه التي خلصت بوجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين الشباب فيما يتعلق بأثر إعلانات الإنترنت على مراحل اتخاذ قرار الشراء تبعاً للدخل (19)، وفي المقابل نجد أن ذوي الدخل الجيد لا يشاهدون هذه الفواصل الإعلانية حيث قدرت نسبتهم بـ 21.4%.

- الفئة ذات المستوى التعليمي الجامعي هي الفئة الأكثر مشاهدة للإعلانات التي تبث خلال عرض البرنامج وذلك بنسبة 46.4% من مجموع الأفراد الذين يشاهدون الإعلان، كما نلاحظ اختلاف في نسب المشاهدة باختلاف المستوى التعليمي، وعليه نستخلص أن للمستوى التعليمي أثر على مشاهدة الإعلانات التلفزيونية، إذن، نقول أن الخبرة المكتسبة تساعد على دفع الجمهور المبحوث لمتابعة أو العزوف عن البرنامج المشاهد (وهنا نقصد الإعلان)، وهذا حسب انتقائهم له، وهذا ما يفسر أن الانتقاء يرتبط بالدرجة الأولى حسب ما بينته Marisa Viol في الدراسة التي قامت بها أن عنصر المعرفة المسبقة والخبرة التي يمتلكها المبحوثين تساعد على انتقاء وتفسير البرامج التي يشاهدونها (20)، وهذا ما بينه متغير المستوى التعليمي إذا ما استطعنا أن

مشاهدة برامج التلفزيون، ضف إلى ذلك ربما تشكل هذه الفترة وقت فراغهم.

- أغلبية المبحوثين لا يشاهدون القنوات المتخصصة في الإعلان حيث بلغت نسبتهم 54%، تلتها مباشرة الفئة التي نادراً ما تشاهد القنوات المتخصصة في الإعلان بنسبة 26%، وفي المرتبة ما قبل الأخيرة أولئك الذين يشاهدون القنوات الخاصة بالإعلان أحياناً بنسبة 20% وأخيراً الأفراد الذين يشاهدون القنوات الخاصة بالإعلان بصفة دائمة بنسبة 0%.

المحور الثالث: اتجاهات الشباب نحو الإعلان

التلفزيوني

- حاجة عينة الدراسة لمعرفة ما هو متوفر في السوق، يعد مؤشراً وسبباً رئيسياً لمشاهدة الفواصل الاعلانية والذي احتل الصدارة بنسبة 33%، وهي نفس النتيجة التي توصلت لها الباحثة حنان شعبان في دراستها المعنونة بـ "تلقي الإشهار التلفزيوني"، كما توصلت دراسة بومشعل يوسف أيضاً إلى نفس النتيجة وهي أن الإعلان التلفزيوني يعتبر المصدر الأساس للمعلومات بالنسبة للمستهلك الجزائري⁽²³⁾، في حين يعد ملء وقت الفراغ من بين الأسباب المهمة والتي تجعل هي الأخرى الجمهور المشاهد يتابع الفواصل الاعلانية إذ بلغت النسبة 17%، أما الدافع الوجداني والمترتب بمتعة مشاهدة الإعلان وكذلك اقتناء السلعة وتجربتها احتلا المرتبة الثالثة بنفس النسبة حيث قدرت بـ 15%، وهي نفس النتيجة التي توصل لها الباحث معمر ربوح في دراسته التي خلص فيها إلى أن الفرد يهتم بشكل الإعلانات التلفزيونية أكثر من محتواها أو المضمون الاعلاني والانبهار بالصورة والألوان الجذابة والشخصيات الظاهرة في الإعلان أي اشباع الشكلى على حساب اشباع المضمون⁽²⁴⁾. ايضاً من الأسباب التي تجعل الجمهور المبحوث يشاهد الإعلان التلفزيوني جاذبية المادة الاعلانية فهي الأخرى من الأسباب المهمة التي تجعل الجمهور المشاهد يتابع الفواصل الاعلانية إذ بلغت نسبة هذا السبب 11% في حين يحتل مؤشر كون الإعلان عفويًا ويفرض قطع البرنامج المشاهد المرتبة الأخيرة وذلك بنسبة 9%. إذن نلاحظ أن هناك أسباباً

سبب ارتفاع المشاهدة على انفراد لكون نوعية البرامج المشاهدة من طرف الشباب تستلزم أن يكون السياق على انفراد.

- أغلبية شباب عينة الدراسة تمثل لهم الإعلانات التي تبث أثناء عرض البرامج التلفزيونية ملل وإزعاج بنسبة 50%، أما الذين تمثل لهم فرصة الإطلاع على مضامين أخرى فقد بلغت نسبتهم 28%، كما تمثل لنسبة 12% منهم فرصة للتعرف على منتجات جديدة، وتمثل للبقية فترة للراحة بنسبة 10%. ويمكن أن نرجع أسباب انزعاج المشاهدين من الإعلانات إلى محتوى الرسائل الاعلانية خاصة تلك المتعلقة بمساحيق الغسيل، مزيلات القشرة، مواد إزالة الشعر، معطر رائحة الفم، مزيلات رائحة العرق... الخ.

- مجموع المبحوثين يعودون بعد تغيير القناة لمواصلة متابعة البرنامج حيث بلغت نسبتهم 48%، أما الذين يقومون بتغيير القناة بمجرد وجود الفاصل الاعلاني فقد بلغت نسبتهم 36%، في حين الذين يغادرون غرفة التلفزيون بلغت نسبتهم 16%.

- البرامج المفضلة في التلفزيون لدى المبحوثين تتمثل في الأفلام وذلك بنسبة 30% وهذه النتيجة تتطابق مع تلك التي توصل إليها الباحث (بومعيزة السعيد) في دراسته "أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات": "بأن الأفلام تحتل المرتبة الأولى من حيث الاهتمام - وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها الباحثة (حنان شعبان) في دراستها تلقي الإشهار التلفزيوني، في حين تليها المسلسلات بنسبة 26%، أما البرامج الإخبارية والدينية والطبخ والبرامج الوثائقية فقد تساوت في النسب حيث قدرت بـ 16%، وفي المرتبة الأخيرة نجد البرامج الرياضية والغنائية الفنية بنسبة 12%.

- النسبة الكبيرة من المبحوثين تعود لفترة الليل (42%) لمتابعة برامج التلفزيون والتعرض للإعلان، كون الجمهور المستهدف في الدراسة يتمثل في الشباب ولكون أن الفترة الصباحية وفترة بعد الظهر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجودهم في أماكن الدراسة أو العمل مما يمنعهم من مشاهدة برامج التلفزيون وبالتالي التعرض للإعلان، أما في الليل فيكونوا قد عادوا إلى أماكن سكنهم مما يؤدي بهم إلى

لتأتي رابعا السلع الخاصة بالأثاث المنزلي ومواد التنظيف بنفس النسبة والتي قدرت ب 7.14% أما الإعلانات المتعلقة بألعاب الأطفال فقد كانت نسبتها ضئيلة حوالي 3.75% .

و من خلال هذه النسب فقد تبين أن السيارات هي السلع الأكثر مشاهدة من قبل جمهور الشباب الجزائريين ، ويمكن تفسير ذلك لكون 50% من أفراد عينة الدراسة هم ذكور وهم ، تلتها نسبة معتبرة متعلقة بمواد التجميل وكذلك المتعلقة بالأزياء والملابس وهذا نابع من طبيعة الشابات اللاتي تسعين دائما للبحث عن الجمال والأناقة ، ولذا نجد أن جل الإعلانات تركز على هذا النوع من الحاجات الملحة للمرأة وهذا ما تؤكد "منى الحديدى" و"سلوى إمام" في كتابهما "الإعلان في التلفزيون" حيث تلاحظان أن أغلب إعلانات مواد التجميل تركز على غريزة وتر الحاجة للصحة والجمال (27).

- أما عن التفضيل الثالث للمشاهدين محل الدراسة ، فقد كان للإعلانات الخاصة بمواد التنظيف وهذا أمر بديهي ، لأن أي امرأة تسعى للمحافظة على نظافة بيتها وزوجها وأولادها ، وتعتبر المرأة الجمهور المستهدف بالدرجة الأولى في هذا النوع من الإعلانات لأنها هي المعنية والمسؤولة عن هذه الشؤون ، وخاصة المرأة العربية لأن الإعلان يحاول دوما ترسيخ صورة المرأة التقليدية ، والتي من وظائفها الاهتمام بالبيت ونظافته بالإضافة إلى أمور أخرى ، ويستعمل الإعلان المرأة لأغراض تجاربه فنجد الكثير من الومضات الإعلانية التي تستغل المرأة فتصور جسدها أو جزء منه ، وهذا الاستغلال يظهر في محاولة الإعلان ترسيخ فكرة خضوع المرأة واعتبارها فقط موضوعا ووسيلة للرجل ووسيلة للتدبير المنزلي. أما فكرة عدم خضوعها واستقلاليتها فلا تذكر إلا نادرا ، كما يركز الإعلان في إقناع المرأة على الجانب المتعلق بتقاليد المجتمع. أما فيما يخص السلع الخاصة بألعاب الأطفال فهناك العديد من الدراسات التي أثبتت أن الإشهار يسعى لترسيخ فكرة المرأة "ربة البيت" ، ويقصد بها المرأة التي تختار العناية ببيتها وتهتم بشؤون أسرتها وتدير أمور حياتهم وفقا لما تراه مناسبا ، وتقوم بمختلف أدوار الرعاية داخل بيتها من تربية الأطفال إلى التنظيف إلى الطهي والترتيب ، ودورها هو أحد الأدوار الاجتماعية التي يعينها المجتمع للنساء فقط .

عدة لمشاهدة الإعلان التلفزيوني تختلف باختلاف الحاجيات التي يحققها الجمهور المبحوث .

-أما الأسباب الكامنة وراء عدم مشاهدة الجمهور المبحوث للإعلان التلفزيوني ، حيث أجمع أغلبية مفردات العينة أن السبب الأول لعدم مشاهدتهم للفواصل الإعلانية أنه يقطع البرنامج المتابع وذلك بنسبة 31% ، ويعود السبب الثاني لعدم المشاهدة كون محتويات هذا الأخير لا تعكس الواقع بنسبة 17% ، بعدها يأتي بعده سبب آخر وهو كون شكل وطريقة عرض الإعلان لا يعجب الجمهور المشاهد وذلك بنسبة 15% ، ويعود سبب عدم مشاهدتهم للفواصل الإعلانية ، كون هذا الأخير يثير القلق بنسبة 13% ، أما من حيث مؤشر عدم وجود وقت لمشاهدتها ومؤشر عدم القدرة على الحصول على المنتجات المعروضة فيها فقد احتلا المرتبة الأخيرة بنسبة متساوية قدرت ب 12% . وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها الباحثة حنان شعبان في دراستها تلقي الإشهار التلفزيوني ، حيث خلصت أن السبب الأول لامتناع عينة الدراسة من مشاهدة الإعلانات هو أنه يقطع البرنامج المشاهد وذلك بنسبة 37.45% (25).

- نالت "السلع" أعلى النسب من إجمالي فئات البحث ب 56% وتلتها مشاهدة الخدمات بنسبة بلغت 44% . حيث نلاحظ أن هناك تفاوت في النسب بين النشاطين ، ولعل أهم الأهداف التسويقية التي تسعى الإعلان إلى تحقيقها هو الترويج للسلع الاستهلاكية بالدرجة الأولى وهذا ما يفسر التفاوت بين الخدمات والسلع ، و الملاحظ أيضا أن الإعلانات تركز على الجوانب الاستهلاكية في حين يقل تركيزها على المجالات الإعلانية الأخرى هذا ما أشارت إليه نتائج الدراسات السابقة ، حيث أثبتت أن إعلانات السلع تفوق إعلانات الخدمات ، وهذا ما يشير إلى أن الإعلان يسير في اتجاه السلع دون سائر النوعيات الأخرى (26).

- أن الشباب يفضلون مشاهدة بعض الإعلانات دون غيرها ويمكن ترتيبها كما يلي:

جاءت السيارات في المرتبة الأولى وبنسبة بلغت 46.42% من إجمالي السلع المعلن عنها ، تلتها مباشرة السلع الخاصة بمواد التجميل بنسبة قدرت ب 25% في حين احتلت الأزياء والملابس المرتبة الثالثة ب 10.71% .

كجمهور المهتمين بالمنتجات الرقمية والمستثمرين الذين يهتمون بمجال التأمينات .

- أغلبية المبحوثين يرون أن الوقت المخصص للفواصل الإعلانية هو وقت طويل وذلك بنسبة 52 % من إجمالي عينة الدراسة، تليها مباشرة الفئة التي ترى بان الوقت المخصص للفواصل الإعلانية متوسط بنسبة 42%، وفي الأخير نجد الفئة التي ترى أن الوقت المخصص هو قصير بنسبة ضئيلة قدرت ب 6%، وهذا ما يؤكد النتيجة التي تم التوصل إليها في الجدول (18) سابقا والتي تؤكد على كون عينة الدراسة تنظر للإعلانات على أنها إزعاج وملل .

- جل المبحوثين يفضلون الإعلانات الغربية ، حيث بلغت نسبة هذه الفئة 42 .% وتلتها مباشرة نسبة معتبرة من الإعلانات العربية حيث قدرت ب 34% ، ثم الإعلانات المترجمة بنسبة 14% بينما احتلت الإعلانات الجزائرية المرتبة الأخيرة بنسبة جد ضعيفة 10 .%

ويمكن تفسير الانجذاب نحو الإعلانات الغربية، لكونه مرتبط ارتباطا وثيقا بالصورة الذهنية لهذه الإعلانات واتجاهات الأفراد (المستهلكين) وتصرفاتهم، وله علاقة كبيرة بمعتقداتهم، فالصورة الذهنية هي مجموع الانطباعات والأحاسيس، التي تكونت في عقول الأفراد عن أنفسهم، أو عن المنتجات والحركات عند استعمال تلك المنتجات، أو أثر التعامل معها ودرجة الانتباه المنتظر من طرف الفرد⁽²⁹⁾ هناك قاعدة عامة ومتعارف عليها وهي: " أن كل ما هو أجنبي جيد، وكل ما هو محلي سيئ"، وفي نفس السياق يؤكد "نبيل لوطي" في مقاله المجتمع الإسلامي وقضية البث المباشر قائلا:

" إن نمط الحياة الغربي الذي تقدمه الوسائل الإعلانية والبعيد عن الواقع المعيش لهذه الشعوب، والذي يقدمه باعتباره النموذج الوحيد للتقدم والرفاهية والسعادة، مما يؤدي في النهاية إلى تغيير الشخصية والهوية القوية، وهذا من شأنه في النهاية أن يحول السلوكيات والقيم الغربية إلى قيم عالمية، في إطار محاولة تشكيل ثقافة دولية وإيجاد حالة تجانس ثقافي عالمي".

إن هذه النتيجة تؤكد على أن الشباب الجزائري يشجع المنتجات الأجنبية، أما عن الإعلانات العربية فهي

- المشاهدين الجزائريين يفضلون متابعة الإعلانات السياحية بالدرجة الأولى بنسبة 32 %، وتليها مباشرة الإعلانات الخاصة بخدمات الهاتف بنسبة 24%، ثم الإعلانات التوعوية والتجارية ويمكن القول أن هناك تقارب بين هذين النوعين من الإعلانات حيث بلغت نسبة إعلانات التوعوية 16 % و قدرت نسبة الخدمات التجارية ب 16 % أيضا في حين نجد أن إعلانات التأمينات والخدمات الرقمية كانت الأقل تكرارا والأقل نسبة.

ويمكن تفسير ذلك بكون فئة الخدمات الخاصة بالسياحة وخدمات الهاتف تعتبر من الرفاهيات التي يسعى إليها كل فرد، ويعتبر "ستوتزل" Stotzel أن البحث عن الرفاهية يكاد يكون محل البحث عن السعادة، حيث تقلص مفهوم الرفاهية من مفهومه العام إلى المفهوم الإعلاني وأصبح يقصد به فقط كل ما يساعد على العيش في راحة. ومنه أرفقت أعداد هائلة من المنتجات بعلامات توحى بالرخاء المهدي والبحث عن الكماليات،- فموضوع الترف والأبهة من المواضيع التي يستعملها المعلنون بشكل كبير في رسائلهم، خاصة عندما يتعلق الأمر بفتة النساء لحبها للأبهة والتمظهر،- ويمكن أن نفسر الاهتمام بالإعلانات التوعوية نابع من كون المرأة (أو الأثني والتي تمثل نصف عينة الدراسة) بطبيعتها تحب أن تبين لها كيف تتصرف.

أما فيما يخص الخدمات التجارية فيمكن تفسيره بكون الإعلان يركز دوما على الجانب التعليمي والتوجيهي، حيث نجد أن الرسالة تعرف المستهلك بالسلعة وخصائصها وطرق ومجالات استعمالها وكيفية صياغتها والمحافظة عليها، كما أنها تبين للمستهلك الأماكن التي تباع فيها السلعة، وتوفر له المعلومات التي تسهل عليه الحصول على الشيء المعلن عنه بأقل جهد وأقصر وقت وبأقل النفقات. فكل إعلان يتضمن أفكارا جديدة عن تلك السلعة، فالناس بطبعهم يميلون إلى تجريب السلع التي تتوافر لديهم المعلومات الكافية عنها⁽²⁸⁾، وفيما يخص التأمينات والخدمات الرقمية، فهي بعيدة عن اهتمامات المرأة بصفة خاصة لأنها لا تدخل في حيزها الأنثوي، وبعيدة عن اهتمامات الشباب بصفة عامة وغالبا ما تستخدم الإعلانات في هذين المجالين المدخل العقلي لا العاطفي، وتتوجه إلى جمهور مستهدف بعينه

ليست بالفارقة مع من أكد بأن اللغة المستخدمة تكون أحياناً مفهومة ، حيث بلغت نسبتهم ب 45 %.

المحور الرابع :تأثير الإعلان على السلوك الاستهلاكي للشباب .

- نسبة 36 %يعتمدون في إقتنائهم للمنتوج على الماركة، بينما يعتمد 22 %على التجربة الشخصية في حين نجد نسبة 14 %يعتمدون على الأصدقاء في اقتناء المنتوج ،وكانت نسبة الذين يعتمدون على البائع وعلى العائلة في إقتنائهم للمنتوج متساوية حيث قدرت ب 10 % ،في حين اقتصرت نسبة الذين يعتمدون على الإعلان على 8 % من المبحوثين .

و منه نستنتج محدودية تأثير الإعلان في توجيه السلوك الشرائي للشباب (8 %) والدور الأبرز كان للماركة والتجربة الشخصية أي يكون التأثير الأكبر في توجيه السلوك الشرائي للعوامل الداخلية خاصة الشخصية التي يتمتع بها القائم بالسلوك حيث أن هناك العديد من الخصائص التي تميز الأفراد عن بعضهم البعض وتتحكم في إتخاذ القرار نذكر منها : المغامرة، الاندفاع، حب التملك، المسؤولية، حب السيطرة...⁽³¹⁾ وهي نفس النتيجة التي توصلت لها الباحثة ليلي لونيس حيث خلصت لكون عنصر العلامة يمثل المحددة الأول لشراء المبحوثات⁽³²⁾. يأتي بعدة الدور للاتصال الشخصي في اتخاذ القرار متمثلاً في الاعتماد على الأصدقاء والعائلة والبائع، حيث أن هناك العديد من العوامل الخارجية التي توجه السلوك الشرائي كالأسرة والجماعات المرجعية⁽³³⁾.

وفي دراسة مرعوش اكرام توصلت الباحثة إلى أن قرارات المستهلك الجزائري لاتتبع من حالة عفوية بل هي تتفاعل مشترك بين مؤثرات ذاتية داخلية وتفاعلات خارجية⁽³⁴⁾.

-نسبة 54% من مجموع المبحوثين يعيرون اهتماماً أكبر للجودة على حساب السعر، في حين أن نسبة 46% منهم يعيرون اهتمام أكبر للسعر، ويمكن تفسير ذلك بكون جودة المنتوج أو العلامة التجارية للمنتجات تلعب دوراً كبيراً في خلق تميز، ولها دور كبير في فهم قرار الشراء، فالحقيقة أن المستهلك عند أخذه لجودة العلامة بالحسبان، يكون مدركاً أن المنافسين قادرين على تقليدها وتقديم الخصائص

تعرض محتوى أجنبي المصدر، لكن هذا لا ينفي أن الإعلانات العربية الأخرى تتمتع بتصميم إعلاني جيد يجذب الانتباه ويثير الاهتمام من حيث التقنيات العالية الاستخدام، وكذا اعتمادها على الأسلوب الاستشهادي والاستعانة بالشخصيات المشهورة العربية، وتظهر الحاجة إلى استخدام الشخصيات المشهورة كوسيلة للتأكيد على وجود السلعة أو الخدمة المعلن عنها وتفوقها على العلامات التجارية المنافسة، مما يجعل الجمهور المستهدف يرغب في محاكاة هؤلاء المشاهير⁽³⁰⁾ ثم تأتي الإعلانات المترجمة والتي تكون نسخة عن الإعلان الغربي ولكن يتم ترجمته وتقريبه من المجتمع الذي سيبت فيه مما يتيح له درجة عالية من الفهم لدى غالبية المجتمع وهو ما يعرف بالإعلان المعولم، أما بالحديث عن الإعلانات الجزائرية، فأول ما يلاحظ عنها أنها لازالت تقتقد إلى التصميم الإعلاني الجيد، إضافة إلى تركيز جلها على نفس المنتجات، وتعتمد دوماً على نفس الأساليب والتي تنحصر أساساً في الأسلوب الحوارية، خاصة إذا ما قورنت بنظيراتها في القنوات العربية الأخرى، فالفارق واضح خاصة ونحن في عصر الثورة الاتصالية والمعلوماتية، عصر الصورة وما تحمله من تأثيرات.

- غالبية عينة الدراسة تعجبهم الإعلانات التي تستعمل الكل معاً(الرجل، المرأة والأطفال) وذلك بنسبة معتبرة تقدر ب 52% تليها الفئة التي تفضل الإعلانات التي تستعمل الأطفال بنسبة 20%، وفي المرتبة الثالثة نجد الفئة التي تفضل استعمال المرأة في الإعلانات بنسبة 16% وفي الأخير الفئة التي تفضل إعلانات الرجل بأقل نسبة وهي 12%.

ومن هنا نستنتج أن الشباب الجزائري يميل إلى الإعلانات التي تستعمل كل أفراد العائلة من رجل وامرأة وأطفال ويمكن تفسير ذلك لكون عينة الدراسة من الشباب الذين تمتد أعمارهم من 18 إلى غاية 30 سنة وهي فترة البحث عن الإستقرار وتكوين أسرة.

- نجد أن اللغة الإعلانية هي التي تمنح للتواصل قوة إقناعية، وتساعد على تحفيز المستهلك ودفعه للشراء، ولقد أجاب المبحوثون بأنهم يجدونها مفهومة دائماً وأحياناً يجدون صعوبة في فهمها، ونادراً ما تكون غير مفهومة، حيث قدرت نسبة الإجابة دائماً " ب 55 % وهي

الإعلان، خاصة مع انتشار الفكرة التي تعتبر الإعلان هو تشجيع لايدولوجيا الإنتاج والاستهلاك، ولعل التردد في سلوك الشراء راجع الى عدة أسباب منها، كون المبحوثين يخضعون إلى العديد من المؤثرات الأخرى على خلاف الإعلان والتي من شأنها تدعيم ما بنه الإعلان أو تغيير ونفي المعلومات المقدمة من خلال الوصلات الإعلانية، حيث وفي دراسة ل معمر ربوح خلص إلى أن المستهلك الجزائري لديه اتجاهات ليست ايجابية نحو إعلانات⁽³⁷⁾.

أما فيما يخص تفسير النتائج الخاصة بالفئة الثانية والتي اجابت بنعم فيمكن القول أن اقتناء المنتوجات بعد مشاهدة الإعلانات يؤكد على تأثير الإعلانات على المتلقي، فكل ملفوظ إشهاري هو في الواقع سلسلة من السياقات المضمره التي تتسلل إلى وجدان المستهلك، في غفلة من كل أشكال الرقابة التي يمكن أن يستنجد بها، ويمكن أن نلمس القوى الإقناعية الضاربة في جل المنتوجات الخاصة بما له علاقة بالهوية الجسدية للمستهلك، ويمكن القول أن هذه القوى الإقناعية في الإشهار تكمن في خلق حالة تطابق بين عوالم المنتج وبين رغبات المتلقي الواعية واللاواعية⁽³⁸⁾.

ولقد توصلت دراسة الباحثة مرعوش إكرام بعنوان "مدى تأثير الإعلان على سلوك المستهلك" إلى نتيجة أن هناك علاقة منطقية ومتينة بين مراحل عملية الشراء لدى المستهلكين سواء كان قبلها أو خلالها أو بعدها مع عناصر المزيج الترويجي، وبالأخص الإعلان حيث لهذا الأخير دور كبير في استماله المستهلك نحو المنتجات المعروضة⁽³⁹⁾.

معظم المبحوثين يؤكدون على أن الإعلانات التلفزيونية مبالغ فيها حيث قدرت نسبتهم ب 62.5%. وفي مقابل نسبة معتبرة بلغت 24.99%. أكد خلالها المبحوثون أن هناك مطابقة بين المنتجات وما يقوله الإعلان، في حين بلغت نسبة الشباب الذين يجدون اختلاف بين واقع المنتجات وما يقوله الإعلان اختلافاً كلياً 12.5%. وفي حقيقة الأمر، إن أي إرسالية اشهارية لا تخلو من البلاغة والأساليب والاستمالات والأوتار التي تؤدي في النهاية إلى دفع المستهلك إلى الشراء، فالإشهار ومعه التلفزيون لم يخلق لتلقين المعرفة، وأعتقد أنه من المفارقات العجيبة أنّ الإشهار لو تحول إلى التعريف بحقيقة الأشياء المعروضة للقي إغراض

ذاتها وبالعلامة التجارية، والمستهلك يقوم بشراء المنتج الذي يتميز من وجهة نظره عن العلامات الأخرى، ويستمر بشراء هذه المنتجات التي تحمل هذه العلامة مادامت تحافظ على الفرق والتمييز وهذا ما يعرف بالفردانية uniqueness، وتعرف الفردانية بأنها: "الدرجة التي يشعر بها المستهلك بأن العلامة مختلفة عن العلامات المنافسة" إذا لم يتميز إدراك العلامة على أنها مميزة عن العلامات المنافسة سيكون من الصعب أن تقوم بوضع سعر أعلى من المنافسين. فردانية العلامة تعد المحرك الأساسي للقيمة المعنوية لها من وجهة نظر المستهلك، وبغض النظر عن كيفية تحقيق التمييز، إلا أنه بمجرد أن تصبح العلامة فريدة فمن الممكن لها أن تطلب علاوة عن الأسعار السائدة في السوق، والجودة مفهوم متعدد الأبعاد فهناك الجودة الفعلية، الجودة المدركة، فلفعليته نشير إلى التمييز التقني للمنتج الذي يمكن تعريفه وقياسه، في حين أن الجودة المدركة تشير إلى حكم المستهلك على التمييز الكلي للمنتج، من ثم فهو يختلف عن الجودة الفعلية بأنها تقييم شخصي أو سلوكي، لأنها ارتباط مباشر برغبة المستهلك بدفع سعر أعلى وترتبط ببنية الشراء⁽³⁵⁾.

-أفراد العينة الذين لا يتأثر سلوكهم الشرائي بتكرار الإعلانات بلغت نسبتهم 52 %، بينما تمثل نسبة 48% الأفراد الذين يتأثر سلوكهم الشرائي بكثرة الإعلانات، ومنه نستنتج أن الإستراتيجية الإقناعية المعتمدة في الرسائل الإعلانية (التكرار) كانت محدودة الفعالية. ويمكن تفسير ذلك لكون متلقي الإعلانات -خاصة إذا كان التكرار كبيراً- يصاب بنوع من الانزعاج وهو ما يدفعه إلى تجاهل التكرار الروتيني للرسائل الإعلانية والتهرب منها ومقاومة محتواه⁽³⁶⁾.

- أغلب ومعظم المبحوثين لا يتأثرون بما يشاهدونه في الإعلانات التلفزيونية من سلع وخدمات، وقد قدرت النسبة ب 52% وفي المقابل نجد من قاموا بفعل الشراء نتيجة تعرضهم للإعلانات قد قدرت نسبتهم ب 48%، ويكون هذا الشراء الناتج عن مشاهدة الإعلانات "أحياناً فقط". وذلك بنسبة 75 %، تليه فئة "دائماً وأحياناً" بنفس النسبة والتي قدرت ب 12%.

ويمكن تفسير نتائج الفئة التي أجابت ب "لا"، بإرجاع السبب إلى الصورة الذهنية التي يحملها المبحوثين حول

أن 16% فقط من أفراد العينة يصدقون ما تقوله الإعلانات التلفزيونية .

ويرجع عدم تصديق أفراد العينة للإعلانات كونهم يجدون اختلاف وعدم تطابق بين المنتجات التي تروج لها هذه الإعلانات والمنتجات التي يجدونها في الواقع وهذا حسب ما أدلى به أفراد العينة وهي نفس النتيجة التي توصل إليها بومشعل يوسف في دراسته سلوك المستهلك الجزائري حيث خلص إلى أنه لا توجد ثقة في مصداقية المعلومات التي تتضمنها الإعلانات وبالتالي اللجوء إلى مصادر أخرى للحصول على المعلومات تكون أكثر ثقة كالعائلة، الزملاء والباعة⁽⁴³⁾.

خلاصة:

من خلال هذه الدراسة تبينت أهمية الإعلان كأحد ابرز عناصر المزيج الترويجي من جهة وكأحد المثيرات الخارجية التي تستهدف سلوك المستهلكين من اجل إحداث الاستجابة المتوقعة، كما تبرز أهمية الإعلان من خلال الاعتماد الكبير والمتزايد عليه من قبل المعلنين الذين يعتبرونه بمثابة المنفذ والجسر الرابط ما بينهم وبين المستهلكين .

إن مسألة تأثير الإعلان على السلوك الشرائي للمستهلك تتضمن مجموعة من العوامل أو الجوانب المهمة التي يجب مراعاتها عند عملية إعداد وتصميم الرسالة الإعلانية ، وتمثل هذه الجوانب في : الجانب النفسي ، الاجتماعي والاقتصادي ، فالجانب النفسي يتمثل في حاجات ، رغبات ودوافع المستهلك المختلفة التي تكون بمثابة الموجه الأساس لمختلف تصرفاته خاصة فيما يتعلق بسلوكه الشرائي ، أما الجانب الاقتصادي فيتمثل في الحالة المالية ومستوى الدخل والذي يسمح للمستهلك من شراء المنتجات التي يحتاجها أو التي يرغب في الحصول عليها وذلك من خلال وضع المنتجين لأسعار مقبولة تكون في متناولهم الأمر الذي يسمح بتحقيق المنفعة للطرفين (المنتج والمستهلك) ، في حين تبرز أهمية العوامل الاجتماعية في معرفة طبيعة العلاقات القائمة ما بين الأفراد سواء على مستوى المجتمع ككل أو على مستوى العائلة ، وهذا الأمر من شأنه تحديد الفاعلين في العملية الشرائية من حيث تبيان دور المقرر، المؤثر ، المبادر.... الخ .

الجمهور ، ومن الطبائع المحايثة والمميزة للإشهار أن لا يلحق المعرفة ، لكن من الطبائع المميزة للجمهور نفسه أن لا يلفت إلى التعريف بحقيقة البضاعة تعريفا علميا أو تجريبيا ، طالما أن العامة هي السامعة وطالما أن الإشهار ومعه التلفزيون هو المتحدث فلامجال للحديث عن حقائق الأشياء⁽⁴⁰⁾.

- أغلبية المبحوثين لا يصدقون كل ما تعرضه الإعلانات التلفزيونية وذلك بنسبة 92% ، في المقابل نجد 8% فقط من المبحوثين يصدقون ما يتم بثه في الإعلانات .

- عدم وجود علاقة بين الوضعية الاقتصادية وتصديق ما يشاهد في الإعلان ، تقدّمت الطبقة الاقتصادية المتوسطة بنسبة 64% . تلتها نسبة 28% من فئة الوضعية الاقتصادية المرتفعة التي لا تصدق ما يشاهد في الإعلان ، أما عن الفئة التي تثبت هذه العلاقة الارتباطية وتوافق على هذا الرأي فهي فئة ضعيفة جدا ومهمشة ولا تتجاوز 6% وهذا ينفي وجود علاقة ارتباطية بين الوضع الاقتصادي وتصديق ما يشاهد في الإعلان حيث يرجع هذا إلى عوامل نفسية تدخل في تركيب الحجج الإقناعية لدى المستهلك ، خصوصا الدوافع الجامحة التي تحتاج لإزالة التوتر وتلبية الرغبات والحاجات المباشرة ، كاستجابة سلوكية ومنعكس شرطي لإشباع الحاجة وتصديق كل ما يرد فيه ، لتحكم عامل أساسي في المؤثرات الداخلية المشكلة للإدراك والإقناع وهو الدوافع ، وهي عكس النتيجة التي توصلت إليها الباحثة وقنوني باية في دراستها حيث وجدت أن العوامل الثقافية والاجتماعية ، التسويقية والاقتصادية والعوامل الموقفية تساهم في التأثير على الاستجابة السلوكية للمستهلك⁽⁴¹⁾.

حيث تشير نظرية التحليل النفسي لـ "فرويد" أن سلوك الإنسان يستجيب إما لدوافع مدفونة لديه ، أو لدوافع لا يدركها ولكنها مؤثرة على سلوكه في نفس الوقت ، ويقصد بالدوافع القوة أو الباعث لسلوك هادف معين ، ولقد اهتم رجال التسويق بدراسة الدوافع وراء سلوك المستهلك سواء كان هذا السلوك متعلقا ب لماذا نشترى سلعة معينة ؟ أو من مكان معين وحتى لماذا يترك السلعة ؟⁽⁴²⁾.

- أغلبية عينة الدراسة لا تصدق ما يقال في الإعلانات التلفزيونية والتي كانت إجاباتهم ب "لا" 92% ، في حين نجد

لكن هذا لا يلغي الجانب الايجابي لهذه الإعلانات فهي تعرف المستهلك بالسلع والخدمات المتوفرة وخصائصها وتيسر له الحصول عليها بأقل جهد وفي أقصر وقت وبأقل التكاليف ،

بالإضافة إلى كون الإعلان التلفزيوني (التلفزيون كدعامة إعلانية) هو أهم مصدر يستعين به المستهلك الجزائري للحصول على المعلومات المختلفة التي تساعد على اتخاذ القرارات الشرائية الملائمة ، حيث يعتبر من الوظائف الأساسية للاتصال في المجتمعات الحديثة وذلك لكونه من أكثر الإعلانات تأثيراً على السلوك النهائي للمستهلك وبالتالي فهو يعتبر من أهم أساليب الترويج للمنتوج من خلال تطبيقه تقنيات غرضها الإقناع والتأثير على قرارات الشراء لدى المستهلك.

وقد كان توجهنا في هذه الدراسة هو محاولة الكشف والتعرف على مدى تأثير السلوك الاستهلاكي للشباب في مدينة العلمة بالإعلانات التلفزيونية، خاصة فيما يتعلق باتخاذ القرارات الشرائية والقيام بعملية الشراء ، ولعل أهم ما توصلنا إليه في هذه الدراسة هو التأثير النسبي للإعلان على هذا السلوك، مما يعني أن هناك وعياً وفهماً عميقاً إلى حد ما لدى الشباب فيما يتعلق بالإعلانات المعروضة في القنوات الفضائية ، فهم يجدونها متعارضة مع قيمهم وعقيدتهم وتحمل في طياتها غزواً ثقافياً ساهم بشكل أو بآخر في نشر قيم الغير وحضارته، متجاهلاً بذلك خصائص وقيم المجتمع الجزائري ، إلى جانب المبالغة في وصف جودة المنتوج ، الأمر الذي يدفع الشباب إلى الاعتماد على قناعتهم الشخصية أو الجماعات المرجعية خاصة الأصدقاء عند اقتناء أي منتوج.

الهوامش

1. LAVIDGE Robert and STAINER Gray A., Amodel for predictive measurements of advertising effectiveness, *Journal of marketing*, vol 25, N.Y., the American marketing association, 1960, P60.
2. سامي عبد العزيز، صفوت العالم، "مقدمة في الإعلان" مداخلات تكنولوجيا التعليم، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2004، ص 29.
3. ناجي معلا، "الأصول العلمية في الترويج والإعلان" (مدخل اقناعي) ط1، عمان، ص 17.
4. عايد فضل الشعراوي "الإعلان والعلاقات العامة"، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ط1، 2006، ص 61.
5. أختاق عثمان، "أهمية الإشهار كاستثمار تسويقي في ظل المخاطر السوقية القائمة" دراسة حالة مؤسسة شبلي لمشتقات الحليب، مذكرة ماجستير في العلوم التجارية، تخصص تسويق، جامعة بن يوسف بن خدة، 2007-2008، ص 95.
6. علي السليبي، "الإعلان"، مكتبة غريب، القاهرة، د.س.، ص 20.
7. وقتوني باية، "أثر العلاقات العامة على سلوك المستهلك النهائي" دراسة حالة شركة أوراسكوم لاتصالات الجزائر - جازي - مذكرة ماجستير في العلوم التجارية فرع الإدارة التسويقية، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، 2007-2008، ص 7.
8. محمود جاسم الصمدي "سلوك المستهلك"، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص 19.
9. محمد منير حجاب، "المعجم الاعلامي"، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 114.
10. ايناس محمد غزال "الاعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل"، الدار الجامعية الجديدة للنشر، الاسكندرية، 2001، ص 19.
11. هنا السيد، "الفضائيات وقادة الراي"، دار الكتاب، القاهرة، ط1، 2005، ص 37.
12. صلاح مصطفى الفوال: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، القاهرة، 1983، ص 169.
13. أحمد بن مرسل: مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 283.
14. قيش حكيم، "الاتجاهات نحو الهجرة غير الشرعية وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى الشباب" دراسة ميدانية في منطقة دلس ببومرداس، دراسة لنيل ماجستير في علم النفس تخصص علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 55.
15. المرجع نفسه، ص 311.
16. رشيد زرواتي: مناهج وأدوات البحث في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 261.
17. مصطفى حميد كاظم الطائي: الفنون الإذاعية وفلسفة الإقناع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007، ص 134.
18. حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، 1998، ص 339.
19. نضال عبد الله تايه، تأثير الانترنت على مراحل اتخاذ القرار الشرائي عند الشباب الجامعي الفلسطيني في قطاع غزة، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، قسم ادارة الأعمال، كلية التجارة، الجامعة الاسلامية، غزة، السنة الجامعية 2007، ص 176.
20. حنان شعبان، تلقي الإشهار التلفزيوني، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص 171.
21. عز الدين بوسنينة، أثر الإعلان التلفزيوني على السلوك الشرائي للمستهلكين الليبيين، دراسة على مستوى جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، كلية الاقتصاد، الموسم الجامعي 2005-2006، ص 180.
22. حنان شعبان، المرجع السابق، ص 106.
23. يوسف بومشعل، الإعلان وسلوك المستهلك الجزائري، دراسة وصفية تحليلية لجمهور الطلبة، مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تخصص اتصال وعلاقات عامة، جامعة منتوري، قسنطينة، للسنة الجامعية 2009-2010، ص 161.
24. دراسة لمعمر ربوح بعنوان اتجاهات المستهلك الجزائري نحو الإعلان، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تخصص اتصال وعلاقات عامة، جامعة منتوري بقسنطينة، 2008-2009، ص 193.
25. حنان شعبان، المرجع السابق، ص 109.
26. هويدا مصطفى: الإعلان في الأنظمة الإذاعية، الدار اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 216.
27. سلوى إمام علي، منى الحديدي، الإعلان في التلفزيون المصري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 24.
28. محمد فريد الصحن، الإعلانات، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 93.
29. المرجع نفسه، ص 77.
30. منى الحديدي، سلوى إمام علي: المرجع السابق، ص 82.
31. محمد فريد الصحن، المرجع السابق، ص 195.
32. ليلي لوناس، الفعالية الإعلانية للتلفزيون الجزائري، دراسة مسحية لمستهلكات مستحضرات التجميل والعناية، الجزائر العاصمة نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر، للسنة الجامعية 2003-2004، ص 355.
33. المرجع نفسه، ص 173.
34. مرعوش اكرام، مدى تأثير الإعلان على سلوك المستهلك، وهي مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم التجارية، تخصص تسويق بجامعة الحاج لخضر، باتنة، للسنة الجامعية 2008-2009، ص 189.
35. حنان شعبان، المرجع السابق، ص 141.
36. جمال محمد أبو شنب، أشرف محمود خوجة: الدعاية والإعلان، المفاهيم الأطر النظرية، التطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2005، ص 162.
37. معمر ربوح، المرجع السابق، ص 194.
38. سعيد بنكراد: الصورة الشهيرة، اساليب الاقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 207.

39. مرعوش اكرام ،المرجع السابق.ص189.
40. سعيد بنكراد ،المرجع نفسه ، ص 212.
41. وقتوني باية ،المرجع السابق ،ص179.
42. أيمن علي عمر ، قراءات في سلوك المستهلك ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2006 ، ص76.
43. بومشعل يوسف ،المرجع السابق ،ص164..

التكريس الدستوري للحق في البيئة. دراسة مقارنة على ضوء نص المادة 68 من القانون 01-16 المتضمن التعديل الدستوري الجزائري 2016 –

A Comparative Study In The Light Of Constitutional Entrenchment of the Right to the Environment. Article 68 Of Law 16-01, Including The Algerian Constitutional Amendment 2016

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2017-06-21

محمي وردة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2
mehenniwarda82@yahoo.fr

الملخص:

لقد شكل الحق في البيئة أحد الحقوق التي أثارت جدلاً واسع النطاق سواء من حيث تحديد مكانته ضمن منظومة حقوق الإنسان ، أو من حيث تحديد مضمونه و صاحبه ، و حتى من حيث الإقرار به ضمن النظام القانوني للدول ، و لم يبدأ الإهتمام بهذا الأخير إلا بعد النصف الثاني من خمسينات القرن العشرين ، فقد لوحظ اتجاه المؤسس الدستوري في كثير من الدول نحو الإهتمام به و اقراره ، رغم اختلاف طبيعة و أسلوب هذا الإقرار في الدساتير المقارنة بين متجه إلى التصريح مباشرة بهذا الحق كحق أساسي من حقوق الإنسان ، و بين من اكتفى بالإقرار ضمنياً و بطريقة غير مباشرة به ، و ما ترتب عن هذين الأسلوبين من آثار قانونية بشأن إنفاذ هذا الحق و تمكين الأفراد من التمتع به.

إذن تحاول هذه الدراسة استقراء و تحليل موقف المؤسس الدستوري من تكريس الحق في البيئة ضمن الدساتير الوطنية مع دراسة موقف المؤسس الدستوري الجزائري من ذلك ، خاصة بعد التعديلات التي جاء بها القانون 01.16 المتضمن التعديل الدستوري المؤرخ في 06 مارس 2016، و أثر هذا الإقرار على إنفاذه و كيفية تعامل القاضي الوطني مع النصوص المتضمنة للحق في البيئة.

الكلمات المفتاحية: البيئة ، تكريس الحق في البيئة ، الحقوق الأساسية ، الإقرار الصريح ، الإقرار الضمني ، الدساتير الوطنية ، المادة 68 من التعديل الدستوري الجزائري.

Résumé

Le droit à l'environnement constitue l'un des droits qui ont suscité une vaste controverse tant en termes de détermination de son qu'au sein du système statut des droits de l'homme, ou en termes de détermination de son contenu et de son attributaire, et même en termes de reconnaissance au sein du système juridique des pays, l'intérêt suscité pour ce dernier n'a pas commencé qu'après la seconde moitié des années cinquante du XXe siècle, il a été constaté que le fondateur constitutionnel dans de nombreux pays s'orientait vers son intérêt et son approbation, en dépit de la différence de la nature et du style de cette reconnaissance au sein des constitutions comparatives entre celui qui déclare directement que ce droit constitue un droit fondamental des droits de l'homme, et ceux qui le reconnaissent implicitement et indirectement, et ce qu'a résulté de ces deux styles des implications juridiques sur l'application de ce droit et permettre aux individus d'en jouir. Donc, cette étude tente d'extrapoler et d'analyser la position du fondateur constitutionnel envers la consécration du droit à l'environnement dans les constitutions nationales avec l'étude de la position du fondateur constitutionnel algérien, surtout après les modifications apportées par la loi 16-01, portant l'amendement constitutionnel du 6 Mars, 2016, et l'impact de cette reconnaissance sur l'application et la façon de traiter par le juge national avec les textes portant le droit à l'environnement.

Mots clés: environnement, consecration du droit à l'environnement, les droits fondamentaux, reconnaissance explicite, reconnaissance implicite, les constitutions nationales, l'article 68 de l' amendement constitutionnel algérien

Summary:

The environment's right is one of the rights that has generated widespread controversy both in terms of sound determination and the status of human rights system, or in terms of its content, even in terms of recognition within the legal system of countries, the interest aroused by the latter, did not begin that after the second half of the fifties of the twentieth century, it was found that the constitutional founder inspite of the difference in the nature and style of such recognition within the comparative constitutions between those who directly declare that this right constitutes a fundamental right of human rights, And those who recognize it implicitly and indirectly, and what has resulted from these two styles of legal implications on the application of this right and allow individuals to enjoy it. So this study tries to extrapolate and analyze the position of the constitutional founder towards the consecration of the right to the environment in national constitutions with the study of the position of the constitutional founder in Algeria, especially after the amendments that made by the law 16-01, bearing the constitutional amendment of March 6th, 2016, and the impact of this recognition on the application and the manner of dealing with the texts bearing the right to the environment by the national judge.

Keywords: environnement, environmental Law, fundamental rights, explicit recognition, implicit recognition, national constitutions, the Algerian constitutional amendment article 68.

مقدمة:

لقد شكل موضوع الحق في البيئة أحد المواضيع المستجدة التي أثارَت جدلا واسع النطاق بشأن تحديد مكانته ضمن أجيال حقوق الإنسان، ومن حيث تحديد مضمونه وصاحب هذا الحق، وكذلك بشأن الاعتراف به ضمن المنظومة القانونية الوطنية للدول، حيث لم يبدأ الاهتمام بهذا الحق إلا بعد النصف الثاني من خمسينات القرن العشرين، فقد لوحظ اتجاه المؤسس الدستوري في كثير من الدول نحو الاهتمام بموضوع البيئة والاعتراف بها كمحل وموضوع لحق إنساني رغم اختلاف طبيعة وأسلوب هذا الاعتراف ضمن الدساتير المقارنة.

ولا يخفى أن تكريس الدستور للحق في البيئة يعني الارتقاء بهذا الحق إلى مرتبة الحقوق الأساسية الأخرى المكفولة دستوريا كالحق في الحياة والحق في المساواة والحق في الحرية، وبهذا التكريس يصبح للحق في البيئة أساس دستوري مستقل ومتميز وغير مستمد من وثائق أخرى غير ملزمة مثل الإعلان العالمي الصادر عن مؤتمر ستوكهولم لعام 1972 وإعلان ريو لعام 1992، غير أن النص على الحق في البيئة يحتاج إلى دراسة وتحديد وتوضيح، هل النصوص الدستورية تحدد صاحب هذا الحق وخصائصه وقيمة هذه البيئة التي باتت تشكل حقا تحميه اسمى وثيقة في المنظومة الوطنية.

وقد اختلفت اتجاهات الدول في النص على هذا الحق ضمن نصوصها الدستورية بين من يصرح بذلك ويقدم أدوات واسعة لحماية البيئة رغم أن هذه الأدوات لم تستخدم بصورة كافية حتى الآن من الناحية العملية، وبين من يكتفي بالنص ضمينا على حماية البيئة عن طريق ضمان وكفالة حقوق دستورية أخرى يتم التوسع في تفسيرها لتشمل الحق في البيئة مثل الحق في الحياة و الحق في الصحة.

1- موضوع الدراسة:

تتركز الدراسة، في هذا البحث، على تحديد موقف الدساتير المقارنة من موضوع حماية الحق في البيئة، وكيف كفلت هذه الدساتير هذا الحق من خلال الاعتراف الصريح به أو من خلال الاعتراف الضمني و موقف القضاء الوطني من تطبيق النصوص الدستورية المعالجة لهذا الحق.

2- نطاق هذا البحث:

يقتصر هذا البحث على دراسة التكريس الدستوري للحق في البيئة ضمن المنظومة القانونية الوطنية للدول، وموقف القضاء المقارن من هذا التخصيص الدستوري.

3- أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة المقارنة تحديد مضمون ومحتوى الحق البيئي كحق جديد من حقوق الإنسان، وتحليل الجدل الفقهي القائم بشأنه ودراسة كيفية حمايته في الأنظمة الدستورية المقارنة على ضوء نص المادة 68 من التعديل الدستوري الجزائري الجديد لعام 2016، وتحقيقا لهذه الغاية تطرح الإشكالية التالية:

4- إشكالية البحث:

ما هي اتجاهات المؤسس الدستوري في تكريس الحق في البيئة، وما مدى فاعلية وكفاءة هذه الحماية الدستورية في مواجهة النصوص التشريعية المتعلقة بالبيئة؟ ثم كيف يمكن للقاضي الوطني في الأنظمة القانونية المقارنة أن يكفل حماية فعلية للبيئة في الحالات التي تأتي فيها الدساتير خالية من أي تكريس دستوري صريح لهذا الحق؟

5- منهج الدراسة:

اعتمدنا لدراسة هذه الموضوع على المنهج التحليلي المقارن، من خلال تحليل أولا النقاشات القائمة بشأن الحق في البيئة، وتحليل النصوص الدستورية التي كرسَت بطريقة صريحة أو ضمنية للحق في البيئة مباشرة أو تلك النصوص التي يمكن التوسع في تفسيرها لتشمل الحق في البيئة.

6- خطة البحث:

يقسم البحث إلى 3 مطالب أساسية:

المطلب الأول: مفهوم الحق في البيئة

المطلب الثاني: الإقرار الدستوري بالحق في البيئة

المطلب الثالث: اتجاهات الدول في التكريس

الدستوري للحق في البيئة وأشكاله انفاذه قضائيا

المطلب الأول: مفهوم الحق في البيئة

لم تعد حقوق الإنسان قاصرة على الحقوق التقليدية (حقوق الجيل الأول والثاني)، بل أصبحت هذه المنظومة

كحق جديد ضمن منظومة حقوق الإنسان لعدد من الحجج والأسباب.

وقد ظهر هذا الحق بشكل يكاد يكون صريحا ضمن إعلان استوكهولم للبيئة الإنسانية لعام 1972 من خلال مضمون المادة الأولى التي نصت "الحق الأساسي للإنسان في الحرية والمساواة وظروف عيش كافية، وفي بيئة تسمح نوعيتها بالعيش الكريم، وعليه واجب المحافظة وترقية البيئة للأجيال الحاضرة والقادمة"⁽³⁾.

فمنذ هذا الإعلان طرحت عدة نقاشات بشأن تصنيف هذا الحق ضمن المنظومة الحقوقية وتحديد مضمونه وصاحبه، حيث اعتبر جانب من الفقه إن الاعتراف الجوهري بهذا الحق كان من خلال مصادر إعلانية وبيانات ختامية لمؤتمرات، أما على مستوى المصادر الاتفاقية النافذة فقد انحسر بعدد من اتفاقيات حقوق الإنسان الإقليمية في الغالب، فمثلا أقرت المادة 24 من الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لعام 1981 أنه⁽⁴⁾ "لكل الشعوب الحق في بيئة مرضية وشاملة وملائمة لتنميتها" وأقرت المادة 01/11 من البروتوكول الإضافي لاتفاقية الدول الأمريكية لحقوق الإنسان لعام 1988 (بروتوكول سان سلفادور) بشأن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية: "يحق لكل شخص في العيش في بيئة سليمة وصحية، والحصول على الخدمات العامة الأساسية"⁽⁵⁾.

إن مضمون هذه النصوص يبين أن هذا الحق لم يستقل كأحد حقوق الإنسان المعترف بها في اتفاقيات حقوق الإنسان، حيث ما انفك أن يكون تابعا أو مستمدا من الحقوق المحمية الأخرى "حتى وإن أصبح جزءا من بعض الاتفاقيات الأساسية لحقوق الإنسان، إلا أنه لم يصبح مستقلا على المستوى العالمي".

— القواعد العامة والرغبة في الإقرار الدستوري للحق في البيئة:

1- التسعينات خط التحديد للإقرار الدستوري للحق في البيئة.

2- الدول في طريق النمو: القوة الأساسية للإقرار الدستوري للحق في البيئة

— تفسير قاعدتي الإقرار الدستوري.

1- اختلافات مذهبية وثقافية حول حقوق الإنسان.

تشتمل حقوقا لم تكن حتى عهد قريب معروفة أو منصوص عليها في الوثائق القانونية الدولية منها الوطنية، ومن هذه الحقوق التي بدأت تشق طريقها إلى الوثائق الدولية و الدساتير والتشريعات الوطنية للدول حق الإنسان في البيئة، فما هو مضمون هذا الحق وإلى أي مدى وجد اعترافا فقهيا و قانونيا به؟.

الفرع الأول: تعريف الحق في البيئة

مبدئيا يمكننا القول أن الفقه عرف الحق في البيئة من ناحيتين:

الناحية الأولى: تتعلق بالنظر إلى صاحب هذا الحق وحاجته⁽¹⁾، ويكون وفق ذلك حق الإنسان في بيئة سليمة و ضرورة تمكين الإنسان من الإستخدام الأمثل لموارد الطبيعة، فتكون سلامة البيئة إنما تعود على الإنسان بالنفع والخير، وهو أمر يتفق وغاية هذا الحق من توفير حياة لائقة للإنسان ولن يكون ذلك إلا إذا وجدت البيئة لممارسة الإنسان لحقوقه وحرياته.

الناحية الثانية: تتعلق بالنظر إلى موضوع ومحل هذا الحق، فيعرف وفقا لذلك حق الإنسان في البيئة بأنه "ضرورة توفير بيئة سليمة و صحية بكافة عناصرها - و إن حصل جدل فقهي بشأن مجال هذه العناصر هل يقتصر الأمر على العناصر الطبيعية فقط أم العناصر الطبيعية والإصطناعية"⁽²⁾. ، وضرورة الحفاظ على هذا التوازن البيئي الذي تقتضيه سنن الكون.

يتضح أن كل من الجانب الموضوعي والجانب الشخصي في تعريف الحق في البيئة يتكاملان فيما بينهما، فتوفير الوسط البيئي الملائم هو الذي يمكن الإنسان من الاستخدام الأمثل لموارد الطبيعة، ولن يتأتى ذلك إلا إذا حافظ هو نفسه على التوازن البيئي واحترام نوااميس الكون.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل عرف هذا الحق هذا النوع من السهولة في تحديد معناه ومضمونه؟

في الواقع، أحدث ظهور هذا الحق على الصعيد الدولي ثورة في مختلف الأنظمة القانونية الداخلية، وتضاربت الاتجاهات الفقهية بشأنه بين مؤيد لإعتباره حقا مستقلا ضمن منظومة حقوق الإنسان ومعارض لفكرة الاعتراف بهذا الحق

2- صعوبات متعددة لتعديل الدساتير.

الفرع الثاني: طبيعة الحق في البيئة

إن اختلاف المصطلحات والألفاظ المستخدمة في النصوص القانونية للتعبير عن الحق في البيئة نتيجة تنوع وتباين الأهداف السياسية والقانونية والسوسولوجية المتوخى تحقيقها من وراء الاعتراف بهذا الحق⁽⁵⁾، جعل منه حقا ذا طبيعة معقدة وغامضة، بل يرى البعض أنه مجرد مصلحة وليست حقا بالمعنى الفني القانوني والأكثر من ذلك أنه غير قابل للتحقيق فعلا نظرا لعدم تمكن القضاء من التمكين له خاصة في مجال القضاء الدولي على أساس أن الفرد لا يعد من أشخاص القانون الدولي.

ويتساءل فريق آخر من الفقهاء عن مدى اعتبار البيئة وصلاحياتها لأن تكون محلا لحقوق الإنسان، خاصة وأن التشريعات الوضعية تعتبر العناصر الطبيعية من ماء وهواء وضوء وبحر ومياه تعتبرها أموال مشتركة لا تصلح لأن تكون محلا لحقوق شخصية، والقول بأنها أموال عامة، يعني انه لا يمكن للإنسان أن يدعي بحق خالص عليها⁽⁶⁾، والقول بأنها لازمة لحياة أي كان حي، فلا يتصور أن تكون محلا للملكية أو الاستيلاء وحرمان الآخرين منها، ويرتب هؤلاء نتيجة مفادها أن عناصر البيئة هذه لا تصلح لأن تكون محلا لحقوق خاصة (privative).

في حين يرى فريق آخر من الفقه أن الحق في البيئة يدخل في نطاق الحقوق التي يحتج بها من قبل الكافة، وهو حق فردي وجماعي في وقت واحد أي حق مركب، فهو حق فردي باعتبار أن مضمونه هو تلبية الاحتياجات الأساسية للفرد متمثلة في الحصول على الموارد الطبيعية الخالية من التلوث، وفي نزع السلاح و منع استخدام الأسلحة النووية والحرارية والجرثومية، والقول بالجانب الفردي لهذا الحق أي أنه من الحقوق اللصيقة بشخص الإنسان التي لا يجوز التنازل عنها، و الأكثر من ذلك يحق للفرد المطالبة به في مواجهة الدولة لتقوم بواجب كفالة هذا الحق باتخاذ التدابير اللازمة لحماية البيئة والامتناع عن كل ما يضر بها، وعليه، يكون الإنسان هو المتمتع بهذا الحق بغض النظر عن سلالته أو ديانتته أو جنسه أو عقيدته، باعتبار البيئة إرثا مشتركا للإنسانية جمعاء.

كذلك يعتبر هذا الحق حقا جماعيا باعتبار البيئة السليمة حق لكل الشعوب في المجتمع الدولي وفي مواجهة كل الدول، على أساس أن الأضرار البيئية والمشكلات البيئية لا تعرف حدودا إقليمية أو سياسية معينة مما ينشئ حقا للدول وشعوبها في أن تنشئ إمكانات تحقيق بيئة إنسانية سليمة عن طريق التعاون فيما بينها، من أجل حماية البيئة للأجيال الحالية والمستقبلية، وهذا ما يعبر عن الجانب الجماعي لحق الإنسان في البيئة.

المطلب الثاني: الإقرار الدستوري بحق الإنسان في

البيئة

إن القرن العشرين كان قرن تدهور البيئة على المستوى العالمي، هذه الأخيرة تحولت إلى أزمة إيكولوجية حقيقية تهدد وجود وتطور الإنسان، وأطلقت تحديا خطيرا على الكرامة الإنسانية الأمر الذي قلب الحقوق الأساسية للإنسان المعترف بها من طرف الدستور، فقد قرر القاضي في الهند⁽⁷⁾ أن "الحق في الحياة يعني الحق في العيش بكرامة الأمر الذي يستدعي العيش في بيئة سليمة"، بمعنى آخر الحاجة إلى بيئة خالية من تلوث الهواء والمياه المتعلقة بالمركبات والإشعاعات والضجيج والصناعة والتخطيط العمراني غير العقلاني والمنظر الحضري المتدهور، أي وجود بيئة ذات نوعية.

الفرع الأول: الإجابة الدستورية للأزمة الإيكولوجية:

التأكيد الدستوري للحق الأساسي في البيئة

منذ انتصار الرأسمالية، استفادت حقوق الإنسان من مكانة ساحرة، أظهرت رغبة عالمية في تدويل حماية حقوق الإنسان، هذه الأخيرة التي أصبحت مقياسا لشرعية الحكومة، حيث يقول البروفيسور (I. Honkine) "إن عصرنا هو عصر حقوق الإنسان... تمثل حقوق الإنسان فكرة رئيسية لعصرنا، وفكرة سياسية وعبرة فريدة معترف بها عالميا"⁽⁸⁾.

وتحديدا و منذ ملتقى ستوكهولم لسنة 1972 المتعلق بالبيئة الإنسانية، أصبح الحديث عن فكرة الربط بين البيئة وحقوق الإنسان، فالتدهور البيئي بات يشكل تهديدا لممارسة حقوق الإنسان، فقد أقر القاضي بمحكمة العدل الدولية في النزاع المتعلق بمشروع سدود غابكيكوفو - ناغيماروس (المجر-سلوفاكيا) أن "حماية البيئة تمثل جزءا مهما في

- في أمريكا اللاتينية: الأرجنتين (1994)، البرازيل (1988)، الشيلي (1980)، كولومبيا (1991)، كوستاريكا (1994)، الاكوادور (1984)، ميكاراغوا (1986)، البراغاي (1992)، غينزويلا (199).

الفرع الثاني: أهمية التكريس الدستوري للحق في البيئة

لعل أول ما يطرح من تساؤلات في إطار هذا المبحث هو ما مدى أهمية أن يحتوي دستور الدولة على نص يكرس حق الإنسان في العيش في بيئة ملائمة، ولماذا لا يكتفي بأداة تشريعية في شكل قانون خاص بحماية البيئة مثلا؟ في الحقيقة، نستنتج أهمية دسترة هذا الحق للرد على ما احتواه هذا التساؤل بين ثناياه، ذلك أن صيغته توحى بما يدور في أذهان البعض من اعتبار القضايا والمشكلات البيئية قضايا ثانوية مقارنة بأولويات أخرى كالنمو الاقتصادي، الأمر الذي يعكس أهمية تكريس مسألة حماية البيئة كمحل للحق أساسي دستوري، حيث يرفع ذلك من أهميتها ويعطيها قيمة دستورية ويمنح الفرصة لمناصري هذا الحق من الإعلاء به ليصل إلى مصاف حقوق الإنسان الأساسية⁽¹³⁾.

ضف إلى ذلك أن النصوص الدستورية تتميز بالثبات والاستقرار والاستمرارية، فالتعديلات أو الإصلاحات الدستورية عادة تحتاج إلى وقت طويل وإجراءات معقدة، الأمر الذي يجعل من معالجة الدستور لمسألة ما كحماية البيئة تتمتع بنوع من الثبات والاستمرارية مما لو عولجت بأداة تشريعية أقل قيمة قانونية.

والأكثر من ذلك، يشكل النص على الحق في البيئة ضمن نصوص الدستور قيда على المشرع العادي، باعتباره أسمى القوانين في الهرم القانوني، وبالتالي فهو ملزم بالإرادة الصريحة للمؤسس الدستوري⁽¹⁴⁾ عندما يتولى عملية سن القوانين الناظمة لهذا الحق والتي تبين الأحكام التفصيلية له، فأى تشريع يبني يخالف ما نص عليه الدستور بشأن هذا الحق يقع ضمن حدود اللاشريعة وعدم الدستورية، ويكون معرضا للإلغاء، مما يشكل حماية أكبر لهذا الحق.

ويرى البعض أن معالجة الحق في البيئة في إطار نص دستوري يكسبه صفة أكثر اتساعا، بحيث لا يكون أداة أو نصا لمعالجة الحالات التي تقع فيها الأضرار الفردية فقط، وإنما

النظرية المعاصرة لحقوق الإنسان لأنها شرط ضروري لتحقيق حقوق الإنسان لاسيما الحق في الحياة والحق في الصحة، من جهة أخرى، أخذنا بعين الاعتبار تدرجيا القيمة التي لا بد لها للبيئة في حد ذاتها، ومن ثم المطالبة بالحق في العيش في بيئة سليمة، وتمني حماية فعالة لحق كهذا باعتباره من حقوق الإنسان... يمثل هذا الحق إلى جانب حقوق أخرى معدلا عال من الحجة لأن الأمر يتعلق بحق بعيد كل البعد عن التأثير بالمصالح الذاتية..."⁽⁹⁾.

ومنذ السبعينات، بدأت تقرر دساتير الكثير من الدول بالحق في البيئة، وتؤكد ذلك منذ التسعينات، حيث تضمنت دساتير 130 دولة تقريبا نصوصا دستورية تعالج صراحة القواعد الدستورية⁽¹⁰⁾ وتشمل (60) من هذه الدساتير على حقوق بيئية أساسية، وقد سجلت المنظمة غير الحكومية "آرث جاستيس" لعام 2002 أن 53 دولة أقرت صراحة بالحق في البيئة، و62 منها أقرت بمسؤوليات الحكومات في الحماية من الأضرار البيئية و54 وقعت مسؤولية المواطنين في حماية البيئة⁽¹¹⁾، وفيما يلي نسوق أغلب الدول وسنة الإقرار الدستوري بالحق في البيئة⁽¹²⁾.

- في آسيا: اذربيجان (1995)، كوريا الجنوبية (1987)، جورجيا (1995) كيرغيزستان (1993)، منغوليا الخارجية (1992)، تركيا (1982).

- في أوروبا: بلجيكا (1994)، بيلاروسيا (1996)، بلغاريا (1991)، كوراثيا (1990)، اسبانيا (1987)، فنلندا (1999)، فرنسا (2005)، المجر (1989)، ليتوانيا (1998)، ماسيدونيا (1991)، مولدوفا (1994)، النرويج (1992)، بولونيا (1997)، البرتغال (1982)، روسيا (1993)، سلوفاكيا (1992)، سلوفينيا (1991)، صربيا (1992)، التشيك (1991)، أوكرانيا (1992).

- في افريقيا: جنوب افريقيا (1996)، انغولا (1992)، البنين (1990)، بوركينافاسو (1991)، الكامرون (1996)، الرأس الأخضر (1992)، التشاد (1996)، إثيوبيا (1995)، مالي (1992)، مازومي (1990)، نيجيريا (1999)، أوغاندا (1995)، السيشل (1993)، الطوغو (1992).

وتحت الوطنية خالية من كفالة هذا الحق ويسوقون في ذلك الحجج التالية:

1- قصور القانون الدولي:

حيث يرى هؤلاء أن وثائق القانون الدولي لا تتضمن بصفة عامة حقوقاً بيئية⁽¹⁷⁾ فلا توجد اتفاقية دولية بشأن الحقوق البيئية، كما أن بعض الاتفاقيات والوثائق الدولية التي تناوله، مثل إعلان استوكهولم 1972 ليست وثائق قابلة للتنفيذ (not enforceable) غير ملزمة، حتى بالنسبة للاتفاقيات الدولية ومتعددة الأطراف أو الثنائية، يجب عادة التصديق عليها من قبل الهيئات الوطنية، وبعدها يتم إنفاذها من خلال التشريع الوطني عن طريق الإدماج.

أما بالنسبة للقواعد والأعراف الدولية فلا تقدم حقوقاً بيئية أساسية قابلة للنفذ⁽¹⁸⁾ كما تقف المبادئ العامة للقانون البيئي الدولي عاجزة عن حماية الحق البيئي والحقوق البيئية الأخرى بما فيها الحقوق الإجرائية.

2- معظم الأنظمة القانونية لا تكفل حماية للحق

في البيئة:

حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الهياكل القانونية الوطنية في كثير من الدول لا تكفل حماية لحق الفرد في بيئة ملائمة، لذلك بات التكريس الدستوري للحق في البيئة يشكل "شبكة أمانة" لمعالجة المسائل البيئية تتسم بالكفاءة والفعالية لترسيخ الأخلاقيات البيئية⁽¹⁹⁾، ومن ثم، يمكن أن تكون هذه الشبكة الأمل الأخير⁽²⁰⁾ لحماية التنوع الحيوي وحقوق الإنسان.

ثانياً: الحجج المعارضة للتكريس الدستوري للحق

في البيئة

رفض فريق آخر من الفقه تكريس الحق في البيئة ضمن الدساتير الوطنية، وقد ساقوا في ذلك جملة من الحجج يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- يتناسب مقدار الضرر الذي يتلقاه كل حق دستوري

أساسي تناسباً عكسياً مع عدد الحقوق الأساسية الأخرى التي يكفلها الدستور، فحسب هؤلاء⁽²¹⁾، كلما زادت الحقوق المكفولة دستورياً، كلما قل إنفاذ كل منها⁽²²⁾.

يعطي هذا النص أهمية واتساعاً، فهو يكرس لسياسة عامة بعيدة المدى لحماية وإنفاذ الحق في البيئة.

وأخيراً، فإن الدساتير تعد في الغالب، مصدراً للحقوق الإجرائية (procedural rights) الضرورية للمنظمات البيئية. وغيرها من تنظيمات المواطنين التي تدافع عن القضايا البيئية، وعليه فإنفاذ هذه النصوص الدستورية- التي تضمنت حرية الجمعيات وحق الوصول إلى المعلومات، وحقوق المشاركة العامة، وحق اللجوء إلى القضاء في المسائل البيئية، يعد أمراً بالغ الأهمية لضمان أن الحق في البيئة على غرار الحقوق الموضوعية في الحياة والصحة سيكون محل حماية.

ونشير إلى أن البعض ينبه إلى مسألة مهمة⁽¹⁵⁾، وهي أن وجود نص صريح أو عدمه في دستور دولة معينة لا يعد في حد ذاته المحدد لقوة هذا الحق، فبعض الدول قد تعرضت لنصوصها الدستورية الصريحة للانتهاك، بينما قد تقوم المحاكم في بعض الدول التي تفتقد لمثل هذه النصوص بتطبيق الحقوق الدستورية، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، التي تفتقد لنصوص دستورية تكرس للحق في البيئة، ومع ذلك قامت بتطوير واحد من أكثر أنظمة حماية البيئة⁽¹⁶⁾ تطوراً، في المقابل توجد دول كثيرة أفريقية تظهر من بين الدول البارزة في مجال تكريس هذا الحق، وإن لم تبرز في مجال تطبيق هذا الأخير.

الفرع الثالث: الحجج المؤيدة والمعارضة للتكريس

الدستوري للحق في البيئة

نالت مسألة تكريس الحق في البيئة نصيبها من النقاشات الفقهية بين هؤلاء المناصرين لهذا الحق والمنادين بضرورة التخصيص الدستوري الصريح للحق الموضوعي في البيئة، وبين هؤلاء المعارضين لفكرة معالجة هذا الحق على مستوى النص الأساسي الأسمى في الدولة.

أولاً: الحجج المؤيدة للتكريس الدستوري للحق في

البيئة

يرى مناصروا الحق في البيئة أن الحاجة إلى تكريس هذا الحق ضمن الدساتير الوطنية تصبح أكثر إلحاحاً بصفة خاصة عندما تأتي الآليات القانونية الوطنية على غرار الدولية

المطلب الثالث: اتجاهات الدول في التكريس

الدستوري للحق في البيئة واشكالات انفاذه قضائيا

يامعان النظر في النصوص البيئية الدستورية في الأنظمة المقارنة لأغلب الدول نجدها أدرجت بصفة عامة ضمن الأشكال التالية:

- الواجبات والحقوق الأساسية.
- الواجبات والحقوق الدستورية العامة.
- واجبات وحقوق غامضة.

الفرع الأول: التكريس الدستوري الصريح والضمني

للحق في البيئة

أولا: التكريس الصريح للحق في البيئة

نشير إلى أن بعض الدول تضمنت في فصول تحمل عناوينها كلمة حقوق وواجبات أساسية، فمثل هذه النصوص تكون بلا شك ملزمة وقابلة للتنفيذ الذاتي⁽²⁴⁾، ذلك أن نية المؤسس الدستوري تكون واضحة صريحة بشأن الطبيعة الأساسية للحق المدرج في السياق، (كالحق في الحياة والحق في الحرية، وحرية التعبير...)، ومن الدول التي يشمل دستورها حقا أساسيا في بيئة صحية أنجولا: (القسم الثاني من الدستور تحت عنوان الحقوق والواجبات الأساسية، ضمن المادة 70) والكونغو (المادة 46)، وموزنبيق (المادة 72)، وتشاد المادة (47)، والدستور العراقي لعام 2005، والدستور البرتغالي لعام 1979 والدستور الإسباني لعام 1987، والدستور التركي لعام (1997)، والدستور السوفيتي لعام (1996)، والمادة 41 من الدستور الأرجنتيني لعام 1996 ودستور الفلبين لعام 1973 في المادة 23، والدستور الهندي لعام 1976 في المادة 48.

و بالنسبة للمؤسس الدستوري الفرنسي، فوجد دستور 1958 لم يتناول النص على حق الإنسان في البيئة، حيث رفض المجلس الدستوري الاعتراف له بالقيمة الدستورية وهو موقف كان محلًا للنقد إذا ما قورن بموقف المحكمة الدستورية الاتحادية في ألمانيا التي قضت بدستورية النصوص التشريعية بشأن حماية البيئة والخاصة بالضوضاء والتلوث الجوي والمفاعلات النووية⁽²⁵⁾، إلا أنه في الأول من مارس لعام

ويبدو أن هذه الملاحظة تطبق بدرجة متساوية، على كافة الحقوق الدستورية، فإذا كانت الدساتير تمثل مجموع التعليمات لاتخاذ الإجراءات والقوانين والقرارات بشأن تصميم وعمل المجتمع، فإما أن تكون لديك هذه القواعد أولا تكون لديك.

2- يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه يمكن ان يخلق تكريس الحق في البيئة آثارا ثانوية غير مقصودة كتقييد حرية الملكية، لكن بالمقابل الاستخدام الحر للملكية هو الذي يدفع إلى تكريس الحق الأساسي البيئي حماية له نتيجة تأثره غير المتناسب بالممارسة الحرة للحق في الملكية.

3 - إن الدساتير التي تضمنت هذا الحق غالبيتها يضيف صفات تصنف البيئة مثلا: بيئة أفضل، بيئة خالية من التلوث، بيئة سليمة، بيئة إيكولوجية، بيئة مرضية، إن هذه الصفات تقصد البيئة الطبيعية وتضع حدودا للبيئة الطبيعية فقط في مجملها، ثم إن هذه الدساتير تتباين فيما بينها بالنسبة للمستفيد من البيئة بين من يتحدث عن «لكل شخص، لكل إنسان، لكل فرد، الشعب...»، مما يبين غموض صاحب الحق، فهو غير متطابق بحسب ما ورد في الدساتير الوطنية⁽²³⁾.

4- يختتم أصحاب هذا الرأي القول بالتفرقة بين معنى الحق في البيئة والحق في الاستفادة من البيئة والحق في العيش في بيئة ملائمة، فحسب هؤلاء: «إن الحق في استعمال البيئة (العناصر الطبيعية) لا يمثل بأي حال من الأحوال حقا في البيئة».

إن النقاشات التي قيلت بشأن دسترة الحق في البيئة و الإشكالات التي ساقها معارضوا ذلك لا تعدو أن تكون نقاشات كتلك التي شهدتها بقية الحقوق في بدايات ظهورها، و لكن الأمر المؤكد أن معالجة حق الغنسان في البيئة ضمن النصوص الدستورية الوطنية بشكل ضمانة قوية لهذا الحق في مواجهة الدولة أولا ثم في مواجهة المشرع الوطني عند صياغة أي قوانين في مجال حماية البيئة.

الدول التي لا يوجد فيها نصوص دستورية تكرس الحقوق البيئية الأساسية صراحة، بتفسير النصوص التي تكرس الحقوق الاجتماعية والاقتصادية أو المقومات الأساسية للمجتمع تفسيراً موسعاً على نحو يجعلها تشمل الحق في البيئة أو الحقوق البيئية عموماً⁽³⁰⁾.

ويطلق الفقه عليها "روح النص" الذي يستهدف المشرع من وراء تقريره حمايتها، وكذلك الاعتبارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية التي دعت لوجود النص، ويؤدي روح النص إلى تفسيره وتحديد معناه وفق للغاية أو الحكمة منه، وللحصول على ذلك يلزم إدخال المصالح التي يراد حمايتها بالنص والمساوى التي يرمي قطع السبيل عليها.

فمثلاً فسر "الحق في الحياة" تفسيراً موسعاً على نحو يجعله شاملاً للحقوق البيئية الأساسية، من قبل الدولة الهندية الرائدة في ذلك، رغم أن الدستور الهندي يتضمن نصاً عن حماية البيئة الطبيعية (مادة 48، 51) إلا أن القضاء الهندي فسر الحق في الحياة تفسيراً موسعاً ليشمل الجوانب البيئية في القضايا التي تثار في سياق الموارد البيئية⁽³¹⁾، حيث قامت المحاكم الهندية بتفسير مجال الحق في الحياة بطريقة موسعة على نحو يحظر كل أوجه النشاط التي يمكن أن تشكل إخلالاً بالتوازن البيئي، وخلصت إلى وجود انتهاكات للحق في الحياة في سياقات بيئية واقعية متنوعة.

ومن الدساتير التي انتهجت أسلوب الإقرار الضمني⁽³²⁾ ، الدستور الإيطالي 1974 في مادته 37: "تعتبر الصحة من الحقوق الأساسية للأفراد ويقع على عاتق الدولة واجب حمايتها".

كما نص دستور الإمارات العربية المتحدة لعام 1996 في المادة 19 منه: يكفل المجتمع للمواطنين الرعاية الصحية ووسائل الوقاية والعلاج من الأمراض والأوبئة، ويشجع على إنشاء المستشفيات والمستوصفات ودور العلاج العامة (والخاصة)، وينص دستور مملكة البحرين لعام 2001 في م 08: "لكل مواطن الحق في الرعاية الصحية وتعني الدولة بالصحة العامة...".

ولعل من الآثار المترتبة على الإقرار الضمني بالحق في البيئة أن: عدم النص صراحة على هذا الحق يشكل عبئاً على المشرع العادي، فعليه أن يلتزم حدود الإرادة

2005 صدر في فرنسا الميثاق الدستوري الذي أطلق عليه تسمية ميثاق البيئة

(la charte de l'environnement)⁽²⁶⁾، حيث تضمن 3 مواد، نصت المادة الأولى منه: «لكل إنسان الحق في أن يعيش في بيئة متوازنة ومرعية للصحة»

« chacun a le droit de vivre dans un environnement équilibré et respectueux de la santé » من جهته نص الدستور المصري المعدل لعام 2007 في المادة 59 منه على الحق في البيئة ضمن الباب الثالث الخاص بالحريات والحقوق والواجبات العامة التي تشكل نصوصاً ملزمة قابلة للتطبيق تطبيقاً مباشراً، وقابلة للتمسك بها من قبل الأفراد⁽²⁷⁾، أما دستور 2014، فقد نصت المادة 36 منه: «لكل شخص الحق في بيئة صحية سليمة، وحمايتها واجب وطني وتلتزم الدولة باتخاذ التدابير اللازمة للحفاظ عليها... وضمان حقوق الأجيال القادمة» ضمن الباب المعنون بالمقومات الأساسية للمجتمع.

إن النص الصريح على هذا الحق ضمن الوثائق الدستورية، خاصة ضمن أبواب معنونة: «بالحقوق الأساسية» يكون من المسلم به أن هذه الحقوق وتلك الواجبات تعد أساسية بالنظر إلى لغتها وطبيعتها الدستورية مما يعني الطبيعة الملزمة والقابلة للتنفيذ لتلك الحقوق والواجبات، إلا أنه توجد في بعض الدول نصوص دستورية متعلقة بالبيئة إلا أن وضع وقيمة هذه النصوص أقل وضوحاً مقارنة بالفرض السابق، ويصدق ذلك على النصوص البيئية الواردة في أبواب الدستور تحت عنوان "الأهداف القومية أو المبادئ التوجيهية"، حيث ترد مثل هذه النصوص في مقدمات الدساتير أو تتم صياغتها بصورة غامضة، إلا أنها تتمتع بنفس الدرجة من الفاعلية، لأنها تتضمن أهدافاً ومبادئ تعتبر أساسية في حكم الدولة، ويذهب فريق من الفقه إلى القول أن هذه الأهداف تلهم المشرع أكثر لمنح حقوقاً قابلة للنفذ⁽²⁸⁾، ويميل الاتجاه القضائي في كثير من الدول إلى اعتبار هذه النصوص تتضمن حقوقاً ملزمة وقابلة للنفذ.

ثانياً: التكريس الدستوري للحق في البيئة

في الاتجاه الآخر، يلاحظ أن هناك دولاً اعترفت بالحق في البيئة اعترافاً ضمناً⁽²⁹⁾، حيث قامت كثير من

المجلس الشعبي الوطني في مجال التشريع³⁴، حيث حجز التشريع الخطوط العريضة لسياسة تهيئة الإقليم والبيئة والنظام العام للغابات والمياه وحماية الثروة الحيوانية والنباتية وذلك في الفقرات من 22 إلى 25 على التوالي.

ورغم انضمام الجزائر رسمياً إلى مصاف الدول المشاركة في قمة الأرض بريودي جانيرو لعام 1992، ومصادقتها على العديد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالبيئة، ورغم التحول في المسار الإيديولوجي عام 1989، لم تسجل الجزائر أي اعتراف دستوري صريح بالحق في البيئة في كل من دساتير 89-96-2002-2008، وأسندت مسألة حماية البيئة إلى المجلس الشعبي الوطني لتحديد القواعد العامة في هذا الشأن، وبذلك تكون الجزائر خلال الفترة الممتدة من دستور 63 إلى غاية تعديل 2008 من طائفة الدول التي أشارت ضمناً إلى المسألة البيئية، حيث أكد الفقه الجزائري وجود اعتراف ضمني بالحق في البيئة من خلال ارتباط هذا الأخير بعبارة تكررت في دساتير الجزائر "تفتح الإنسان بكل أبعاده"⁽³⁵⁾ والتي لا يمكن حصرها في الجانب المادي وإنما تتعداه إلى العيش في بيئة لائقة وملائمة، كذلك من خلال الحق في الرعاية الصحية الذي يشمل الوقاية من الأمراض والأوبئة، ومن خلال الحق في الراحة المكرس دستورياً بالحماية من الضجيج المصنف من المضار البيئية.

وعليه تكون الجزائر في هذه الفترة قد اكتفت بحصر عام للقطاعات الكبرى للبيئة⁽³⁶⁾، والمتمثلة في القواعد العامة المتعلقة بالبيئة وإطار المعيشة والتهيئة العمرانية والقواعد المتعلقة بحماية الثروة الحيوانية والنباتية والتراث الثقافي والنظام العام للغابات والأراضي الرطبة والمياه⁽³⁷⁾.

- نحو اعتراف صريح بالحق الدستوري في البيئة في

التعديل الدستوري 2016:

جاء التعديل الدستوري الجزائري لعام 2016 ليسجل farkاً في موقف المؤسس الدستوري الجزائري من دسترة الحق في البيئة، فبالرجوع إلى الديباجة، نجد نص: "يظل الشعب الجزائري متمسكاً باختياراته من أجل الحد من الفوارق الاجتماعية والقضاء على أوجه التفاوت الجمهوري، ويعمل على بناء اقتصاد منتج وتنافسي في إطار التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة".

الضمنية للمؤسس الدستوري، والتي يمكن الوصول إليها أو الوقوف عليها من خلال طرق التفسير الواسع بربط النصوص الدستورية ذات العلاقة مع بعضها البعض، عندما يتولى عملية سن القوانين الناظمة لهذا الحق والتي تبين الأحكام التفصيلية له.

ثم إن عدم النص على الحق في البيئة دستورياً ليس معناه أن هذا الحق غير معترف به، بل يرى الكثير من الدارسين الحقوقيين أن هذا الحق يعتبر دون شك أساس التمتع بالحقوق الأساسية الأخرى، لذلك يمكن استخلاصه من الكتلة الدستورية عموماً نتيجة ميزة التكافل وعدم قابلية منظومة حقوق الإنسان للتجزئة واعتمادها المتبادل على بعضها.

الفرع الثاني: موقف المؤسس الدستوري الجزائري

من دسترة الحق في البيئة

سجلت الجزائر بصمة نوعية في الاعتراف بحقوق الإنسان وحرياته العامة، بالعودة إلى الوراء إلى حقبة ما بعد الاستعمار، نص الدستور الجزائري لعام 1963 على احترام الجزائر حقوق الإنسان ابتداءً من نص المادة 10 إلى غاية نص المادة 21، حيث نصت المادة 11، على موافقة الدولة الجزائرية على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وعلى كل منظمة دولية تتوافق مع طموحات الشعب الجزائري⁽³³⁾.

وجاء ثاني دستور في الجزائر لعام 1976 متضمناً ديباجة و199 مادة موزعة على ثلاثة أبواب، يحوي الباب الأول 7 فصول، تحت عنوان المبادئ الأساسية للمنظمة للمجتمع الجزائري، والفصل الرابع من الباب الأول جاء بعنوان حقوق الإنسان والمواطن والحريات الأساسية، تضمن 31 مادة، وقد جاء هذا الدستور مؤكداً على مجموع الحقوق الواردة في دستور 1963، إلا أن الملاحظ أنه لم يتبن الاعتراف الصريح بالحق في البيئة، ويرجع ذلك عموماً إلى كون الجزائر في هذه الفترة لم تدرج مسألة البيئة ضمن أولوياتها، حيث كانت بحاجة إلى إعادة بناء وهيكل على جميع المستويات، حيث اعتبرت حماية البيئة ضرباً من المناورات الامبريالية لضرب اقتصاديات الدول حديثة الاستقلال والسائرة في طريق النمو، ولكن ما يلاحظ أن دستور 1976 جعل من حماية البيئة إحدى اختصاصات

الفرع الثالث: تطبيق الحق الدستوري في البيئة

يمكن القول أن الحق غير القابل للنفذ قد يصعب اعتباره حقا على الإطلاق وتجدر الإشارة إلى أن أغلب النصوص الدستورية الوطنية لم تخضع للاختبار أمام المحاكم بعد بما في ذلك النصوص الواردة في دساتير الدول الإفريقية التي تم تبنيها في العقد الأخير ، ومع ذلك يلاحظ أن عددا من المحاكم الإفريقية قد خلصت إلى أن هذه النصوص قابلة للإنفاذ.

أولا: إشكالات معالجة الحق في البيئة في نص

دستوري:

ظهرت هذه الإشكاليات عندما بدأت دول أوروبا الشرقية -الخارجة عن الحقة الشيوعية- في تضمين دساتيرها الوطنية نصوصا تتعلق بالحقوق البيئية⁽⁴⁰⁾ وذلك لعلها تلحق بركب دول أوروبا الغربية بعدما عانت نصف قرن من الإهمال المتراكم حيث ثار جدل واسع⁽⁴¹⁾ حول الأثر المترتب على تضمين الدساتير لمثل هذه النصوص ، وذلك فيما يتعلق بصعوبة تنفيذ هذا الحق والحقوق المرتبطة به ، وذلك أنه في غياب صياغة دقيقة ومحكمة لهذا النص المتضمن الحق البيئي ، فإن محاولة إقرار هذا الحق ربما لن تكون أكثر من إعلان عام غير قابل للتنفيذ ، بل الأكثر من ذلك أن النص الدستوري القابل للتنفيذ الذاتي سوف يكون بلا قيمة ، إذا كانت الدولة تفتقد لهياكل القانونية فعالة لتطبيق هذا النص⁽⁴²⁾.

تكشف النظرة المقارنة لدساتير الدول المعاصرة إلى أن بعض الدساتير تكون موجزة بينما يكون بعضها الآخر أكثر تفصيلا ومن ثم أكثر طولاً ، والملاحظ أنه كلما كانت الدساتير أكثر طولاً كلما كانت أكثر تفصيلاً ، وبالتالي تكون الفرصة أكبر لإيراد نصوص أكثر تحديدا وصراحة بشأن مدى الحقوق المكرسة ، ومع ذلك ، مازال هناك عدد من الدول التي تعتمد على التشريع لتحديد الطبيعة الدقيقة للحقوق والالتزامات ، في الحقيقة محاولة بعض الدساتير أن تتضمن تحديدا لكل الحقوق والالتزامات أمر من شأنه أن يتهدد الدستور بأن يصبح قصاصه من ورق لا تساوي شيئا في الواقع ، ثم إن الوثيقة الدستورية التي يتم صياغتها بطريقة مفصلة بصورة مفرطة تصبح عرضة للتغير ، وهذا ما يتنافى مع خصائص الدستور من

وبالرجوع إلى نص المادة 68 منه نجد أنها تؤكد ما ورد في الديباجة بقولها: « للمواطن الحق في بيئة سليمة ، تعمل الدولة على الحفاظ على البيئة ، يحدد القانون واجبات الأشخاص الطبيعيين والمعنويين لحماية البيئة»⁽³⁸⁾.

وبخصوص هذه المادة يرى المجلس الدستوري أن الحق المدسّر في هذه المادة يتعلق بحقوق الإنسان من الجيل الثالث وهو يخض حماية الموارد الطبيعية والبيئة اللذان يعتبران من الشروط الأساسية للتنمية المستدامة.

وباللقاء نظرة على هذين النصين ، يمكننا تسجيل

الملاحظات التالية:

- يكون المؤسس الدستوري قد أكد على العلاقة الوثيقة بين حماية وتكريس الحق في البيئة وبين التأكيد على مسارات التنمية المستدامة ، ليضفي بذلك الطابع الاقتصادي لهذا الحق.

- أدرجت نص المادة 68 ضمن الفصل الرابع تحت عنوان الحقوق والواجبات مما يفيد رفع هذا الحق إلى مصف الحقوق الأساسية الدستورية القابلة للتنفيذ المباشر.

- لم يكتف المؤسس الدستوري بالتصريح بدسترة الحق في البيئة كحق أساس من حقوق المواطن وإنما الأكثر من ذلك ، جعل منه محور حقوق وواجبات تقع على عاتق الدولة ومؤسساتها باتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايته وتفعيله وعلى الأشخاص الطبيعيين والمعنويين حمايته.

- الملاحظ على عبارة « يحدد القانون واجبات الأشخاص الطبيعيين والمعنويين لحماية البيئة» إن المؤسس الدستوري اعتبر حماية هذا الحق وحماية محله "البيئة" من عناصر الوظيفة العامة والمرافق العامة حيث منح السلطات العامة صلاحية التدخل من أجل الحفاظ عليها⁽³⁹⁾.

- إن التصريح الدستوري بهذا الحق ، يعد في حد ذاته ضمانه قوية له والخطوة الأولى للحماية الفعالة لهذا الأخير نتيجة سمو الحقوق والقواعد الدستورية في مواجهة بقية الحقوق والقواعد القانونية ، ليس هذا فقط بل واجب النفاذ في مواجهة كل من المشرع والقاضي والأشخاص العاديين من خلال ضرورة تطبيق نص المادة 68 من الدستور الجزائري.

الأخرى قد فسر وطبق في ظروف مختلفة، وتقدم قضية L. الأخرى قد فسر وطبق في ظروف مختلفة، وتقدم قضية L. K. Kodwal V. State Of rajasthan

أحد تطبيقات هذا الحق، حيث قضى بأن الحقوق الدستورية في الصحة وإجراءات الوقاية الصحية، والحماية البيئية، يمكن أن تتعرض للانتهاك نتيجة إجراءات الوقاية الصحية البيئية التي تسفر عن تسمم بطيء للسكان دون حاجة إلى أي إدعاءات إضافية بحدوث ضرر خاص⁽⁴⁵⁾ والأكثر من ذلك في قضية أخرى

Rural Litigation Entitlement Kendra V. Uttar

Pradesh، أثير الحق في البيئة على الرغم من أنه لم يتم إثبات رابطة مباشرة مع الصحة البشرية⁽⁴⁶⁾ حيث تمسك المدعي بأن أعمال المناجم غير المرخص بها في منطقة Dehra Dun قد أثرت سلبا على البيئة مما أسفر عن أضرار بيئية، وقد أيدت المحكمة العليا الهندية الحق في العيش في بيئة صحية وأصدرت أمراً بإيقاف أعمال المناجم محل النزاع، وأصدرت أمراً بإيقاف أعمال المناجم محل النزاع- على الرغم من المبالغ المالية الكبيرة التي أنفقتها الشركة القائمة بهذه الأعمال.

وتظهر القضايا البيئية الهندية الأخرى أن الحق في البيئة يرتبط بصفة أساسية بالتلوث أكثر من ارتباطه بالصحة، وطبقا لهذا التفسير فإن ضمان ماء وهواء خاليين من التلوث، الذي تشير إليه المحكمة العليا الهندية لا يعني بيئة خالية تماما من التلوث، نظرا لأن الحكم يوجه الدولة إلى اتخاذ خطوات فعالة لحماية الحق في البيئة أكثر من وضع واجب مطلق على عاتق الدولة بتأمين هواء وماء خاليين تماما من التلوث.

وثمة نظرة ثالثة، في الهند تنظر إلى الحق في بيئة صحية باعتباره "حقا في التوازن البيئي" ومن ثم تقرر المحكمة العليا الهندية لدى إصدارها للأمر في أحد القضايا⁽⁴⁷⁾ أن نتائج هذا الأمر المتمثل في توجيه مستأجري محاجر الأحجار الكلسية إلى إغلاق هذه المحاجر بصورة دائمة تتجلى في توقف هؤلاء المستأجرين عن أعمال استثمارهم فيها مبالغ طائلة، وأنفقوا فيها كثيرا من الجهد والوقت، إلا أن هذا العبء يعد ثمنا يجب دفعه لحماية الحق في البيئة بأقل قدر ممكن من المساس بالتوازن البيئي.

الديمومة والإستمرارية لفترة طويلة، وفي نفس الوقت محاولة المحافظة على ديمومة الوثيقة الدستورية بإيراد نصوص عامة بصورة فضفاضة مبالغ فيها، يؤدي إلى منح حقوق مطلقة غير خاضعة لأي قيود مما يهدد بإلغاء الأثر الإجمالي للدستور.

ثانيا: الطرق المختلفة المتبناة من قبل القضاء

لتفسير وتطبيق الحق الدستوري في البيئة

على الرغم من أن الكثير من الدول خاصة الإفريقية لديها نصوص بيئية دستورية فإن هذه النصوص لم يتم تفسيرها إلا في حالات قليلة، ويرجع ذلك ربما إلى الندرة الواضحة في هذا النوع من القضايا نتيجة جدة الموضوعات التي تتناولها مثل هذه النصوص،، وغياب التقاضي المتعلق بالمصلحة العامة في المجال البيئي⁽⁴³⁾، وفشل الحكومات في تبني الآليات اللازمة لتطبيق واجباتها الدستورية ولبيان الطرق الممكنة لتطبيق أوجه الحماية الدستورية وتكريس الحق في البيئة، سنحاول إلقاء الضوء على الطرق المتنوعة التي تبناها القضاء في كثير من الدول لتفسير وتطبيق الحق في البيئة.

1- الحق في البيئة:

أيد القضاء في جنوب إفريقيا (Pty) LTd Minister of Health and Welfare V. Woodcard حق وزير الصحة والرفاهية في اللجوء إلى القضاء (الحق في التقاضي أو توافر المصلحة في الدعوى)⁽⁴⁴⁾ للحصول على أمر بوقف الانبعاثات الضارة من أحد المطاحن، معترفا بحق وزير الصحة في هذا المسعى وحقه في الحصول على تعويض أو انصاف عن الأفعال التي شكلت انتهاكا لحق المواطنين في بيئة غير ضارة بالصحة وطيب العيش إنطلاقا من مسؤولياته الإدارية، وأقرت المحكمة أن هذه الانبعاثات غير المرخص بها تشكل مساسا غير مشروع بحق الجيران الدستوري في بيئة صحية.

ويمكن القول إنه من بين الدول التي قامت بتفسير نصوصها البيئية الدستورية، تعد الهند الأكثر خبرة في هذا المجال، حيث تندرج النصوص البيئية في الدستور الهندي لاسيما (48A) حماية البيئة، 51 A (الواجبات الأساسية) في عداد المبادئ المقررة لسياسة الدول، وعلى الرغم من أن تطبيق هذه المبادئ قد تظافر مع النص المستقل المتعلق بالحق في الحياة فإن مدى هذا الحق البيئي والحقوق البيئية

2- الواجبات الدستورية البيئية:

تقرض النصوص البيئية الدستورية أيضا واجبات لحماية البيئة إما بشكل صريح أو ضمني ، وعلى الرغم من أن الأثر القانوني لمثل هذه الواجبات الدستورية غير واضح⁽⁵⁴⁾ فإن المحاكم تعتمد في بعض الحالات على الواجبات الأساسية لتفسير التشريعات الغامضة⁽⁵⁵⁾.

يتبين مما سبق أن المحاكم تتجه في كثير من الدول ، بصورة متزايدة إلى انفاذ الحق في البيئة المكرس دستوريا ، ففي بعض القضايا قامت المحاكم بتطبيق النصوص البيئية الدستورية في وجود نشاط يتهدد البيئة بصفة مباشرة وحياة وأمن الأفراد ، كما وسعت المحاكم أوجه الحماية هذه وفي عدد من القضايا تمكن المواطنون وجماعات حماية البيئة من إنفاذ حقهم البيئي في مواجهة انتهاكاته ، على الرغم من قلتها في الواقع .

ونشير إلى أنه كل القضايا التي فصل فيها تؤكد على الطبيعة الأساسية للحق الدستوري في البيئة ، ومن ثم حتى في الدول التي يكون النص فيها موجود في مقدمة أو دياجحة الدستور ، أو مبادئ الدولة ، حيث تعتبر مثل هذه النصوص - عادة غير قابلة للتنفيذ-تميل المحاكم في الغالب إلى انفاذ الحقوق البيئية مثالها ما قضت به المحاكم العليا في الهند ، نيبال ، الفلبين ، وبالتالي تكون هذه النصوص الدستورية مكرسة لحقوق قابلة للتنفيذ بواسطة المواطنين أو الجماعات المدافعة عن البيئة .

خاتمة:

من خلال الدراسة السابقة يمكننا تسطير أهم النتائج المتوصل إليها:

- 1- يعد الحق في البيئة من الحقوق الجديدة التي واجهت صعوبات قانونية في تكريسها وتجاذبات فقهية بشأن الإعتراف به كحق مستقل ضمن منظومة حقوق الإنسان .
- 2- يمكننا القول أن الحق في البيئة يعد أسرع الحقوق انتشارا في الدساتير الوطنية ، وإن كانت بداياته الأولى دولية ثم تحت دستورية " تشريعية " لقبل أن يستقر في نصوص دساتير الدول ؟

3. لم تعد الدساتير المعاصرة تكتفي بالتكريس الدستوري الصريح للحق في البيئة ، و لكنها أضحت تنص على

من ناحيتها قامت المحكمة الأوروبية خاصة في الدول التي تأخذ بنظام القانون المدني بتفسير وتطبيق الحق في البيئة الدستوري في طائفة واسعة من السياقات⁽⁴⁸⁾ ، ففي أول قرار على ما يبدو صدر عن إحدى المحاكم الأوروبية الشرقية ، قامت المحكمة المجرية بإلغاء التعديلات الواردة عن قانون التعاونيات الزراعية في قضية الغابات المحمية⁽⁴⁹⁾ ، وقد استهدفت هذه التعديلات التخصيص المسبق للمناطق المحمية وباعتبارها أرضا يمكن تملكها تملكا خاصا وقد قررت المحكمة أن هذه التعديلات تشكل انتهاكا للحق الدستوري في البيئة ، واعتبرت أن مستوى الحماية البيئية يجب أن يكون مرتقعا طبقا للمعايير الموضوعية ، وحالما تمنح الدولة مستوى معين من الحماية البيئية فإنه لا يكون بمقدورها التراجع عن هذا المستوى .

وبعد هذا الحكم ، قضت المحكمة الدستورية السلوفينية عام 1996 أن المنظمات غير الحكومية (NGOS) والمواطنين يتمتعون بالحق في اللجوء إلى القضاء استنادا إلى الحق الدستوري في بيئة صحية المكرس في م 72 من الدستور السلوفيني⁽⁵⁰⁾.

وبالمثل طبقت عدد من الدول الأخرى الحق الدستوري في البيئة في عدة قضايا مشابهة مثل تركيا وأمريكا اللاتينية ، والشيلي والأرجنتين وكوستريكا والبيرو والبرازيل ، وقد ذهبت المحكمة الإدارية العليا في مصر إلى أن حق الإنسان في العيش في بيئة صحية أضحي من الحقوق الأساسية التي تتسامى في شأنها وعلو قدرها ومكانتها مع الحقوق الطبيعية الأساسية كالحق في الحياة والمساواة⁽⁵¹⁾.

أما بالنسبة للقاضي الجزائري فإنه مبدئيا يعترف بالحق في البيئة سواء القاضي العادي أو الإداري⁽⁵²⁾ رغم أن القضاء الجزائري يفتقر إلى النزاعات البيئية⁽⁵³⁾ ، ولكن السؤال يبقى مطروحا هل استند القضاء الجزائري للنص الدستوري في تطبيقه للحق الأساسي للبيئة في القضايا المطروحة أمامه ؟؟
يمكننا القول أنه يصعب القول أن القاضي الجزائري استند إلى النص الدستوري المكرس للحق في البيئة قبل تعديل 2016 في غياب كلي صريح لهذا الحق .

التوصيات: يتعين على المؤسس الدستوري عند صياغته لنص يكرس الحق في البيئة أن يركز على نقطتين: الحقوق التي يكفلها الدستور المرتبطة بالحق في البيئة، والواجبات التي يفرضها لحماية الحق في البيئة مع ضرورة الحرص على انتقاء الصياغات الدقيقة الدالة في مضمونها على جوهر هذا الحق والاثر المترتب عن تكريسه دستوريا، حتى يتمكن القاضي الوطني الذي يجب أن يكون مطلعاً باحترافية على المسائل البيئية يتمكن من إنفاذ هذا الحق على أرض الواقع.

طائفة من الحقوق الجوهرية المرتبطة بالحق الموضوعي في البيئة وأصبح القضاء الوطني يوسع في تفسير بعض الحقوق ضمن السياقات البيئية ليشمل الإقرار بالحق في البيئة كما هو الحال بالنسبة للحق في نوعية الحياة و الحق في الصحة و السلامة الجسدية.

4- زاد الحق الدستوري في البيئة من مستوى الرقابة القضائية على الكثير من جوانب حماية بعض الحقوق الأساسية في سياق الحماية البيئية، كما شكل الحق في البيئة وسيلة لرقابة النشاط التشريعي عند سن قواعد واجراءات تؤثر على نوعية البيئة.

الهوامش:

- ¹ جابر جاد نصار ، " حقوق الإنسان في بيئة سليمة " ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للدراسات والبحوث القانونية ، كلية الحقوق ، العدد الحادي عشر ، أبريل جامعة القاهرة ، 2000 ، ص 385.
- ² إعلان البيئة والتنمية ، استوكهولم لعام 1972.
- ³ محمد يوسف علوان ، محمد خليل الموسى ، القانون الدولي لحقوق الإنسان ، الحقوق المحمية ، الجزء الثاني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2001 ، ص 423.
- ⁴ المرجع نفسه.
- ⁵ سعيد سالم الجوبلي ، حق الإنسان في البيئة ، دار النهضة العربية ، مصر ، 2001 ، ص 19.
- ⁶ المرجع نفسه ، ص 19.
- ⁷ Anthony chanboredon, Du droit de l'environnement au droit à l'environnement : A la recherche d'un juste milieu, L'hrmaham, paris, 2010, p145.
- ⁸ Ibid, p.146.
- ⁹ Ibid, p146.
- ¹⁰ Ibid.
- ¹¹ Ibid.
- ¹² Ibid.
- ¹³ وليد محمد الشناوي ، مصطفى صلاح الدين عبد السميع هلال ، " نحو تكريس دستوري للحق في البيئة في الدستور المصري الجديد " ، المؤتمر الدولي الرابع عشر ، (مستقل النظام الدستوري للبلاد) ، كلية الحقوق ، جامعة المنصورة ، ص 04.
- ¹⁴ أحمد الحسان ، (النظام الدستوري للحق في البيئة في النظام الدستورية ، دراسة تحليلية مقارنة) دراسات ، علم الشريعة والقانون ، المجلد 38 ، العدد 1 ، 2001 ، ص 296.
- ¹⁵ وليد محمد الشناوي ، مصطفى صلاح الدين عبد السميع هلال ، المرجع السابق ، ص 6.
- ¹⁶ المرجع نفسه ، ص 17.
- ¹⁷ وليد محمد الشناوي ، الحماية الدستوري للحقوق البيئية ، دار الفكر والقانون ، المنصورة ، 2013 ، ص ص 25 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29.
- ¹⁸ المرجع نفسه.
- ¹⁹ وليد محمد الشناوي ، المرجع السابق ، ص 29.
- ²⁰ المرجع نفسه ، ص 32.
- ²¹ المرجع نفسه ، ص 33.
- ²² إلا أنه: إذا كان الدستور يعكس القيم الوطنية في الدولة ، فإنه من المفيد أن ينص الدستور على الحقوق البيئية الأساسية ، وإن لم يكن بمقدوره تحديد كيفية انفاذها.
- ²³ Anthony chanboredon, op.cit, p156.
- ²³ Ibid, p157.
- ²⁴ وليد محمد الشناوي ، الحماية الدستورية للحقوق البيئية ، المرجع السابق ، ص 91.
- ²⁵ محمد عبد اللطيف ، (التعديلات الدستورية والبيئة) ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر ، كلية الحقوق بجامعة المنصورة "الإصلاح الدستوري وأثوه على التنمية" ، في الفترة 2-3 أبريل ، المنصورة ، 2007 ، ص ص 3-4.
- ²⁶ Charte de l'environnement : <http://fr.wikipedia.org/wiki/charte-de-l'environnement> .
- ²⁷
- ²⁸ من ذلك على سبيل المثال . ما أبداه المدعون في قضية Juan Antonio Oposa v. Factoran من أن غطاء الغابات الطبيعية الفلبيني يتعرض للدمار بمعدل مثير للقلق متمسكين بحقهم الدستوري في بيئة صحية ومتوازنين في ظل المادة 16 من الدستور الفلبيني ، وقد انتهت المحكمة العليا الفلبينية إلى تنفيذ حق المدعين مقررًا:
- «إن حقيقة أن حق المدعين مدرج في إعلان الحقوق والسياسات وليس في إعلان الحقوق ، لكن هذا لا يجعل هذا الحق أقل أهمية» ، وانتهت المحكمة العليا في نيبال إلى نفس النتيجة بالقول: «على الرغم من أن غاية المبادئ والأهداف قد تبدو بحسب الظاهر غير قابلة للتنفيذ ، فإن هذا البند قابل للتنفيذ في حالة عدم مراعاته أو انتهاكه».
- ²⁹ وليد الشناوي ، المرجع السابق ، ص 31.
- ³⁰ أحمد الحسان ، المرجع السابق ،
- ³¹ وليد شناوي ، المرجع السابق ، ص ص 123 ، 124.
- ³² داوود عبد الرزاق الباز ، "الأساس الدستوري لحماية البيئة من التلوث في الكويت ، دراسة تحليلية في إطار المفهوم القانوني للتلوث" ، مجلس النشر العلمي ، 2003 ، ص 74.
- ³³ الدستور الجزائري 1963.
- ³⁴ دستور الجزائر 1976 ، الصادر بالأمر رقم 97-76 في 22 نوفمبر 1976 المتضمن الدستور الجزائري المعدل بالقانون رقم 06-79 المؤرخ في 7 جويلية 1979 المتضمن التعديل الدستوري ، والقانون 01/80 المؤرخ في 12 جانفي 1980 المتضمن التعديل الدستوري.
- ³⁵ وردت عبارة "تنجح الإنسان بكل أبعاده" في دستور 76 وتكررت في دستور 1989 ، 1996 وتعديل 2002 ، 2008.

³⁶ طاوس فاطنة ، الحق في البيئة السليمة في التشريع الدولي والطني ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الحقوق ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2015/2014 ، ص 107.

³⁷ المرجع نفسه ، ص 107.

³⁸ القانون 01.16 المؤرخ في 06 مارس 2016 ، المتضمن التعديل الدستوري 2016 ، ج رقم 14 ، المؤرخة في 07 مارس 2016.

³⁹ زباني نوال ، (الحماية الدستورية للحق في البيئة على ضوء تعديل الدستور الجزائري 2016) ، دفا تر السياسة والقانون ، العدد 15 ، جوان ، 2016 ، ص 283.

⁴⁰ مصطفى عبد السميع هلال ، وليد الشناوي ، المرجع السابق ، ص 07.

⁴¹ المرجع نفسه ، ص 07 ، 08.

⁴² العشاوي صباح ، المسؤولية الدولية عن حماية البيئة ، الطبعة الأولى ، دار الخلدونية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص 104.

⁴³ عارف صالح مخلف ، الإدارة البيئية الحماية الإدارية للبيئة ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2009 ، ص 326.

⁴⁴ Minister of Health & Welfare v. woodcarb (Pty) Ltd, 1995 (2) S A155 (NPD) (discussed in Elmene Bray, Locus Standi : its development in south African Environment Law, in governing the Environment: political change and Natural Resources Management in Eastern and Southern Africa 123, 145-46(H.W.O.1999).

⁴⁵ Hafidha chekir, Droit de l'environnement : introduction générale, La trach Editions, tunis, 2014, p34.

⁴⁶Ibid, p02.

⁴⁷ وليد الشناوي ، المرجع السابق ، ص 93.

⁴⁸ محمد الشناوي ، ص 53.

⁴⁹ المرجع نفسه ، ص 54.

⁵⁰ في هذه القضية قام 25 فردا وإحدى المنظمات البيئية غير الحكومية بالطعن في دستوريته ومشروعيته إحدى خطط التنمية والتطوير قرب بحيرة (laKe Bled) ، وقد خلصت المحكمة «أي مجموعة من الأفراد ، تتوافر لديهم المصلحة في منع الأنشطة التي تلحق الضرر البيئي وإن هذه المصلحة ليست مقصورة فقط على البيئة القريبة من المكان الذي يقطنون به ، أو فقط على منع الضرر القليل...».

⁵¹ وليد محمد الشناوي ، مصطفى صلاح الدين عبد السميع هلال ، المرجع السابق ، ص 07-12.

⁵² لمزيد من التفصيل راجع ، خلاف وردة ، "مضمون الحق في البيئة" ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد 21 ، جامعة سطيف ، ديسمبر 2015 ، ص ص 151 ، 152 ،

⁵³ المرجع نفسه ، ص 151.

⁵³ Mumbai Kamgar Sabha V. Abdulbhai Faizullabhai, A.I.R.1976 S.C. 1455, 1465 (India).

⁵⁴ تجدر الإشارة إلى أن الواجب الدستوري بحماية البيئة أو بعدم الأضرار بها يقع على عاتق الحكومة وأجزتها المختلفة والأفراد والأشخاص القانونية أو على طائفة متنوعة من هذه الأطراف ، بل قد توسع الواجبات الدستورية الموجهة صراحة للمواطنين لتطبيق على الدولة ، كما قضت بذلك إحدى المحاكم الهندية بأن الواجب الأساسي لحماية البيئة المكرس بالمادة (A)g51 يتسع ليشمل سبب فقط المواطنين ولكن أيضا أجهزة الدولة.

تجليات الغياب والحضور في الرواية العربية المعاصرة

مقاربة تحليلية في شعرية السرد التناوب لرواية "مصائر" لربيعي المدهون (*)

The Manifestations Of Absence And Presence In The Contemporary Arab Novel - An Analytical Approach In The Poetry Of The Alternating Narration Of The Novel "Destinies" By Rabie Madhoun ()*

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2017-06-28

محمد الغزالي بن يطو، جامعة ابن خلدون تيارت
ghazali2014@gmail.com

المخلص:

عرفت الرواية العربية تحولات كبيرة مرت بمراحل عديدة ، خاض فيها الروائي العربي تجارب عديدة فهو لم يكن بمنأى عما يحدث في العالم الذي حوله فتشارك معه الفنون الحديثة والمعارف السردية المتجددة ، و لعل ظاهرة الكتابة والتجريب تشكل حدثا سرديا ونقديا أكثر جرأة من غيره و لذا راهن الكتاب على ممارسة التجريب لملاحقة بعض الظواهر الحداثية التي تستجيب لمقتضيات الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي العربي كرواية (مصائر : كونشرتو الهولوكوست والنكبة) للروائي الفلسطيني ربيعي المدهون ، تتحدث عن معاناة الشعب الفلسطيني ، بعد نكبة 1948 وعن حياته في الشتات والعوائق التي تحول دون تحقيق حلم العودة إلى الوطن الأم بأسلوب السرد التاريخي وبطريقة تناوبية .

الكلمات المفتاحية: الرواية العربية ، الرواية الجديدة ، التجريب ، السرد ، الحداثة

Summary:

The Arabic novel knew significant shifts, passing through several stages, such as; the stage of modernity and beyond, where the Arab novelist fought numerous experiments, since he was not immune to what is happening in the world around him, therefore he became involved with modern Arts, and the renewable narrative knowledge. Perhaps the phenomenon of writing and experimentation constitute a narrative and critical event that might be bolder than anything else and therefore the authors bet on the practice of experimentation to pursue some of the modernist phenomena that respond to the requirements of the Arab social, political and cultural reality. The novel "Masa'ir: Concerto the Holocaust and the Nakba" by Palestinian novelist Robai El-Madhoun, writes the history of Palestinian suffering: the Nakba, the diaspora, and the return, in a humane manner and away from institutional history and biased political effects.

The writer worked throughout his novel on four "movements," that was inspired by the Concerto musical system composed of four "movements," in which he employed the rotational narrative in an innovative and new way.

key words: Arabic novel, new novel, experimentation, narrative, modernity .

Résumé :

Le roman arabe a subi à plusieurs changements selon les périodes de l'histoire de, dans le quelles le romancier arabe a fait divers expériences en s'impliquant aux arts modernes et à la science de narration renouvelable car il n'était pas à l'abri de ce qui se passe dans le monde. Le phénomène de l'écriture en expérimentant constitue peut-être un événement de narration et de critique le plus audacieux. C'est pour cela , le romancier pane à faire l'expérimentation pour suivre les phénomènes qui renvoient au vécu social , politique et culturel en arabe. le roman (les destins : concerto de holocauste et de la Naqba de l'écrivain palestinien robei el medhoun ; raconte la souffrance du peuple palestinien dans tous les endroits du monde , après la Naqba catastrophe de 1948, et les obstacles de retour vers leur pays natal. avec une narration historique et de manière alternative .

Les mots clés : roman arabe, nouveau roman, l'expérimentation, la narration, la modernité

مقدمة:

مقرّمة والتي تبرز ميزتها الاصلاحية حينما يحاول المرء ترجمتها من لغة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى . " (2) ، والعنونة قيمية بأن تشغل حيّزا من الاهتمام عند الباحثين البنيويين والمابعد البنيويين لما يتمتّع به من حمولة دلالية متماهية في بنيتها العميقة " إنّ البناء اللغويّ للعنوان في شتى أشكال الخطاب الأدبي يؤدي وظائف فنية تتجاوز دائرة الوظائف (البرجماتية) " (3) ، بين أيدينا يتألف من أربع وحدات معجميّة منهما اثنتان عربيّتان والأخرى أجنبيّتان ، فالأولى والأخيرة عربيّتان وما بينهما أجنبي وهذا دليل على أنّ فلسطين أولا وأخيرا عربية الهوية والهوية ، أما عن دلالة كلّ كلمة على حده : فإنّ "مصائر" المتبوعة بنقطتين (: تعني في علامات التّرقيم ما يأتي تفسيره لاحقا أي ما تفسّره الكلمات الثلاثة (كونشيرتو)،(الهولوكست)،(والنكبة).

كونشيرتو : وهي كلمة إيطاليّة تعني مجموعة موسيقية منسجمة في أدائها . أمّا أصلها في اللغة اللاتينيّة القديمة تعني الكفاح أو مجموعة مكافحة .

الهولوكوست : في الميثولوجيا اليهوديّة تعني إحراق القربان عن آخره . وهو ما يتناسب مع الأطروحة الصهيونيّة التي تدّعي عن حرق ملايين اليهود في مُعتقلات النازيّة إبّان الحرب العالميّة الثّانيّة .

النكبة: (1948)، وتعني الاحتلال ، الاغتصاب ، القتل ، تشريد الأهالي ، تزيف الحقائق التاريخيّة ، و تغيير المعطيات الواقعيّة وفي الأخير تعني مأساة الفلسطينيين في الشّتات .

أمّا عن دلالة العدد(أربعة) ، فستفصح عنها عدد الكلمات الأربعة التي يتكوّن منها العنوان ، والتي تتطابق مع مضمون الرواية التي قال عنها صاحبها في المقدّمة إنّ اختار قالب الكونشيرتو المكوّن من أربع حركات تشغل كلّ منها حكاية ، وهذه الحكاية تقوم على بطلين اثنين ما يلبث أن يتحوّلا إلى شخصيتين ثانويتين في المرحلة الثانية ليحلّ محلّهما بطلان آخران ، وبدورهما هذان البطلان الرّئيسيّان الجدد يتركان دورهما إلى من يليهم في الحركة الموالية وهكذا حتى تنتهي الحركة الرابعة .

يضاف إلى ذلك قال المدهون استغرقت منه هذه الرواية أربع سنوات ، زرت خلالها فلسطين أربع مرّات . إذن

الرواية العربية اليوم لا يُمكن أن تُفهم بمنأى عن المُتغيّرات الحاصلة التي تعرفها الرواية على الصعيد العالمي ، فالرواية العربية تشكّل جزءا لا يتجزّأ من تاريخ الرواية العالميّة ، إذ ساهم العرب عبر تاريخهم الأدبي في إثراء المنظومة السردية في العالم من خلال "قصص ألف ليلة وليلة " وقصص "البخلاء" للجاحظ و "كليلا ودمنة" لابن المقفع وقصة "حي بن يقظان" لابن طفيل الأندلسي و"رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري وغيرها ، لكن ولأسباب تاريخية وسياسية واجتماعية كان للرواية العربية خصوصيتها اليوم فهي دائما ما تعبر عن الواقع وأوجاع الأمة العربية ورواية (مصائر : كونشيرتو الهولوكوست والنكبة) للروائي الفلسطيني رعي المدهون ، أنموذج للرواية العربية التي تعالج مصير الأمة بطريقة وأسلوب حداثي .

1. سيمياء العنوان :

إنّ العنوان هو الدالّ والمتن هو المدلول ؛ و هو مؤشّر ظاهر يوحي إلى الباطن أو كما يقال هو المبتدأ والنص هو الخبر ، ولا يمكن فهمه إلا إذا فهمنا المتن فالعلاقة بين العنوان ومتمنه علاقة السابق باللاحق والتابع بالمتبوع ، وهو المرحلة الأولى التي يتوقف عندها الباحث لاستنتاجها وفكّ شفرتها لكونه يمثّل البنية الخارجية للنص التي تحيل إلى البنية الداخلية للنص " إنّ جيرار جينيت Gérard Genette ، يعد من أكبر نقاد المدرسة البنيوية الفرنسية المشتغلين في حقل الشّعريّة ، وقد أولى اهتماما كبيرا بالعنوان باعتبارها نصا موازيا يندرج ضمن النص المحيط والنص الموازي " ما يصنع به النص من نفسه كتابا ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه ن وعموما على الجمهور ، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي ، وعتبات بصرية ولغوية " (1) العنوان الذي إذن يأتي الاهتمام بالعنوان من منطلق البحث عن مساحات أخرى مجهولة ترتادها الشّعريّة ، وإن كانت العنونة عند جاك دريدا Jacques Derrida هي إعادة الاعتبار للهوامش على حساب المتن وهو ما تنادي به نظرية ما بعد الحداثة . " إنّ العناوين ، ذات وظائف رمزية مشفّرة ومسننة بنظام علاماتي دال على عالم من الإحالات و تشكل العناوين والمعادلات والشتائم ونبرات والصوت ، والحركات والمواقف إلخ... كلها مجموعة

الأمل الذي يلازم الإنسان الفلسطيني ولا يفارقه رغم المتاعب والإكراهات السياسية والاجتماعية . إلى جانب الباب من الجهة اليمنى شجيرة تزيينية تتعلق بالجدار ، يبدو عليها الاصفرار والوهن من جراء الإهمال وعدم العناية بها ، تقاوم الموت رغم ضعفها من أجل البقاء .

يعلو الباب نجمة (داود)، غير واضحة المعالم ترمز للاحتلال الإسرائيلي وكأنها علامة دخيلة على هيئة الباب ، وهذا تعبير حقيقي على المنطق المزيّف للاحتلال .

في أعلى الغلاف ، نلاحظ هناك اسم الكاتب باللغة الإنجليزية وبخط صغير الحجم ، كعربون وفاء وتقدير من الكاتب لهذه اللغة التي تحتضنه ، ثم يظهر اسمه بخط كبير وواضح كرمز للهوية والانتماء ، وفي قاعدة الكتاب (في الأسفل) فيه سواد كتيمة تذكّر بفلسطين كوطن جريح لا يُنسى .

موضوع الرواية :

تأسست أحداث الرواية على أربع حركات بشكل تناوبي ، بحيث تسلّم كل حركة إلى الحركة الموالية ، وطريقة الحركات التي ابتكرها المدهون تجعل منها مركّبا قصصيا تشيّد على أساسه هوية الفضاء الروائي " حضور الفضاء لا بوصفه أمكنة تدور فيها الأحداث والوقائع الحكائية ، أو تتمركز حولها الفاعلية الشعرية ، بل الفضاء كوعي عميق بالكتابة جماليا وتكوينيا. الفضاء كشكل ومعنى وكذاكرة وهوية ووجود الفضاء كسؤال إشكالي ملتصق بوعينا الثقافي والاجتماعي والجمالي وبنسجنا السيكلوجي ، والمعرفي والإيديولوجي" (5).

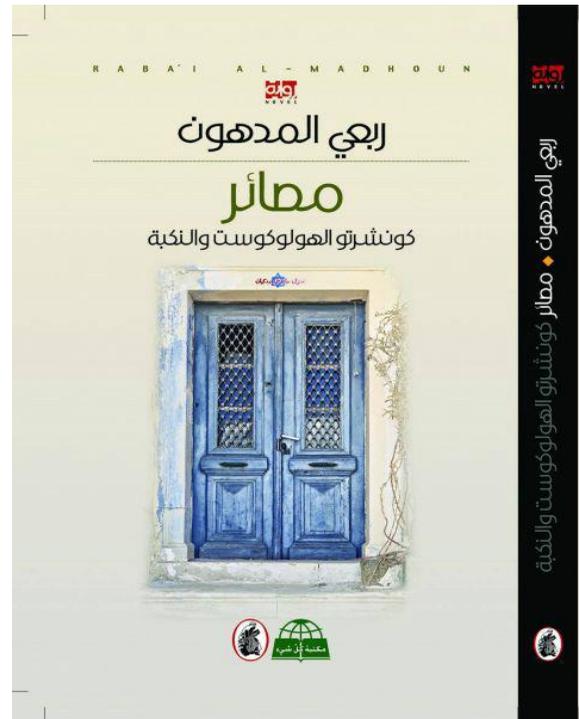
الحركة الأولى :

تحكي الرواية عن عائلة فلسطينية عريقة ، هي عائلة «وليد دهمان» التي تقاسمت المنافي أبنائها وتشردوا في كلّ أنحاء الأرض ، منهم هاجر وانقطعت صلته تماما بالوطن ومنهم من هاجر وعاد وحاول الاستقرار ، لكنّ الإحساس بالاعتراب داخل الوطن ، دفعه إلى الرجوع من حيث أتى. ومنهم من أقنع نفسه مُكرها أن يتحوّل إلى إسرائيلي (مؤقت) حتى يستطيع فقط البقاء في وطنه فلسطين (!؟) ليتدفأ بشمسها ويستنشق هواءها ويستأنس بأهلها.

إنّها حكاية الوطن والمنفي التي تطارد العائلة الفلسطينية أينما حلّت ، اختار الكاتب هذه الأحداث

العدد أربع من مركّبات بنية العنوان ، قد يكون إيقاع (أربعة) الذي يتكرّر في الرواية يعكس ما في وعي الكاتب كفلسطيني يحلم بالعودة إلى بيته الكبير فلسطين لأنّ الأربعة ، تعني في المتعارف الدّار التي تتألف من أربعة جُدُران ، تعني الوجود بمفهومه الجغرافي (شرق غرب ، شمال جنوب) ، وبمفهومه الطبيعيّ (خريف ، شتاء ، ربيع ، صيف ،) إذن هذا التّمائل الأيقوني يوحي بالحياة .

وإذا حاولنا في الأخير أن نستخلص عصارة هذا العنوان ، سنحصّل على المعادلة التالية : [مصائر :



(الكفاح)+(التضحية)=(الحياة))

2. سيميائية الغلاف :

يهيمن على الغلاف اللون البني الفاتح ، وهذا اللون له دلالة الأرض" والبني يدل على الأهمية الموضوعية على (الجدور) : على الأرض والوطن" (4) و لماذا لونه فاتح باهت ، هو ما لحق به من تغيير بفعل فاعل ، يتوسط هذا الفضاء البني باب قديم مغلق لونه أزرق باهت من أثر القدم والتأثيرات الخارجية ، يبدو عليه أنه لم يفتح منذ عدّة سنوات ، يوحي قدمه بالوحشة والحنين وكأنه ينتظر صاحبه أن يفتحه في آية لحظة ، و ما يكرّس فرضية البيت كما سبق وأن أشرنا في (العدد أربعة) هو الباب المرسوم على واجهة الغلاف ، كرمزية للوطن الفلسطيني ، أما اللون الأزرق المصاحب للباب . هنا . هو رمز

الغربية. ثم ينتقلان معا إلى يافا في فلسطين يتزوجان ثم يقرران الإقامة في القلعة القديمة ، ومن هنا تعنّ لهما مشكلة لم تكن في الحسبان ؛ فرضتها عليهما قوانين الاحتلال قد تهدد استمرارية زواجهما ، وراح الاثنان يناضلان بدون هوادة ، ولكن ، هذه المرة لإنقاذ علاقتهما المقدّسة⁽⁸⁾ .
الحركة الثالثة :

يقوم كلّ من وليد دهمان وزوجته جولي (ابنة إيفانا أردكيان) بالسفر إلى فلسطين من أجل تنفيذ وصية والدتها المتوفاة (إيفانا)، يستهلان رحلتهما بالتجوال بشغف في مدن فلسطينية عديدة منها : حيفا ، وعكا ، ويافا ، والقدس والمجدل وعسقلان ، حتى وقع منهما سحر البلد موقع العشق غير المنتظر ، وحقّق فيهما التفكير بجديّة على العودة إلى الوطن والعيش في كنفه ومن هنا تغيّرت وجهة حياتيهما من المنفى الاختياري إلى أرض الوطن .

الحركة الرابعة :

وبطريقة ذكية حاول المدهون أن يستحضر لحظة مأهولة بالمآسي و الجراح استطاع من خلالها إقحام القارئ في مقارنة غير متكافئة بين الضحية والجلاد ، وتتمثّل في استدراج القارئ إلى مرافقة وليد وهو يزور متحف المحرقة (الهولوكوست) المعروف بـ (يد فشم) في مدينة القدس ، وهنا يعنّ في ذهن وليد هذا التساؤل ما أشبه البارحة باليوم أيّ ما فعله النازيون باليهود بالأمس وما يفعله اليهود اليوم بالفلسطينيين . ثم يلتقي كل من وليد وجولي مع (الكاتبة) جنين في مدينة يافا ويسألانها عن المرجعية الروائية لأحداث روايتها ومصائر أبطالها وعمّا آلت إليه حياتها هي ورفيق دربها باسم⁽⁹⁾ .

إنّ رواية " المصائر " هي السّؤال الذي انتصر على الجواب ، إنّه السّؤال الذي لامس الجرح الفلسطيني الثلاثي الأبعاد : النكبة ، والهولوكوست ، وحقّ العودة إلى الأرض المحتلّة .

من خلال هيمنة البنية الماضوية على الراهن والواقعي تقول الكاتبة الأمريكية فيرجينا وولف Virginia Woolf (1882. 1941) " إنّ كلّ شيء يصلح أن يكون موضوعا للرواية"⁽¹⁰⁾ ، اجتهد الكاتب أن يستحضر التاريخ بطريقة مبتكرة وهي تقنية السرد التناوبي التي أشار إليها تودوروف Tzvetan Todorov: " قد نعثر في السرد الموضوعي على أسلوب سردي آخر يقتفي فيه الراوي أعمال

كأنموذج للعائلة الفلسطينية بعد النكبة ، وتروي الرواية قصة الشابة الفلسطينية (إيفانا أردكيان) Ivana Ordekian التي تنحدر من أصول أرمنية ، وليست المرة الأولى في الرواية العربية أن تسند البطولة لشخصية أرمنية بل سبق وأن ظهرت في مصر عام 1925 رواية بعنوان (الأرمنية الحسنة) لأحمد محمد حنفي ، وأبطالها كلّهم من الأرمن الذين يعيشون في البيئة المصرية⁽⁶⁾ ، وقعت الفتاة إيفانا في حبّ طبيب بريطاني زمن الانتداب البريطاني ، وأثمرت هذه العلاقة بإنجاب صبيرة سمّاها (جولي) ، هربا معاً إلى لندن عام (1948)، وهو ما يُعرف عند الفلسطينيين بعام النكبة ، وبعد أن طابت لهما الإقامة واشتدّ عود ابنتهما (جولي)، تحرّكت مشاعر الحنين إلى الوطن والطفولة في نفس الأم (إيفانا)، فأوصت ابنتها بأن تحرق جثتها وتثر نصف رمادها على نهر التايمز الذي يرمز لمدينة لندن ، و تحتفظ بالنصف الآخر لتعيده إلى مسقط رأسها ، إلى مدينة (عكا) القديمة ، حيث الصبا والطفولة .

قائلة " خذوا بعضي وكلّ روحي إلى عكا يعتذران لها حارة حارة .. خذوا ما تبقى مني وشيّعوني حيث وُلدت ، مثلما ستشيّعني لندن حيث أموت .. يا أصدقائي وأحبي ، يوم ما ، لا أظنه بعيدا .. سأموت .. أريد أن أدفن هنا وأن أدفن هناك . " (7) .

الحركة الثانية :

وهنا تكتب جنين دهمان روايتها (فلسطيني تيس) عن محمود دهمان ، هذه الشخصية التي اختارت الهجرة خلال نكبة 1948 من المجدل بعسقلان إلى غزة ، وفي هذه الأثناء يجد نفسه متابع من المخابرات المصرية ، إذ تمكّن من الإفلات من عيونها والعودة من حيث أتى ، يعود إلى المجدل خفية تاركا وراءه عائلته ، وتزداد الأمور تأزّما حين ترسم سلطات الاحتلال حدودها مع غزة . بحيث يتعدّر على أسرة محمود الالتحاق به ، ويجد نفسه أمام واقع آخر فيعيد الزواج ثانية ، ويعيش حياة لم يكن يرغب فيها وهي : فلسطينيّ بوثائق إسرائيلية .

و هنا استعان المدهون بالسارد ليمرّر على لسانه كلاما قد يتجنّب هو قوله ، ففي اللحظة كانت جنين في بيتها تراجع روايتها (فلسطيني تيس)، بدأ السارد يعرفنا بسيرتها : حين كانت تواصل دراستها في أمريكا كفلسطينية بوثائق إسرائيلية ، تعرفت على شخصية باسم الفلسطيني ينحدر من الضفة

سبق إليها نجيب محفوظ (2006.1911) وظفها في رواياته المحسوبة على الواقعية الاجتماعية، خاصة في (القاهرة الجديدة)، (زقاق المدق)، (خان الخليلي) ولكن بطريقة مختلفة وهو ما يعرف عند النقاد بالسرد الرباعي، لكن ما يميز به ربعي المدهون في روايته (مصائر) أعتقد أنه ينطلق من بُعد فلسفي مفاده الافتراق من أجل الالتقاء، أو بعبارة أخرى هي المصائر الفردية المتقاطعة والتي تتحول في آخر المطاف إلى مصير مشترك وواحد، فالتفتت والتشردم والفرقة بين أبناء الوطن الواحد لا تعني أبداً تفتت حب الوطن في قلوب أبنائه أو عدم الإيمان بالعودة إلى أحضانه في يوم من الأيام.

ويرى رشدي الماضي "أن الخصائص الفنية في رواية المدهون، (..) تشير إلى أن الروائي قدّم عملاً أدبياً قوياً، في بنية روائية استعارية متماسكة، وحبكة محكمة ومثيرة، وشخصيات عميقة ومتراصة، استحضر من خلالها، الأحداث المتكئة على مساحات الذاكرة، المشبعة بالأماكن والأفراد والتفاصيل، في أماكن رئيسة عدّة من الوطن، صاغها في تقابل بين الأجزاء وارتباط متبادل، كأنّ قوّة جاذبة شدت الفصول إلى بعضها البعض، وجعلتها تدور في أفق وفلك واحد. أنتت (الرواية)، بلغة إنزياحية عن التاريخي، وأحياناً عن الواقعي، بإيحائية مفتوحة على التعدد، بأسلوب سلس جذاب ومشوّق، وزمن متحرّك، وتداخل وظيفي بين الخيال والواقع، وسرد أفقي وعمودي، وهيمنة السارد بضمير المتكلم المفرد بصورة بارزة" (14).

قال الروائي الفرنسي هنري دو بلزاك Honoré de Balzac "التاريخ حليف الرواية" منها يمتح الروائي أحداثه وشخصه ولغته السردية، فكتب ربعي المدهون تاريخ النكبة والشتات بطريقة إنسانية وبلغة الفنان الذي تحرّكه نوازع الحقيقة والحرية، وليس بطريقة مؤسساتية وبلغة المؤرخ المنحاز تحت تأثير السياسة أو الأيديولوجيا، ومهما يكن فالرواية تتبلور كخطاب مثقل بمتاعب "الإنسانية العربية" في صورتها الفلسفية العابرة للقارات اجتمع في تشكيك رؤيته الواقعي بالتاريخ بالمتخيّل .. "إستراتيجية خطاب أدبي مشفوع بكلّ حمولة وطاقة وامتلاء كتابة وجمالاً ولساناً وثقافياً ومعرفياً واجتماعياً لكنه خطاب يمنح نفسه للآخر بصرياً وروحياً بدءاً من السواد على البياض في انتظام

شخصية أولى، ثمّ يحوّل اهتمامه إلى قصّ أعمال شخصية ثانية ثمّ يعود مرة أخرى إلى تتبع أعمال شخصية أولى، وهكذا دواليك، وهذا الصنف من السرد يطلق عليه تودوروف التناوب (alternance) الذي يروي حكايتين تزامنياً، يقطع الأولى تارة والثانية تارة أخرى، لاستئناف إحداها في الانقطاع التالي. " (11) حاول الكاتب أن يحكي مأساة شعبه بلغة سردية فنية ذات حساسية شعرية عالية، من خلال استفزاز الذاكرة التي تطفح بالجراح والأحزان، هذه الذاكرة حاضرة بيننا، تقاوم الفناء والموت نتيجة الوعي التاريخي بالمكان الذي تسيّجت به الشخصية الفلسطينية الصامدة رغم الشدائد والمحن، راهن المدهون من الوهلة الأولى على المكان كبعد محوري في الرواية من جهة ومن جهة أخرى كمكوّن من مكونات الهوية الوطنية للإنسان التي تُعزّز فيه الشعور بالانتماء، في ظلّ الحقيقة التاريخية والمغالطة الواقعية والأطروحات المزيّفة التي يروجها الاحتلال.

إذا كان الفلسطيني تقاسمته المنافي والامكنة في كلّ أنحاء العالم هذا لا يعني أنّ الوطن غائب في الذاكرة وفي وجدان أبنائه مهما نأت بهم المسافات البعيدة.

وما يلاحظ في الرواية هو الاحتفاء بالفضاء المشترك بين الشخصيات المختلفة في مشارعها الحياتية ومنطلقاتها الاجتماعية ومرجعياتها الثقافية رغم ما تصطدم به الشخصية من متحرّكات الواقع، إنّ السردية هي من اضطلعت بمهمة ترويض التاريخي واستدراجه نحو الأدبي والفني "إنّ السردية سمة نوعية تتفرّد بها النصوص السردية مثل الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية وحكاية الحيوان والشعر القصصي والقصة والرواية، وهي جوهر الحكاية ونواتها بل هي الحكاية نفسها؛ إذ تركز على تحول أو عدّة تحولات تكون نتيجتها صلات أي اتصالات بين الذوات والمراجع" (12).

وإذا كانت الشعرية لحظة زئبقية يصعب القبض عليها، فإنّ القارئ يسعى دوماً لمباغتتها والوقوف على سرّ جاذبيتها، وهذا ما حاول تودوروف الوقوف عليه من خلال تعريف مصطلح الشعرية Poétique قائلاً: " ولم يُرد تودوروف بمصطلح الشعرية، وهي مفردة ترادف الأدبية ن دراسة الشعر بل الشاعرية بمعنى أنّ الشعرية تتخذ من تحليل الأشكال الأدبية المتخفية مطية لتحليل الأشكال المضمرّة" (13).

إنّ انطلاق الرواية من أربع منطلقات توهم القارئ بتعدّد المسارات التي لا تلتقي، هي طريقة فنية ذكية رغم أنّه

التي صيغت شعريتها الروائية من عوالم تخيلية خالية من أي معنى قد يثير الالتباس .

تواجه رواية (مصائر) : الواقع الفلسطيني بكلّ تحدياته وتطلّعاته ممّا اضطرّ صاحبها إلى الاستعانة بالطابع التوثيقي للحدث الذي يؤخّج لمرحلة صعبة من تاريخ الشعب الفلسطيني والشرق الأوسط عموماً في أواسط القرن الماضي . لقد حاول الروائي العربي رعي المدهون أن يخضع نسق الكتابة الروائية إلى نوع من السردية ، لا تحقق تفاعل عناصرها إلا من خلال التفسير الفني للنمطية التقليدية التي استحوذت على الرواية العربية مدة طويلة ؛ لأنّ الرواية شديدة الارتباط بمقتضيات الواقع ، والواقع ما هو إلا نتاج تراكمات سياسية وتاريخية ، ومن هذا المنطق حاول الكاتب استحضار التاريخ ليواجه به الواقع السياسي العربي المهزوم " فشدّة التناقضات في هذا العصر وسياسات القمع والانزهاام الممارس على الشعوب جعل أديابنا يفكرون باستعادة شخصيات تاريخية ينطقونها من خلال الواقع ، فمنهم من استنجد بها ومنهم من نسف الحاضر من خلالها ومنهم من رصد إمكانية تعايشها مع الحاضر ، لو قدر لها ذلك " (17) .

و يبقى مشروع السرد التاريخي في الرواية العربية مفتوحاً على كلّ آليات التجريب الروائي ، تحاول من خلاله الرواية العربية مواكبة أسئلة الكتابة ودائرة اهتماماتها السياسية والتاريخية والاجتماعية ، رغبة منها في المحافظة على مكاسبها الريادية من خلال انخراطها في قضايا المجتمع ، ولكن هذا لا يتحقق إلا بمغامرة تجريبية يراهن من خلالها الروائي الذي يتماس مع خط الحداثة كأداة تعبير حقيقية للرواية العربية المعاصرة وعن تطلّعات الجيل الجديد " .. عن معاناة الجيل الجديد وعن أزمة البرجوازية الصغيرة المولعة بالتجريب ، والباحثة عن قيم بديلة في عالم مهترئ ، تتلخص بدورها من التقنيات القديمة ، وترتاد عاماً روايتاً بديلاً أيضاً يخلق مقاييسه التي تتلاءم مع التعبير مع المضامين المتولّدة في الظروف الجديدة " (18) ومن هذا المنظور جاءت رواية المدهون كإضافة جديدة للرواية العربية المعاصرة ؛ تضطلع بمهمة التاريخي والسياسي والاجتماعي والإنساني تؤثّق لمعاناة الشعب الفلسطيني في الشتات من خلال المسار الصّعب الذي يمتدّ تاريخياً بين الماضي والحاضر أي بين زمن النكبة وزمن العودة .

الصفحات داخل الكتاب ووصولاً إلى أبعد مستويات المتخيّل والتّجريد " (15) .

فكان المتن عند المدهون منفتحاً على عدّة قراءات تاريخية وواقعية ؛ تسعى إلى تأمين مُدخّلات المجتمع في صورته الإنسانية وما لحقها من مظالم في التاريخ المعاصر ، حذرة من أن تقع المُخيّلة العربيّة الفلسطينيّة من الوقوع في مطبّة التّطبيع مع الآخر الموبوء بالأنا المُفخّمة المأهولة بالخرافات والأساطير .

ولهذا جاءت لغة الرواية بأسلوبية مبتكرة ، تستعير ملفوظاتها من المعجميّة التي توطّر الشخصية الفلسطينية المثقّلة بهجوم الواقع ، فعجّ النَّصّ بكلمات إنجليزية وعبريّة وبالعامية الفلسطينية ناهيك عن اللغة العربية الفصحى .

"وبهذا المعنى ، تعدّ رواية المدهون ، ممثلةً وباذخاً بالمحكيّات والمعلومات المتعدّدة المثقّلة بالتاريخ والجغرافيا ، وكذلك بالرّمزيّة والمجازات ، والصّور ، والمواقف الفنيّة المستمدّة من الواقع . بالإضافة إلى الإيحاءات والدلالات والألفاظ المأنوسة ، التي أنّت بأسلوب السيمولوجيا ، أي العلامة ، وهي أيّ شيء قابل لأن يخلق معنًى لأيّ كان ، شرط أن تكون له دلالة . و في هذا عاد الكاتب وأثبت بأنّ الحياة استعارة لغويّة ، ولا هويّة لنا خارج فضاء اللّغة ، فهي مقامنا أنّي حللنا سفيراً ورحيلاً . وقد أجاد المؤلّف وأبدع حين ترك القارئ يجول جولاتٍ استدلاليةً في متن نصّ الرواية ، بحدّتها المتصاعدة ، وأوقفه بشكلٍ مشوّقٍ أمام نهايةٍ مفتوحة . " (16) ، تنقلّ الكاتب إلى فلسطين واستمع إلى حكايات كثير من الناس عن النكبة وما بعدها ، وجمع هذا الكّم في عمل سرديّ روائي ، تجنّب السرد البوليفيني الباخثيني حتى يتمكن من تحقيق المقصدية من الرواية وهي وحدة الهدف و المصير والتي لا يمكن أن تتحقّق إلا بوحدة المواقف ، رغم أنّ الرواية هنا تقف بين ثقافتين تفصلهما هوة واسعة ؛ وعقدت بينهما الظروف السياسية المنحازة قراناً إكراهياً ، جعل الحياة بينهما في حكم المستحيل .

إنّ الجينات المكانيّة للفضاء الفلسطيني لا يمكن أن يدركها الآخر المتلبس بجريرة اغتصاب المكان ، ومن هذه المنطلقات كانت كتابة الواقع بمحمل الجدّ ، أضافت إليه إرادة الارتحال إلى الأماكن الحزينة والحفر بعمق في الأنا الجمعي بعداً آخر ، وهذا يباعز من وعي حقيقيّ بالقضية

الهوامش

(*) ولد الروائي ربعي المدهون في المجدل (عسقلان) جنوب فلسطين عام 1945 ، وهاجرت عائلته بعد نكبة 1948 إلى خان يونس بقطاع غزة حيث التحق بمدارسها ، بعدها سافر إلى مصر حيث التحق بجامعة الإسكندرية وتخرّج منها عام 1970 ، اشتغل بالصحافة العربية منذ 1973 ، وهو الآن يقيم لندن ويعمل في صحيفة (الشرق الوسط) . فاز بجائزة البوكر العالمية في نسختها العربية ، طبعة عام 2015 ، ويعدّ أول رواي فلسطيني يفوز بهذه الجائزة وذلك عن روايته "مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة " ، التي رشّحت من بين 159 عملاً ل: 18 دولة .

• من أعماله : أبله خان يونس (مجموعة قصصية) ، (حكايات طعم الفراق)

(السيدة من تل أبيب) ، (مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة)

Gérard Genette: Seuil. Collection "Poétique". Ed. du Seuil. (1) Paris, 1987. P :7

(2) بيار غيرو ، السيمياء ، ترجمة أنطوان أبي زيد ، منشورات عويدات بيروت ط 1 ، 1984 ، ص 5

(3) G.Genette : Seuil .ed .du Seuil ,Paris 1987 ,P :73

(4) أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ط 1 ، القاهرة 1997 ، ص 195

(5) حسن نجمي ، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية) المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، الدار البيضاء ن

المغرب 2000 ، 12.5

(6) ينظر: عبد المحسن طه بدر ، تطور الرواية العربية الحديثة ، دار المعارف ، ط 4 ، مصر 1983 ص 178

(7) ربعي المدهون ، مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 2015 ، ص 70

(8) الرواية ، م ن ، ص 138

(9) الرواية ، م ن ، ص 175

(10) محمد شاهين ، آفاق الرواية ، البنية والمؤثرات ، منشورات إتحاد كتاب العرب ، دمشق 2001 ، ص 114

(11) Gueunier Nicole. T. Todorov : Littérature et signification. In: Langue française, n°3, (11)

1969.Larousse.Paris ;1967 P:72)

Algirdas Julien Greimas ,Du Sens II Essais Sémiotique . Seuil ,Paris 1983 P :28 (12)

T.Todorov : (Poétique de la prose).Seuil ; Paris 1971 ;P :46 (13)

(14) رشدي الماضي ، مصائر ربعي المدهون : بناء الأحداث وفينومينولوجيا الوعي ، [2016] التاريخ :

www . arab48.com2016/04/27 الموقع:(جريدة الأيام)

(15) كما أوديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ط 1 ، بيروت 1987 ، ص 21

(16) رشدي الماضي ، مصائر ربعي المدهون ، م ن ،

(17) علي محمد المومني ، الحداثة والتجريب في القصة القصيرة الأردنية ، دار البازوري ، عمان 2009 ، ص 88

(18) حميد لحميداني ، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي ، دار الثقافة ، 1985 ، ص 418

دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري للمؤسسات الاقتصادية - دراسة ميدانية لبعض المؤسسات بسطيف -

*The Role Of E- Learning In The Development Of The Intellectual Capital Of Economic Institutions - A
Field Study Of Some Institutions In Sétif -*

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2017-06-29

زواوي خالصة، جامعة فرحات عباس سطيف 1
khalissazou@yahoo.fr

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري ، لدى بعض المؤسسات الاقتصادية بولاية سطيف ، من خلال معرفة دوره في تطوير رأس المال الفكري بأبعاده الثلاث (رأس المال البشري ، رأس المال الهيكلي ، رأس مال العملاء) ، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تطوير الاستبيان لغرض جمع البيانات من المؤسسات محل الدراسة والتي بلغ عددها (30) مؤسسة ، وتم استخدام الرزمة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لتحليل بيانات الاستمارة ، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أبرزها أن هناك دور إيجابي للتعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري ، وقدمت بعض التوصيات لمسؤولي المؤسسات محل الدراسة.

الكلمات المفتاحية: التعليم الإلكتروني ، رأس المال الفكري.

Résumé

La présente étude vise à identifier le rôle de l' e-Learning) dans le développement du capital intellectuel (défini par le capital humain, le capital structurel et les capitaux clients).

Le traitement et l'analyse de données recueillies par questionnaire sur 30 entreprises économiques situées dans la région de Sétif s' est appuyé sur le système SPSS.

Parmi les résultats de cette recherche, on peut citer un rôle positif de l'e-learning dans le développement du capital intellectuel, et il a fait des recommandations aux fonctionnaires des institutions à l'étude.

Mots clés : E-learning, Capital Intellectuel.

Abstract:

This study aims to identify the role of e-Learning in the development of intellectual capital (defined by human capital, structural capital and client capital).

The processing and analysis of data collected by questionnaire on 30 economic enterprises in the region of Sétif was based on the SPSS system. Among the results of this research is a positive role of e-learning in the development of intellectual capital, and made recommendations to officials of the institutions under consideration.

Keywords : E-learning, Intellectual Capital.

مقدمة

المحور الأول: الإطار المنهجي للبحث والدراسات

السابقة

مع ظهور العصر الإلكتروني القائم على الانترنت وعلى تكنولوجيا المعلومات التي تعد القوة الدافعة وراء تقلص المسافات الزمنية والمادية ونقل المعرفة، وجب على المنظمات إعادة النظر في نموذج أعمالها في ضوء القدرات الإلكترونية، من خلال تفعيل التقنيات الجديدة والمتجددة، والتي تسمح بتبادل واندماج المعرفة، بالاعتماد على مدخل وتوجه جديد يتمثل في التعليم الإلكتروني.

مع ظهور اقتصاد المعرفة وتعاضل دور المعرفة كوحدة إنسانية للثورة القائمة على الأفراد وخبراتهم وقدراتهم على الابتكار وتوليد المعرفة الجديدة، فإن اكتشاف آخر أخذ طريقه إلى مركز الاهتمام والحديث عنه على نحو متزايد وهو أصول المعرفة أو ما يعرف عند الإداريين برأس المال الفكري والذي يعتبر اليوم قاعدة الثروة وهو التدفق الحيوي للقيمة وللأفكار والمنتجات والخدمات الجديدة.

لإدارة رأس المال الفكري أهمية بالغة في تطوير والاحتفاظ بالموظفين، والذي يشكل تحديا كبيرا لخبراء الموارد البشرية، لذا تبرز أهمية الاعتماد على التعليم الإلكتروني الذي يعزز التعلم السريع، ونشر المعرفة واندماج الأفراد والذي يساهم بشكل كبير في بناء المخزون المعرفي لرأس المال الفكري، ولهذه الأهمية سوف نحاول في هذه الورقة معرفة ما هو الدور الذي يلعبه التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري؟، لمجموعة من المؤسسات بولاية سطيف تنتمي إلى كل من قطاع الخدمات والقطاع الصناعي.

بناء على ما سبق سوف نعرض هذه الدراسة من خلال أربعة محاور، يتناول المحور الأول الإطار المنهجي للبحث، مع عرض بعض الجهود الفكرية السابقة، أما الثاني فسنعرض فيه الإطار النظري للبحث، أما الإطار العملي فسوف نعرضه في المحور الثالث، وفي الأخير سنخصص المحور الرابع للاستنتاجات والتوصيات.

1-الإطار المنهجي للبحث: سنحاول في هذا الجزء التعرف على المشكلة الرئيسية للدراسة، أهميتها وأهم الأهداف التي تسعى لتحقيقها، مع الفرضيات التي تقوم عليها، فضلا عن تحديد أهم الأدوات المستخدمة في جمع وتحليل البيانات:

1-1 مشكلة البحث: جاءت هذه الورقة للإجابة على

التساؤل الرئيسي التالي:

ما هو دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري للمؤسسات محل الدراسة؟
ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مدى اعتماد المؤسسات محل الدراسة على التعليم الإلكتروني؟

- ما هو دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال البشري للمؤسسات محل الدراسة؟

- ما هو دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الهيكلي للمؤسسات محل الدراسة؟

- ما هو دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال العملاء للمؤسسات محل الدراسة؟

1-2 أهمية الدراسة: تتجلى الأهمية العلمية للبحث

في أهمية متغيراته، إذ يعتبر رأس المال الفكري ممثلا حقيقيا لقدرة المنظمة على المنافسة وتحقيق النجاح.

- يعتبر التعليم الإلكتروني مدخلا جديدا يعتمد على تكنولوجيا المعلومات للحصول على المعرفة.

- فضلا على الأهمية التطبيقية التي تبرز من خلال محاولة تحديد طبيعة العلاقة ومعرفة دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري.

1-3 أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى:

- معرفة مدى اعتماد التعليم الإلكتروني في مؤسسات محل الدراسة.

الفرضية الفرعية الرابعة: يلعب التعليم الإلكتروني

إيجابيا في تطوير رأس المال العملاء للمؤسسات محل الدراسة.

4-1 منهجية الدراسة: بغية القيام بتحليل علمي

ومنهجي لإشكالية الدور الذي يلعبه التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري لبعض المؤسسات بولاية سطيف، وبهدف اختبار صحة الفرضية تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، والذي بواسطته تم إجراء دراستين الأولى نظرية والثانية ميدانية، ففي الدراسة النظرية استندنا إلى مصادر عديدة بمختلف اللغات، أما في الدراسة الميدانية فقد تم جمع البيانات والمعلومات من مصادرها الأولى في الميدان العملي للمؤسسات المدروسة من خلال تصميم استبيان تضمن الجوانب الرئيسية لميدان الدراسة، وجرى تحليلها إحصائيا باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة للإجابة على أسئلة الدراسة واختبار صحة فرضياتها.

5-1 مجتمع الدراسة:

حرصا على تنوع مجتمع الدراسة من حيث متغير التعليم الإلكتروني شملت الدراسة (30) مؤسسة أنظر الملحق رقم (01)، وعلى 120 موظف، حيث شملت موظفي الموارد البشرية في كل مؤسسة.

6-1 مصادر جمع البيانات:

أ-الاستبيان: تم القيام بتصميم استبيان الدراسة لجمع البيانات الميدانية من مجتمع الدراسة بعد مراجعة الدراسات السابقة في مجال التعليم الإلكتروني ورأس المال الفكري، وإجراء مقابلات عديدة مع الموظفين الذين لديهم علاقة بموضوع الدراسة من موظفي إدارة الموارد البشرية الذين يعتبرون مسؤولين ومستفيدين من أنظمة التعليم الإلكتروني، لمعرفة الطريقة الأمثل لتصميم الاستبيان، حيث تم تصميم الاستبيان حسب مقياس ليكرت الخماسي مما يعطي للمبحوث مجال أوسع للإجابة.

ب-المقابلة: تم الاعتماد على المقابلة مع جميع رؤساء

الموارد البشرية في المؤسسات محل الدراسة، ومع عدد من الموظفين وذلك بهدف التعرف على طبيعة نشاطهم والوقوف على الحقائق التي تخدم الدراسة، إذ تعتبر المقابلة من

- معرفة دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال

الفكري للمؤسسات محل الدراسة.

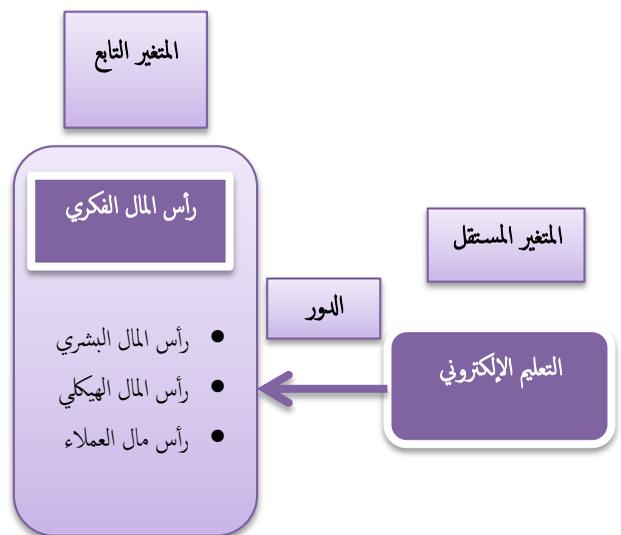
- الخروج بجملة من التوصيات والنتائج التي من شأنها

تعزيز المعرفة في المجال المبحوث.

4-1 المخطط الفرضي للدراسة: يبين المخطط

الفرضي توضيحا للفكرة الأساسية للدراسة، فضلا عن توضيح العلاقة بين المتغير المستقل التعليم الإلكتروني والمتغير التابع رأس المال الفكري، كما يوضحه الشكل رقم 01

شكل رقم 01: المخطط الفرضي للبحث



الفرضية الرئيسية: وسوف تتم الإجابة على الإشكالية

من خلال الفرضية التالية:

يلعب التعليم الإلكتروني دورا إيجابيا في تطوير رأس

المال الفكري للمؤسسات محل الدراسة.

ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية التالية:

الفرضية الفرعية الأولى: تعتمد المؤسسات محل

الدراسة على التعليم الإلكتروني.

الفرضية الفرعية الثانية: يلعب التعليم الإلكتروني

دورا إيجابيا في تطوير رأس المال البشري للمؤسسات محل

الدراسة.

الفرضية الفرعية الثالثة: يلعب التعليم الإلكتروني

إيجابيا في تطوير رأس المال الهيكلي للمؤسسات محل

الدراسة.

حيث كلما كانت هذه النسبة كبيرة كلما كانت المساهمة أكبر، وتعزى النسب المتبقية لمتغيرات أخرى خارج الدراسة وكذا الخطأ العشوائي.

2- بعض الدراسات السابقة: سيتم استعراض بعض الدراسات السابقة في مجالي التعليم الإلكتروني ورأس المال الفكري وهي كالتالي:

(Ali Zeidi Jodaki, And Others,2015),
Study : Relationship Between Electronic Learning And Intellectual Capital.

هدفت الدراسة إلى تقديم نمط هيكلي للتعليم الإلكتروني ورأس المال الفكري في المنطقة الاقتصادية الخاصة بميناء عبدان بإيران، وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان في جمع البيانات والمعلومات، وقد شملت جميع المديرين والمساعدين والخبراء والعاملين في ميناء عبدان، حيث شملت 40 مديرا و180 موظفا، وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك علاقة ايجابية ذات دلالة احصائية بين التعليم الإلكتروني ورأس المال الفكري بأبعاده الثلاثة رأس المال البشري، التنظيمي، والعلماء.

(Viktor.Radun, 2015) Study : " E-Learning And Competitiveness In Higher Education Industry: Future Trends And Directions"

"التعليم الإلكتروني والقدرة التنافسية في قطاع التعليم العالي: الاتجاهات والتوجهات المستقبلية" تبحث هذه الورقة في مستقبل التعليم الإلكتروني مؤسسات التعليم العالي في صربيا، حيث يهدف ذلك النظام إلى خدمة الطلاب والأساتذة من حيث إدارة المعرفة التعليمية.

وتوصلت الدراسة إلى أن النظام يساهم بكفاءة وفعالية في إدارة المعرفة والمهارات التي يحتاجها الطلاب والأساتذة، كما يحافظ على القدرة التنافسية لقطاع التعليم العالي في سوق صربيا.

(Shari S. C. Shang, 2007) Study: "The Impact of Information Technology on the

الاساليب الفعالة في جمع البيانات والمعلومات، وكونها تتيح فرصة أكثر للحصول على المعلومات بشكل مباشر فضلا عن توضيح أبعاد فقرات الاستبيان ومضمونه والاستفسارات عن بعض العبارات.

7-1 حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: حيث تم تطبيق هذه الدراسة على قطاعين في سطيف حسب المؤسسات المعتمدة على التعليم الإلكتروني، والتي هي القطاع الخدمي حيث تم الاعتماد على (18 مؤسسة)، القطاع الصناعي (12 مؤسسة)، وهي مزيج بين المؤسسات العامة والخاصة.

- الحدود الزمنية: حيث تم تطبيق هذه الدراسة في الفترة من بداية جانفي 2015 إلى نهاية أفريل 2015، وهي الفترة التي تم من خلالها الحصول على البيانات الخاصة بالجانب التطبيقي.

- الحدود البشرية: عينت الحدود البشرية في الإطار في وظيفة الموارد البشرية التي تعتبر مسؤولة عن أنظمة التعليم الإلكتروني، ومستفيدة من هذه الاخيرة في كل المؤسسات.

8-1 أدوات التحليل: لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل

البيانات المجمعة تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية الإصدار 22 والذي يرمز له SPSS22، وبالنظر إلى نموذج الدراسة فإن أنسب المقاييس التي تتطلبها الدراسة هي:

أ- اختبار ألفا-كرونباخ: لحساب معاملات ثبات الاستبانة، ومعامل ثبات كل محور من محاور الدراسة.

ب- اختبار One sample t test: لتحليل فقرات الاستبانة وفرضيات الدراسة.

ج- معادلات ونماذج الانحدار: تعبر هذه النماذج والمعادلات عن وجود الدلالة الإحصائية لتأثير التعليم الإلكتروني على تطوير رأس المال الفكري، وهي أهم المقاييس التي اعتمدنا عليها لأنها تبين لنا بدقة أي من المتغيرات المستقلة تؤثر أكثر على المتغير التابع.

د-معامل التحديد (R²): يبين لنا هذا المعامل النسبة التي يؤثر بها المتغير المستقل على المتغير التابع

عملية نقل المعرفة ، وتحسين المهارات وكفاءات الموظفين ، كما انه يساهم في خلق أصول غير ملموسة جديدة.

المحور الثاني: الإطار النظري للدراسة

1- مفهوم رأس المال الفكري

على الرغم من إدراك شركات الاستثمار الرائدة لأهمية رأس المال الفكري ، إلا أنها تعاني من مشكل تعريفه الذي يعتبر مفهومه في كثير من الأحيان غامض ، لذلك فإن معظم المنظمات تركز في تعريف رأس المال الفكري على جوانب معينة كالاستشارات القانونية لكيفية لحماية الملكية الفكرية ، (joia, 2007, p. 2) .

1-1 تعريف رأس المال الفكري:

يعرفه رالف ستاير مدير شركة جونسون على أنه القدرة العقلية التي تمثل الثروة الحقيقية للمنظمات (العنزي ، 2009 ، صفحة 15) والموجودات الفكرية التي تتجاوز قيمتها قيمة الموجودات الأخرى في الميزانية العمومية (Bosile, 3 p. 2009) ، وهو يمثل جميع الموارد الملموسة وغير الملموسة والتي تجسد أصول المعرفة والتي تتكامل مع بعضها البعض لبناء الكفاءة والمهارات التي تعمل على خلق القيمة (joia, 2007, p. 36).

وعموما نستنتج أن رأس المال الفكري يتضمن الموارد الملموسة وغير الملموسة ، والتي تجسد أصول المعرفة والتي أنشأتها الإجراءات الفردية والجماعية ، والتي تتكامل مع بعضها البعض لبناء الكفاءات والمهارات التي تعمل على خلق القيمة للمؤسسة

2-1 أهمية رأس المال الفكري: وتبين الدلائل التالية

الأهمية الاستراتيجية لرأس المال الفكري التي توضحها الإحصاءات التالية:

أ- المنزلة الرفيعة: لقد فضل الخالق جلت قدرته البشر على سائر المخلوقات الأخرى ومنحهم نعمة العقل والتفكير ، حيث أعطى أصحاب العقول والألباب موقعا هاما ، حيث ذكر هاتان الكلمتان في 161 آية موزعة على 4 سور كريمة (العنزي ، 2009 ، صفحة 172).

ب- بدراسة الوضع المالي لشركة IBM تبين أن القيمة السوقية لشركة سنة 2000 وصلت إلى 7.70 بليون

Management of Intellectual Capital in the Banking Industry"

"تأثير تكنولوجيا المعلومات على إدارة رأس المال الفكري في الصناعة المصرفية": سعت الدراسة للإجابة على سؤالين: ما هي أنواع رأس المال الفكري التي تتأثر بتكنولوجيا المعلومات؟ وكيف يمكن أن تؤثر هذه التكنولوجيا؟ وذلك من خلال تحليل مؤشرات رأس المال الفكري للصناعة المصرفية بتايوان ، باستخدام نموذج عملية المدخلات والمخرجات.

وقد أجريت الدراسة على 12 بنك في تايوان ، وتمت مع المديرين الذين تراوحت خبرتهم من 5 سنوات إلى 30 سنة ، وتوصلت الدراسة أن متغير القدرات الإدارية لرأس المال الفكري التي تضم كل من: إدارة المخاطر ، إدارة الجودة الشاملة ، الاستفادة من الفرص الجديدة ، إدارة التسويق ، تلبية احتياجات العملاء ، هي التي تتأثر بشكل كبير من قبل تكنولوجيا المعلومات ، ذلك أنها تؤثر على دعم عملية صنع القرارات ، في حين تتأثر المتغيرات المتبقية والمتمثلة في القيادة ، الثقافة التنظيمية ، القدرات المهنية للموظفين ، والشركاء الاستراتيجيين ، بطريقة غير مباشرة من خلال تكنولوجيا المعلومات ، حيث أن التكنولوجيا توفر بنية تحتية تساعد على الربط بسهولة مع الشركاء الاستراتيجيين ، كما تؤثر بشكل قوي على القدرات المهنية للموظفين من خلال أنظمة التعليم.

Stady: "E-learning as a Strategy of Acquiring a Company's Intellectual Capital, Poland" (K.Jerzy, S.Olga, 2010)-

هدفت هذه الدراسة لتحليل العلاقة بين التعليم الإلكتروني وإنشاء رأس المال الفكري في المنظمات البولندية ، وقد أجريت الدراسة على 92 منظمة في الفترة الممتدة من 2009 إلى 2010 ، وتم الاعتماد في عملية التحليل على نموذج SWOT الذي يحدد نقاط القوة والضعف والفرص التهديدات للتعليم الإلكتروني ، وتوصلت الدراسة إلى أن التعليم الإلكتروني يقلل من التكاليف ويعتبر أكثر مرونة مقارنة بالتعليم التقليدي ، كما أنه يساهم بدرجة كبيرة في

المادي وغير الملموس (إيمان ، 2000) ، وهو يمثل قوة عقلية مصادرها المعرفة ، المهارة والخبرة (Malhotray, 2003) ، ويتكون رأس المال البشري من الابتكار والذي يمثل القدرة العقلية على تقديم حلول جديدة ، الكفاءة التخصصية والتي تعبر عن المستوى التعليمي والخبرة ، المقدرة الاجتماعية وهي القدرة على الاتصال والتعامل مع الآخرين (Lothgren,) (1999)

ب- رأس المال الهيكلي: والذي يعبر عن القدرات التنظيمية (Mazlan, 2005, p. 5) ، وأصول البنية التحتية (Bontis, 1999) ، ويتكون من رأس مال هيكلي خارجي يشمل الأصول التي تجذب وتحفز الأفراد خارج المنظمة ، رأس مال هيكلي داخلي والذي يشمل كل ما يتعلق بكفاءة العمليات الداخلية (Mayo, 2001, p. 33) ، ورأس مال الابتكار والذي يشمل كل من براءات الاختراع وإدارة العلامة التجارية (Vanlyl, 2005)

ج- رأس مال زبوني: والذي يتمثل في القيمة المشتقة من الزبائن الراضين ذوو الولاء ، والموردين المعول عليهم والمصادر الخارجية الأخرى (نجم ، 2001 ، صفحة 147) وهو يمثل مصادر المعرفة المستمدة من خلال شبكة العلاقات (Nahapiet, 1998)

2- التعليم الإلكتروني:

1-2 تعريف التعليم الإلكتروني:

إن التعليم الإلكتروني هو التعليم باستخدام الحواسيب الآلية وبرمجياتها المختلفة ، سواء على شبكات مغلقة أو شبكات مشتركة ، أو شبكات الأنترنت ، (Wikipedia) وهو الحل التقني لمشكلة إيجاد أداة لتغطية حاجات مجموع المتعلمين (Elib Cohen, 2006).

2-2 منافع التعليم الإلكتروني: يساعد التعليم

الإلكتروني على اختصار المسافة والوقت والتفاعل في الوقت الحقيقي بين المتعلمين والمدرسين ، كما يسمح بالدخول إلى أحدث المواقع ذات العلاقة بالمواد المراد تعلمها ، (Terry Enderson, 2004, p. 5) كما أنه يوفر كل من سهولة إجراءات التعليم ، جودة وفعالية التعليم ، التحفيز والاحتفاظ بالموظفين المهووبين (Teresa Torres Coronas, 2005)

دولار ، في حين كانت القيمة الدفترية 7.16 بليون دولار ، ويرى العديد من الباحثين أن الفرق بين القيمتين يرجع إلى رأس المال الفكري الخاص (Prusat & Cohen, June, 2001)

ج- توصل معهد The Brooking Research Instute للأبحاث عام 1996 إلى أن رأس المال الهادي للمنظمة يمثل 62% من قيمتها ، وفي عام 2002 أشارت إحدى الدراسات إلى انخفاض هذه النسبة حتى وصلت إلى 38% ، وما زالت في الانخفاض كلما زاد الاهتمام وإدراك المديرين لرأس المال الفكري للمنظمة (Williams, 2002, p.) (48)

د-أسفرت نتائج استقصاء رؤساء مجالس إدارة الشركات الكبيرة الحجم في الولايات المتحدة الأمريكية ، أن رأس المال الفكري يعد أكثر الأصول أهمية ، وأنه أساس النجاح في القرن الواحد والعشرين ، فيما فسرت الدراسة بأن تلك النتيجة تعد دليلاً على إدراك المديرين أن نجاح المنظمة ودعم قدرتها التنافسية ينتج عن رأس المال الفكري وكافة الأصول المعتمدة على المعرفة (Wiig, 2000)

1-3 مكونات رأس المال الفكري: هناك عدة

تصنيفات قدمت لرأس المال الفكري ، حيث تم اعتباره كيان متعدد الأبعاد رأس مال إنساني ، اجتماعي ، تنظيمي (Subramaniam, 2005) ، أيضا النظام الذي طوره ووضعته (Malon, Edvinsson) ، لشركة التأمين سكانديا وتضمن خمس مجموعات: الأولى تتعلق بالجوانب المالية ، والأربعة الأخرى تكون رأس المال الفكري والتي تتعلق بالتجديد والتطوير ، العمليات ، الزبون ، ورأس المال البشري (Malone, 1997, pp. 35-34) ، وكذا نظام التدقيق لكارل إيريك سفيبي (K. E. Sveiby) والذي قسمه إلى كفاءة العاملين ، الهيكل الداخلي والهيكل الخارجي (Sveiby,) (1997, p. 42).

تصنيف توماس ستيوارت والذي صنف رأس المال الفكري إلى ثلاث مكونات (Thomas, 1997, p. 35):

أ- رأس المال البشري: والذي يشير إلى قدرات الموظف والتي تمثل مصدر فريد الابتكار والتجديد التنظيمي (Youndt, 2004) ، ويشير أيضا رأس المال الفكري غير

"KnowledgeLink"، وواجهة تطبيق منفصلة تسمى "erLink Pow" تسمح بالوصول إلى العملاء والشركاء.

وفي ما يلي يتم عرض مختلف أدوار نظم إدارة التعلم في تطوير رأس المال الفكري:

أولاً: دعم إدارة التدريب وتنوع المتعلمين ضمن سياقات التعلم المتنوعة:

1-دعم إدارة التدريب:

أحد الأدوار الرئيسية لنظم التعلم هو دعم إدارة التدريب (Barron، 2000) حيث تعمل "KnowledgeLink" على تسهيل أتمتة مهام إدارة التدريب ثم إضافة القيمة بفضل وظيفة إدارة الفهارس، حيث يعمل المدربون على إدخال تفاصيل فصول التدريب القادمة، ودعوة الأفراد للتسجيل في دورات على الانترنت لمزيد من التدريب، واستخدام النظام لتسجيل وتتبع التفاصيل.

والمجالات المدعومة غالباً من "KnowledgeLink" في مجال إدارة التدريب هي (Wagner، 2000):

أ- تسجيل التدريب: يمكن للموظفين الانخراط في دورة أنشطة التعلم في العديد من المجالات، من خلال النقر على عنوان المنتج عند عرض الخيارات لتطوير الكفاءات الوظيفية مع البحث في فهارس التعلم.

ب- تخطيط (جدولة) التدريب: المدرب يقوم بقيادة الأقسام حسب ما هو مقرر من "KnowledgeLink" مع إعطاء الرؤية المحتملة لجميع المتدربين عن التدريبات القادمة لمن يرغب في الحضور.

ج- تقديم التدريب: تستخدم "KnowledgeLink" كبوابة مركزية لتوفير الدورات الالكترونية ومحتوى التعليم الالكتروني.

د- إختيار وتتبع التدريب: في حين أن الكثير من الاختبارات ما قبل التعلم، حيث يتم اختبار ما بعد التعلم كل من التعليم الالكتروني، التعليم القائم على الفصول الدراسية خارج النظام (إما كجزء من محتوى التعليم نفسه أو من خلال Mark Quetion، ويتم تسجيل النتائج وتعبئها

2-3 أنواع التعليم الإلكتروني: تصنف على وجود

المتعلم والمعلم في نفس الوقت أو العكس وكذلك مكان تواجدهم وهي (Strohmer, 2010):

أ-التعليم الإلكتروني المتزامن: التعليم الإلكتروني

المتزامن ((Synchronous e-Learning وهو التعليم على الهواء أو المباشر الذي يحتاج إلى وجود المتعلمين في نفس الوقت أمام أجهزة الكمبيوتر، لإجراء النقاش والمحادثة بين المتعلمين أنفسهم، وبينهم وبين المعلم، ويتم هذا النقاش بواسطة مختلف أدوات التعليم الإلكتروني وهي: اللوح الأبيض، الفصول الافتراضية، المؤتمرات عبر الفيديو، الصوت، غرف الدردشة.

ب-التعليم الإلكتروني غير المتزامن:

((Asynchronous e-Learning هو تعليم غير مباشر، لا يحتاج إلى وجود المتعلمين في نفس الوقت حيث يتمكن المتعلم من الحصول على الدراسة حسب الأوقات المناسبة له وبالجهد الذي يرغب في تقديمه، يستعمل أدوات مثل البريد الإلكتروني، صفحات الويب (التي من الممكن أن تحتوي على نصوص، صور، أصوات، مرئيات فيديو، صور متحركة، وبرامج تفاعلية)، مجموعات النقاش، الأقراص المدمجة.

ج- التعليم المختلط: يستعمل المتزامن تارة وغير

المتزامن تارة أخرى، حسب النشاطات المقترحة من طرف المعلم، فهو يعطي للمتعلم أكثر حرية و يحقق نوعاً من الاجتماعية في التعليم .

3- دور التعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال

الفكري

يعرض هذا الجزء الأدوار التي تلعبها نظم إدارة التعلم في تطوير رأس المال الفكري من خلال عملية تسيير إدارة التعلم لرفع مستوى معرفة الموظف، وتحسين إدارة تدفق المعلومات وتطوير الكفاءات، كما يستخدم النظام في رصد التدريب الفردي، وتطوير الشخصي للموظفين.

أنظمة إدارة التعلم يمكن الوصول إليها عبر شبكة الأنترنت، ومن خلال شبكة خاصة افتراضية يتم تكييفها من قبل المنظمة، حيث يمكن للموظفين التوقيع على النظام مع واجهة تطبيق ويب محددة تسمى رابط المعرفة

القسم، أما من خلال "Knowledgelink" فيتم تقييم الكفاءات باستخدام نماذج الكفاءة للدور القائم، وبالتالي يمكن للمدربين تحديد الاحتياجات التدريبية لكل نوع من الدور الوظيفي، بعد ذلك يمكنهم وضع خطة التدريب لتلبية تلك الاحتياجات، ويمكن القول أنه من وجهة نظر الإدارة فمن الممكن للمدير الحصول على صورة شاملة على مستويات الكفاءة داخل الإدارة لتمكينه من تحديد الثغرات في الكفاءة، وبالتالي سوف تسمح للمدير بمعرفة مستويات الكفاءة داخل إدارته ومقارنتها مع باقي الإدارات.

✓ الثانية: من الأسفل إلى الأعلى: حيث "Knowledgelink" تسهل عملية تقييم الكفاءة التي تمكن الموظفين من تحديد الثغرات وأوجه القصور في مستويات كفاءاتهم، مما يتعلق بنموذج الكفاءة المرتبطة بالدور الوظيفي الخاص بهم، ويمكن للمتعلّمين تحديد خيارات التنمية التي من شأنها تطوير النقص في الكفاءة المرتبط، أو الخاضعة لملاحظات سلبية من قبل المديرين، ويمكن للمتعلّم أداء أنشطة التعلم اللازمة لاكتساب الكفاءة، وتحدد خطط تطوير هذه المعرفة المسبقة للتدريب، وبالتالي تسهيل السيطرة على التدريب..

2- تفعيل تناسق التعلم في جميع أنحاء المنظمة:

تسهل "Knowledgelink" التناسق والتماسك من خلال نماذج الكفاءة القياسية لتعريف وتحديد خطط التطوير التي يتم بناؤها من أجل تحقيق الكفاءات المحددة في نموذج الكفاءة (Greenberg، 2002)

بالإضافة إلى ذلك على الرغم من أن البرنامج لم يقدم بعد لجميع الأدوار، حيث يتم توفير المناهج الدراسية، وخرائط التدريب، ونظام المفاتيح التقني والمبيعات وخدمة العملاء، وأنها يمكن أن تستخدم لتوجيه سلسلة خطط التطوير، حيث يقول مدير "Knowledgelink" في مؤسسة CEM: "على الرغم من أن "Knowledgelink" لا توفر خطة تطوير التعلم للمنظمة بأكملها، ... ومع ذلك تمكن من تقديم تقرير عن حالة جميع مستويات الكفاءة، وهذه يمكن تحليلها يدويا من أجل وضع خطة تطوير التعليم بشكل عام"

المحور الثالث: الإطار العملي للبحث

على "Knowledgelink"، ويمكن الاطلاع عليها في محضر نشاط التعلم ويتم الاحتفاظ بها لكل طالب.

2- دعم تنوع المتعلمين ضمن سياقات التعلم

المختلفة:

إن من أهم العوامل الرئيسية لنجاح أنظمة إدارة التعلم هي القدرة على تنوع المتعلمين ضمن سياقات التعلم المختلفة، حيث نجد أن "Knowledgelink" تدعم عدد كبير من المتعلمين مع الأدوار المختلفة، والمسؤوليات والاحتياجات التدريبية في جميع أنحاء المنظمة، حيث أن رابط المعرفة "Knowledgelink" يتيح الوصول إلى مستودع مركزي كبير من المعلومات التعليمية المنظمة بطريقة هيكلية، حيث يمكن للأفراد تحديد توصيات مراجع عبر "Knowledgelink"، ويوفر النظام أيضا توجيه المسارات من خلال الدورات التدريبية، وتشمل الدورات المدعومة، الدورات التقنية، زيادة الدورات الموجهة لخدمة العملاء وزيادة المبيعات، ودورات تنمية المهارات الفردية، ... وغيرها الكثير.

ثانيا: تسهيل تطوير الكفاءات وتفعيل تناسق

التعلم في كافة أنحاء المنظمة:

1-تسهيل تطوير الكفاءات:

يسمح نظام إدارة التعلم برسم خرائط الكفاءات، وتسهيل مسارات رسم الخرائط للتطوير الوظيفي من خلال قياس مستوى كفاءة الفرد، ثم توجيه المتعلم إلى المسار الأنسب لملي أي فجوة من المهارات، حيث نظم إدارة التعلم لتتيح رسم خرائط المعرفة والمهارات اللازمة لتطوير رأس المال البشري (Brennan، 2001)، حيث تعمل "Knowledgelink" بتسهيل تطوير الكفاءات بطريقتين:

✓ الأولى: من الأعلى إلى الأسفل: حيث تستخدم "Knowledgelink" لأتمتة عمليات تحليل الاحتياجات التدريبية، وبالتالي مركزية التخطيط والتدريب، حيث نجد في العمل التقليدي للتدريب أن المديرين يقومون بمسح مهارات وقدرات الموظفين داخل كل قسم، وتتم عملية جمع النتائج على جداول أكسل، وفي وقت لاحق تتم صياغة خطط التدريب لمعالجة الاحتياجات التدريبية الأساسية لهذا

1- اختبار ثبات الدراسة الميدانية:

يقصد بثبات الاستبيان الاستقرار في نتائجه فيما لو تم توزيعه على أفراد العينة مرة أخرى، وتحت نفس الظروف، وتم استخدام للتحقق من ثبات الاستبيان، معامل ألفا كرونباخ لجميع مجالات الدراسة، وللحصول على أداة قادرة على جمع معلومات دقيقة لا بد أن تكون تلك الأداة لها القدرة على إعطاء إجابات ثابتة نسبياً، وللتحقق من درجة ثبات المقياس قمنا بتوزيع الاستبيان على عينة مكونة من (120) فرد من المؤسسات محل الدراسة، وقد تم حساب معامل ألفا- كرونباخ باستخدام برنامج SPSS ibm 22، وكانت النتائج موضحة في:

اسم المتغير	التعليم الإلكتروني	رأس المال الفكري
عدد المفردات	9	44
الفا-كرونباخ	8950,	9630,

المصدر: اعتماداً على مخرجات SPSS 22

نتائج تحليل البيانات المتعلقة بمدى اعتماد التعليم الإلكتروني
جدول رقم 03: مدى اعتماد المؤسسات محل الدراسة على التعليم الإلكتروني

الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي "t"	الدلالة مستوى	القرار
1- يتم تحديد الاحتياجات التدريبية إلكترونياً داخل مؤسستكم.	2.82	86.	10,43	0.00	دالة (تعتمد بدرجة كبيرة)
2- تستعمل مؤسستكم أنظمة التعلم عن بعد في مجال العمل.	2.15	99.	1.74	0.08	غير دالة (لا يتم الاعتماد عليها)
3- تتوفر مواد تعليمية إلكترونية على الشبكة الداخلية لمؤسستكم.	2.24	1.09	2.42	0.01	دالة (تعتمد بدرجة كبيرة)
4- تتوفر برامج تعليمية إلكترونية على الشبكة الداخلية لمؤسستكم.	2.20	1.06	2.152	0.03	دالة (تطبق)
5- توفر مؤسستكم خدمات المراسلات الإلكترونية للموظف.	2.88	1.09	8.84	0.00	دالة (تعتمد بدرجة كبيرة)
6- تتوفر خدمة المؤتمرات المرئية التفاعلية عبر الويب لدى مؤسستكم لتدريب الموظفين.	1.40	1.04	6.22-	0.00	دالة (تعتمد بدرجة ضعيفة)
7- توفر مؤسستكم مساحة لهنتديات النقاش على الشبكة الداخلية.	2.17	1.05	1.81	0,07	غير دالة (لا يتم الاعتماد عليها)
8- توفر مؤسستكم بوابة فرعية مخصصة لاكتساب المعارف الجديدة من قبل الموظفين.	2.78	0.92	9.25	0.00	دالة (تعتمد بدرجة كبيرة)
9- توفر مؤسستكم برامج خاصة على بوابة الموارد البشرية تسمح للموظفين من تحديد مساراتهم التدريبية.	2.27	1.02	2.92	0.04	دالة (تعتمد)
المجموع	20.35	3.91	5.31	0.00	دالة (تعتمد)

بانحراف معياري قدره (3.91)، وهو أكبر من المتوسط الفرضي الذي قدره (18)، وما يؤكد ذلك قيمة "t" المحسوبة والمقدرة ب(5.31)، وهي دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة قدره (0.00)، وهي دلالة واضحة إلى مدى اعتماد المؤسسات محل الدراسة التعليم الإلكتروني وذلك من خلال تحديد الاحتياجات التدريبية إلكترونياً، وتوفير خدمة المراسلات الإلكترونية للموظفين، بالإضافة إلى توفير برامج خاصة على بوابة الموارد البشرية تسمح للموظفين من تحديد مساراتهم التدريبية، حيث نجد أن هذه البرامج يتم اعتمادها فقط من قبل البنوك

* يتم اتخاذ القرار بشأن دلالة النتائج لكل العبارات عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0,05).

* المتوسط الفرضي لكل عبارة هو (02) [5/(4+3+2+1+0)]، أما للمحور ككل فهو (18) [9×2].

المصدر: اعتماداً على مخرجات برنامج SPSS 22

تم قياس واقع المتغير المستقل التعليم الإلكتروني في المؤسسات محل الدراسة من خلال تسع فقرات، ولتحديد الأهمية الإجمالية لمدى اعتماد التعليم الإلكتروني تم تحديد المتوسط الحسابي لمجموع فقراته كما هو موضح في الجدول رقم (03)، حيث بلغ (20.35)،

التعليم غير المباشر للموظفين ، وكذا لسهولة استخدامها وسرعة الحصول على المعلومة ، على عكس كل من سوسييتي جنرال ، BNP PARIBAS ، وأكسا للتأمينات ، التي تعتمد على مثل هذه المحطات .

■ أما فيما يخص العبارات التي لا تعتمد من قبل المؤسسات محل الدراسة والتي متوسطها الحسابي قريب جدا من المتوسط الفرضي (2) وقيمة "t" لتلك العبارات غير دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة تفوق (0.05) ، وهي استعمال المؤسسات أنظمة التعلم عن بعد في مجال العمل ، وكذا توفير مساحة لمنتديات النقاش على الشبكة الداخلية ، وتعلل الباحثة ذلك أن مستوى استخدام تكنولوجيا المعلومات مازال محدودا جدا في مثل هذه المجالات ، حيث يتم التركيز فقط على أتمتة الأعمال الروتينية المتعلقة بأنظمة الأجور ، الحضور والانصراف والتي تعتبر مكلفة وتأخذ الكثير من الوقت .

2- تحليل نتائج اختبار فرضيات تأثير التعليم الإلكتروني على تطوير رأس المال الفكري
1-2 اختبار الفرضية الأولى: تأثير التعليم الإلكتروني على تطوير رأس المال البشري:

جدول 04: نتائج اختبار معنوية معاملات الانحدار البسيط للمتغير التابع تطوير الأسهمال البشري

معامل التحديد R ²	اختبار (t)		اختبار F		معادلة الانحدار		
	مستوى المعنوية	F	مستوى المعنوية	F	المعاري الخطأ	المعاملات	
28.9%	0.00	6.64	0.00	47.856	3.25	62.21	الثابت (باقي العوامل الأخرى)
	0.00	6.91			0.19	1.37	التعليم الإلكتروني

"t" المحسوبة (6.91) الدالة عند درجات حرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة قدره (0.00) ، هذا يعني أن أنظمة التعليم الإلكتروني المعتمدة من قبل المؤسسات تساهم بشكل إيجابي في زيادة معرفة وخبرة الموظفين ، وكذا تطوير لقدراتهم الإبداعية ، ودعم قدراتهم في تقديم حلول جديدة ومبتكرة ، والتي تساهم في تطوير العمل ، والمساعدة في تطوير كفاءاتهم وتنمية مهاراتهم الفردية ، والتي

الخاصة ، إذ لاحظنا من خلال المقابلات التي تم إجراؤها مع الموظفين أن معظمهم لا يعرفون حتى هذه الأنظمة ولا كيفية عملها ، ويرجع ذلك إلى إهمال مديري بعض المؤسسات العامة ، وعدم استغلال التطور التكنولوجي في هذا المجال بالشكل الذي يرفع من إنتاجية الموظفين ، أيضا توفر المؤسسات محل الدراسة بوابة فرعية مخصصة لاكتساب المعارف الجديدة من قبل الموظفين ، إذ نجد أنها تعتمد بدرجة كبيرة في المؤسسات الخاصة أما المؤسسات العامة فإنها تعتمد على بوابة تحتوي على بعض الكتب والتقارير الخاصة بالعمل فقط والتي نادرا ما يتم اللجوء إليها ، مثل مؤسسة الرياض سطيف ، مؤسسة الشبكة الوطنية للغاز ، k-plast ، ومعظم المؤسسات الصناعية .

■ أما فيما يخص العبارة التي نادرا ما تعتمد والتي متوسطها الحسابي أقل من المتوسط الفرضي (2) وقيمة "t" لتلك العبارة دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة أقل من (0.05) ، وهي استعمال المؤسسات لخدمة المؤتمرات المرئية التفاعلية عبر الويب لتدريب الموظفين ، وهي عبارة عن برامج تعمل كمحطات تعليمية بالصوت والصورة والعرض المباشر للتطبيقات المختلفة مع إمكانية التفاعل الحي بالنص أو الصوت ، حيث نجد أن هذه الخدمة لا يتم الاعتماد عليها من معظم المؤسسات ، وتعلل الباحثة ذلك لعدم إدراك المؤسسات محل الدراسة للأهمية والمزايا التي تقدمها هذه المؤتمرات في

المصدر: اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS22

نلاحظ من خلال الجدول أن نتائج هذا الجدول مقبولة إحصائيا حيث بلغت قيمة "F" (47.85) وهي دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) ، وبمستوى دلالة قدره (0.00) ، أي هناك دور كبير للمتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) في تطوير المتغير التابع (رأس المال البشري) (في المؤسسات محل الدراسة ، إذ بلغت قيمة

مستوى دلالة (0.00) بقيمة T^{***} المحسوبة والمقدرة ب(6.64).

إذا اعتماد المؤسسات للتعليم الإلكتروني له دورا إيجابيا في تطوير رأس المال البشري.

وعليه نقبل فرضية وجود دور إيجابي للتعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال البشري بدرجة عالية.

1-2 اختبار الفرضية الثانية: تأثير التعليم الإلكتروني على تطوير رأس المال الهيكلي:

جدول 05: نتائج اختبار معنوية معاملات الانحدار

البيسط للمتغير التابع تطوير رأس المال الهيكلي

معامل التحديد R^2	اختبار (T)		اختبار F		معادلة الانحدار		الثابت (باقي العوامل الأخرى)
	مستوى المعنوية Sig	T	مستوى المعنوية Sig	F	الخطأ المعياري	المعاملات B	
45.5%	0.00	6.97	0.00	98.68	2.132	14.88	التعليم الإلكتروني
	0.00	9.93			0.130	1.29	

الهيكلية)، أي أنه كلما اعتمدت المؤسسات على التعليم الإلكتروني فإن هذا يؤدي إلى تطوير رأس المال الهيكلي، وهذا المتغير المستقل يفسر حسب معامل التحديد (R^2) المقدر ب(45.5%) من التباين في المتغير التابع، أي أن (45.5%) من التغيرات على مستوى رأس المال الهيكلي سببه تغيرات على التعليم الإلكتروني، بالإضافة إلى تأثير الثابت الموجود والذي يشير إلى باقي العوامل الأخرى التي لم تؤخذ بعين الاعتبار في الدراسة عند مستوى دلالة (0.00) بقيمة t^{***} المحسوبة والمقدرة ب(6.97)، إذا اعتماد المؤسسات للتعليم الإلكتروني له دور إيجابي في تطوير رأس المال الهيكلي.

وعليه نقبل فرضية وجود دور إيجابي للتعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الهيكلي بدرجة عالية.

2-3 اختبار الفرضية الثالثة: تأثير التعليم الإلكتروني على تطوير رأس المال العملاء:

جدول 06: نتائج اختبار معنوية معاملات الانحدار

البيسط للمتغير التابع تطوير رأس المال العملاء

تصب كلها في تطوير رأس المال البشري، وما يؤكد ذلك قيمة المعامل "B" والتي تشير إلى أن التغير في قيمة المتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) بوحدة واحدة يقابله تغير بمقدار (1.37) في المتغير التابع (رأس المال البشري)، أي أنه كلما اعتمدت المؤسسات على التعليم الإلكتروني فإن هذا يؤدي إلى التطوير في رأس المال البشري، وهذا المتغير المستقل يفسر حسب معامل التحديد (R^2) المقدر ب(28.9%) من التباين في المتغير التابع، أي أن (28.9%) من التغيرات على مستوى رأس المال البشري سببه تغيرات على مستوى التعليم الإلكتروني، بالإضافة إلى تأثير الثابت الموجود والذي يشير إلى باقي العوامل الأخرى التي لم تؤخذ في الدراسة عند

المصدر: اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS 22

نلاحظ من خلال الجدول أن نتائج هذا الجدول مقبولة إحصائيا حيث بلغت قيمة F^{***} (98.68) وهي دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05)، بمستوى دلالة (0.00) أي هناك دور كبير للمتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) في تطوير المتغير التابع (رأس المال الهيكلي) في المؤسسات محل الدراسة، إذ بلغت قيمة t^{***} المحسوبة (9.93) الدالة عند درجات حرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة قدره (0.00)، وهذا يعني أن التعليم الإلكتروني في المؤسسات محل الدراسة يساهم بشكل إيجابي في بناء البنية التحتية توفير المعرفة والصريحة والمقننة داخل شبكات التواصل التي تساعد على تسهيل وتسريع عملية الحصول على المعلومات وتبادل المعارف، أيضا الاعتماد على البرمجيات للحصول على المعارف الجديدة، والتعليم الإلكتروني يتيح الوصول إلى مستودع مركزي كبير من المعلومات التعليمية المنظمة بطريقة هيكلية، والتي تصب كلها في تطوير رأس المال الهيكلي للمؤسسات محل الدراسة، وما يؤكد ذلك قيمة المعامل "B" والتي تشير إلى أن التغير في قيمة المتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) بوحدة واحدة يقابله تغير بمقدار (1.29) في المتغير التابع (رأس المال

معامل التحديد R ²	اختبار (T)		اختبار F		معادلة الانحدار		
	المعنوية Sig	T	المعنوية Sig	F	الخطأ المعياري	المعاملات B	
15.9%	0.00	8.69	0.00	22.26	2.57	22.41	الثابت (باقي العوامل الأخرى)
	0.00	4.71			0.15	0.74	التعليم الإلكتروني

رأسمال العملاء ، أي أنه كلما اعتمدت المؤسسات على التعليم الإلكتروني فإن هذا يؤدي إلى تطوير رأسمال العملاء ، وهذا المتغير المستقل يفسر حسب معامل التحديد ((R² المقدر بـ(15.9%) من التباين في المتغير التابع ، أي أن (15.9%) من التغيرات على مستوى رأسمال العملاء سببه تغيرات في التعليم الإلكتروني ، بالإضافة إلى تأثير الثابت الموجود والذي يشير إلى باقي العوامل الأخرى التي لم تعتمد في الدراسة عند مستوى دلالة (0,00) بقيمة "t" المحسوبة والمقدرة بـ(8,69) ، إذا اعتماد المؤسسات للتعليم الإلكتروني له دور إيجابي في تطوير رأس المال العملاء.

وعليه نقبل فرضية وجود دور إيجابي للتعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال العملاء بدرجة عالية.

4-2 اختبار الفرضية ككل: تأثير التعليم الإلكتروني

على تطوير رأس المال الفكري

جدول 07 : نتائج اختبار معنوية معاملات الانحدار

للمتغير التابع تطوير رأس المال الفكري

معامل التحديد R ²	اختبار (T)		اختبار F		معادلة الانحدار		
	المعنوية Sig	T	المعنوية Sig	F	الخطأ المعياري	المعاملات B	
35.2%	0.00	8.44	0.00	64.16	6.97	58.91	الثابت (باقي العوامل الأخرى)
	0.00	8.01			0.42	3.41	التعليم الإلكتروني

(0.05) بمستوى دلالة قدره (0.00) ، وتشير قيمة المعامل B^{***} إلى أن التغير في قيمة المتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) بوحدة واحدة يقابله تغير بمقدار (3.41) في المتغير التابع رأس المال الفكري ، أي أنه كلما اعتمدت المؤسسات على التعليم الإلكتروني فإن هذا يؤدي إلى تطوير رأس المال الفكري ، وهذا المتغير المستقل يفسر حسب معامل التحديد ((R² المقدر بـ(35.2%) من التباين في المتغير التابع ، أي أن (35.2%) من التغيرات على مستوى رأس المال الفكري سببه تغيرات على التعليم الإلكتروني ،

المصدر: اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS 22

نلاحظ من خلال الجدول أن نتائج هذا الجدول مقبولة إحصائيا حيث بلغت قيمة F^{***}(22.26) وهي دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) ، بمستوى الدلالة (0.00) أي هناك دور كبير للمتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) في تطوير المتغير التابع (رأسمال العملاء) في المؤسسات محل الدراسة ، إذ بلغت قيمة t^{***} المحسوبة (4.71) الدالة عند درجات حرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) بمستوى دلالة قدره (0.00) ، أي أن التعليم الإلكتروني يساهم بشكل إيجابي في نقل المعرفة إلى العملاء والشركاء من أجل فتح آفاق جديدة معهم ، أيضا لجذب وتحسين علاقاتها مع أصحاب المصلحة ، والتي يتم اعتمادها من قبل البنوك الخاصة فقط ، أما باقي المؤسسات فإنها لا تقوم بنقل المعرفة إلى باقي الأطراف (عملاء ، شركاء ، موردون) ، وما يؤكد ذلك قيمة المعامل B^{***} والتي تشير إلى أن التغير في قيمة المتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) بوحدة واحدة يقابله تغير بمقدار (0.74) في المتغير التابع

المصدر: اعتمادا على مخرجات برنامج SPSS 22

نلاحظ من خلال الجدول أن نتائج هذا الجدول مقبولة إحصائيا حيث بلغت قيمة F^{***} (64.16) وهي دالة عند درجات الحرية (119) ومستوى الخطأ (0.05) ، بمستوى الدلالة (0.00) أي هناك دور كبير للمتغير المستقل (التعليم الإلكتروني) على المتغير التابع رأس المال الفكري في المؤسسات محل الدراسة ، إذ بلغت قيمة t^{***} المحسوبة (8.01) الدالة عند درجات حرية (119) ومستوى الخطأ

الهدف العام للمنظم ، والتي تساعد على تطوير رأس المال الفكري.

2- توصيات الدراسة: تقدم الباحثة فيما يلي مجموعة من التوصيات المعتمدة على نتائج الدراسة، آملة من المؤسسات محل الدراسة الأخذ بها للتطبيق الكامل للتعليم الإلكتروني لما يقدمه من مزايا وتأثير إيجابي على تطوير رأس المال الفكري ، وهذه التوصيات هي:

- ضرورة توجه مديري المؤسسات الصناعية العامة ، إلى الاستغلال الأمثل للتطور التكنولوجي في مجال التعليم بما يسمح بتطوير رأس المال الفكري.

- ضرورة استغلال أترانت الموارد البشرية للمؤسسات الصناعية ، في التفاعل الإيجابي بين الموظفين من خلال تبادل مختلف الخبرات والمعارف ، وليس فقط وضعها كمستودع لبعض التقارير.

- ينبغي على المؤسسات محل الدراسة ، وأستبعد هنا كل البنوك الخاصة ، أن تضع نظام تعليم إلكتروني متكامل ومتناسق مع كل الوظائف ، لأهميته الكبيرة في رفع مستوى رضا الموظفين والإدارة ، وتحسين سمعتها التنافسية في القطاع الذي تعمل فيه.

- ضرورة إدماج واعتماد كل ما هو جديد في مجال التعليم الإلكتروني ، وأخص بالذكر خدمة المؤتمرات المرئية التفاعلية لأهميتها البالغة في تدعيم التعليم.

خاتمة

في ضوء دراستنا لموضوع التعليم الإلكتروني ، ورأس المال الفكري ، وإبراز دور هذا الأخير بمكوناته الثلاثة رأس المال البشري ، رأس المال الهيكلية ، رأس المال الزبوني ، بالتعليم الإلكتروني في الجانب العملي خلصنا إلى النتائج التالية:

- إن اعتماد المؤسسات محل الدراسة على التعليم الإلكتروني يلعب دورا إيجابيا في تطوير رأس المال البشري.

- إن اعتماد المؤسسات محل الدراسة على التعليم الإلكتروني يلعب دورا إيجابيا في تطوير رأس المال الهيكلية.

- إن اعتماد المؤسسات محل الدراسة على التعليم الإلكتروني يلعب دورا إيجابيا في تطوير رأس مال العملاء.

بالإضافة إلى تأثير الثابت الموجود والذي يشير إلى باقي العوامل الأخرى التي لم تعتمد في الدراسة عند مستوى دلالة (0.00) بقيمة "t" المحسوبة والمقدرة ب(8.44). ، إذا اعتماد المؤسسات التعليم الإلكتروني له دور إيجابي في تطوير رأس المال الفكري

وعليه نقبل فرضية وجود دور إيجابي للتعليم الإلكتروني في تطوير رأس المال الفكري بدرجة عالية.

المحور الرابع: نتائج وتوصيات البحث

1- نتائج الدراسة: بعد إجراء التحليلات الإحصائية المختلفة لأداة الدراسة واستخدام مجموعة مختارة بعناية من التحليلات للحصول على نتائج دقيقة تتفق مع أهمية الدراسة ومشكلتها ، ومن خلال المقابلات العديدة التي أجرتها الباحثة تم التوصل إلى النتائج التالية:

- توفر المؤسسات محل الدراسة برامج خاصة تسمح للموظفين بتحديد مساراتهم التدريبية إلكترونيا ، كما توفر مجموعة من الكتب والمقالات ، التي تؤثر إيجابا على تطوير الكفاءات والمهارات وبالتالي تطوير رأس المال البشري.

- تعتمد معظم المؤسسات محل الدراسة على بوابة الموارد البشرية توفر مجال لتبادل المعارف والمعلومات ، والتي تساهم في تطوير رأس المال البشري ، وبناء رأس المال الهيكلية.

- تساعد أنظمة التعلم المعتمدة من قبل بعض المؤسسات محل الدراسة على تقديم مجموعة من الاقتراحات والمعلومات عن كيفية تحسين علاقات العميل ، اقتراحات حول منهجيات جذب العملاء ، وهو ما أدى إلى تطوير رأس المال العملاء.

- توفر المؤسسات محل الدراسة خاصة المؤسسات الخدمية (أكسا للتأمينات ، وسوسيتي جينيرال ، BNP PARIS) أنظمة مخصصة لأنشطة التعلم وتحسين المعارف القائمة وتطوير رأس المال الفكري.

- توفر المؤسسات الخدمية مجموعة من التطبيقات الإلكترونية التعليمية تساعد على تحسين معرفة موظفيها من خلال السماح لهم بالدخول والمشاركة في المنتديات التي تدار من قبل استشاريين لديهم خبرة في موضوع معين يخدم

قائمة المراجع باللغة العربية

- تأليف عبد الله عامر الهمامي ، أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته بنغازي: منشورات جامعة قار يونس بنغازي ، (صفحة 172). (1988).
- فؤاد محمد إيمان ، تكوين رأس المال البشري ،. المؤتمر العلمي الثاني والعشرون للاقتصاديين المصريين ، القاهرة: الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء. (2000).
- نجم عبود نجم ، إدارة اللاملموسات ، إدارة ما لا يقاس عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، (صفحة 147)، (2001).
- وآخرون سعد علي العنزي ، إدارة رأس المال لفكري في منظمات الاعمال ، عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، (صفحة 15) ، (2009).

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- Jerzy Kisielnicki and Olga Sobolewska , E-learning as a Strategy of Acquiring a Company's Intellectual Capital, Faculty of Management, Warsaw University, Warsaw, Poland, Interdisciplinary Journal of E-Learning and Learning Objects Volume 6, 2010.
- Ali Zeidi Jodaki, Marjan Abdeyazdan , Employed at Imam Khomeini port Special Economic Zone, Iran. Relationship Between Electronic Learning And Intellectual Capital, International Journal of Technical Research and Applications e-ISSN: 2320-8163, Issue 23 (July, 2015).
- Wikipedia. (s.d.). Consulté le 08 29, 2012, sur The Free Encyclopedia, Jam To: Navigation, Search, For The Term Online Learning: <http://en.wikipedia.org/wiki/E-Learning>,
- Barron. *American Society For Training And Development*. Consulté le 01 15, 2014, sur The LMS Guess, In Learning Cireait: <Http://Www.Learningcircuitsorg/Apr2000/Barron.Html/2000/>
- Bontis, N, managing oragational knowledge diagnosing intelectual capital : framing and advancing the state of the fied. *Int.J technology management, Vol .18.Nos.5/6/7/8* , 447, (1999).
- Bosile .C, *intellectual capital, the intangible assets of Professional développements schools*, (p. 3). USA, state university of New York process, albany: Library of Congress cataloging-in-puplication data, (2009)
- Brennan, M. F. *The Learning Content Management Systems, A New E-Learning Market Segment Emerges*, (2001),Consulté le 12 23, 2013, sur Anidc White Paper: <http://www.icmscouncil.org/resources.html>
- Elib Cohen, E-Learning: An Informing Science Perspective, Interdisciplinary. *Journal of Knowledge And Learning Objects, Volume 2, University Of Economics, Worclaw, Poland, 2*, (2006).
- Greenberg, *LMS And LCMS : What's The Defference ? In Learning Circuits*, (2002), Consulté le 11 10, 2013, sur American Society For Training And Development : <Http://Www.Learningcircuit.Org/Dec2002>
- joia. A, *Strategies for information technology and intellectual capital : challenges and opportunities, information science reference* (p. 2). USA: Hershey PA 17033 ,Library of Congress Cataloging-in-Publication Data(2007).
- Lothgren, *the legal protection of structural capital*, school of economics and comercia: thesis in low of economics and comercial,(1999).

- Malhotray, *measuring knowledge assets of a nation : knowledge systems for development*. New York , united nations advisory meeting of the department of economic and social affairsr, 4-5 settembre , (2003).
- Malone. E, *intellectual capital*, New York: harper business, (pp. 34-35) (1997).
- Mayo. A, *the human value of the entreprise, valuing people as assets-monitoring, measuring managing* London: Nicolas brealey publishing, (p. 33), (2001).
- Mazlan, I. *the influence of intellectual capital on the performance of telecom Malaysia*. Malasia, business advanced technology centre, university technology Malasia: phd, thesis, engineering business management, (2005).
- Nahapiet, J. a, Social Capital, Intellectual Capital, and the Organizational Advantage. *Academy of Management Review*, 23, 242–266, (1998)
- Prusat & Cohen. *how to invest in intellectual capital*. Harvard business review. (june,2001).
- Quevy (R), *Manuel de Recherche en Sciences Sociales*, Paris: Bordas, (pp. 154 - 155),(1988).
- Stefan Strohmiel, (*3^{ed} European Academic Workshop On Electronic Human Ressource Management*. Banberg Germany,2010 .
- Subramaniam, M, The Influence of Intellectual Capital on the Types of Innovative Capabilities. *Academy of Management Journal*, 18(3) , 450–463, (2005).
- Sveiby, *the new organizational wealth : managing and measuring knowledge-based asset* San Francisco: berett-kochle, (p. 42), 1997.
- Teresa Torres Coronas, *e-HumanResources Management: ManagingKnowledge People* • London • Melbourne • Singapore: Hershey, Idea Group Publishing, (p. 173), (2005).
- Terry Enderson, *Theory And Pratic Of Online Learning*Athabasca University: Online-Book, (p. 5), (2004)
- Thomas, *intellectual capital : the new wealth of organization*New York: doubleday, (p. 35), (1997)
- Vanlyl, R.. structural capital management creates sustunable competitiveness and prolonget first-mover advantage. *intellectual capital management series, (articl 3 of 3)*, 85, (2005).
- Wagner, E. , *E-Learning : Where Cognitive Strategies.*. Consulté le 01 20, 2014, (2000).sur Knowledge Management And Infomation Technology Converge,: <http://www.learnativity.com/download/lwo1.pdf>,
- (2000). Dans K. Wiig, *knowledge management : an emerging disipline rooted in a long history* (p. 175). Boston: knowledge horizons, butteworth-heinemann,.
- Williams, S, *is a company's intellectual capital performance & intellectual capital disclosure practices related ?* (p. 48). evidence from publicly listed companies for the FTSE 100. (2002)
- Youndt, M. a. Human Resource Configurations, Intellectual Capital and Organizational Performance. *Journal of Managerial Issues*, 16(3), 337–360, (2004).

الملحق رقم 01: قائمة المؤسسات محل الدراسة

المؤسسة	طبيعة الملكية	نوع القطاع
1- المؤسسة الوطنية لأجهزة القياس والمراقبة AMC	عامة	صناعي
2- المؤسسة الوطنية BCR	عامة	صناعي
3- الشبكة الوطنية للغاز	عامة	صناعي
4- مؤسسة كهريف	عامة	صناعي
5- مؤسسة إيري سات IRI SAT	خاصة	صناعي
6- مؤسسة سامسونغ SAMSUNG	خاصة	صناعي
7- مؤسسة كابلاست K-PLAST	خاصة	صناعي
8- المجمع الصناعي للبلاستيك والمطاط ENPC	عامة	صناعي
9- مؤسسة الرياض سطيف	عامة	صناعي
10- مجمع سافسير CAF CER	خاصة	صناعي
11- مؤسسة AGRO FILM	خاصة	صناعي
12- الشبكة الوطنية للغاز	عامة	صناعي
12- بنك BNP	خاصة	مصرفي
13- بنك الخليج	خاصة	مصرفي
14- بنك السلام	خاصة	مصرفي
15- البنك العربي	خاصة	مصرفي
16- بنك سوسيتي جنرال	خاصة	مصرفي
17- بنك CNEP	خاصة	مصرفي
18- بنك نتاكسيس NATAXIS	خاصة	مصرفي
19- بنك BNA	خاصة	مصرفي
20- بنك TRUST	خاصة	مصرفي
21- اتصالات الجزائر	عامة	خدمي
22- موبيليس	خاصة	خدمي
23- AXA للتأمينات	خاصة	خدمي
24- ALUANCE للتأمينات	خاصة	خدمي
25- KAAR للتأمينات	عامة	خدمي
26- SAA للتأمينات	عامة	خدمي
28- A2 للتأمينات	خاصة	خدمي
29- CIAR للتأمينات	خاصة	خدمي
30- SALAMA للتأمينات	خاصة	خدمي

الجانب التجديدي في النصاب الالبيستمولوجي عند ميشال سير

The Novel Side Of Michel Serres's Epistemological Discourse

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2017-07-06

تبان مصطفى*، طالب الباحث، جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة 2

moustaphataban@gmail.com

لخضر مذبح، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2

المخلص

إن العقل العلمي الجديد-الجديد عند ميشال سير*، هو في حقيقته تجاوز للعقل العلمي الجديد عند غاستون باشلار، القائم على فكرة القطيعة، وذلك بتبنيه لفكرة التواصل أي النقل والاستيراد بين مختلف الجهويات العلمية، للمواضيع والمناهج والمفاهيم، مما يسهم في إلغاء فكرة التصنيف وظهور علومًا جديدة، والتقريب بين المعارف العلمية وغير العلمية في شكل انسكلوبيديا، قائمة على فلسفة حرّة متبينة لمفاهيم الفوضى والصدفة والانظام.

الكلمات المفتاحية: الانظام، التفاعل بين العلوم، فكرة اللامرعية، التاريخ كقصة كبيرة، أنترولوجيا العلوم.

Résumé

Le nouveau nouvel esprit scientifique chez Michel Serres est en réalité un dépassement du nouveau esprit scientifique de Gaston Bachelard qui se base sur l'idée de la rupture. Michel adopte l'idée de l'interaction c'est-à-dire une alternance entre l'importation et l'exportation de diffères régions scientifiques pour le sujet, les doctrines et les idéaux. Ce principe engendre une disqualification de l'évaluation et un émergement de nouvelles science dune part, et un rapprochement de la scientificité avec l'empirisme d'autre part, sous forme dune encyclopédie réalisée à partir dune philosophie libre qui s'organise dans un paradigme d'anarchie de coïncidence et d'inorganisation.

Mots clés : Inorganisation, interaction entre les sciences, l'idée du non référence, histoire comme un grand récit, anthropologie des sciences.

Abstract

The new scientific mind by Michel Serres is in reality the over-parsing new scientific mind by Gaston Bachelard. Based on the idea of rupture. Through the adopting the idea of communication : exportation and importation between different scientific sides for topics, curriculum, concepts, which contribute in annul the idea of classification and the emergence of new science, and approach between scientific knowledge and non-scientific in form of encyclopedia based on free philosophy adopting the notions of chaos, coincidence and disorganisaion.

Keywords : Disorganisation, interaction between science, the idéa of non- reference, history as big story, antropology of sciences.

المقدمة

المادة والحياة والتاريخ تتوقف جميعها على وجودها. فالحرارة تلعب دور توحيد العالم ما دامت أنها عامة تتخلل الجامد والحي⁽²⁾. والفرق الذي بينها وبين العلوم الكلاسيكية، أن هذه الأخيرة دراستها تقف على الظاهر والسطحي، في حين أن الحرارة تتوغل إلى الداخل، باعتبارها تدخل في تكوين الطبيعة سواء الجامدة أو الحية. كما أن المعرفة عنده تتخذ شكل المهرج، الذي لباسه خليط من الألوان غير المتجانسة، بالإضافة لشكله الهجين، فكذلك عنصر الحرارة في المعرفة يفتح الباب للصدفة وعدم التجانس، لأن " الصدفة في الديناميكا الحرارية تفتح نظام الطاقة وتمنعه من أن ينفجر في داخله"⁽³⁾.

أما فيما يخص موضوع المعرفة العلمية عنده، هو تلك العلاقات القائمة بين مختلف الجهود العلمية، أي ذلك النقل والتبادل والتفاعل الموجود بين العلوم، يقول: "لأنه لم يكن أبدا هنالك اله للثقل pesanteur فقد أصبح الثقل موضوعا لم يكن بهم. سنرى في التراجيديا أن في المكان الخالص لعلاقتنا ما يمثل الموضوع... إن موضوع العلم هو عكس ذلك (أي العلاقات) مخلطا من هذه المواضيع"⁽⁴⁾. فهو يرفض أن يكون الفيلسوف حاكما أو قاضيا، لأنه على العكس من ذلك تماما راعي التعددية والاختلاف. أما بالنسبة لعلاقته بتاريخ العلوم، فهو "لم يدخل حقيقة في مجتمع المؤرخين. فقد عبّر بالتأكيد عن شكره له في مستهل كتابه 'روما'، لكن تصوّره كملجأ أو كمنفى سياسي"⁽⁵⁾، إذ أنه في الكتاب الأول لهيرمس 'الاتصال'، سعى لأن يكون في خط بعد الفلسفة الباشلارية، من خلال إعلان انتمائه لعصر الشكلائية أو الصورية.

كما أن بعد شكه في اليبستمولوجيا، أخذ يشك في تاريخ العلوم... بحيث أنه في سنة 1977 نشر دراستين في تاريخ العلوم، في شكل تحريصات على الركائز الأساسية⁽⁶⁾. هاتين الدراستين هما: la naissance de la physique dans le texte de Lucrèce، أما الدراسة الثانية فكانت تحت عنوان: les origines de la géométrie.

إن الدراسة الأولى 'ميلاد الفيزياء في نص لوكريبتوس' تُظهر هجوما عنيفا على الوضعية الكلاسيكية، أي وضعية أوجست كونت، التي تُرجع النصوص القديمة في صنف

إن المتأمل في الخطاب اليبستمولوجي يجد أنه قد شهد تطورا وتغيّرا عبر تاريخه، فإذا كان غاستون باشلار قد أقامه على فكرة القطيعة، من خلال تقسيمه لتاريخ العلم إلى قسمين: تاريخ ملغى وآخر منتقى أو لمعرفة علمية وأخرى عامية، وقبله أوجست كونت بتأسيسه له على فكرة الاستمرارية بين المراحل الثلاث في تطور المعرفة: 1- المرحلة اللاهوتية. 2- المرحلة الميتافيزيقية. 3- المرحلة الوضعية، وكذلك بتصنيفه للعلوم على شكل هرمي، بحيث أن كل علم يخضع للآخر أو يتبعه. في حين فلسفة العلم عند ميشال سير* على عكس ذلك تماما تنتقد فكرة التصنيف جملة وتفصيلا، وتنفى وجود أي أثر لها في العلوم المعاصرة، أما فيما يخص التاريخ الملغى، فبالنسبة إليه يمثل راسبا يمكن إحيائه أو تنشيطه. وهذا كله من خلال دعوته إلى ضرورة تجديد أو تغيير وظيفة الفلسفة، كونها توقفت عن ممارسة دورها الطلائعي في العصر الحاضر، وأصبحت متأخرة عن الركب المعرفي، فلم تُجدد دعائمها ولا موضوعها، وعليه نتساءل: ما هي الركائز التي يقوم عليها خطابه اليبستمولوجي؟ وأين يكمن دور الفلسفة بالضبط في نظره؟

"سير فيلسوف علم، ظاهريا. لكن على خلاف أستاذه غاستون باشلار، لم يقبل أبدا أن يكون أي علم معين-ناهيك عن العلم الطبيعي- خاضعا للتحديد الوضعي لميدان البحث المتجانس والمنعزل"⁽¹⁾. فهو يرفض فكرة تقييده بالمقولات التالية: الحتمية والعقلانية، بحيث أن هذا الأخير (العقل) قد حضي بمكانة مرموقة ومقدسة في عصر الأنوار، فقد جعلوا منه الوحيد الراعي للحقيقة والمعرفة اليقينية، كما لم يتصوروا ندا له بأي حال من الأحوال، مما مكّنهم من تصور المستقبل مائلا أمامهم (سيطرة الاتجاه الميكانيكي). لكنه يؤكد على ضرورة تحرير العلم من هذه المقولات، من خلال تبنيه لمفاهيم جديدة كالفوضى والتبعثر والتعددية، منتهجا طريق الفلاسفة المعاصرين كيميشال فوكو وغيره، من الذين أكدوا على ضرورة مراعاة الاختلاف والتعددية واللانظام، لأن "العصر الحاضر قد أضاف - في نظره- عنصرا عاما وجوهريا هو 'الحرارة' التي تطبع جميع مظاهر الحياة المعاصرة، إذ إن

تضاد نظري وتجريبي مع الخواص الثابتة لقوانين الميكانيكا الأساسية.

في حين نظرية الفوضى ، والتي من أعلامها نجد بول فيرماند ، "يهاجم المنهج العلمي والعلماء هجوما ضاريا ، بل ويهاجم فكرة العقلانية ذاتها ، ويدافع-أو هكذا يبدو- عن التنجيم والسحر والأسطورة واللاعقلانية دفاعا مجيدا"⁽¹²⁾

يرى م.سير أن هذه المفاهيم السابق ذكرها قد تغافلت عنها الفلسفة وتجاهلتها ، نتيجة اهتمامها وثقتها المطلقة في العقل ، اعتقادا منها أن هذا الأخير يسعى دائما إلى الوحدة والنظام ، في حين مفهوم الفوضى أو اللانظام يبقى بعيدا عن المعرفة ، كذلك شأنها مع العلم ، إذ لم يرحب بها إطلاقا ، بحجة أنها شوائب صغيرة لا تؤثر على الظاهرة ككل ، بالإضافة إلى ذلك أن هذا العالم محكوم بقانون يسمى بقانون اطراد الظواهر والذي لا تشوب عنه شائبة. لكن الفلسفة الحقّة في نظره هي تلك الفلسفة التي "تضع الفرش النظري والقاعدة التأسيسية للعلم ، يتلخص هذا الفرش في ترك الممكنات حرة طليقة ، ومن ثم الابتعاد عن الواحدية والمسار الخطي وتبني التعدد والفوضى وبالتالي اللانظام"⁽¹³⁾

وبهذا فهو يدعو إلى ضرورة تحرير العلم من النزعة العقلانية لأنها سجن تفرض عليه خطابا يؤدي إلى موته ، وسبيل تحريره الوحيد هي الفلسفة المتبينة لمفهوم الفوضى والصدفة ، الداعية إلى ضرورة مراعاة هذه المفاهيم في الدراسة العلمية ، وإن كان يُقر بأنها (الصدفة) لا شيء وليس لها أي بعد ، يقول: "تصور أنها شيء وأعطي لها أبعادا ، ستجد عالما مترابطا وإلها فوق الإلهات. هي معرفة الضرورة ونقيضها الميتافيزيقا أو ما وراء الظواهر الفيزيائية. لا ، الصدفة عدد ، لعبة الأعداد ، وهي نفسها مكتوبة في الأعداد"⁽¹⁴⁾ ، بمعنى أنها ليست شيئا معينا يمكن دراسته ، وليست بشيء ميتافيزيقي ، بل تتجلى في ظواهر عديدة كالاتصال والديناميكا الحرارية... الخ ، باعتبارها قانونا يحكم الطبيعة ، إذ هي "مكتوبة في القانون ، مكتوبة في الخلق ، مكتوبة في الأرقام ، في كل ما اعتقدنا أنها حقائق"⁽¹⁵⁾ . وقد اعتبرها أكبر ضربة قسمت ظهر نرجسية الإنسان- إذ اعتقدت الفيزياء الكلاسيكية إمكانية وصولها إلى معرفة نهائية للقوانين المتحكممة في الظواهر الطبيعية ، حتى تصورت المستقبل

الميتافيزيقا أو قبل العلمي ، إذ يجعلها (سير) ركيزة أساسية في قيام الفيزياء كعلم مستقل بذاته ، "ويجادل أنه في تاريخ الفيزياء كان لوقريطيوس قد توقع إطار الفيزياء الحديثة ، لا بل استبقها. إن كتاب 'في طبيعة الأشياء' قد أُعتبر قديما قطعة شعرية تكاد لا تمت بصلة إلى العلم الحديث. ولكنه يحتاج قائلا: انه من الواضح أن الاضطراب بكل أنواعه أساسي بالنسبة إلى نظام لوقريطيوس. إن فكرة الكلينامن'⁽⁷⁾ (Clinamen)... التي يطرحها لوقريطيوس تستبق نظرية الأنثروبيا ، أو اللاترتيب ، التي ظهرت في الفيزياء الحديثة"⁽⁸⁾ فمن خلال هذه الدراسة سعى جاهدا لنقد قانون الحالات الثلاث وتجاوزه.

1/- الصدفة ، الشواش واللانظام في فلسفة ميشال

سير:

إن فلسفة م.سير تقوم في حقيقتها على المفاهيم التالية: الفوضى ، اللانظام ، الشواش والطفيلي ، وهي مفاهيم مستلهمة من نظرية الديناميكا الحرارية والنظرية الفوضوية. يقول في ذلك: "وفهمت الأهمية الحاسمة للديناميكا الحرارية ونظرية الإعلام. وهو ما يفسر طرح المسائل المتعلقة بالفوضى والضجيج التي أوحى إلي كتابه 'تكوين' وكان العنوان الأصلي لهذا الكتاب: Noise وهي كلمة فرنسية قديمة تعني الشجار والضجيج"⁽⁹⁾

إن الديناميكا الحرارية Thermodynamics تراهن على الأنثروبية ، والتي هي حالة غير ارجاعية irréversible تزداد مع الزمن ، بمعنى أن الأشياء كلها تتغير ولا تسمح بعودتها لوضعها أو حالتها الأولى ، أي أن حياتنا في سيرورتها محكومة بقانون فيزيائي داع للفوضى والاضطراب. كما أنها تعتبر حدثا مركزيا في تاريخ العلم ، كونها تمثل تجاوزا لميكانيكا نيوتن المغلق و "إن تجاوز النظام المغلق في نظر سير بمثابة تزويد الاختراع بالوقود"⁽¹⁰⁾ " وهي فرع حديث نسبيا من فروع الفيزياء ، يعني ببحث العلاقة بين خواص المواد وتفاعلاتها تحت تأثير الحرارة ، فضلا عن تحول الطاقة من وجه إلى آخر. وعلى هذا فهي امتداد لبحوث الحرارة التجريبية التي بدأها جاليليو عام 1593م حين ابتكر أول ميزان حراري عرفه العلم الحديث"⁽¹¹⁾ وتعلن كذلك أول

وأأنواع مختلفة من فيلسوف وعالم إلى آخر، فمرجعية روني ديكاروت أقامها على فكرة الكوجيتو، وباسكال على فكرة المسيح، في حين عند لبينتز على فكرة المونادة. لكن يرى م.سير في كتابه 'Pantopie' أن الإنسانية الحديثة عرفت ثلاث ثورات فلسفية بارزة، والتي بدورها أدت إلى ثورة حول المركز وبالتالي إلى هدمه، أول هذه الثورات: الثورة الكوبرنيكية الراضة لمركزية الأرض، وثانيها الثورة الداروينية الراضة لفكرة أن الإنسان مركز الخلق، وثالثها الثورة الفرويدية المفنفة لفكرة أن الوعي هو جوهر الحياة النفسية عند الإنسان. إلا أن هذه الثورات الثلاث في نظره لم تخرج عن نطاق النقطة الثابتة ولم ترفضها، بل بالعكس من ذلك تماما استبدلتها بنقطة ثابتة أخرى، فكوبرنيكوس برفضه لمركزية الأرض استبدلها بمركزية الشمس، وداروين استعاض عن مركزية الإنسان بجميع الكائنات الحية، في حين سيغوند فرويد أكد على اللاشعور أو اللاوعي كجوهر للحياة النفسية بدلا عن الوعي.

لكن يعتقد م.سير أنه يستحيل إيجاد نقطة ثابتة في العالم، وذلك من خلال تقديمه لمثال حول الماء لما يصل إلى درجة تحت التجمد، ونرمي بحصاة أفقيا، فإننا نجدها لا تُحدث أي انتشار، أي لا ترسم أي موجات، وكذلك هو حال العلم أو العالم، لا يحوي على أي مرجع أو نقطة ثابتة. يقول: "أين أنا الذي أرى، الذي يتكلم والذي يفكر؟ فإذا كنت أرى فمن أي موقع ومن أي صورة متحيزة؟ ومن أين يصدر النور؟ ولهذا النور في القرن 17م والأنوار في القرن الذي تبعه؟" ويضيف قائلا: "التنوع الأكثر اعتيادا في التصنيف هو هذا الجدول الثابت. الثبات يجتاز الفضاء الهندسي أو الميكانيكي، يجتاز العلوم. فالسؤال المطروح في كل مكان: أين هو المخطط الثابت؟ كيف يمكن تحديده؟ وماذا كُتب في هذا الجدول؟" (17) يقصد بالجدول هنا التصنيف الذي وضعه أوجست كونت على أساس النقطة الثابتة، بحيث يرى أن هذه الأخيرة لا أثر لها لا في الحياة ولا في العلم المعاصر، فقد تجاوزها الزمن.

"إن مهمة الفيلسوف هي تحرير العلم من القواعد والقوانين المفروضة عليه، والطرق المرسومة له، إن الفيلسوف عندما يمارس الحرية فانه يقوم بواجباته العادية،

ماثلا أمامها- التي تدرس العالم كما هو وكما كان، وكيف سيكون في المستقبل، لكنه يؤكد أن لوكريس قد أبان وتوقع إطار الفيزياء الحديثة مسبقا، من خلال جعله من مفهوم الاضطراب ركيزة وأساسا له.

ومن الروافد الفلسفية الأخرى التي شكَّلت الفلسفة السيرية نجد الفلسفة البنيوية، إذ أن "البنيوية لم تظهر فجأة في باريس. وما حدث في باريس في الستينيات هو أن هذه الوسيلة المعرفية العادية تحوّلت بقدرة قادر إلى شعار اتخذه بعض الناس ووجدوه أمرا مثيرا، فخلقوا منه 'موضة' فكرية شاعت شيوعا تجاوز حدود المعقول". (16) فهو منهج بحث يتناول من خلاله الباحث المعطيات التي تنتهي إلى حقل معين من حقول المعرفة، بحيث تخضع هذه المعطيات للمعايير العقلية، وقد أُعتبر منها علميا صارما بعيدا عن حقل الفلسفة والميتافيزيقا ساعيا إلى تحقيق الدقة في العلوم الإنسانية على شاكلة الفيزياء والكيمياء.

وبالتالي فقد كانت ثورة على كل جمود مذهبي- كالماركسية والوجودية- من شأنه عرقلة التقدم والتطور، ولهذه الأسباب فرضت البنيوية نفسها على الساحة الفكرية، وبما أن ميشال سير من فلاسفة فرنسا المعاصرين، فقد عاصر بعض الفلاسفة البنيويين أمثال جورج دوميزيل وجاك دريدا وميشال فوكو، منصبا اهتمامه على دراسة فلسفة المعرفة والعقلانية والمفهوم.

ومن الذين كان لهم الأثر في تشكيل فلسفته، الفيلسوف لبينتز، فقد ناد بضرورة إنشاء لغة عالمية مشتركة يتفق حولها الجميع، لأجل حل مشاكلنا، وذلك من خلال محاولته وضع رمز لكل فكرة للتعبير عنها، ورأى أن هذه اللغة ما هي إلا اللغة الرياضية. ونفس الطموح انتاب ميشال سير إذ رأى أن الرياضيات هي اللغة الأنسب والأأنج لأجل إحداث اتصال ونقل وتبادل بين مختلف حقول معارفنا وجهوياتنا العلمية، أو بين الفلسفة والعلم.

2/- موقف م.سير من فكرة المرجعية أو النقطة

الثابتة:

لقد كانت فكرة المرجعية أو النقطة الثابتة حجر أساس في الفلسفات والعلوم الكلاسيكية، وهي على صور

مداخل، هذا ما يسمح لكل مستمع بفهم مختلف عن الآخرين، ولبناء وجهة نظر من خلال توظيف ثقافته ومشاريعه. فكل تاريخ يقول ويعيد القول بطريقة أخرى لأجل إخراج مظاهر وطبقات أخرى من المعاني" (22)، لكن هذا لا يعني أنه يتخذ من الأساطير والقصص نقطة ثابتة أو مرجع له كما كان الحال عند الكثير من الفلاسفة والعلماء في الفترة الكلاسيكية، وإنما يهتم فقط بكل ما يمكن أن يكون مصدرا للمعرفة، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه القصص تحوي عدة تأويلات وقرارات، مما يؤدي إلى اختلاف القارئ في فهمها. كما أنه " قد تخلص عن الأسلوب الحجاجي لأجل الرواية، يحكي تاريخ العلوم وينسج رواية بالمعنى الدقيق ويضع فلسفة العلوم في حكاية رمزية، لأنه من وجهة نظري لم يتوقف عن الانجذاب حول العلوم، رغم تنوع مجالات المعرفة التي زارت قلبه". (23) إذا فقد اتخذ من القصة الكبيرة كسبيل لتوجيه انتقادات للتأريخ الكلاسيكي للعلوم، والذي كان قائما على المفاهيم التالية: العقل، الحتمية، النظام والتنبؤ، وذلك نظرا لما حققه الفكر الوضعي من إنجازات أدت إلى سيطرته على تلك الفترة، لكن ما قامت به القصة أو الرواية هو إبرازها للجانب اللاعقلاني أو الأسطورة، حيث تستقر هنالك المثالية العلمية، المبنية على التطهير والقطيعة الأبيستولوجية.

تعود بدايات تشكيل هذه الفرضية (القصة الكبيرة) عند م. سير إلى سنة 1990م، حينما أُنخب للأكاديمية الفرنسية بدعم من أولئك العلماء الذين كانوا في تلك الأكاديمية. وقد طلبوا منه إقامة مؤتمرا، مما سحت لهم - كان من بينهم عدد كبير من العلماء حائزين على جائزة نوبل- الفرصة للاطلاع على قدراته في إقامة جسر بين العلوم والآداب. وقد توجه إليهم بخطاب قائلا فيه: " ساداتي، أنتم الرياضيين والفيزيائيين، الفلكيين والبيولوجيين... الخ علمتموني كل ما أعرفه، لكن في الحقيقة لم تعلموني إلا شيئا واحدا، هذا الشيء جديدا وغنيا. قد اخترعتموه جميعا في آن واحد! وهو بالضبط ما يسمح لي بأن أبعث إليكم وكشخص واحد وكجماعة واحدة. اليوم وللمرة الأولى في التاريخ، كل العلوم تعلمت التأريخ لأشياءها. علم الفلك عرف التأريخ بدقة للانفجار الكبير والمجرات... البيولوجي عرف التأريخ لميلاد الأنواع فضلا عن الميكروبات، الجيوفيزيائي عرف التأريخ

وبالتالي يتمكن من تحرير العلم من ضغوط المؤسسات الاجتماعية. هذه المؤسسات التي تقتل قوة الإبداع والاكتشافات العلمية، وتمثل المؤسسات القهرية للعلم في الجامعة والبيروقراطية والسياسة". (18) إذ أن العصر الكلاسيكي يبحث عن مرجع تقني: يفكر، يُظهر، يجرب، ينظم تمثلاته، يتحكم، ينظر للعالم ويعيش شفقتة بإرساء وتحويل إلى نقطة ثابتة... هذه الفكرة بقيت قائمة في العلم إلى غاية الثلث الأول من القرن 19م، في الحقيقة إلى غاية أيامنا هذه أو ما شبه، وقد نُقلت بواسطة التعليم المتكرر واللغات الأكاديمية القاعدية. (19) فالإيدولوجيا في نظره هي التي صنعت فكرة المرجعية واليقين والصرامة، فلكي ينمو الفكر ما علينا إلا أن نحرة من هذه القيود، والمهمة موكولة إلى الفلسفة لأنها هي الأمل الوحيد، على اعتبار أنها قد تجاوزت مسألة التأمل في الجوهر والماهية كنقطة ثابتة وارتكزت على التعددية ونسبية المرجعيات، إذ يقول عنها: " فالمسألة لم تُطرح بشكل كبير، لا توجد، فقط الشيوخ المتذمرين الذين لم يتوقفوا من القول عن تضييعهم للقيم والمرجعيات: المرجعيات الشهيرة! لكن لا أعتقد اليوم وجود مشكل مرجعي، فنحن نعيش عصر التعددية". (20)

3/- التاريخ كقصة كبيرة:

إن العودة لكتاب أصول الهندسة يثير نقطة استفهام حول منبع تاريخ العلوم، حول عصنة المعارف، كما يتضح أنه ليس بالاستطاعة ممارسة تاريخا للعلوم مثل أيام كونت وباشلار، من خلال سرقة فكرة التطور. (21) بحيث أنه إذا كان - وكما أسلفنا- أوجست كونت قد قسّم الفكر البشري في سيرورته إلى ثلاث مراحل: المرحلة اللاهوتية، المرحلة الميتافيزيقية والمرحلة الوضعية. أما غاستون باشلار فقد ميّز بين نوعين من المعرفة: معرفة علمية ومعرفة عامية، فإننا نجد م. سير على العكس من ذلك تماما يبحث في تاريخ العلوم داخل الأساطير والقصص على اعتبار أنها مصادر جد غنية وثرية، وبالمقابل كونها الفن الأكثر استهلاكاً لدى الناس وهذا ما نجده في كتبه: La naissance de la physique dans le texte de Lucrèce, Thalès au pied de pyramides, le décollage de challenger, la vestale enfouie... etc. "كل قصة جاهزة لعدة

الكائنات الحية الأخرى ليس لها تاريخ، وفيما يخص زمانيتها، فهي خطية مستمرة قائمة على فكرة السببية، بمعنى أنه انطلاقاً مما حدث في الماضي يمكن التنبؤ بالمستقبل. أما زمانية القصة الكبيرة، فتقر بعدم توقعها للمستقبل انطلاقاً من تبنيتها للنظرية الفوضوية، بحيث أن المستقبل ليس ماثلاً أمامنا بل مفتوح على كل احتمال، مثلما هو الحال في الروايات الأدبية التي يستحيل فيها توقع النهاية حتى تحدث، وبالتالي فهي ليست رواية بالمعنى الهيغلي وإنما رواية بالمعنى البرغسوني. وفيما يخص النهاية، فهي على عكس فلاسفة التاريخ الذين يحددون بدايته وحركته بالإضافة إلى نهايته، فإذا ما تحدثنا عن بدايتها نجد أن م.سير لا يحدد لها بداية حقيقية، بل لها الكثير من البدايات، فكانت يوماً مع ميلاد الأرض ويوماً آخر مع ميلاد النجوم ويوماً مع ميلاد اللغات الهندوأوروبية، أما فيما يخص النهاية فيقول عنها: "القصة الكبيرة تترك هذه الفكرة مفتوحة كلية، كما لا ننسى أنها مثل الرواية يمكن أن تكون نهايتها مأساوية. فكل الروايات ليست ماء زهر". (28)

إن حقيقة المعارف عنده سواء العلمية منها أو غيرها وكما أسلفنا، يجمعها في قالب قصصي ذا طابع أدبي، يرجع البدايات الحقيقية لها (القصة) إلى القرن 18م، وذلك من خلال حدوث تطور في العلوم الجيولوجية والبيولوجية، بحيث تمكنت هذه الأخيرة من الالتحاق إلى مصاف العلوم التجريبية بفضل مجهودات الكثير من العلماء ككلود برنارد ولويس باستور وغيرها، مما أتاح لهذه العلوم الفرصة للتأريخ لمواضيعها، ومن ثمة قد دخل مفهوم التأريخ إلى كامل العلوم، لتكوّن زمانية كبيرة أو قصة كبيرة تجمع تحتها جملة من زمانيات جزئية مترابطة. لكن هذه الرواية الكبيرة تتطلب رواياً، والذي يشترط فيه الإخلاص للمعرفة، يقول عنه: "هو الذي يسترد الذاكرة هنا أين كنا قد نسيناها" (29)، كما أن الروايات الكبيرة حول أصل الكون والحياة وتطور الإنسانية كانت سابقاً حكراً على كُتّاب العلوم الشعبية أمثال فلانماريون Flammarion، روستاند Rostand، وهيبيرت Hubert. أما اليوم تُستغل إلى حد بعيد بواسطة باحثين (المشي على سطح القمر، اكتشاف سر الحياة، تشكل عالم الذرة بواسطة الذرة). (30)

لُعمر الأرض واللساني عرف التأريخ لميلاد لكل واحدة من أنواع اللغات التي يدرسها... الخ". (24)

فمن خلال تأريخ كل علم لموضوعه نستطيع القول - في نظر م.سير- أن شبح التاريخ هو ماثل أمامنا، وذلك بتجميع لهذه التاريخيات في تاريخ واحد اسمه القصة الكبيرة. أما فيما يخص الرياضي، فيقول عنه: "هو الذي يسمح بالتأريخ، هو المؤرخ": يمنح للآخرين المناهج التي تسمح لهم بتأريخ أشياءهم" (25)، فكل علم له إمكانية التأريخ لمواضيعه، من خلال رواية ميلاده وسيرورته عبر التاريخ، ثم بعد ذلك تقوم بجمع هذه الروايات في زمنية واحدة يُطلق عليها القصة الكبيرة. **le grand récit.**

3-1-/- بدايات القصة الكبيرة:

تعود بدايات الرواية الكبيرة إلى حوالي 14 مليار سنة، مع الانفجار الكبير le big bong وإلى ظهور النواة الأولى للذرات في الدقائق الأولى للكون، لتتبع بإعادة تركيب النواة مع الإلكترونات وتكوّن النجوم، المجرات وأخيراً الكواكب. أما لدينا (الإنسان) فقد بدأت مع حوالي 4.5 مليار سنة، لأنه ينبغي مليار سنة أو أكثر لكي تظهر الحياة وتُعمر الأرض، من خلايا أولية إلى ديناصورات وقرود كبيرة تُسمى لوسي. (26)

"هنا الجذع المشترك لتاريخ العالم والإنسانية، هنا القصة التي تُكتب في اللغة الانسكلوبيدية لكل العلوم، بالاستطاعة ترجمتها لكل اللغات العامية وتعديلها على حسب الشخص المُرسلة إليه، سواء طفل في 06 سنوات من عمره أو منجم فيزيائي في 60 سنة من عمره". (27) كما أنها تسير في ظروف لا يمكن التنبؤ بها إطلاقاً، فهي ليست خطية تراكمية بحيث الجديد منها يكمل القديم، وإنما تسعى دوماً إلى الاقتراب أكثر فأكثر من المصادقية والحقيقة بتصحيحها للأخطاء والتقدم في البحث، وذلك بالتزامها بجملة من القواعد أهمها: التعليق والقطيعة، فكل قطيعة ما هي في الحقيقة إلا دعوة إلى تشعبات جديدة أو علوماً جديدة.

3-2-/- الفرق بين الرواية الكبيرة وفلسفة التاريخ:

يضع م.سير تمييزاً ما بين الرواية الكبيرة وفلسفة التاريخ، إذ يرى أن هذه الأخيرة ليس لها سوى بعض ملايين السنوات وتُعنى بالتاريخ الإنساني فقط، اعتقاداً منها أن بقية

5- موقف ميشال سير من تاريخ العلوم:

"إن تاريخ العلم - في نظره - بالمعنى الصحيح، أي الذي يتوفر على منهج ملائم لموضوعه، ويستوعب مجموع الإشكالات التي يطرحها التأريخ للعلوم، بالإضافة إلى المعرفة الجيدة بالموضوع المؤرخ له، لا تتوفر لدى من يؤرخون للعلم، أو لنقل إن هناك تنظيرات متعددة تمثل مشروعا لتاريخ علم أو علوم معينة، لكنها تفشل عندما تنتقل من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي، وهذا الجانب يمثل أحد أسباب فشل تاريخ العلوم كعلم، وأعني به صعوبة الانتقال من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي".⁽³³⁾ بالإضافة إلى ذلك غياب إبراز علاقة التأثير المتبادل بين العلم والمجالات المحيطة به، أي كيفية تأثير هذه الأخيرة في نشأة العلم.

وبالتالي هذا النوع من التاريخ قائم على الانفراد بالعلم وكأنه كيان مستقل بذاته، في حين يؤكد الواقع كيفية إسهام البيئة في قيام العلوم، ويستدل في ذلك بقوله: "نستطيع دائما الإعلان بوجود وجود سبل حدود بين شكل العبودية للمجتمع اليوناني ومعجزة الهندسة، وضرورة وجود ظروف عديدة للاقتصاد التجاري لأوروبا الحديثة في ظهور العلوم التطبيقية من العصر الكلاسيكي"⁽³⁴⁾، فما يُعاب على التأريخ في نظره، غياب إبراز تفاعل العوامل الاجتماعية والاقتصادية وغيرها في ظهور العلوم، فما النهضة الأوربية في حقيقتها إلا تلك الحركة التي ظهرت في منتصف القرن الخامس عشر ميلادي لإحياء العلوم والمعارف ومختلف الثقافات القديمة، أو ما اقتبس من علوم الحضارية العربية الإسلامية، وكل هذا كان بفعل اتصال الأوربيين بالعرب عن طريق مضيق صقلية وجبل طارق، بفعل التبادل التجاري الذي كان بينهما. وعليه فكل هذه الظروف ينبغي على المؤرخ أن يُلم بها ويشير إليها وإفليس هنالك تاريخا للعلوم بالمعنى الحقيقي.

كما أنه يُرجع هذا الإخفاق إلى مجموعة من الأسباب الأخرى أهمها: تقسيم العمل الفكري وتشتيته بين علماء من جهة، يثقون فيه ثقة مطلقة على اعتبار أنه السبيل الوحيد للتقدم، كما أنه المعرفة الوحيدة الحقيقية وما عداها فهو ضلال، ومن جهة أخرى هنالك فلاسفة منشغلون بمسائل مفارقة للواقع الإنساني كالجوهر والحقيقة المتعالية... الخ،

ما هو ملاحظ أن البرامج العلمية تُظهر مدى احتياج العلم للروايات الكبيرة والأساطير، لأجل التقدم ومواجهة صعاب المعرفة، لأن المسألة ليست في موقف المؤرخين والفلاسفة المشكك والمجرح للعلم، بل إن التحليل النهائي لأساطير وقصص الباحثين أبان عن تنوع كبير في المواضيع والأعمال بالإضافة إلى الغايات.

4- من الأبيستولوجيا إلى أنتروبولوجيا للعلوم:

بفضل قوة الرواية والأساطير تمكّن م. سير من تطوير الأبيستولوجيا نحو أنتروبولوجيا للعلوم⁽³¹⁾، بحيث أن هذا التحول أحدث ثورة كبيرة على تقاليد فلسفة العلوم، حتى لُقّب بالوريث الشرعي للمفكرين الفرنسيين، فالوراثة لا تعني بالضرورة الحفاظ على التراث القديم فقط بل كذلك طبع البصمة الشخصية، بالإضافة إلى ذلك السير به قدما نحو الأمام، وهذا ما كان عليه الحال معه، بدوره الكبير في تحرير فلسفة العلوم من القيود الباشلارية والفلاسفة الذين جاؤوا بعده أمثال كارل بوبر وتوماس كوهن. بحيث كان سابقا الجدل كله منصبا حول سر تطور العلوم هل بالقطيعة أم بالاتصال، وقد تباينت المواقف بين من يدعو بالقطيعة ومن يدعو بالاتصال، "فأسلوب المجادلة لباشلار وسعة عمله في إقصاء المعارف الأخرى غير العلمية، تكشف مدى العنف المتأصل في فلسفة النفي وقوة المعارف الأخرى التي تم القضاء عليها بأي ثمن"⁽³²⁾، لكن ميشال سير حرّر الفكر الإنساني من تلك القيود ودعا إلى ضرورة ربط بين كل المعارف سواء علمية أو غير ذلك، من مقصاة وأساطير، بدون إلغاء لأي نوع منها. بالإضافة إلى ذلك نجد أنه يُقر بقيمة المعرفة العقلانية لكن ليس بمقدور الأبيستولوجيا الكشف عن ذلك، بل المهمة موكولة إلى الأنتروبولوجيا على اعتبار أنها الوحيدة القادرة على ذلك، من خلال جمعها ما بين جانبين اثنين طبيعة وثقافة، لأن المعرفة ليست حركا على العلوم المسماة بالطبيعية بل تتعدها إلى مجالات أخرى كالأساطير والقصص، على عكس ما هو عليه الحال مع الأبيستولوجيا، إذ أن المعرفة العلمية رسمت علاقة الإنسان مع العالم الخارجي من خلال فصلها بين الذات والموضوع، وتوسّع هذا الفصل أكثر فأكثر مع تقسيم العلوم إلى علوما طبيعية وعلوما إنسانية.

علمية صغيرة كانت أو كبيرة، على عكس الانسكلوبيديا القديمة القائمة على تصنيف العلوم وتلخيصها في جملة علوم رئيسة، كما هو الحال عند أ.كونت، تبدأ بالرياضيات لتنتهي بعلم الاجتماع.

إذا فالتاريخ الذي يقترحه يتصف بكونه عاما وموسوعيا، يتطابق مع الحالة الفعلية للعلوم في العصر الحاضر، انه تاريخ يرى في المعرفة سيلا متوحدا، نهرا واحدا وليس مجموعة من الجداول المتفرقة، فالقول بأن هذا العلم مستقل عن غيره هو نفي له.⁽³⁷⁾ لذلك يُقر: "أيضا كل المونوغرافات أو كل التجمعات المونوغرافية السابقة ضحية تصنيف... يمكن البدء بتاريخ نقدي للتصنيفات. لكن التاريخ نفسه هو داخل صف"⁽³⁸⁾، فما هو ملاحظ أن هنالك علوما مقسمة بدقة وانتظام، من بينها التاريخ، بحيث أنه أحسن التفريق بينها، وهذا ما يجعل استحالة وجود تاريخ عام في ظل هذه التصنيفات وغياب التواصل بينها. "المشكلة قد حُلَّت مسبقا وحُلَّت بالسلب. الفشل حول المطلب العام قد أُستهلك مسبقا بشأن المطلب المحلي. بما أنه ليس لدينا تاريخا للعلوم بمعنى تاريخ جريان عام للمعرفة كما هي وليست مفككة، لن تكون أي إمكانية عملية لتوضيح العلاقات داخل هذه البنية، لأنها لا توجد"⁽³⁹⁾.

لكن هذا لم يمنعه من عرض أهم أنواع التأريخات للعلوم، والتي يحصرها في ثلاث:

أولاً: تاريخ العلوم باعتباره تجميعا تراكميا لسيرة العلوم، بحيث هذا النوع من التاريخ يسعى إلى تدوين الأحداث العلمية كما يُدون باقي الأحداث التاريخية وفق ترتيبها الزمني والمكاني، وبدون حذف لأي حقة منها، مثله مثل التأريخ لقيام حضارات وزوالها، إذ لا يهمه اليقين العلمي بالقدر الذي يهمه السرد.

ثانياً: التاريخ التراجعي للعلوم ويهتم بالدرجة الأولى بالحقائق القريبة العهد، أي المتأخرة وكذا بالاكشافات التي تعيد بنية النسق والأنساق.⁽⁴⁰⁾ بحيث أن هذا النوع من التأريخ يسعى جاهدا إلى الاهتمام بالأحداث الراهنة التي تنفي الأحداث السابقة عنها، لأن النظرة التراجعية للتاريخ يُقصد بها التنافي بين حقب التاريخ العلمي والتصنيفية للوصول إلى الحقيقة والتقدم العلمي، مثلا ما حدث في علم الفلك بتجاوز

وهذا ما أسهم في توسيع الفجوة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، يقول: "هنالك عدة أسباب تُسهم في الإخفاق، أقلها ليس تقسيم العمل الثقافي. تختفي خلفه أشباح خطيرة، يعني حقائق سوسيو سياسية للسيطرة والتحكم، فإذا كان المؤرخون والفلاسفة يجهلون العلم وعلى العكس العلماء لا يعرفون التاريخ ولا الفلسفة، ففي كلا الحالتين باستثناء ما إلى حد الطفولة، فان هذا مليء بالمعاني الذي يستوجب توضيحا يوما ما"⁽³⁵⁾.

إذا فسر عدم وجود تاريخ علم حقيقي في نظر م.سير هو تقسيم المثقفين إلى علماء وفلاسفة، بحيث أن العلماء يجهلون الفلسفة إلى حد اعتبارها بحث لا طائل من ورائه، كما أن نظرتها الميتافيزيقية تبعدها عن الدقة الموضوعية التي يتصف بها الخطاب العلمي، وهذا ما جعل أوجست كونت يعتبرها حالة من الحالات الثلاث التي حان للفكر البشري أن يتخلص منها، لأن المرحلة الراهنة هي مرحلة العلم. وفي الجهة المقابلة نجد أن المؤرخين والفلاسفة يجهلون العلم، ظنا منهم أنه حكرا على العلماء من رياضيين وفيزيائيين وبيولوجيين... الخ. كل هذا يقودنا إلى القول بأن المعارف مشتتة بثشت المثقفين إلى مؤرخين وفلاسفة وعلماء.

6/- التأريخ الحقيقي للعلم في نظر م.سير:

يسعى م.سير إلى إقامة تاريخ للعلم مغايرا تماما لما هو كائن، لأن التاريخ الراهن وكما أسلفنا قائم على التجزيئية في العلوم، بمعنى أن كل علم مستقل بذاته ولا توجد علاقة تجمعها بالآخر، انطلاقا من أن كل جهودية علمية مستقلة بذاتها عن باقي الجهوديات، فنجد كل مؤرخ يهتم في تأريخه بتخصص واحد فقط ويتجاهل باقي التخصصات، كاهتمام ماخ بتاريخ الميكانيكا وبيار دوهيم بتاريخ الاستيتيكا والفلك ... وهكذا. يقول: "الكل يتحدث عن تاريخ العلوم وكأنه موجود، في حين أنني لا أعرفه. أعرف مونوغرافات أو تجميعات لمونوغرافات ذات تقاطع فارغ. هنالك تواريخ توزيعيا، للهندسة، للجبر، إلى حد ما للرياضيات، لعلم البصرييات، للديناميكا الحرارية وللتاريخ الطبيعي وهكذا دواليك"⁽³⁶⁾، فهو يدعو إلى ضرورة إقامة علاقات بين الجهوديات العلمية من تفاعل وتداخل، نقل واستيراد، وذلك من خلال تشكيل انسكلوبيديا ترفض إقصاء لأي جهودية

النماذج الزمانية الممكنة ، والتي حصرها في أربع نماذج منها ما هي مترابطة مباشرة وغير مباشرة ، ومنها ما هي لامترباطة مباشرة وغير مباشرة. لكن فكرة اللاتاريخية لا تعني غياب الزمان ، ولكنها تعني إبراز كل الأزمنة الممكنة سواء غير المرتبة أو المحددة والمتضاربة غير الارتدادية ، غائية وتراجعية ، مترابطة ومتقطعة ، لها أصل أو أصول مرجعية مينة منسية أعيد النظر فيها.⁽⁴²⁾ يقول في ذلك: " كل شكي يأتي من هذا حين أكتشف استقرارا نسبيا هنا ، أين انتظرت تنوعا ، سلسلة من الثورات مرحلية أو قطائعية ، تغييرات في البراديفم وهلم جرا "⁽⁴³⁾ ، بحيث يرى أنه لدينا جملة من الأفكار حول التاريخ ، أو نستطيع القول خطابات حوله ، هذه الأخيرة منها ما هي متوافقة مع بعضها البعض ومنها ما هي متناقضة ، لكن جميعها تصب حول أنه خطي مستمر أو متقطع مماثل للزمن ، يسير نحو الأمام ، ليس له أبعادا مثلما هي في المكان . و"من ثم يظهر التاريخ أمامنا مرسوما كالتواء ، مستمرا ومتقطعا ، متطورا أو متقهقرا ، في خط مستقيم أو متعرج..."⁽⁴⁴⁾

ونتيجة لهذه الاختلافات في التأريخ سعى م.سير إلى تأسيس علم للتاريخ يحمل كامل مواصفات العلم الحقيقي ، بغية الوصول إلى بناء تاريخ حقيقي للعلم ، يقول في ذلك: " إذا كنا نحن نشك في حقيقة تاريخ العلوم: هل يتوجب علينا البحث على علم للتاريخ للبدء في هذا التاريخ؟ نعم: هذا ما أخرجني 35 سنة. لا نستطيع أبدا تصور أصول -أصول العلم- بدون فلسفات سابقة للزمن "⁽⁴⁵⁾

كما أنه يركز في الكثير من المرات على تاريخ الرياضيات ، ليتخذها نموذجا للتأريخ للعلوم الأخرى ، يقول عنها: "تظهر أنها تتبع في الواقع أحيانا خطوطا منتظمة واسعة أو متصاعدة ، حلزونية تكرارية أو دائرية ثابتة ، أحيانا تخضع لسقوطات مفاجئة ، رجوعا للخلف أو لقطائع بواسطة نسيان ، أو استقرارات بواسطة احتفاظ مطوّل جدا "⁽⁴⁶⁾

7/- النموذج المثالي لكتابة تاريخ العلم في نظر

م.سير:

يتبنى ميشال سير نموذجا آخر أو زمانية أخرى تتلاءم وطبيعة النسق العلمي ، وذلك من خلال دمج كل الزمانيات الممكنة في زمانية واحدة ، انطلاقا من أن النماذج السابق

النظام الكوبرنيكي للنظام البطليمي ، ونظام كبلر للنظام الكوبرنيكي.

أما النوع الثالث من التأريخ للعلوم: الذي يتعامل مع العلم باعتباره حركة أصلية وتشكلا غير محدود وغير محدد لنسق معين ، فيكون العلم بذلك حاملا لتاريخيته ، أو لنقل انه هو نفسه هذا التاريخ.⁽⁴¹⁾ إذ أنه يسعى إلى تجنب القطائع واحتواء كل الأنساق بدون تهميش لأي منها ، كما هو الحال مع الرياضيات باحتوائها للنسق الاقليدي والنسق اللاقليدي ، أي العودة للماضي من أجل المضي بالعلم إلى الأمام.

ما هو ملاحظ مما سبق ، أن هنالك تعدد واختلاف في التأريخات للعلوم ، فمنهم من ينظر إلى التاريخ على أنه ترسب وتراكم للحوادث مهملين للحقيقة وغير مخلصين للروح العلمية ، في حين هنالك نوع آخر من التأريخ ، وهو التأريخ الانتقائي والذي لا تهتمه سوى الحقيقة متجاهلا للتراث العلمي والرواسب ، وهذا ما هو حاصل بين المؤرخين والعلماء ، بحيث إن التاريخ في نظر العلماء مملوء بالرواسب والأخطاء ، أما عند المؤرخ فالذي يهمه ترتيب الحوادث وفق إطارها الزماني والمكاني.

لكن م.سير يولي أهمية كبيرة لكلا التاريخين ، بحيث أنه إذا ما رفضنا التاريخ التراكمي فإننا لن نكون أوفياء للتاريخ ، كما أنه بالعودة إلى الماضي يمكن استيعاب وإعادة إحياء لمعنى كان راسبا ومغمورا ، ليسهم بدوره في تقدم العلوم.

وبهذا فإذا كان تاريخ العلم لا يحض باتفاق بين المؤرخين والفلاسفة ، فان فلسفة العلم عند م.سير على العكس من ذلك تماما تسعى إلى التوفيق بين الاتجاهين ، من خلال اهتمامها بالحقيقة العلمية من جهة ، وبالرواسب والأخطاء الماضية من جهة أخرى ، لأنه يمكن للرواسب أو الحثالة كما يسميها هو أن تصبح حقيقة ، كما أنه يمكن للحقيقة أن تصبح حثالة. ولهذا نجد يولي أهمية كبيرة لفكرة التأريخ للعلوم ، كون أن الماضي لم يتدرج في هاوية الزمن كما يعتقد البعض ، بل يمكن إعادة إحيائه ليصبح حقيقة.

كما انطلق م.سير من فكرة اللاتاريخية (Anhistoricité) واتخذها كمادة خام ليصنع منها أهم

واستمرارية ، وبالتالي فهو يشبه إلى حد بعيد منطق ثنائي القيمة ، كما أن هذا النموذج يحاكي الزمانية الكرونولوجية ، لكن يمنعنا من الاعتقاد بأنه على شاكلتها بخصوص خطيتها وتسلسلها ، فهو يحوي التناقضات ، بحيث أنه لا انعكاسي ، خاضع للنظام الأنثروبي أي للفوضى واللانظام ، وفي الجهة المقابلة انعكاسي يعيد التدفق الزمني كنظام لتأريخاتنا ، لكنه ليس حكرًا على تاريخ العلوم فقط ، وإنما يتسع لفهم التاريخ عامة ، بدمجه وجمعه لمجموعة من الزمانيات. إذ يقول: "هي زمنية معقدة تجمع زمانيات عديدة ، إذ أن كل الزمانيات التي أعرفها يمكنها تأسيس النموذج الذي أبحث عنه"⁽⁵¹⁾ ، بالإضافة إلى ذلك فإن كل مواضيع هذا العالم لا تزيغ عن هذا النموذج ، على اعتبار أنه أحسن نموذج ناقل للوحة نفسها .

نموذجه هذا قائم على عملية تسمى بالتقطير Percolation ، إذ يأخذ هذا المفهوم معنًا معينًا هنا ، وهو أن نتصور تاريخ الرياضيات على سبيل المثال وليس الحصر ، كفضاء معقد يستلزم تسارعًا قويًا ، عدة تقطيعات وتراجعا في الآن نفسه ، لكنه لا يسترجع كل الرواسب ، بل تاريخية محدّدة ليُعيد إحياءها مرة أخرى وفق معنى معاصر ، لأن " التدفق يجري في تيار جد شفاف يقصي الطمي على نحو متزايد وهذا باجتيازه لعبة التقطير"⁽⁵²⁾ كما يتصور التاريخ كمجرى النهر الذي يتوقف أو يتباطأ عن الجريان في صباح يوم بارد جدا ، لكن مع منتصف النهار وبذوبان الجليد تحدث الكارثة ، بجريان كلي وبدفعة واحدة له ، محملاً بالرواسب من طمي وحصى ، مما يجعل تدفق المياه يجري ويتوقف ، يمر هنا وهناك بفعل الرواسب التي تتدفق معه وتمنعه من الجريان . وبهذا فجريان النهر في هذه الحالة يجر معه الرواسب ويتم داخلها ، وهكذا هو حال التاريخ أيضا يُمكنه إعادة إحياء بعض الرواسب لتصبح معارف . يقول: " الإبداع الرياضي يقودني كذلك نحو الأصل ، إذ في الدراسة الديناميكية لتيار النهر أفهم عمليات الترسيب ووجود تليفات منسية "⁽⁵³⁾ كذلك نموذجه يضع حالة التاريخ في صورة مثالية ماثلة أمامنا ، في حال الكون ، بحيث يرى أنه إذا كان القدماء ينظرون إلى موضوعات السماء من كواكب ونجوم على أنها مستقرة ، خالصة وثابتة ، بخلاف دراسات المفكرين والعلماء فيما بعد ، فنحن كذلك نعرف أن الدقة والصفاء والخلاصية باتت كالنجوم تولد وتشيح

ذكرها عاجزة عن الوقوف على حقيقة العلم عبر مسار تاريخه ، يقول: " هذه النماذج الصامتة هي ساذجة ، ذات بساطة قسوة وفقير محدود ، لذلك يجب مراجعة حسابها وفق تعقيد رائع وتعددية قوية ، حتى يمكن أن نسميها حقيقةً تاريخ "⁽⁴⁷⁾

إن التاريخية أو النموذج الذي يسعى إلى إقامته ، يتصف وكما قلنا بالتعقيد الكبير ، بحيث يمكن قراءته وفق نماذج متعددة وليس وفق نموذج واحد: تراكمي ، متقطع ، غائي وتراجعي . هذا ما يدفعنا إلى رفض فكرة الحتمية في مجال التاريخ والتي قد دعا إليها الكثير من الفلاسفة على غرار هيجل أو كارل ماركس أو الان توينبي ، بحيث ينظر هذا الأخير إليه نظرة تسلسلية كونه على شكل دائرة مغلقة لها بداية ونهاية وذا نظام صارم . في حين السبب الثاني الداعي إلى رفضها في نظره ، هو أن العلوم لم تصل بعد إلى أفقها بل هي ساعية دوما نحو ذلك .

أما الخاصية الثانية التي يمتاز بها نموذجه: أن "الحقيقة التاريخية يمكن أن تتحول إلى نفايات ، كما يمكن العكس إعادة تنشيطها كحقائق: فإذا قلت الحقيقة بمعنى أنكسندر ، أستطيع حاليا قول الكذب وإذا قلت الحقيقة حاليا أستطيع قول الخطأ بمعنى أنكسندر . هذه اللاحتمية تُعرف تاريخ العلوم لا كتقليد مستمر ولكن كنسيج متقطع و متمرق "⁽⁴⁸⁾

إن هذه الزمانية التي نادى بها م. سير تحوي على جملة من الخصائص المختلفة والتمايزة عن بعضها البعض ، قدّمها في شكل استعارة جيوفيزيائية تمثلت في الظواهر المختلفة للطبيعة ، بحيث أنها تُظهر حفرا وخنادق ، طيات وسهول ، أودية ومدخنتات ، أشياء صلبة كالأرض وسوائل كالبحار ، يقول: " الاستعارة هنا جيوفيزيائية ، يمكن أن تكون رياضية . في كل حالة النموذج معقّد ، على نحو محلي هنا أو هناك ، أعلم تكسيرات أو انقطاعات ، في مكان آخر على العكس روابط وجسور "⁽⁴⁹⁾ يُضيف قائلا: " التجربة التي أود القيام بها تجرنا على تغيير جملة من الأفكار ، وتغيير نظرياتنا. أظن أنني سألقي النور على فترة زمنية جد طويلة ، أين التنوع منذ أرسطو إلى غاية أيامنا هذه جد ضعيف "⁽⁵⁰⁾

بمعنى أن فالمنطق الذي يحكم زمانيته منطق التماثل والاختلاف ، التناقض والهوية ، يشهد قطائع

كذلك نجد أن الخاصية التي تميز أيضا تاريخ العلم عند م.سير، أن التاريخ الملقى أي الرواسب يمكن إحياؤها لتصبح علما، والذي يمكن بدوره أن يلغي أو يتجاوز العلم المعاصر، بحيث نجده في كتاب 'لوكرس' يضع معنى لنص ماضي، ويرفض فكرة أن ما مضى لن يعود، "فوحداية الرياضيات في نظره تقطن في اللاتاريخية، أكثر دقة الرياضيات حركة باستمرار تقوم بعملية الرجوع إلى أصولها للبحث عن صقل أو تثبيت لأسسها، فكل إبداع ما هو إلا إعادة بناء أو إعادة كتابة للتاريخ، التوغل أو الاندفاع في غياهب النسيان لإعادة تنشيط جزء من الماضي كأصل...سيد التاريخ وكذلك العلم (الإبداع)، يجدد العلوم وفي نفس الوقت ينتج ماضي ويحدد المستقبل". (57)

الخاتمة

خلاصة القول إن العقل العلمي الجديد- الجديد عند م.سير يسعى نحو تحرير العلم من كل الحتميات التي فُرضت عليه، والتي تقتل الجانب الإبداعي فيه، أبرزها العقلانية، وهذه المهمة موكولة للفلسفة وذلك بتبنيها لمفهوم الفوضى، الصدفة واللانظام،- لأن في نظره الفيلسوف هو راعي التعددية- والتي استطاع بفضلها إقامة نموذج تاريخ علم جديد يخالف تماما كل التأريخات السابقة، بجمعه لكل المعارف، العلمية منها والعامية في بوتقة واحدة (انسكلويديا). كما أن ما يميز نموذج م.سير أنه ليس تراجعيا ولا تقدما، بل هو معقد: تراجع وتقدمي، متقطع وغائي. وهذا ما يستلزم رفض فكرة الحتمية في فلسفة العلوم، كون أن الحقيقة التاريخية يمكن أن تتحول إلى روايب، كما يمكن لهذه الأخيرة أن تتحول إلى حقائق.

وتموت، وذلك لأن أي نظرية ما هي في حقيقتها إلا تاريخ تتبع زمانية معينة، شأنها شأن مكونات الكون: أصول أو بدايات، تطور ثم اندثار أو اختفاء، وخير مثال على ذلك الثورة الكوبرنيكية التي غيرت مرجعيات الحركة. (54)

لكنه يتساءل في الأخير حول إمكانية إقامة علما للتاريخ فيقول: "هل يمكن كتابة علما للتاريخ، وفق زمانيات متعارضة معقدة سعيا نحو دمجها، وذلك بإقامة ثورة بدون حمل أي اسم، من خلال العودة إلى العالم ذاته؟". (55)

9/- النظرة التراجعية في تاريخ العلوم:

إن المقصود بالنظرة التراجعية في تاريخ العلوم هو التنافي بين حقب التاريخ العلمي أو العودة إلى القديم الخالص لجعله راسبا، وذلك من خلال قراءته قراءة معاصرة، وخير مثال على ذلك طبعة اليقين الرياضي، فقد كان قديما في الهندسة الاقليدية قائما على المنهج اليقيني (الحدسي) الاستنباطي، ثم بعد ذلك في الفترة المعاصرة مع الهندسة الاقليدية أصبح قائما على المنهج الفرضي الاستنباطي أي الأكسيومي. وبهذا فاليقين الرياضي المعاصر أصبح أكثر خلاصية من اليقين الكلاسيكي، وهذا ما يقودنا إلى فكرة مهمة أكد عليها م.سير وهي أن القول بالمعجزة اليونانية لا يعني أنها الانطلاقة الحقيقية والأولى للعلوم عامة والرياضيات خاصة، بل هي أقل خلاصية وعلمية مقارنة بالعلم المعاصر، انطلاقا من نظرتها إلى الماضي باعتباره طبقة ثقافية مترسبة أو نوع من اللامعرفة أو اللاعلم. "ويأتي تأكيد هذا انطلاقا من تنبيه للنظرة التراجعية في تاريخ العلوم، التي تبرهن على أن الأولى زمنيا هو لا خالص ولا علمي، والتي تبين أن الأصل الأول للرياضيات- كما هو وارد في المعجزة الإغريقية- ليس هو الأصل الحقيقي للرياضيات، بل انه مجرد انطلاقة، أو هو بالأحرى صدر هذا العلم انطلاقا من النظرة الغائية للعلم". (56)

إذا للتراجعية دورا كبيرا جدا يتمثل في الابتعاد أكثر عن اللاعقلانية والاقتراب أكثر من العقلانية واكتشاف خلاصيات جديدة، بالإضافة إلى رفض فكرة المطلقية وفتح المجال للإبداع ووجود التقطيعات في مسار تاريخ، كما يتم من خلاله الانتقال من اللاخلاصية إلى الخلاصية ومن اللارياضانية إلى الرياضانية.

الهوامش

- * ميشال سير فيلسوف فرنسي مختص في فلسفة العلوم وتاريخها من مواليد 1930م ، لديه الكثير من المؤلفات أهمها: سلسلة هرمس في خمسة أجزاء ، الحواس الخمس ، أصول الهندسة والأصبع الصغيرة.
- 1- جون ليشته ، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة ، تر: فاتن البستاني ، مراجعة محمد بدوي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 ، 2008 ، ص 179.
- 2- يوسف تيبس ، تاريخية العلم: النفي محرك العلم ، مجلة عالم الفكر ، العدد 1 ، المجلد 35 ، الكويت ، سبتمبر 2006 ، ص 279 .
- 3- جون ليشته ، المرجع نفسه ، ص 180 .
- 4- يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلوم عند م. سير ، مجلة عالم الفكر ، العدد 4 ، المجلد 30 ، الكويت ، 2002 ، ص 162 .
- 5 - <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-0050777>. Bernadette Bensaude-Vincent, 'Michel Serres, historien des sciences', texte à paraître dans numéro des cahiers de l'herne sur Michel Serres, 2009 , p 04. 1935:-15.01.2017.
- 6 - Idem.
- 7- كلينامن: هي تغييرات لا متناهية في مسار الجسم أو الشيء .
- 8- جون ليشته ، المرجع نفسه ، ص 185.
- 9- مسارات فلسفية ، حوار مع مجموعة من الفلاسفة ، تر: محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط 1 ، اللاذقية- سورية ، 2004 ، ص 142 .
- 10- بول فيرباند ، ثلاث محاورات في المعرفة ، تر: محمد أحمد السيد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، الإسكندرية ، ص 01.
- 11- صلاح عثمان ، مسيرة الفيزياء بين مقولتي الاتصال والانفصال ، من كتاب: الاتصال واللاتناهي بين العلم والفلسفة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1998 ، ص ص 5- 6 .
- 12- بول فيرباند ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
- 13 - يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلم عند ميشيل سير ، مرجع سابق ، ص 168.
- 14 - Serres Michel, la traduction, les édition de minuit, Paris, 1974, p 66.
- 15 — Idem.
- 16- جون ستروك ، البنيوية وما بعدها- من ليفي ستراوس إلى دريدا ، تر: محمد عصفور ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1996 ، ص 30.
- 17-Serres Michel, la distribution, les éditions de Minuit, Paris, 1977, p 20-23.
- 18- يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلم عند ميشيل سير ، مرجع سابق ، ص 165.
- 19 - Serres Michel, la distribution, Op. Cit, p 23.
- 20 - Serres Michel, pantopie: de hermès à petite poucette, édition le pommier, Paris, 2014, p 308.
- 21 - <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-0050777>. Bernadette Bensaude-Vincent, 'Michel Serres, historien des sciences', Op. Cit, p 07. 1935:-15.01.2017.
- 22 — Idem.
- 23 — Idem.
- 24 - Serres Michel, pantopie: de hermès à petite poucette, Op. Cit, p 300.
- 25 - Ibid, p 302.
- 26- Serres Michel, pantopie: de hermès à petite poucette, Op. Cit, p 302.
- 27 - Idem.
- 28 - Ibid, p 313.
- 29 - Ibid, p 305.
- 30- <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-0050777>. Bernadette Bensaude-Vincent, 'Michel Serres, historien des sciences', Op. Cit, p 10. 1935:-15.01.2017.
- 31- <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-0050777>. Bernadette Bensaude-Vincent, 'Michel Serres, historien des sciences', Op. Cit, p 8. 1935:-15.01.2017.
- 32- Idem.
- 33- يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلم عند ميشيل سير ، مرجع سابق ، ص 212.
- 34 - Serres Michel, la distribution, Op. Cit, p 17.
- 35 - Serres Michel, la distribution, Op. Cit, p 17.
- 36 - Ibid, p 18.
- يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلم عند ميشيل سير ، مرجع سابق ، ص 37214 .
- 38 - Serres Michel, la distribution, Op. Cit, p 18.
- 39 - Idem.
- 40- يوسف تيبس ، تاريخية العلم: النفي محرك العلم- نموذج كارل بوبر ، مرجع سابق ، ص 279.
- 41- يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلم عند ميشيل سير ، مرجع سابق ، ص 219.

42- يوسف تيبس ، المرجع نفسه ، ص 223 .

43- Serres Michel, la naissance de la physique, les éditions de minuit, paris, 1998, p 199.

44- Ibid, p 200.

45 - Serres Michel, les origines de la géométrie, Flammarion, paris, 1993, p 15.

46- Idem.

47 - Serres Michel, la naissance de la physique, Op. Cit, p 200.

48 - Serres Michel, les origines de la géométrie, Op. Cit, p 17.

49 - Serres Michel, la naissance de la physique, OP. Cit. p 200.

50 - Idem.

51 - Serres Michel, les origines de la géométrie, Op. Cit, p 22.

52 - Ibid, p 29.

53 - Serres Michel, les origines de la géométrie, Op. Cit, p 30.

54- Ibid, p 34.

55- Ibid, p 35.

56- يوسف تيبس ، تاريخ وفلسفة العلم عند ميشال سير ، مرجع سابق ، ص 222.

57- <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-0050777>.BernadetteBensaude-Vincent, 'Michel Serres, historien des sciences', Op. Cit, p 06-07. 1935:-15.01.2017

"درجة إسهام أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة جامعة الملك خالد في تعزيز المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة لدى هئمتهم من وجهة نظر الطلاب"

"The Degree Of Contribution Of Faculty Members In Promoting The Contemporary Islamic Educational Implications Of Students From The Students' Perspective At The Faculty Of Shari'a, At King Khalid University"

تاريخ الارسال: تاريخ النشر:

هاني صلاح حسن سعد المتدادي، جامعة الملك خالد / كلية التربية المملكة العربية السعودية

hanissaid95@yahoo.com

المخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تعرف المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة التي يقوم أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة في جامعة الملك خالد بتعزيزها لدى طلبتهم من خلال ممارستهم التدريسية من وجهة نظر الطلاب ، وكذلك اختبار فاعلية مجموعة من المتغيرات المستقلة على استجابات الطلاب ولتحقيق هذه الأهداف قام الباحث ببناء استبانة تحتوي على (53) فقرة ، تمثل كل فقرة من فقراتها مضموناً عربياً ، وبعد القيام بإجراءات الصدق والثبات ، تم تطبيقها على عينة من طلاب كلية الشريعة في جامعة الملك خالد الذكور في منطقة عسير في المملكة العربية السعودية خلال الفصل الدراسي الثاني من العام 2015/2016 ، وقد خلصت الدراسة إلى أن أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة يحرصون على تقديم هذه المضامين وتعزيزها لدى طلبتهم بدرجة عالية . كما أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات الطلاب في تخصص الشريعة وبين تخصص أصول الدين ولصالح الشريعة ، كما أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية حسب المعدل التراكمي ولصالح الطلاب أصحاب المعدلات المرتفعة ، وكذلك وجود فروق حسب العلاقة بعضو هيئة التدريس ولصالح من تربطهم علاقات قوية بأعضاء هيئة التدريس ، كما أظهرت النتائج عدم وجود أثر على استجابات الطلاب حسب متغيري استخدام شبكة الإنترنت ومتغير الرغبة في التخصص .

الكلمات المفتاحية: المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة ، أعضاء هيئة التدريس ، جامعة الملك خالد

Summary

This study aims at identifying the contemporary Islamic educational contents promoted by Sharia'a faculty members from the students' perspective. It also aims at examining the effectiveness of some independent variables on the students' responses. For these purposes, the researcher developed a questionnaire contains (53) items where each item represents an educational content. After checking its validity and reliability, the questionnaire was administered to a sample of male students who belong to the Faculty of Sharia'a at King Khalid University during the second semester of the academic year 2015/2016. The findings of this study revealed that the Sharia'a faculty members are keen to introduce and promote these contents to their students. The findings also showed statistical significant differences between the students of Sharia'a and the students of Usuluddin in favor to Sharia'a students. There were statistical significant differences according to cumulative average in favor to students with high cumulative average. Statistical significant differences were found according to the relationship with the faculty member in favor to students who have strong relationship with faculty members. However, there were no statistical significant differences between students' responses due to their use of internet and desire to study their major.

Keywords: Contemporary Islamic Educational Contents, Faculty Members, King Khalid University

Résumé

L'objectif de cette étude est de saisir les implications éducatives islamiques contemporaines que le corps enseignant à la faculté d'Echariaa renforce chez leurs étudiants, d'après les avis des étudiants de l'université de Roi Khaled. Ainsi, cette étude vise à examiner l'efficacité des variables prises en compte dans l'enquête employée d'après les réponses des étudiants questionnés. Pour réaliser ces objectifs l'enquêteur a construit une enquête de 53 termes. Chaque terme présente un contenu éducatif. Après avoir terminé la procédure de fiabilité et validité, l'enquête a été appliquée sur un échantillon des étudiants de la faculté d'Echariaa, de l'université Roi Khaled du premier semestre de l'année universitaire 2015/2016 . L'étude à conclu que le corps enseignant à la faculté d Echariaa insiste à fournir des implications éducatives et de les renforcer chez leurs étudiants par un degré élevé. Ainsi, les résultats de cette étude ont dévoilé l'existence des différences statiquement signifiantes entres les réponses des étudiants d'Echariaa et ceux d'Elousoul, à l'intérêt des premiers. Les mêmes résultats ont dévoilé qu'ils existent aussi des différences statiquement signifiantes, d'après la moyenne arithmétique au profit des étudiants scolairement réussis. Toutefois, les résultats ont montré qu'il n'existe pas d'influence sur l'acceptation des étudiants de ces implications suivants les variables de : l'emploi de l'internet et l'envie de la spécialité

Mots clés : implications éducatives islamiques contemporaines, faculté d'ECHARIAA

مقدمة الدراسة

مما لا شك فيه أن الإسلام يحمل في مضمونه القدرة على تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وذلك لما يحتوي عليه من مبادئ وأسس وحقائق ومفاهيم وتطبيقات اتسمت بالشمولية والمرونة والتوازن والوسطية، ومحاكاة الواقع بكل ظروفه وتحدياته، فكان على تماس مباشر بحياة الإنسان ووجوده في هذا الكون، من خلال تناوله لقاعدة الثابت والمتغير بالاهتمام والرعاية والتأييد، وتطبيق هذه القاعدة كلما دعت الحاجة لها. وإذا كانت الأنظمة التربوية يحكم على كفاءتها وقوتها من خلال مخرجاتها التربوية وما حققته من أهداف، فإن النظام التربوي الإسلامي استطاع أن يقدم للعالم عبر الحقب الزمنية المتعاقبة أفضل المخرجات التربوية، ويتأكد ذلك من خلال ملاحظة التحولات التي أحدثتها هذا النظام في المجتمع الجاهلي الأول، قال تعالى {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (الجمعة، 2)، فالبرغم من تلك المدخلات التي وصفت بالضلال المبين، استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم بذلك القرآن الكريم، من خلال النموذج التربوي الذي اتبعه النبي صل الله عليه وسلم والذي أستند على القواعد والمبادئ الأساسية والتفصيلية للإسلام. والتي دعت كما يذكر ياسين إلى التركيز على المعرفة واكتسابها، وجعل ذلك الزاميا على جميع معتنقيه بغض النظر عن الجنس أو العرق أو اللون، والتركيز على جميع الأبعاد التي يجب على التربية مراعاتها، ومن بين هذه الأبعاد: البعد الأول يركز الجانب البدني والفكري، أما البعد الثاني فيركز على البناء القيمي والأخلاقي، أما البعد الثالث فيتعلق بتعامل الإنسان المسلم مع البيئة الطبيعية والاجتماعية (1)

وفي ضوء هذا التصور حاول العديد من العلماء وضع نموذج دقيق وأصيل لمفهوم التربية الإسلامية يقوم على المبادئ الأساسية للإسلام التي تركز على عقيدة التوحيد الخالصة القادرة على جعل الإنسان يقوم بدوره كخليفة الله بارضه، وتقديم نموذج حضاري متكامل للتعامل مع التنمية الشاملة: الروحية والفكرية والاقتصادية والعلمية واللغوية على

المستوى الفردي والمجتمعي(2). وهذا يتطلب متابعة الدراسة في مجال المعرفة في اطار النظرة الإسلامية للعلوم القائمة على أساس الترابط بين جميع أجزاء هذا الكون، وتقسيم المعرفة في مختلف التخصصات إلى جزئيات مع عدم إغفال أي جزئية منها(3)

وقد أكد على ذلك الكيلاني (2008) الذي يرى أن فلسفة التربية الإسلامية تنبثق من عقيدة التوحيد وهي تعمل للوصول إلى غايتين أساسيتين هما: بقاء الإنسان ثم الارتقاء بهذا الإنسان إلى المستوى الذي يليق بمكانته في الوجود، ويتحقق للإنسان الرقي حين تتشكل علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة الآخرة؛ من خلال التكامل بين جميع مظاهر العبادة: المظهر الشعائري، والمظهر الاجتماعي، والمظهر الكوني، حيث يتمثل المظهر الشعائري في شعائر وممارسات ترمز إلى أشكال الحب والطاعة التي يعبد بها الإنسان الخالق، وتطبيق هذا المظهر يتطلب من التربية تعريف المتعلمين بتفاصيل الشعائر والممارسة الدينية، وتدريبهم على أدائها في ضوء ذلك، وأما المظهر الاجتماعي: فموضوعه الثقافة والقيم والعادات والتقاليد والنظم: وتطبيق هذا المظهر يتطلب من التربية أن تعرف المتعلمين بشبكة العلاقات الاجتماعية، وأن تدربهم على ممارستها، ويتفرع عن ذلك دراسة الاجتماع البشري، وتعاقب الحضارات، وأما المظهر الكوني للعبادة: فموضوعه العلوم الطبيعية، التي توفر للعالم المسلم دخول مختبر الآفاق، وإبراز معجزات العصر وبراehينه، وتوفير الشواهد التي تكشف عن عظيم صنع الله وقدرته، وتقنع المتعلم الجديد والأجيال الجديدة بوجود محبة الخالق محبة كاملة، وطاعته طاعة كاملة، وتطبيق هذا المظهر للعبادة، يتطلب من التربية أن تدخل بالمتعلمين مختبر الكون؛ لتعرفهم به، وتوجههم إلى اكتشاف القوانين التي تنظم الكائنات الحية والطبيعة، واكتشاف خصائصها(4).

وبناء على ذلك يمكن وصف فلسفة التربية الإسلامية على أنها مجموعة من الأهداف والغايات والمبادئ نحو عمليات التعليم والتعلم، وقد تم تصميم فلسفة التربية والتعليم لتدريب وتوجيه البشرية لتلبية أقصى متطلبات الخلافة في الأرض، وربط الحياة كلها مع الدين وتعزيز العلاقة

والمالي والمجال الوقائي والصحي والمجال الحقوقي والمجال
التواصلية والإعلامي و المجال الفني والجمالي والمجال
البيئي(8).

ويتطلب تحقيق هذه الرؤية الشاملة للنظام التربوي
الإسلامي تبني استراتيجيات محددة وواضحة في محاكاة الواقع
ومتطلباته وفق الرؤية الإسلامية الشاملة والمرنة ، وهذا يقع
بالدرجة الأولى على المؤسسات التربوية المختلفة ، وعلى رأسها
الجامعات ، فلا شك كما يرى العاجز (2005) أن موقع
الجامعة من المجتمع يظل مرهوناً بقدرتها على تطوير نفسها
وتطوير أعضاء هيئة التدريس فيها ، وبالتالي تطوير طبيعة
الأدوار المتوقع منهم ممارستها ، لتجديد حركة الفكر الشاخص
في أبنائها وذلك أن التطوير ضماناً للاستمرارية والبقاء.
وانطلاقاً من هذا المطلب ، ومن أهمية التعليم واستناداً إلى
دور الجامعة في تطوير دور عضو هيئة التدريس فيها من أجل
تكوين الطالب الجامعي الذي تشكله اليوم ليكون داعية
وعالم المستقبل في ظروف باتت الجامعة وأعضاء هيئة
التدريس فيها مطالبين بالأخذ بيد طلبتهم نحو ملاحقة
تطورات العصر الحاضر بمستجداته الحديثة ، وثوراته العلمية
والتكنولوجية المتلاحقة في فترة التحول والتغيير الذي
تعيشه الأمة الآن(9) .

لذلك كان طبيعياً أن تتجه الآمال والطموحات نحو
المؤسسات التعليمية ومنها الجامعات للقيام بالمهام والأدوار
التربوية العصرية لتمكين شبابها وطلبتها ودعاتها من تفهم
وإدراك ما يدور حولهم من تحديات ، وتزويدهم بالمعرفة التي
تمكنهم من معايشة الواقع العلمي الجديد ، لذلك لا بد من
العمل على ضرورة مواجهة هذه التحديات من خلال الأدوار
الملقاة على عاتق كل المؤسسات التربوية الأخرى ، وتشكيل
ثقافة الشباب وتوجيه أفكارهم وقيمهم وسلوكياتهم
واتجاهاتهم ، وإحاطتهم علماً وفهماً ووعياً بكل ما يحيط بهم ،
علماً بأن المعيار الذي يحكم عملية التجديد لدينا في مجتمعنا
"يقوم على اتخاذ الأصول الإسلامية معياراً تقوّم به الأفكار
الواردة وتمحيصها قبولاً أو رداً أو تعديلاً بما يتلاءم مع هذا
المعيار"(10).

ومن هنا فقد أشارت العديد من المؤتمرات
والندوات التي عقدت على ضرورة الاستجابة للمستجدات

الإلهية بين الإنسان والخالق ، من خلال التركيز على الصفات
الشخصية والمهنية للإنسان لتتلاءم مع التحديات الحالية
والمستقبلية في جميع أشكال الحياة ، لذلك فإن التعليم في
الإسلام ليس مجرد اكتساب المعرفة الفكرية وإنما هو وسيلة
لتشكيل شخصية الفرد والمجتمع(5).

حيث يحث الإسلام أتباعه ويدفعهم إلى الابتكار
والاختراع والإبداع واستخدام العلم وسيلة للنهوض والارتقاء ،
ويدعو إلى أن يتبنى المجتمع الكشف عن الموهوبين
والمتوفين ، ويتعهدهم بما يعود على الأمة الإسلامية وعلى
البشرية جمعاء بالخير والفائدة وتعميق اعتقاد المتعلم بهذه
المفاهيم ، وقيادة الأمة بفكره وعقله وحكمته للرفي والتقدم ،
وصناعة الحضارة ذات البعد الإيماني ، والأخلاقي ، والتفكير
الإبداعي الذي يتيح الفرصة أمام المتعلم للإبداع والابتكار في
مجالات تخدم المجتمع ، وتخدم أهداف الأمة في المجالات
المختلفة ، "والتركيز على التفكير الإبداعي الذي هو تفكير
مفتوح ينتج إجابات متنوعة وفي مجالات مختلفة. والمجتمع
المسلم هو في حاجة إلى الإنسان المفكر المبدع الذي يميل
إلى الابتكار والإبداع ؛ لأن المجتمع بهذه العناصر يرقى ويتقدم
.. ومن هذا المنطلق فإنه لا بد أن يكتسب المتعلم المهارات
التي تمكنه من الإسهام في اكتشاف الطاقات والموارد
الطبيعية.. والعمل على توظيفها لخدمة الإسلام
والمسلمين(6).

وفي هذا الصدد يشير أبو عراد (2015) إلى أن
التربية الإسلامية علمٌ تربوي يتميز في الغاية والمصدر ، ويهتم
ببناء الشخصية المسلمة المتكاملة والمجتمع المسلم المثالي
وإعداده ، ويقوم على نظام مستقل ومُستمد من الأصول
الشرعية الإسلامية ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على معرفة الواقع
وظروفه ، ولا بُد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة
الإسلامية وعلوم التربية ، حتى تتم معالجة القضايا التربوية
من خلاله معالجة إسلامية صحيحة ومناسبة لظروف الزمان
والمكان(7).

وحتى تحقق هذه الفلسفة رؤيتها لا بد أن تتناول
التربية الإسلامية كل مجالات الحياة التي تهتم الإنسان ومنها
المجال العقائدي والتعديدي بمفهومه العام و المجال الفكري
والمنهجي والمجال الاجتماعي والأسري والمجال الاقتصادي

والاجتماعية في الأمة الإسلامية وفق منهجية إسلامية واعية ، ومراجعة البحوث والدراسات المتعلقة بالثقافة الإسلامية في الجامعات ، والتجديد فيها بما يراعي حاضر العالم الإسلامي والتحديات التي تواجه الأمة (13).

في ضوء كل ذلك تأتي هذه الدراسة للتعرف على الدور الذي يقوم فيه أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة في جامعة الملك خالد في تعزيز المفاهيم التربوية الإسلامية المعاصرة ، والتعرف على تأثير مجموعة من المتغيرات على هذا الدور.

مشكلة الدراسة:

من المسلمات التربوية أن كل مؤسسة تعليمية تحتاج إلى قاعدة ثقافية تربي أبناءها وتوجههم على أساسها ، كما تحتاج إلى منطق موحد يصوغ خطابها التربوي. ولها كانت الجامعات والكليات بيئات تربوية عليا متخصصة ، ويرتجى منها في الأصل أن تقوم بوظائف تربوية متكاملة وشاملة من هنا كانت حاجة الطالب الجامعي إلى تزويده بالمفاهيم الدينية المعاصرة(14). حيث يشهد العالم كما يرى بدران تطورات وتقلبات جذرية في جميع مناسبات الحياة ، بما في ذلك طريقة الحياة نفسها ، وذلك بفضل العديد من الثورات العلمية والتكنولوجية والمعرفية ، فكان لزاما رسم صورة لتعليم الأجيال القادمة التي ستعيش مشكلات وقضايا لم نعشها من قبل(15).

وقد أصبحت عمليات العولمة تمثل ، من الناحية النظرية ، والعملية ، تحديا للعلوم التربوية ، وبالتالي ، لا بد من تناولها في مجال التعليم. وفقا لذلك ، فهناك العديد من المفاهيم التعليمية مثل التبادل الثقافي ؛ القدرة الحوارية ، الحوار النقدي ، تعليم الكبار ، التفكير العالمي يجب دراستها في ضوء ظاهرة العولمة وزيادة التركيز على المفاهيم التربوية البديلة والمبتكرة وصياغة المفاهيم التعليمية والاجتماعية والسياسية والهيكل والممارسات التي يجب أن توجه لمكافحة الآثار السلبية لعمليات العولمة(16).

وبفرض هذا الواقع الجديد على التربية أدوارا متجددة لمحاولة استشراف المستقبل بأسلوب علمي ، ليمارس القائمون على العملية التربوية أدوارهم الجديدة التي تركز على إطلاق قدرات الطلاب وطاقتهم ، وتتطلب تلك الأدوار

التربوية المختلفة ودراساتها والتفاعل معها وفق الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والحياة ، وضرورة الاهتمام بفقهاء القضايا المعاصرة والعناية به ، والاستفادة من التجارب المتنوعة والخبرة للجامعات التي تعنى بتدريس فقه القضايا المعاصرة ، عن طريق التعاون العلمي والتعليمي بين هذه الجامعات ، من خلال المؤتمرات والندوات المشتركة المتخصصة في هذا الشأن ، و تكوين لجنة متخصصة في كل قسم علمي لمراجعة وتقييم وتطوير تدريس فقه القضايا المعاصرة ، والنظر في القدر المخصص للمسائل المعاصرة ، من حيث الكم والكيف ، والطريقة التي تقدم بها للطلاب ، والعناية بطرائق تدريس فقه القضايا المعاصرة في المرحلة الجامعية ، ومراحل الدراسات العليا ، واختيار الأساتذة المتميزين في الناحيتين العلمية والمهنية لتدريس هذا المقرر ، وذلك لها في تدريسه بطريقة جيدة من أثر إيجابي في صقل الملكة الفقهية للدراسيين (11).

كما جاء ذلك في ندوة الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي والتي دعت إلى ضرورة العمل على صياغة الخطاب الدعوي بما يتواءم مع الأحداث ويناسب مستجدات العصر ويخاطب كافة الأطياف و ضرورة مراجعة الدعاة لخطابهم الدعوي دورياً وتقيوم ما يرون فيه من إيجابيات وسلبيات ؛ للإفادة منها في إنتاج خطاب دعوي معاصر صحيح ، يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وبين الحكمة وفقه الأولويات ، ويوظف التقنيات الحديثة المؤثرة (12).

وهذا ما أكد عليه مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر والذي تضمنت أهدافه تكوين المسلم الواعي الذي يمتلك التوفيق بين حقائق العلم وحقائق الدين ، ويكشف عن توافق الحقائق الكونية مع الحقائق القرآنية ، لترشيد العلوم الإسلامية نحو عمارة الأرض وصلاحها ، وتمكين المسلم من المقارنة والموازنة والنقد والفهم السليم للأراء والاتجاهات الفكرية المعاصرة ، وتنمية روح التجديد في الصحيح منها. والتعريف ببعض مستجدات الثقافة الإسلامية وقضاياها المعاصرة. كما كان من ابرز توصيات المؤتمر تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر وعلومه وما جد فيه ، ودراسة الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة ، وتقييمها وفق المنهاج الإسلامي ، وصياغة العلوم الإنسانية

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تعرف المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة التي يقوم أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة في جامعة الملك خالد بتعزيزها لدى طلبتهم من خلال ممارستهم التدريسية من وجهة نظر الطلاب، وكذلك اختبار فاعلية مجموعة من المتغيرات المستقلة على استجابات الطلاب، بالإضافة إلى تقديم مجموعة من التوصيات.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

• أهمية الموضوع نفسه حيث يعد الحديث عن المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة من أهم الموضوعات التي يمكن دراستها لارتباطها بأبرز خصائص التربية الإسلامية المتمثلة بخاصية الأصالة والمعاصرة والتي تعبر عن مدى ارتباط التربية الإسلامية بالواقع ومحركاته وفق معايير الرؤية الإسلامية الشاملة.

• تناولها للمحور الأساس من محاور العملية التعليمية، وهو الطالب من خلال التعرف على ما يتوقع هذا الطالب من العملية التعليمية تقديمه له من خلال رأي الطالب مباشرة الذي يمكن أن يكون له دورا في صياغة خطط الجامعة.

• تسليط الضوء على المضامين التربوية المعاصرة من منظور تربوي إسلامي معاصر.

• استجابتها للعديد من التوصيات التي طالبت بضرورة تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر وعلومه وما جد فيه، ودراسة الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة، وتقويمها وفق المنهج الإسلامي.

• يؤمل من هذه الدراسة التعرف على الدور الذي يقوم به أعضاء هيئة التدريس في تعزيز المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة، وبذلك يمكن للقائمين على العملية التربوية الاستفادة منها من خلال تعريفهم بتقديرات طلابهم لدور أعضاء هيئة التدريس.

• يمكن أن تسهم هذه الدراسة في إمكانية أن تكون هذه المضامين موجّهات ومعايير تساعد في صياغة المناهج الدراسية.

العصرية التركيز على جميع جوانب الشخصية للطالب العقلية والفكرية والوجدانية والوطنية والمهنية والاجتماعية في إطار رؤية معاصرة تحاكي الواقع وتستجيب لمتطلباته مع الحفاظ على الثوابت التي لا يجوز المساس بها. وقد أكدت على ذلك العديد من المؤتمرات والندوات والدراسات التي دعت إلى ضرورة أن يضطلع أعضاء هيئة التدريس بدورهم في التأكيد على ضرورة الاستجابة للمستجدات التربوية المختلفة ودراستها والتفاعل معها وفق الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والحياة، وجعل تلك المستجدات التربوية مضامين تربوية يحرصون على تقديمها لطلبتهن

ويبذل باحثوا التربية الإسلامية جهودا كبيرة لمواكبة المستجدات المعاصرة وتطوير خطابهم كي يتواءم مع متغيرات المجتمع، ويتطلب ذلك التعامل المنهجي لتطوير الخطاب التربوي الإسلامي المعاصر في إطار الواقع قوة لتحقيق الذات أولا، ولتوليد طاقة متطورة للتحرر من العوائق ثانيا، والتواصل مع العصر وتكوين فهم أكبر للأصول بغرض المساهمة في وضع لبنات البناء المجتمعي الحضاري ثالثا(17).

من هنا فقد نشأت مشكلة هذه الدراسة في محاولة من الباحث في التعرف على دور أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة في جامعة الملك خالد في تعزيز المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة لدى طلبتهم، ودراسة مدى تأثير هذا الدور بمجموعة من المتغيرات وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما درجة إسهام أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة في جامعة الملك خالد في تعزيز المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة لدى طلبتهم من وجهة نظر الطلاب؟

س2: هل توجد فروقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) بين متوسطات استجابات الطلاب في درجة تعزيز أعضاء هيئة التدريس للمضامين التربوية الإسلامية المعاصرة من وجهة نظر الطلاب تعزى لمتغيرات الدراسة التخصص، المعدل التراكمي، العلاقة بعضو هيئة التدريس، استخدام شبكة الأنترنت، الرغبة في التخصص عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$)؟

الفضائيات، والعولمة، وشرق أوسط جديد، وتغيير المناهج، من القضايا الأساسية التي يركز عليها مساق الثقافة الإسلامية، وقد أوصت الدراسة بتبني اعتماد مساق الثقافة الإسلامية في جميع الكليات كمتطلب تأسيسي، مع تحديث هذا المساق وفق القضايا المعاصرة.

وفي السياق ذاته جاءت دراسة العاجز ونشوان (2005)(19) والتي هدفت تعرف بعض مظاهر التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي في ضوء بعض تغيرات العصر وتأثير العولمة الثقافية على الفكر والتربية الإسلامية. وكذلك التعرف على دور الجامعة الإسلامية في إعداد الدعاة لمواجهة بعض متغيرات العصر كالعولمة الثقافية، تم اختيار عينة البحث من طلبة الجامعة الإسلامية في الكليات الأدبية والشريعة والعلمية وبلغ عددهم (300) طالب وطالبة. تكونت أداة الدراسة من استبانة احتوت على (27) فقرة تناولت آراء طلبة الجامعة الإسلامية في دور الجامعة الإسلامية في إعداد الدعاة لمواجهة بعض متغيرات العصر ودور الجامعة الإسلامية في إعداد الدعاة لمواجهة بعض تغيرات العصر من وجهة نظر طلبة الجامعة الإسلامية. أظهرت النتائج أن الجامعة تستقطب العديد من الدعاة المشهورين من العالم الإسلامي والعربي لمساعدة الجامعة في إعداد طلبتها للدعوة.

وجاءت دراسة رمزي (2005)(20) بهدف تقديم فلسفة التربية العربية الإسلامية من منظور مستقبلي، وتعرف منظومة الثوابت العربية الإسلامية التي تقوم عليها التربية العربية الإسلامية وتستند إليها، والمتغيرات والمستجدات التي يتوقع أن تتفاعل معها التربية العربية الإسلامية تفاعلاً إسلامياً- في منظورها المستقبلي وطبيعة العلاقة بين منظومة الثوابت الإسلامية من جهة وبين المتغيرات والمستجدات التي يتوقع أن تتفاعل معها التربية العربية الإسلامية: كالمتغيرات المعرفية والتربوية والتعليمية والتعليمية والمنهجية، والمعلوماتية، والاتصالية، والبيئية، والتنموية والإدارية. وقد خلصت الدراسة إلى أن التربية الإسلامية تتفاعل في الواقع المستقبلي مع المستجدات التربوية والمعرفية والتعليمية والتعليمية والمنهجية والبيئية والإدارية والتنموية على أساس ثوابتها المرجعية وفي ضوءها.

• تعد هذه الدراسة عند حد علم الباحث من الدراسات القليلة التي تحاول التعرف المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة.

• يؤمل من هذه الدراسة تقديم مجموعة من التوصيات يمكن من خلالها تفعيل دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز هذه المضامين.

• يؤمل من هذه الدراسة فتح المجال لدراسات أخرى جديدة تتناول هذه المضامين بالتفصيل.

حدود الدراسة :

طبقت هذه الدراسة على عينة من طلاب كلية الشريعة في جامعة الملك خالد الذكور في منطقة عسير في المملكة العربية السعودية خلال الفصل الدراسي الثاني من العام 2015/2016، ويتوقف تعميم نتائجها على صدق استجابة أفرادها على فقرات الأداة، كما تتحدد بالإجابة على أسئلة الدراسة وفقرات الأداة.

التعريفات الإجرائية:

المضامين التربوية: هي المحتوى التعليمي والتربوي الذي ينبغي على أعضاء هيئة التدريس تقديمه لطلبتهم من خلال ممارستهم التدريسية.

الدراسات السابقة:

سنتعرض في هذا الفصل للدراسات السابقة التي ترتبط بموضوع المضامين التربوية المعاصرة، وكذلك المفاهيم التربوية المعاصرة والمستجدات والقضايا التربوية المعاصرة. وسيقوم الباحث بتقسيمها إلى حسب جدول زمني من الأقدم إلى الأحدث :

فقد أجرى حماد (2004)(18) دراسة هدفت التعرف على القضايا المعاصرة التي تواجه المجتمع الفلسطيني المسلم، وتحليل محتوى مساق الثقافة الإسلامية في الجامعات الفلسطينية، بمحافظة غزة، في ضوء القضايا المعاصرة، ولتحقيق ذلك قام الباحث بتقديم استبانة لعينة قوامها (200) طالب جامعي للتعرف على أهم القضايا المعاصرة بالنسبة للمجتمع، ومن ثم تحليل محتوى مساق الثقافة الإسلامية في ضوء القضايا التي توصل إليها الباحث، وقد بينت النتائج أن قضية الإرهاب، ومقاهي الإنترنت، وغزو

تغيرات عديدة على الساحة العالمية تميزت هذه التغيرات بعمقها وشمولها وامتدادها إلى مجالات واسعة ، وهي تتطلب مزيداً من الحرص ، والعمل على تجنب أثارها السلبية ، والعمل على الإفادة من أثارها الإيجابية. كما أكدت الدراسة على الدور الكبير للجامعات في تنمية المجتمعات عمومًا والإسهام في صقل ثقافتها خصوصًا.

وقام يعقوب (Yaacob,2008) (24) بدراسة هدفت إلى التعرف على مفهوم المناهج التربوية المعاصرة واثرها على التعليم ، أشارت الدراسة إلى أن العلماء المسلمين بذلوا مساعيا جادة لتعريف مفهوم التربية الإسلامية ووضع نموذج التعليم الإسلامي الأصيل القائم على المبادئ الأساسية للعقيدة والتوحيد (مبدأ الإيمان). وتقديم تصور إصلاح التعليم لإنتاج مسلم جديد وجيل مسلم وقادر على القيام بدوره كخليفة الله في الأرض وتحقيق مسؤوليته في بناء الحضارة الإنسانية ومواردها ، والمحافظة على التنمية الشاملة للفرد ، الروحية والفكرية ، والمادية والعلمية واللغوية ، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي ، وبالتالي يجب على جميع الأطراف القلق حول كيفية تطوير المناهج المتكاملة الإسلامية كوسيلة لإنتاج الشخصية الإسلامية المتكاملة.

وقام محمود (2008)(25) بدراسة هدفت الوقوف على أهمية دراسة المفاهيم والثوابت الإسلامية والتأصيل الإسلامي لها لاسيما في ظل المتغيرات المعاصرة. والوقوف على أهم المتغيرات المعاصرة التي أثرت في المفاهيم الإسلامية وأخرجتها عن معناها الصحيح إسلامياً. وما دور التربية تجاه تنمية وعي طلاب التعليم الجامعي ببعض المفاهيم الإسلامية في ظل المتغيرات المعاصرة اقتضت الدراسة على عينة من طلاب الجامعات المصرية بلغ قوامها (1158) طالباً من طلاب الجامعات المصرية المختلفة. أكدت الدراسة أهمية دراسة المفاهيم الإسلامية لاسيما في الوقت الحاضر ، كما أشارت إلى وجود العديد من المتغيرات المعاصرة التي تؤثر في المفاهيم الإسلامية وتحاول إخراجها عن معانيها الإسلامية ، وأوضحت الدراسة الميدانية تحقق وعي طلاب التعليم الجامعي بحقيقة بعض المفاهيم الإسلامية موضوع الدراسة في العديد من جوانبها ووجود بعض جوانب القصور من قبل بعض المؤسسات التربوية في القيام بدورها

وبذات الهدف جاءت دراسة فاروقي (2007)(21) التي حاول من خلالها الربط بين العلوم الحديثة والعلوم الإسلامية من خلال تناول المبادئ الأساسية للإسلام في إطار النظرة الإسلامية التي تتميز بالشمولية والتكامل ، أشارت الدراسة إلى أن العلم من المنظور الإسلامي يجب أن يظهر الترابط بين جميع أجزاء الكون. وأن على الباحث أن يولي اهتماما للتفاصيل وهذا يتطلب "تقسيم المعرفة في مختلف التخصصات ، وهذا يفرض على العلماء المسلمين التعامل مع العالم الحديث المعاصر بالثقة بالنفس ، والثقة هنا تعني الحاجة إلى إعادة اكتشاف واستعادة المقومات الرئيسية للحضارة الإسلامية والسعي لبناء المعرفة وفق مبادئ الإسلام العظيمة

وأجرت فلاتة (2007) (22) دراسة بهدف توضيح المقصود من التربية الإسلامية ، والتعرف على أهميتها ، مصادرها ، أسسها في إعداد الداعية ، وبيان كيف كان إعداد الداعية في ضوء منهاج التربية الإسلامية في العهد النبوي ، وبيان واقع برامج إعداد الداعية في المملكة في العصر الحاضر ، وتوضيح الدور التربوي للداعية في مواجهة تحديات العصر ، ولتحقيق ذلك تم استخدام المنهج الوصفي ، وقد خلصت الدراسة إلى أن المسؤولية الكبرى في التغيير والإصلاح والتجديد ومواجهة تحديات العصر يقع على رجال العلم والدعوة والتربية ، كما أشارت النتائج إلى ضرورة وضع تصور مقترح لتطوير إعداد الداعية ، وبالتالي لابد للعلماء والدعاة من وضع خطة إسلامية قائمة على أسس واضحة لمواجهة التحديات والمتحدين للإسلام والمسلمين في المجالات المختلفة "تربوية ثقافية اجتماعية وغيرها

أجرت رابعة (2007)(23) دراسة بهدف بيان مفهوم الثقافة الإسلامية وأهدافها ووظائفها وخصائصها والتحديات التي تواجهها ، وموقفها من هذه التحديات ، وأهمية اعتناء الجامعات بهذه الثقافة ، وقد خلصت الدراسة إلى أن الثقافة الإسلامية لها أثر كبير في صقل شخصية الأمة ، وبناء كيانها ، واعتزازها بتراثها المستمر ، وانها واجهت وتواجه التحديات والعقبات المختلفة على مدار العصور ، وأن الأمة العربية والإسلامية تواجه مخاطر ثقافية ، تشكل تحديات خطيرة في الوقت الحاضر ، وفي السنوات المقبلة ، هذه التحديات فرضتها

التربية والتزام الدولة والمجتمع بها، وكذلك لمعرفةهم بصلاحياتها لكل زمان ومكان

وقام أبو شعيرة (2009)(28) بدراسة هدفت إلى تعرف درجة تمثيل معلمي الحلقة الأساسية الأولى في مدارس التدريب المتعاونة مع جامعة الزرقاء الخاصة للمفاهيم التربوية المعاصرة، والفروق بينها، وقد استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق هذه الأهداف استخدمت استبانة مكونة من ٤٠ (فقرة، يمثل كل منها موقفاً تعليمياً، وزعت على ثماني مجالات، رئيسة هي: الفروق الفردية، والتربية الإبداعية، والتربية الديمقراطية، والثقة بالنفس، والتربية المستمرة، والتربية المتكاملة، والتربية التكنولوجية، والتربية البيئية، وتم تطبيق أداة الدراسة على جميع المعلمين المتعاونين مع برنامج التربية العملية في جامعة الزرقاء الخاصة، وعددهم) ٩٦ (معلماً ومعلمة وفقاً، لمتغيرات الجنس، والمؤهل العلمي، والخبرة، ومنطقة التدريب. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن درجة تمثيل المعلمين للمفاهيم التربوية المعاصرة قد جاءت بدرجة مرتفعة في مجال التربية المتكاملة.

وأجرى محمد(2010) (29) دراسة يهدف محاولة التوصل للتقويم التربوي لمدى توفر المتطلبات التربوية في الخطب الديني الإسلامي في ظلّ التحدّيات العالمية المعاصرة، ومعرفة المعوقات التي يمكن أن تؤثر في هذا الخطاب، والتي تعوق الخطاب. وقد استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، خلصت الدراسة إلى أن خطابات بعض القائمين على الخطاب الديني الإسلامي المعاصر ينقصها التعامل مع الجانب الوجداني وقلة توفيرها للمتطلبات الوجدانية؛ لذلك يرى الباحث أنّ توفير هذه المتطلبات من أهم مهام الخطاب الديني الإسلامي المعاصر، لاسيّما في ظلّ هذا الفيض الهائل من أشكال التحديات المعاصر، وقد تضمنت نتائج تحليل محتوى عينة الخطاب الديني الإسلامي المعاصر المأخوذة من إذاعة القرآن الكريم ومن مجلة الأزهر العديد من المتطلبات التربوية التي وُضعت في استمارة التحليل المحكمة

وأجرى بركات ووعوض (2011)(30) دراسة هدفت استطلاع رأي عينة من أعضاء هيئة التدريس في بعض

في تنمية وعي طلاب التعليم الجامعي بحقيقة المفاهيم الإسلامية حيث جاءت درجات الدلالة متوسطة وضعيفة في أدوار بعض المؤسسات مثل: دور الأسرة والجامعة وغير دالة في البعض الآخر مثل: دور وسائل الإعلام والنشر الإلكتروني. وقام الجمل (2009) (26) بدراسة هدفت الدراسة إلى تحديد ملامح الخطاب التربوي من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب، وإبراز خصائصه، والكشف عن مجالات التوجيه التربوي للشباب من خلال الحديث الشريف كالمجال العقائدي، الأخلاقي، الاجتماعي، الجهادي، ثم بيان أهم أساليب الرسول في تربية الشباب، وإبراز أهم النماذج الشخصية التي أنتجتها التربية النبوية وأسباب تميزها في تربية الشباب ووضع تصور مقترح للاستفادة من نهج الرسول، وقد استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية كأحد تقنيات المنهج الوصفي، وذلك بتناول الأحاديث الشريفة المتعلقة بالخطاب التربوي النبوي الموجه للشباب وتحليل مضمونها، وتصنيفها إلى مجالات عبرت عنها أسئلة الدراسة، وقد خلصت الدراسة إلى التأكيد على ضرورة التزام الخطاب التربوي المعاصر بالمرجعية الإسلامية بمصادرها المتعددة كالقرآن والسنة والسيرة وآراء علماء المسلمين.

وأجرى الصالحي وأخرون (2009)(27) دراسة هدفت تعرف واقع تطبيق التربية الإسلامية في القضايا المعاصرة من وجهة نظر المعلمين بدولة الكويت، ودورها في بعض مناحي الحياة العامة ومجالات القضايا المعاصرة الخاصة والمتمثلة في مجال الفرد والأسرة والوسائط التربوية والمجتمع، كما هدفت إلى مساعدة التربويين في فهم الواقع والتعامل معه بصورة أعمق والتأثير فيه بشكل أدق، وتم استخدام المنهج الوصفي في جمع البيانات والمعلومات اللازمة لتحقيق أهداف البحث، وقد بلغت عينة الدراسة (582) من المعلمين والمعلمات، وقد أظهرت النتائج أن أفراد العينة يدركون أهمية الفهم الصحيح للدين وأن هذا الفهم يمنع من الانحرافات الفكرية، ويرجع ذلك إلى البيئة المنفتحة نسبياً التي تساعد على الحوار وحرية التفكير والتعبير في جو من العدل والمساواة والوفرة المادية، وأن التربية الإسلامية تساهم في حماية المجتمع من الفساد، وذلك لإيمانهم بمبادئ هذه

وقام كاملي (Kamali, 2013) (32) بدراسة هدفت إلى التعرف على اتجاهات الأصالة والمعاصرة للتربية من منظور إسلامي ، وتعرف مفهوم الأصالة والمعاصرة من منظور إسلامي وانعكاسها على منهج التعليم ، وقد خلصت الدراسة إلى أن ظهور مفهوم المعاصرة يمثل حلقة هامة في التربية الإسلامية ، ويتطلب ذلك إجراء العديد "الإصلاحات" على نطاق واسع في الفكر والمؤسسات والمعرفة ، والاطلاع على كل من الأبعاد المادية والمبتايقية للواقع ، والنظرة الحديثة التي تقترض نموذج معرفي مختلف ، كما أشارت الدراسة إلى أن هذه التطورات تتطلب استجابة فعالة لسد الفجوة ، وإيجاد التوازن - بين التعليم التقليدي والحديث ، والذي يتطلب التركيز المتوازن على جميع جوانب الشخصية ، ويمكن تحقيق ذلك من دمج متوازن من المعارف الحديثة مع الطرق التقليدية وتشجيع التفكير النقدي ، والأصالة والإبداع في التعلم.

وقام ياسين (Yasin,2013) (33) بهدف التعرف على الفلسفة ، والأهداف ، والميزات الرئيسية للتربية الإسلامية و تسليط الضوء على الملامح الرئيسية للتربية الإسلامية ومنهجيتها وأهدافها مقارنة مع النظام الحالي للتعليم ، خلصت الدراسة إلى أن التعليم في الإسلام ليست مجرد اكتساب المعرفة الفكرية وإنما هو وسيلة لتشكيل طبيعة وشخصية الفرد بشكل متكامل من خلال التركيز على القواعد الأساسية للتعليم ، الذي يركز على النمو البدني والفكري للفرد ، بحيث تصبح عملية التعليم تسعى لرعاية الإنسان الطيب والسلوك النبيل و الأخلاق الفاضلة التي أقرها الإسلام ، في نفسه وفي المجتمع ، كما أشارت الدراسة إلى أن الغرض من التعليم في الإسلام هو إنتاج الإنسان الجيد القادر على تحقيق مبدأ الخلافة في الأرض وصاحب النيابة (خليفة) الله على الأرض.

وأجرت مطالقة وآخرون (2014) (34) دراسة هدفت إلى بيان أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء نتائج التحولات العالمية المعاصرة من خلال بيان مفهوم التجديد ومبرراته وضوابطه ، وأهم التحولات العالمية المعاصرة التي تؤثر في تجديد أهداف الدراسات الإسلامية. وقد أستخدم في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي لتحقيق هذه الأهداف ،

الجامعات العربية حول واقع الدور الذي تمارسه هذه الجامعات في تنمية مجتمع المعرفة ، لهذا الغرض تم تطبيق استبيان لتقييم دور الجامعة في تنمية مجتمع المعرفة على عينة بلغ قوامها ((132 عضو هيئة تدريس يعملون في بعض الجامعات العربية ، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن دور الجامعات العربية وفق تقديرات أعضاء هيئة التدريس كان بمستوى قوي في مجال إعداد الفرد ، وكان هذا الدور بمستوى متوسط في مجال تنمية مجتمع المعرفة ومجال توليد المعرفة ، علماً بأن المستوى العام لهذا الدور كان بمستوى متوسط. ودلت النتائج أيضاً على وجود فروق دالة إحصائية بين الجنسين في تقديرات دور الجامعات العربية في مجال إعداد الفرد لصالح لذكور ، وعدم وجود فروق جوهرية في هذه التقديرات في مجالي تنمية مجتمع المعرفة وتوليد المعرفة وفي الدور العام تبعاً لمتغير الجنس ، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية في تقديرات عينة الدراسة في المجالين: توليد المعرفة وإعداد الفرد تبعاً لمتغير التخصص وذلك لصالح التخصصات العلمية ، بينما أظهرت النتائج من جهة أخرى عدم وجود فروق جوهرية في هذه التقديرات في مجال تنمية مجتمع المعرفة وفي الدور العام تبعاً لمتغير التخصص . كما بينت النتائج وجود فروق في تقديرات عينة الدراسة في جميع المجالات

وقام رستم (2013) (31) بدراسة هدفت إلى بيان دور الكليات الشرعية في صناعة المفتي المتمرس في القضايا الفقهية المعاصرة. والوقوف على مقررات بعض الكليات الشرعية المعنية بالفتوى وضوابطها وشروطها ، وبيان بعض الأخطاء المنهجية في تدريس فقه القضايا المعاصرة في الكليات الشرعية ، مما ينعكس سلباً على صناعة الفتوى في العصر الحديث ، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى إثبات عناية الكليات الشرعية بتدريس فقه القضايا المعاصرة في مراحل التعليم الجامعي ، والحديث عن معالم المنهج العلمي المتبع في تدريس هذا النوع من الفقه ، من خلال العناصر الأربعة التالية: طريقة التدريس ومراجعته ومفردات المقرر الفقهي ، الأستاذ المدرس. مما ينعكس إيجاباً على صناعة المفتي في هذا الضرب من الفقه الذي تحتاجه الأمة في الفترة الراهنة.

وقد خلصت الدراسة إلى أن أهم الأهداف المستقبلية للدراسات الإسلامية: تنمية مهارات التفكير والتفكير الإبداعي والناقد وتنمية مفاهيم الحوار والتعايش مع الآخر، وتوظيف تكنولوجيا التعليم.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من جميع طلاب كلية الشريعة في جامعة الملك خالد في منطقة عسير في المملكة العربية السعودية خلال الفصل الثاني من العام الدراسي 2015/2016، أما عينة الدراسة فقد تكونت من 254 طالباً، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، والجدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة

جدول رقم (1) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب

متغيراتها

النسبة	التكرار	الفئات	
67.7	172	شريعة	التخصص
32.3	82	أصول دين	
34.3	87	ممتاز	المعدل التراكمي
41.3	105	جيد جداً	
24.4	62	جيد	
20.9	53	قوية	العلاقة بعضو هيئة التدريس
58.7	149	متوسطة	
20.5	52	ضعيفة	
53.1	135	أقل من ساعتين	استخدام شبكة الإنترنت
26.8	68	ساعتين-أربع ساعات	
20.1	51	أكثر من أربع ساعات	
96.9	246	أرغب في تخصصي	الرغبة في التخصص
3.1	8	لا أرغب في تخصصي	
100.0	254	Total	

أداة الدراسة:

للإجابة عن أسئلة الدراسة فقد قام الباحث ببناء استبانة تحتوي على (53) فقرة، تمثل كل فقرة من فقراتها مضموناً تربوياً، وقد تم الاعتماد في بناء هذه الاستبانة على الأدب النظري الذي تناول موضوع المفاهيم والمضامين التربوية المعاصرة والمفاهيم التربوية الإسلامية المعاصرة، بالإضافة إلى الدراسات السابقة التي تمت مراجعتها.

صدق الأداة وثباتها:

للتأكد من صدق الأداة فقد تم عرضها على مجموعة من المختصين في الشريعة والتربية، الذين قاموا بإبداء بعض

يوضح من الدراسات السابقة التي تم استعراضها ما يلي:

• تأكيد العديد من تلك الدراسات على أهمية دراسة المفاهيم التربوية المعاصرة والتعرف على مدى ممارستها سواء أكان ذلك على مستوى التعليم العام أو التعليم الجامعي.

• أشارت بعض الدراسات إلى تأثير هذه المفاهيم بعدد من العوامل والمتغيرات كوسائل الإعلام والإنترنت والثورة المعلوماتية....

• تناولت بعض الدراسات الخصائص التي يجب أن تمتاز بها المعرفة في ضوء مبادئ الإسلام وضرورة التركيز على النظرة المستقبلية للتربية الإسلامية وبناء على ذلك فإن الدراسة الحالية استفادت من مجموع الدراسات السابقة في بعض الجوانب، ومن أهمها الاطلاع على الأدب النظري المرتبط بالمفاهيم التربوية المعاصرة، وكذلك القضايا التربوية المعاصرة، والمستجدات التربوية. وكذلك التعرف على المنهجية العلمية المستخدمة في تلك الدراسات، وقد جاءت هذه الدراسات للتعرف على المفاهيم التربوية المعاصرة في سياقها العام. أما هذه الدراسة فقد جاءت لدراسة المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة التي يقوم أعضاء هيئة التدريس بتقديمها لطلبتهم من خلال ممارستهم التدريسية.

الطريقة والإجراءات:

منهجية الدراسة:

في ضوء موضوع الدراسة، وللإجابة عن الأسئلة التي تبلورت بها مشكلتها، فإن الباحث استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي؛ حيث تمت دراسة الأدبيات المتعلقة بالمفاهيم والمضامين التربوية المعاصرة بشكل عام وفي مجال التربية الإسلامية على وجه الخصوص، كما تم عمل مسح للدراسات السابقة، ثم قام الباحث ببناء استبانة تم من خلالها رصد استجابات أفراد عينة الدراسة على فقراتها؛ وذلك

2. مجموعة من المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة يقوم أعضاء هيئة التدريس بتعزيزها لدى طلبتهم بدرجة متوسطة، وتعطى هذه الدرجة للفقرات التي حصلت على متوسطات تراوحت بين (2.33-3066).

3. مجموعة من المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة يقوم أعضاء هيئة التدريس بتعزيزها لدى طلبتهم بدرجة ضعيفة، وتعطى هذه الدرجة للفقرات التي حصلت على متوسط (2.33).

كما تم استخدام تحليل التباين واختبار (T) والمقارنات البعدية للإجابة عن بقية الأسئلة

النتائج

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة إسهام أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة في جامعة الملك خالد في تعزيز المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة لدى طلبتهم من وجهة نظر الطلاب؟؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على كل فقرة من فقرات الأداة، وعلى الأداة الكلية، والجدول رقم (2) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على كل فقرة من فقرات الأداة،

جدول رقم (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية.

الرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	نص الفقرة	رقم الفقرة
1	879.	4.37	يؤكد أعضاء هيئة التدريس على أن العمل الذي أشارت إليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية يشمل العمل للدنيا والآخرة	2
2	853.	4.29	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الإسلام يدعو إلى الوعي القائم على الدليل	6
3	868.	4.23	يظهر في خطاب أعضاء هيئة التدريس تركيز الإسلام على القيم المرتبطة بالعمل والإنتاج	1
4	964.	4.23	يحرص أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على دعوة الإسلام للابتعاد عن التعصب المذموم	14
5	952.	4.22	يركز أعضاء هيئة التدريس على ضرورة فهم القرآن الكريم والسنة النبوية وفق منهج السلف الصالح وبرؤية معاصرة	23
6	978.	4.21	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الشريعة الإسلامية مبناها على اليسر ورفع الحرج	38
7	946.	4.17	يركز أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الإسلام يؤكد على ضرورة الارتباط بالمبادئ والقيم والأفكار بالأشخاص	22
8	935.	4.17	يجمع خطاب أعضاء هيئة التدريس بين التركيز على الجانب النقلي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتأكيد على قدرة العقل على فهم النصوص وتحليلها	24
9	908.	4.10	يحرص أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أهمية القيم ودورها في توجيه السلوك الحضاري للإنسان والمجتمعات	9
10	1.088	4.09	يؤكد أعضاء هيئة التدريس على أن الخطاب الإسلامي خطاب عالمي يهتم بجميع القضايا الإنسانية في العالم	5
11	1.004	4.09	يؤكد أعضاء هيئة التدريس على أن العقل في الإسلام يحتل مكانة عالية بوصفه وسيلة الإنسان في الكشف عن أسرار الخالق في الكون والإنسان والحياة	29
12	966.	4.09	يشير أعضاء هيئة التدريس في خطابهم إلى أن الإسلام يؤكد على أن السلم هو العلاقة الطبيعية بين البشر	41

الملاحظات جرى في ضوءها تعديل بعض الفقرات، وإضافة فقرات أخرى، حيث قلصت عدد الفقرات من (57) فقرة إلى (53) فقرة، كم تم تعديل بعض التراكيب اللغوية لبعض الفقرات حيث عدلت الفقرات (9، 4، 2، 52) حتى خرجت بصورتها الحالية. وللتحقق من ثبات الأداة، تم حساب معامل الثبات باستخدام معادلة (كرونباخ ألفا) فبلغ معامل الثبات 0.91، وبذلك تكون الأداة صالحة لأغراض البحث العلمي.

إجراءات الدراسة

تم توزيع (266) استبانة على أفراد عينة الدراسة، وبعد استعادتها بعد الإجابة عليها من قبل أفراد العينة ومراجعتها، تبين أن حجم الصالح منها (254) استبانة، ثم أدخلت البيانات في الحاسوب من أجل عمل المعالجة الإحصائية اللازمة لذلك.

المعالجة الإحصائية

للإجابة عن السؤال الأول للدراسة، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لكل فقرة من فقرات الأداة، ورتبت تنازلياً حسب متوسطاتها الحسابية، وقد صنفت المتوسطات الحسابية إلى ثلاثة مستويات (درجات) على النحو التالي:

1. مجموعة من المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة يقوم أعضاء هيئة التدريس بتعزيزها لدى طلبتهم بدرجة عالية جداً، وتعطى هذه الدرجة للفقرات التي حصلت على متوسط (3067) فأكثر.

13	986.	4.06	يؤكد خطاب أعضاء هيئة التدريس على ضرورة بقاء حركة الاجتهاد المنضبط بالقواعد الشرعية	13
14	1.031	4.06	يظهر في خطاب أعضاء هيئة التدريس قناعتهم بان التطور والتغير سنة من سنن الله في كل شيء	35
15	979.	4.04	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الإسلام يدعو إلى الوعي القائم على المنطق	36
16	1.019	4.04	يشير أعضاء هيئة التدريس إلى أن المقصود بالخطاب الإسلامي هو البيان الذي يظهر حقائق الإسلام ومبادئه مقصودا به المسلم وغير المسلم	39
17	1.083	4.04	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على قدرة الإسلام على معالجة مختلف القضايا والمشكلات التي تواجه الفرد والمجتمع	46
18	1.031	4.00	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة الاهتمام باللغة العربية	53
19	1.142	3.98	يفرق أعضاء هيئة التدريس في خطابهم بين موالاة المختلف معنا عقديا وفكريا وبين التودد لهم بقصد دعوتهم	40
20	1.100	3.98	يحاول أعضاء هيئة التدريس في خطابهم التركيز على مقاصد الشريعة وغاياتها ومخاطبة الواقع من خلالها	50
21	1.085	3.97	يظهر في خطاب أعضاء هيئة التدريس التفريق بين النص المعصوم المتمثل في القرآن والسنة وراي الأشخاص حول النص	11
22	1.003	3.95	يشير أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الإسلام يركز على مفهوم العبادة في مفهومها الشمولي " الشعائري ، الاجتماعي ، الكوني "	4
23	952.	3.94	يشير أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن مفهوم العلم في الإسلام يتسم بالشمول فهو يشير إلى كل ما يأتي عن طريق الوحي والنظر والتأمل والملاحظة والتجريب	30
24	1.116	3.94	يوضح أعضاء هيئة التدريس أن من ابرز معطيات الإسلام هو قدرته على معايشة الثقافات	33
25	949.	3.93	يؤكد خطاب أعضاء هيئة التدريس على أن النموذج الحضاري الإسلامي يجعل أهداف العمل والإنتاج من الاهداف العامة له وفق قواعد الاستحلاف كما حددها الشرع	8
26	1.043	3.92	يشير أعضاء هيئة التدريس إلى أن الخطاب الإسلامي يدعو إلى الإقلاع عن ذهنية القطع بالصحة والصواب فيما كان رأيا أو اجتهادا	19
27	1.093	3.92	يركز أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على تشكيل القناعات لدى الطلاب عن طريق الحوار والإقناع واستخدام الأدلة واحترام الرأي الآخر	20
28	1.100	3.91	يشير أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن عملية النهوض الحضاري يتطلب الكثير من الفهم والإدراك والإفادة من التجارب	48
29	1.005	3.90	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة بناء جسور الثقة المتبادلة بين الأطراف المتحاورة والابتعاد عن الاتهامات	7
30	1.047	3.90	يتبنى أعضاء هيئة التدريس في خطابهم النظرة التي ترى أن التجديد في الخطاب الديني يعني مراعاة تغير الظروف مع عدم التنكر لمنهج سلفنا الصالح	52
31	1.002	3.87	يؤكد خطاب هيئة التدريس على أن الأصل في الإسلام هو التقارب والحوار مع الحضارات الأخرى لا على مبدأ الصراع بينها	25
32	1.033	3.87	يركز أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة القراءة الناقد لكل شيء بوصفه آلية تطوير الفهم والفقه والمعرفة	47
33	1.059	3.85	يشير أعضاء هيئة التدريس إلى ضرورة القيام بالنقد الذاتي للخطاب التربوي الإسلامي من داخل الأمة الإسلامية وليس كردة فعل	34
34	1.079	3.84	يركز أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة استشراق المستقبل مع عدم التنكر للماضي	37
35	1.131	3.83	يبتعد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم عن ردة الفعل إزاء الخطابات الأخرى	44
36	1.004	3.81	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الكون نظام دقيق يقوم على مجموعة من القوانين القابلة للاكتشاف بواسطة العقل البشري	16
37	1.106	3.81	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الإسلام لا يمارس دورا إلغائيا للأخر وإنما يدعو إلى الحوار	42
38	973.	3.80	يركز أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة استخدام البيانات والمعلومات في حل المشكلات التي تعترض المجتمع	21
39	1.028	3.80	يشير أعضاء هيئة التدريس إلى أن الإسلام يؤكد على ضرورة التبادل الثقافي المشروط	31
40	1.114	3.79	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة أن يختلف الخطاب باختلاف الموضوع الذي ينصب عليه الخطاب	51
41	1.182	3.78	يفرق أعضاء هيئة التدريس في خطابهم بين الدين والتدين فالاول مرتبط بمبادئ الإسلام وتشريعاته والثاني يرتبط بالممارسات اليومية للمسلمين	15
42	995.	3.76	يشير أعضاء هيئة التدريس في خطابهم إلى ضرورة تجديد البيات الخطاب وبرامجه	49
43	1.124	3.75	يبرز في خطاب أعضاء هيئة التدريس التركيز على ثقافة الاختلاف لا على ثقافة المخالفة	12
44	1.011	3.74	يظهر في خطاب أعضاء هيئة التدريس إيمانهم بان مستقبل الشعوب اليوم لا يبني من خلال تجربة الماضي او الحاضر بل لا بد من مزج الاثنين معا للخروج برؤية مستقبلية	10
45	1.101	3.74	يبتعد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم عن الاكتفاء بنقد أفكار الآخرين وإنما يحرضون على تقديم رؤى وأفكار جديدة	43
46	1.117	3.73	يؤكد أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على أن الحرية كلمة جامعة تقوم على التحرر من قيود الجهل والخرافة والتقليد الأعمى	32
47	1.153	3.73	يبتعد خطاب أعضاء هيئة التدريس عن التجريح الشخصي	45
48	1.117	3.68	يتضح في خطاب أعضاء هيئة التدريس إيمانهم بان تسخير الكون للإنسان يجعله خاضعا لقدرات الإنسان وقابلا للتكيف والتشكل وفق إرادة الإنسان	17

49	1.146	3.64	يشير أعضاء هيئة التدريس إلى أن من أبرز خصائص الخطاب التربوي المعاصر هو قدرته على تدريب الإنسان على النقد الذاتي بدلا من التفكير التبريري
50	1.199	3.58	يشير أعضاء هيئة التدريس على أن الإسلام يؤكد على ضرورة استخدام المنطق الجدلي مع غير المسلمين كمدخل للوصول للحق
51	1.165	3.54	يوضح أعضاء هيئة التدريس التأكيد على أن العالم في الرؤية الإسلامية عالمان علم الغيب وعالم الشهادة ويدعوا إلى التعامل مع عالم الشهادة ككتاب مفتوح من خلال التعرف على الظواهر والأحداث والنواميس والقوانين في هذا الكون
52	1.127	3.52	يظهر في خطاب أعضاء هيئة التدريس التركيز على المفاهيم المعاصرة التي لا تتعارض مع شرعنا كالحديث عن الحرية وحقوق الإنسان والتنمية.....
53	1.095	3.50	يركز أعضاء هيئة التدريس في خطابهم على ضرورة استخدام مختلف وسائل المعرفة والتكنولوجيا
	571.	3.92	الدرجة الكلية

متوسطات استجابات الطلاب في تخصص الشريعة وأصول الدين عند مستوى الدلالة (0.05α) ولصالح الشريعة. وللتعرف على أثر المعدل التراكمي على استجابات الطلاب تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب حسب متغير المعدل التراكمي. والجدول رقم (4) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على فقرات الأداة حسب متغير المعدل التراكمي.

جدول رقم (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب

متغير المعدل التراكمي

الفئات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ممتاز	87	4.08	560.
جيد جدا	105	3.83	528.
جيد	62	3.84	615.
Total	254	3.92	571.

يتضح من الجدول رقم (4) تبايناً ظاهرياً بين المتوسطات الحسابية في استجابات الطلاب، وللكشف عن دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي كما هو موضح في الجدول رقم (5):

جدول (5) تحليل التباين الأحادي لأثر استجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب متغير المعدل التراكمي

المصدر	التكرار	مجموع	درجات الحرية	التوقعات	متوسط	قيمة F	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	3.237	2	2	315.	1.619	5.135	007.
داخل المجموعات	79.131	251	251	315.	1.619	5.135	007.
الكلية	82.369	253	253	315.	1.619	5.135	007.

يتبين من الجدول (5) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05=a$) تعزى للمعدل

يتضح من الجدول رقم (3) أن المتوسطات الحسابية لاستجابات الطلاب على أداة الدراسة تراوحت بين (3.50-4.37)، وكان المتوسط العام الكلي (3.92)، وهو يشير إلى أن أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة يحرصون على تقديم هذه المضامين وتعزيزها لدى طلبتهم بدرجة عالية. وبقراءة أكثر تفصيلاً للجدول يتضح أن هناك (47) مضمونا تربوياً يقوم أعضاء هيئة التدريس بتعزيزها لدى طلبتهم بدرجة عالية وبنسبة (89%)، وأن هناك (6) مضامين تربوية فقط يقوم أعضاء هيئة التدريس بتعزيزها بدرجة متوسطة، وبنسبة (11%)، كما يتضح من الجدول عدم وجود أي مضمون من المضامين الواردة في فقرات الأداة حصلت على درجة مقبول.

السؤال الثاني: هل توجد فروقات ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05α) بين متوسطات استجابات الطلاب في درجة تعزيز أعضاء هيئة التدريس للمضامين التربوية الإسلامية المعاصرة من وجهة نظر الطلاب تعزى لمتغيرات الدراسة التخصص، المعدل التراكمي، العلاقة بعضو هيئة التدريس، استخدام شبكة الأنترنت، الرغبة في التخصص عند مستوى الدلالة (0.05α) ؟ للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبار (T) للفروق بين متوسطات استجابات الطلاب، والجدول رقم (3) يوضح نتائج اختبار (T) للفروق بين المتوسطات حسب متغير التخصص: (شريعة، أصول دين)

جدول رقم (3) نتائج اختبار (T) للفروق بين

متوسطات استجابات الطلاب حسب متغير التخصص

المتخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	الدلالة الإحصائية
شريعة	172	3.98	536.	2.463	014.
أصول دين	82	3.79	621.	536.	014.

يلاحظ من الجدول السابق أن متوسط استجابات

الطلاب في تخصص الشريعة بلغ (3.98) أما متوسط استجابات الطلاب في أصول الدين فقد بلغ (3.79)، وتظهر نتائج اختبار (T) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين

هاني صلاح حسن سعد المقدادي

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدالة الإحصائية
بين المجموعات	7.417	2	3.709	12.4	000.
داخل المجموعات	74.951	251	299.	20	
الكلية	82.369	253			

يتبين من الجدول (8) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a=0.05$) تعزى للعلاقة بعضو هيئة التدريس ، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شفاه كما هو مبين في الجدول (9).

جدول رقم (9) المقارنات البعدية بطريقة شفاه لأثر استجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب متغير المعدل التراكمي

المتوسط الحسابي	قوية	متوسطة	ضعيفة
4.13			
3.95	17.		
3.61	(52*.)	(34*.)	

يتبين من الجدول (9) وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($a=0.05$) بين فئة العلاقة القوية وكل من العلاقة المتوسطة والضعيفة ولصالح العلاقة القوية، وبين العلاقة المتوسطة والضعيفة ولصالح المتوسطة.

ولفحص أثر استخدام شبكة الأنترنت على استجابات الطلاب تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب . والجدول رقم(10) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على فقرات الأداة حسب استخدام شبكة الأنترنت

جدول رقم (10) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب استخدام شبكة الأنترنت

الفئات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقل من ساعتين	135	3.85	530.
ساعتين-أربع ساعات	68	4.02	579.
أكثر من أربع ساعات	51	3.98	645.
Total	254	3.92	571.

يبين الجدول (10) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات بين متوسطات استجابات الطلاب،

التراكمي ، ولبيان الفروق الزوجية الدالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية تم استخدام المقارنات البعدية بطريقة شفاه كما هو مبين في الجدول (6).

جدول (6) المقارنات البعدية بطريقة شفاه لأثر استجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب متغير المعدل التراكمي

المتوسط الحسابي	ممتاز	جيد جدا	جيد
4.08			
3.83	(24*.)		
3.84	(23*.)	01.-	

* دالة عند مستوى الدلالة ($a=0.05$).

يتبين من الجدول (6) وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($a=0.05$) بين فئة المعدل التراكمي ممتاز وجيد وبين ممتاز وجيد ولصاح تقدير ممتاز.

كما تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على الأداة الكلية ، حسب متغير العلاقة بعضو هيئة التدريس. والجدول رقم (7) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

جدول رقم (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب متغير العلاقة بعضو هيئة التدريس

الفئات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
قوية	53	4.13	570.
متوسطة	149	3.95	513.
ضعيفة	52	3.61	611.
Total	254	3.92	571.

يبين الجدول (7) تبايناً ظاهرياً في المتوسطات الحسابية والانحرافات بين متوسطات استجابات الطلاب، وللكشف عن دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي كما هو موضح في الجدول رقم(8):

جدول رقم (8) تحليل التباين الأحادي لأثر استجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب متغير العلاقة بعضو هيئة التدريس

وللكشف عن دلالة الفروق بين هذه المتوسطات تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي كما هو موضح في الجدول رقم (11):

جدول رقم (11) تحليل التباين الأحادي لأثر استجابات الطلاب على فقرات الاستبانة حسب متغير استخدام شبكة الانترنت

المصدر	الفرق رقم				
بين المجموعات داخل المجموعات الكلي	1.535	2	768.	2.384	094.
	80.833	251	322.		
	82.369	253			

يتبين من الجدول (11) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a=0.05$) تعزى لمتغير استخدام شبكة الانترنت

ولفحص اثر الرغبة في التخصص على استجابات الطلاب تم استخدام اختبار (T) للفروق بين متوسطات استجابات الطلاب، والجدول رقم (12) يوضح نتائج اختبار (T) للفروق بين المتوسطات حسب متغير الرغبة في التخصص: (ارغب في التخصص، لا أرغب)

جدول رقم (12) نتائج اختبار (T) للفروق بين متوسطات استجابات الطلاب حسب متغير الرغبة في التخصص

الفرق رقم	الفرق رقم	الفرق رقم	الفرق رقم	الفرق رقم	الفرق رقم
أرغب في تخصصي	246	3.92	574.	252	865.
لا أرغب في تخصصي	8	3.95	470.		
					171

يتضح من نتائج اختبار (ت) عدم وجود فروق بين متوسطات استجابات الطلاب حسب متغير الرغبة في التخصص.

مناقشة النتائج والتوصيات

أظهرت نتائج الدراسة أن أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة يقومون بتعزيز هذه المنظومة من المضامين

والمرونة والثبات والمثالية والواقعية والاستمرارية والتجديد، حيث جاءت فقرات هذه الأداة معبرة عن هذه الخصائص ومرتبطة بها، ولما كان الأمر كذلك كان لا بد أن يعبر أعضاء هيئة التدريس عن درجة إيمانهم والتزامهم بها من خلال الممارسات التدريسية مع طلابهم، فطبيعة هذه المضامين دفعت أعضاء هيئة التدريس إلى تبنيها في ممارستهم التدريسية، أضاف إلى ذلك فهناك العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات التي عقدت على مختلف المستويات، طالبت بضرورة تبني موضوع الأصالة والمعاصرة والتجديد والمرونة وتدريب فقه القضايا المعاصرة والمشكلات التربوية المعاصر، وتطوير طرق التدريس، وزيادة النظر في القدر المخصص للمسائل والقضايا المعاصرة، والعناية بطرق التدريس في فقه القضايا المعاصرة في المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا، وضرورة صياغة الممارسات التربوية والدعوية بما يتناسب مع مستجدات العصر، بحيث تمكن المسلم من المقارنة والموازنة والنقد السليم للأراء والاتجاهات الفكرية المعاصرة، وتنمية روح التجديد في الصحيح منها، وهذا ما أكد عليه مؤتمر مكة الخامس عشر، وكذلك المؤتمر الدولي القرآني الأول لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة التي عقد في رحاب جامعة الملك خالد حيث كان من بين أهدافه إبراز دور القرآن الكريم في علاج المشكلات المعاصرة، والنهوض بالدراسات القرآنية؛ لتؤدي دورها في علاج القضايا الإسلامية المعاصرة، والإسهام بالنهوض الشامل للمجتمع، إضافة إلى توظيف طاقات الباحثين وجهودهم في علاج المشكلات المعاصرة، كما كان من أبرز توصيات هذا المؤتمر تأسيس مركز بحثي في كلية الشريعة يعني بعلاج المشكلات المعاصرة من خلال الكتاب والسنة.

وقد جاءت نتائج هذه الدراسة متفقة مع الإطار النظري للدراسة الذي أكد على أصالة التربية الإسلامية

الطالب مرتفع التحصيل كما تشير الدراسات تكون لديه اتجاهات إيجابية نحو الجامعة ولديه ثقة بالنفس ودافعية قوية نحو الدراسة وأكثر تكيّفًا واحترامًا للقوانين والأنظمة الجامعية بينما الطالب ذو المعدل المنخفض تكون لديه اتجاهات سلبية نحو الجامعة، وأقل ثقة بالنفس وأقل تكيّفًا وهذا ينعكس في عملية التوافق الدراسي للطالب.

وأخيرا أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيري الرغبة في التخصص وعدد ساعات استخدام شبكة الأنترنت، وهذا يشير إلى أن أعضاء هيئة التدريس لديهم القدرة على تعزيز هذه المضامين التربوية الإسلامية المعاصرة بغض النظر عن عدد ساعات استخدام شبكة الأنترنت أو الرغبة في التخصص، وهذا يؤكد أن هذه المتغيرات لم تحدث فرقا في قدرة أعضاء هيئة التدريس على تعزيز هذه المضامين، لان الأساليب التي يستخدمها أعضاء هيئة التدريس قللت من الفروقات بين المتوسطات لدرجة أنها لم تحدث فرقا له قيمة إحصائية.

التوصيات:

- ضرورة الاستفادة من الوسائل العصرية والتكنولوجية والعلوم الحديثة وتوظيفها في تطوير المناهج التربوية بما يتناسب مع الأصول الشرعية.
- التركيز على التعامل مع فقه النوازل وفق أصول الفقه، وتفعيل دور الاجتهاد المنضبط بالقواعد الشرعية للتعامل مع القضايا والمسائل المستجدة.
- تطوير المناهج الدراسية بحيث تشمل على قضايا العصر الأكثر إلحاحا والتي لا تتعارض مع قيم المجتمع، بحيث يؤدي ذلك إلى ترسيخ عقيدة الإيمان بالله وتأكيد قيم العلم والحرية والإنتاج.
- ضرورة التأكيد على العلاقة التكاملية بين النقل والعقل كمصادر للمعرفة، فالعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح والعكس صحيح.
- ضرورة الممازجة في الممارسات التدريسية بين التأكيد على قيم الأصالة من حيث التأصيل الشرعي وبين قيم المعاصرة. من حيث علاقته بقضايا العصر ومتغيراته
- عقد دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس لزيادة كفاءتهم وتدريبهم على ممارسات هذه المضامين .
- تعزيز مكانة اللغة العربية في نفوس الطلاب .

ومعاصرتها، وقدرتها على محاكاة الواقع بكل تفاصيله وتجلياته، كما جاءت متفقة مع العديد من الدراسات السابقة ومنها دراسة حماد(2004) ودراسة نشوان (2005) ودراسة رمزي (2005) ودراسة يعقوب ((Yaacob,2008)

كما أظهرت نتائج الدراسة وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير التخصص (شريعة (فقه) ، أصول الدين) ولصالح تخصص الشريعة، ويمكن تفسير هذه النتيجة بالنظر إلى طبيعة المواد التي يطرحها كلا التخصصين، حيث نجد أن المواد التي يتناولها تخصص الشريعة مرتبطة ارتباطا مباشرا بالفقه وأصوله، ويتطلب هذا التخصص التجديد المستمر لارتباط القضايا الفقهية بواقع وممارسات الناس اليومية، وهذا يعبر بدرجة كبيرة جدا عن حالة المرونة التي يمتاز بها الإسلام، ولذا وجدنا أن معظم المؤتمرات والندوات التي عقدت جاءت للحديث عن التجديدات الفقهية والقضايا المعاصرة فيها، بينما نجد أن المواد التي يطرحها قسم أصول الدين هي عبارة عن مبادئ وأسس وقواعد وأصول، تتسم بحالة من الثبات في كثير منها، فعملية التغيير فيها أبطأ من عملية التغيير في جانب التطبيقات المرتبطة بالفقه، وهذا يعكس حالة التوازن بين الثابت والمتغير في التربية الإسلامية. وقد جاءت نتائج هذه الدراسة متوافقة مع مخرجات التوصيات التي جاءت بها المؤتمرات والندوات واللقاءات التي عقدت بهذا المجال كمؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر، وندوة الحكمة في تجديد الخطاب ومؤتمر كلية الشريعة (2016)، كما جاءت أيضا متفقة مع نتائج دراسة عوض(2011)

وبفحص أثر متغير العلاقة بعضو هيئة التدريس في استجابات الطلاب، أشارت النتائج إلى وجود أثر للعلاقة بعضو هيئة التدريس، ولصالح الطلاب الذين تربطهم علاقات إيجابية وقوية بعضو هيئة التدريس، وهذه نتيجة منطقية طالما نتحدث عن مضامين تربوية تعبر عن روح الإسلام وجوهره، فتقديم هذه المضامين بغلاف إنساني من شأنه أن يجعل القنوات تتشكل بشكل أفضل، فكلما كان عضو هيئة التدريس أكثر اقترابا من طلابه كانت لديه القدرة على تشكيل قناعاتهم، وبالتالي كانوا أكثر قبولا لما يدعوهم إليه.

كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المعدل التراكمي ولصالح الطلاب أصحاب المعدلات المرتفعة، ويمكن رد هذه النتيجة إلى أن الطلاب أصحاب المعدلات المرتفعة هم أكثر إدراكا ووعيا بأهمية هذه المضامين من الطلاب أصحاب المعدلات المنخفضة، كما أن

المصادر والمراجع

- 1- Yasin ,Raudlotul Firdaus Binti Fatah.(2013) .1-Islamic Education: The Philosophy, Aim, and Main Features. International Journal of Education and Research Vol. 1 No
- 2- Yaacob .Solehah Bt.Hj.(2008) .THE CONCEPT OF AN INTEGRATED ISLAMIC CURRICULUM AND ITS IMPLICATIONS FOR CONTEMPORARY ISLAMIC SCHOOLS. International Islamic University Malaysia
- 3- Faruqi, Yasmeeen Mahnaz (2007). Islamic view of nature and values: Could these be the answer to building bridges between modern science and Islamic. science,International Education Journal, 2007, 8(2), 461-469.ISSN 1443-1475 2007 Shannon Research Press.
- 4- الكيلاني ، ماجد عرسان.(2008) . دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية. دار المنارة - جدة
- 5- Abu Bakar Tahir Abdurrahman.(2015). WESTERN EDUCATIONAL SYSTEM-CONFUSION AND THE ISLAMIC SYSTEM OF EDUCATION: AN ANALYSIS ON THE IMPLICATION OF EDUCATIONAL DUALISM IN NIGERIA AND MALAYSIA .Proceeding of the 3rd Global Summit on Education GSE 2015 (e-ISBN 978-967-0792-01-1), 9-10 March 2015, Kuala Lumpur, MALAYSIA. Organized by <http://worldconferences.net>
- 6- سليمان ، حمزة حسن.(2013). اثر القرآن في بناء القدرات والتصورات العقلية وتمهيتها : دراسة تطبيقية عصرية على البرمجة اللغوية العصبية مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا ، في العاصمة الماليزية كوالالمبور ، المؤتمر القرآني الدولي السنوي "مقدس3" ، 1-2 جمادى الأولى / 1434هـ- الموافق 13-14/3/2013م .www.tafsir.net
- 7- أبو عرّاد ، صالح بن علي .(2015) .مقدمة في التربية الإسلامية. دار المتنبي-الدمام
- 8- الصمدي ، خالد أحمد.(2014). دليل تكوين المكونين في مادة التربية الإسلامية .الاييسيسكو
- 9- العاجز ، فؤاد ؛نشوان ، جميل .(2005) . دور الجامعة الإسلامية في إعداد الدعاة لمواجهة تحديات بعض متغيرات العصر. بحث مقدم لمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر المنعقد في 16-17 إبريل 2005م
- 10- الصوفي ، محمد عبد الله وقاسم ، عبد الغني (1996) . أهم التحديات المستقبلية التي ستواجه أمتنا ودور التربية في حلها. دار البشير. عمان
- 11- ندوة تدريس فقه القضايا المعاصرة في الجامعات السعودية. مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ 15 و 16 محرم 1433.
- 12- ندوة الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي : الضوابط ، المجالات ، الآثار . الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة في الفترة من 11-12-13 1435
- 13- مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر بعنوان: (الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة) وذلك في الفترة من 4-6 / 12/ 1435هـ
- 14- عليّات عبير رشد ، عطية أبو الشيخ ، إسماعيل(2013). منهج مقترح لمقرر الثقافة الإسلامية لتعزيز الهوية الإسلامية لدى طلبة الجامعات الأردنية في ضوء متطلبات عصر العولمة. مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية 2013 ، (1) 15 ، ص 119
- 15- شبل ، بدران .(2012). التعليم وتحديات المستقبل ، المؤتمر التربوي الدولي الأول ، تحت عنوان رؤية استشرافية لمستقبل التعليم في مصر والعالم العربي في ضوء التغيرات المجتمعية المعاصرة في الفترة من 20-21-22-2012 ، جامعة المنصورة
- 16- Schröttner ,Barbara Theresia (2010) ., USA The effects of globalization phenomena on educational concepts., US-China Education Review, Volume 7, No.8 (Serial No.69)
- 17- الصالحي ، محسن وآخرون (2009). واقع تطبيق التربية الإسلامية في القضايا المعاصرة من وجهة نظر المعلمين بدولة الكويت. القاهرة: مجلة عالم التربية ، العدد 29 ، السنة 10 (أكتوبر). من ص 15 إلى 66.
- 18- شريف حماد ،(2008) . تحليل محتوى مساق الثقافة الإسلامية في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة في ضوء قضايا معاصر. مؤتمر التربية في فلسطين وتغيرات العصر 23-24-2008
- 19- العاجز ، مرجع سابق
- 20- رمزي ، عبد القادر هاشم. (2005). في فلسفة التربية العربية الإسلامية من منظور مستقبلي. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية أبحاث البيروك ، المجلد 1 العدد 1
- 21- Faruqi ، مرجع سابق
- 22- فلاتة ، حنان أبو بكر محمد (1427). منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى
- 23- الربابعة ، حسين محمد.(2007). " دور الجامعات في تنمية الثقافة الإسلامية لدى المجتمعات مجلة جامعة الأقصى " ، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول.
- 24- Yaacob ، مرجع سابق
- 25- عماد عبداللطيف محمود .(2008) . "دور التربية تجاه تنمية وعي طلاب التعليم الجامعي ببعض المفاهيم الإسلامية في ظل المتغيرات المعاصرة". رسالة دكتوراه dremadabdellatif.blogspot.com ، تاريخ الدخول للموقع 16_3_2016
- 26- الجمل محمد كامل حسن .(2009). ملامح الخطاب التربوي من خلال الأحاديث النبوية الموجهة للشباب وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا الفلسطيني المعاصر. الجامعة الإسلامية غزة

- 28- أبو شعيرة ، خالد محمد.(2011). درجة تمثل معلمي الحلقة الأساسية الأولى في مدارس التدريب المتعاونة مع جامعة الزرقاء الخاصة للمفاهيم التربوية المعاصر ، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية- المجلد الرابع- العدد الثاني ، جامعة الزرقاء الخاصة ، الأردن .
29- محمد ، إسلام محمود عز الدين عبد الرحيم (2010). المتطلبات التربوية للخطاب الديني الإسلامي في ظلِّ التَّحديات العالمية المعاصرة . رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سوهاج ، مصر
30- بركات ، زياد. (2009). واقع دور الجامعات العربية في تنمية مجتمع المعرفة من وجهة نظر عينة من أعضاء هيئة التدريس فيها . مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية- المجلد التاسع- العدد الأول
31- رستم ، محمد بن زين العابدين.(2013). دَوْرُ الكَلِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي إِغْدَادِ الْمُفْتِيِّ وَالْبَاحِثِ الْمُتَمَيِّزِ فِي الْقَضَايَا الْفَقْهِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ. مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل 2013-11-28-72 جامعة القصيم

32- Kamali ,Mohammad Hashim (2010) . CLASSICAL AND CONTEMPORARY APPROACHES TO EDUCATION AN ISLAMIC PERSPECTIV. ICR 2.3 Produced and distributed by Pluto Journals ICR.plutojournals.org

,33- Yasin

- 34- مطالقة ، أحلام ، وعماد الشريفيين ، وأسماء بني يونس.(2014). تجديد أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء التحولات العالمية المعاصرة . مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الانسانية المجلد 28

المشاركة الإلكترونية - نحو مفهوم يتجاوز التغريد -

Electronic Sharing - Towards A Concept, That Transcends Twitting

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2017-10-03

يوسف زدام، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة 1
zedamyousseouf@live.fr

الملخص:

تسعى الورقة البحثية إلى مناقشة مدى مساهمة أدوات المشاركة القائمة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل مباشر في تحقيق نتائج المشاركة الإلكترونية. مفترضة بأن توفير المعلومات وتيسير الإجراءات تعزز قدرة وفعالية المواطنين في المشاركة في تسيير الشأن العام. تضمنت الورقة توضيحاً لمفهوم المشاركة الإلكترونية الذي يحتمل مختلف اتجاه العلاقات بين الفواعل المؤثرة في صنع السياسات العامة، وأدواتها وفضاءاتها. وكذا تأثير السياق المجتمعي في تحفيز أو عرقلة جهود المشاركة الإلكترونية في تسيير الشأن العام. خلصت الدراسة إلى أن المشاركة الإلكترونية هي امتداد لجهود إشراك المواطن في الحياة السياسية من خلال توفير وسائل أسهل تماشى والتطورات التكنولوجية التي يشهدها العالم، بالاعتماد على تدفق مناسب للمعلومات بين مختلف الفاعلين في السياق المحلي للسياسة العامة.

الكلمات المفتاحية: الديمقراطية، المشاركة الإلكترونية، تكنولوجيات المعلومات والاتصال، المعلومات، الاستشارة، صنع

السياسة العامة.

Abstract

The paper seeks to discuss the contribution of ICT-based participatory tools in e-participation. It is assumed that the provision of information and the facilitation of procedures enhance the capacity and effectiveness of citizens to participate in the managing of public affairs.

The paper includes an explanation of the concept of e-participation, which comprises various relationships between influencing factors in policy making. It includes also tools and areas of e-participation, as well as the impact of the social context in stimulating or obstructing the efforts of e-participation in the managing of public affairs. The study concludes that ee-participation is an extension of the efforts to involve citizens in political life by providing easier means, based on an appropriate flow of information between the various actors in the context of public policy.

Keywords: democracy, e-participation, information and communication technologies, information, consultation, policy making.

Résumé

Le présent article vise à discuter la mesure dans laquelle les outils de participation basés directement sur les technologies de l'information et de la communication (TIC) contribuent à l'obtention des résultats de la participation électronique. Il suppose que la fourniture d'informations et la facilitation des procédures renforcent la capacité et l'efficacité des citoyens à participer à la gestion des affaires publiques. Le présent article comporte une explication du concept de participation électronique qui supporte les différentes tendances des relations entre les acteurs influant sur dans l'élaboration des politiques publiques, leurs outils et espaces, ainsi que l'impact du contexte social sur la stimulation ou l'entrave des efforts de participation électronique à la gestion des affaires publiques. L'étude a conclu que la participation électronique est un prolongement des efforts de l'engagement citoyen dans la vie politique en fournissant des outils plus faciles en fonction des développements technologiques dans le monde, et en s'appuyant sur un apport suffisant d'informations entre les différents acteurs dans le contexte local de la politique publique.

Mots-clés: démocratie, e-participation, technologies de l'information et de la communication, information, consultation, élaboration de politiques.

مقدمة

- ما هي حدود مفهوم المشاركة الإلكترونية: هل هي مرتبطة بالمفهوم الضيق للسياسة، أو المضمون الأوسع للسياسة العامة؟

- هل توظيف تكنولوجيات المعلومات والاتصال خيار تنتهجه المجتمعات لتعزيز المشاركة في تسيير الشأن العام؟

- ما هي الظروف التي تساعد أو تعرقل مساهمتها بشكل واقعي؟

لمناقشة الإشكالية نفترض ما يلي: يعزز توفير المعلومات وتيسير الإجراءات قدرة وفعالية المواطنين في المشاركة في تسيير الشأن العام.

لمناقشة الإشكالية واختبار الفرضية، تشمل الورقة البحثية على المحاور التالية:

- أولاً: السياق الديمقراطي للمشاركة السياسية
- ثانياً: ماهية المشاركة السياسية الإلكترونية
- ثالثاً: المشاركة الإلكترونية: المتطلبات، الأدوات والتحديات.

يتم بحث الموضوع بهدف توضيح مفهوم المشاركة السياسية الإلكترونية من حيث اتساع نطاقها، وتعدد آلياتها، ومكامن قدرتها على تعزيز المشاركة الفعلية في تسيير الشأن العام؛ لأن المشاع عن مفهوم المشاركة الإلكترونية عموماً هو مجموعة مواقع تواصل اجتماعي تؤثر بشكل محدود في اتخاذ القرارات، في حين أن المفهوم علاقة مختلفة الاتجاهات بين عديد الفاعلين، تؤثر -برغبة مشتركة- على صنع السياسات وليس اتخاذ القرارات فقط.

أولاً: السياق الديمقراطي للمشاركة السياسية

مهما اختلفت التعريفات المرصودة للديمقراطية، فإنها -في النهاية- تعبر عن حالة من حالات تكريس مبدأ المشاركة المجتمعية في تسيير الشأن العام. ويُعد تطور آليات المشاركة المستجيبة للتطورات التكنولوجية محاولة لترسيخ الممارسات الديمقراطية التقليدية وفق نموذج يتوافق والتغيرات العميقة في المجتمع، خاصة ما تعلق منها بتكنولوجيات المعلومات والاتصال.

تستند الديمقراطية بمفهومها الشامل على المشاركة السياسية للمواطنين في تسيير الشأن العام؛ فاختلاف مستوى إتاحة آليات المشاركة وحدود توظيف المواطنين لها عاملين حاسمين في طبيعة العلاقات بين الفواعل السياسية وبالتالي مضمون السياسات العامة ومسار اتخاذ القرارات.

ويعتبر عجز الأدبيات والوثائق الرسمية عن وضع تعريف دقيق للديمقراطية اعتراف بعمق الجوهر واختلاف الإجراءات؛ فجوهر الديمقراطية المشاركة العامة، وإجراءاتها تحكمها ظروف المجتمعات وتوافر وسائل التفاعل. فالديمقراطية في تاريخ أئنا كانت تعتمد على الحضور المباشر وكان نطاق المشاركة ضيق (الأعيان). وبعد مرور قرون عديدة أصبحت المشاركة في النقاشات العامة والانتخابات حكراً على فئة دون فئة (الذكور دون الإناث)، واختلفت الوسيلة من حضور مباشر إلى ديمقراطية غير مباشرة. لتستكين المجتمعات بعد ذلك إلى حق الجميع دون تمييز (المواطنة للجميع) وتكون وسيلة التفاعل صور وأفلام وأصوات عبر تكنولوجيات التواصل المتوفرة.

تعبّر هذه التطورات عن حركية مواكبة لتغيرات ديمغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية تشهدتها المجتمعات عبر تاريخها، لا تمس جوهر الديمقراطية (المشاركة في تسيير الشأن العام)، لكنها تمس بوضوح كيفية المشاركة. وما مفهوم الديمقراطية الإلكترونية أو التصويت الإلكتروني أو المشاركة الإلكترونية إلا استجابة لهذا التغيير. فإذا ما سلمنا بعمق جوهر الديمقراطية، فإن التطور التكنولوجي الذي عرفه العالم خلق واقعا مختلفا، مختلف من حيث فضاءات التفاعل بين الفواعل السياسية من جهة، ومختلف من حيث طبيعة الفاعلين، والأهم من ذلك هو حدود تأثيره على طبيعة التفاعل، لذلك ناقش من خلال هذه الورقة البحثية الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن لأدوات المشاركة القائمة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن تساهم في الانخراط المجتمعي الفعلي في تسيير الشأن العام؟

تندرج ضمن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

1- الديمقراطية بين ثبات المبادئ وتغيير الإجراءات

لعل أكثر العبارات شيوعاً حول الديمقراطية هي "حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب"، وهي إذ تتضمن غاية الديمقراطية، فهي تتضمن جوهر الممارسة الديمقراطية كذلك، من خلال "نهج لاتخاذ القرارات العامة من قبل الملمزمين بها"⁽¹⁾. فالديمقراطية وفق هذا المضمون عملية واعية تقترن بجهود التأسيس لأفضل نظام عملي هادف للتنمية وبتمحور حول المواطن، وقائم على مبادئ الحرية القسوى والمساواة في الدفاع عن المصالح⁽²⁾.

يتوافق اعتبار مفهوم الديمقراطية حسب روبرت دال Rober Dhal متضمناً لحكم الأغلبية أو الكثرة مقارنة ببدائله من أنظمة الحكم مع قرارات الأمم المتحدة كالقرار رقم 2004/46 الصادر عن لجنة حقوق الإنسان المتضمن تحديد عناصر النظام الديمقراطي كخطوة لاغنى عنها لضبط ممارسات النظم السياسية، وهي: احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، التعددية السياسية، وتداول السلطة وممارستها في إطار سيادة القانون، إجراء انتخاب دورية ونزيهة بالاقتراع العام، وبالتصويت السري كوسيلة للتعبير عن إرادة الشعب، فصل السلطات، استغلال القضاء والشفافية والمساءلة. كما تتوافق والقرار 1999/57 المتضمن الحق في الديمقراطية الصادر عن نفس اللجنة والذي أورد مجموعة حقوق تمثل أساس نظام الحكم الديمقراطي وجوهره وهي: الحق في حرية الرأي والتعبير والفكر والمعتقد، وتكوين الجمعيات السلمية والتجمع السلمي، الحق في الوصول إلى المعلومات وتداولها، سيادة القانون، الحق في الاقتراع العام على قدم المساواة في انتخابات حرة ونزيهة، الحق في المشاركة السياسية. يبرز هذا مجموع المقومات الأساسية التي توحى بوجود ممارسة ديمقراطية نذكر منها:

- وجود تعددية سياسية.
- وجود نظام للانتخاب.
- الاعتراف بالحريات العامة والخاصة وإقرارها.
- إقرار مبدأ سيادة القانون ودولة المؤسسات واستقلالية القضاء.
- الشفافية والمساءلة.

- توفر حد أدنى من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

تُعبّر هذه المقومات، ومضمون قرارات الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها، عن إقرار بالعجز على وضع تعريف واضح للديمقراطية؛ تجلّي في جهود نظرية مختلفة تؤكد على ضرورة الفصل بين الجوانب المتعلقة بجوهر الممارسة الديمقراطية وجوانبها الإجرائية من جهة، وفتح المجال لمواكبة المفهوم للتغيرات المجتمعية من خلال الجوانب الإجرائية الملائمة من جهة ثانية. بعبارة أخرى، يكون سعي المجتمعات نحو إدارة ديمقراطية لشؤون الدولة والمجتمع صحيحاً كلما التزمت بالجواهر (المشاركة) وواكبت التغيرات المجتمعية (الإجراءات المتوافقة وخصوصيات المجتمعات). من بين مظاهر التغير في المجتمعات المعاصرة تطور وسائل الاتصال، ما خلق تحدياً لـ"نظرية الديمقراطية"؛ فالتغيرات العميقة لتقنيات الاتصال أحدثت تغييرات ملازمة في مفهوم الاتصال السياسي وكل عناصره (المرسل، المتلقي، الرسالة، الوسيلة، الغاية).

2- دواعي ترقية قنوات الاتصال السياسي

مثل طبيعة الاتصال السياسي أهم مقوم لطبيعة النظام السياسي؛ فنظام الحكم الديمقراطي يُفعل قنوات الاتصال السياسي مستهدفاً المشاركة في رسم السياسات، في حين يُعطل نظام الحكم غير الديمقراطي تلك القنوات على اعتبار القطيعة بين الحاكم والمحكوم، وأهلية النخبة في رسم السياسات دون مشاركة. ولا بد في هذا الصدد أن نفرق بين المشاركة السياسية وقنواتها، فقد كانت المشاركة السياسية ولا زالت في بريطانيا مثلاً مضرب المثل في العالم، بالرغم من اختلاف القنوات، إذ كانت في ما مضى انتخابات حضورية، ومثلت فيها الجرائد الورقية والإعلانات وجلسات البرلمان المتلفزة وغيرها قنوات للاتصال السياسي. لتكون الآن المواقع الإلكترونية للبرلمان والوزارات وأرضيات بنوك المعلومات بديلاً لها.

استناداً لذلك يمكن القول بأن أصل المسألة متعلق بتوسع الممارسات الديمقراطية نتيجة لتيار عالمي ضاغط على النخب الحاكمة في بلدان العالم الثالث؛ إذ عرف العالم "موجة ثالثة" من الديمقراطية نهاية القرن العشرين. وما أسهم

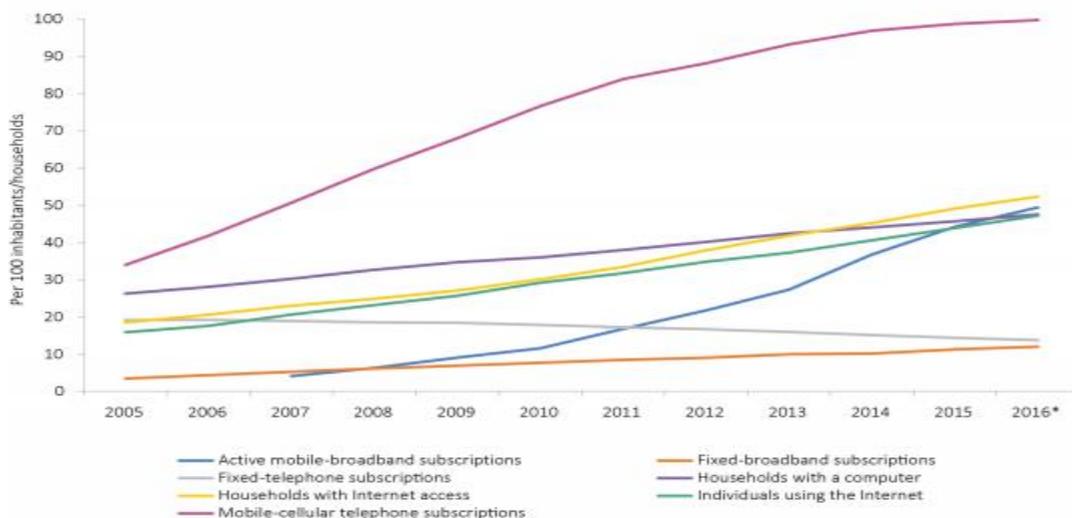
فالتطورات في مجال الاتصال يعبر عن واقع يرضخ له الحاكم والمحكوم معا؛ فتسعى الحكومات الديمقراطية إلى توفير الخدمات العمومية إلكترونياً، وإلى طرح المعلومات والتقارير وإطلاق الاستشارات العامة على السياسات والمشاريع على المواقع الإلكترونية، وصولاً إلى إجراء الاستفتاءات والانتخابات، مستهدفة اكتساب/ترسيخ مشروعية سياسية، وتعبيراً عن مخاطبة المجتمع من خلال قنوات الاتصال التي يستخدمها. في ذات الوقت الذي يستخدم المواطن هاتفه أو جهازه الموصول بالإنترنت لاستخراج وثيقة، والإطلاع على مختلف الآراء (الموالة والمعارضة) حول قضية بعينها، ولا يجد ذلك متوفراً على التلفزيون الرسمي أو الجرائد الموالية.

تتبرز هذه الضرورة بإحصاءات مثيرة للاهتمام طرحها تقرير الأمم المتحدة حول الحكومة الإلكترونية مستندة إلى تقارير الاتحاد الدولي للاتصالات، حول تطور اكتساب/الربط بالتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال (أنظر الشكل رقم 01).

أكثر في تزايد ضرورات إعادة النظر في قنوات الاتصال السياسي التقليدية هو شبه القطيعة بين النخب الحاكمة وقطاعات عريضة في المجتمع في الدول التي تصنف ديمقراطية (العزوف الانتخابي، العزوف عن المشاركة في النشاطات العامة، العزوف عن الانخراط في الأحزاب السياسية...). بالإضافة إلى تراجع مفهوم المواطن النشط (الفعال) بالرغم من طروحات كولمان Colman⁽³⁾، ما فرض إعادة النظر في استغلال البيئة لتسهيل ممارسة النشاطات المتعلقة بالمواطنة.

خلقت التغيرات العميقة في منظومة الاتصال المجتمعية ضرورة ملحة لإعادة النظر في قنوات الاتصال السياسي، بالنظر للبدائل التي تطرحها تكنولوجيات الإعلام والاتصال؛ فهي تمتلك القوة الكافية لتفعيل المشاركة، التداول، الانتخابات، وبالتالي الانخراط العام في الحياة السياسية وفق واقع رقمي لا يلغي الطرق التقليدية المتعارف عليها. لكن يجب أن لا يطرح الموضوع من جانب واحد، أي أن توفير هذه الآليات تعبير عن رغبة حكومية – فقط - في تعزيز آليات تفعيل المشاركة السياسية.

الشكل رقم 01: التغيرات العالمية لاستيعاب تكنولوجيات الإعلام والاتصال لكل 100 شخص 2005-2016



المصدر: International Telecommunication Union, **Measuring the Information Society Report 2016**. Geneva : ITU, 2016, p05.

الجماعي. من غير المعقول –وسيعتبر اتصالاً سياسياً غير مجدي- استخدام الجرائد الورقية⁽⁴⁾ أو التلفزيون أو ألواح الإعلانات في المقرات الرئيسية للإدارات العمومية ومقرات الأحزاب السياسية. لكن السؤال المطروح في هذا الموضوع هو:

بالنظر إلى مضمون الشكل رقم 01، الذي يعبر عن ارتفاع مستديم لاستخدام الأجهزة الموصولة بالإنترنت والمتحركة، مقارنة بالأجهزة السلكية، إضافة إلى ارتفاع مستديم للأجهزة الشخصية مقارنة بالأجهزة ذات الاستخدام

المقدمة بشكل كبير على هذه الوسائط لطرح المعلومات عن السياسات العامة، وفتح النقاشات حولها.

- أنواع ومستويات القضايا السياسية المتاحة مناقشتها: وهي بالضرورة امتداد للعنصر السابق. فبالرغم من أن السياسات العامة تتعامل مع كل ما هو جماعي ومشارك، إلا أن الأولويات وطبيعة القضايا تؤثر في رغبة المواطنين وقدرتهم على استيعابها إلكترونياً.

- المراحل المختلفة للعملية السياسية: يفترض أن تتضمن أي محاولة لتعريف الديمقراطية الإلكترونية عدم إهمال كل مراحل صنع السياسات العامة (الرسم، التنفيذ، الرقابة)، وحتى تقديم الخدمات العامة.

تشير الاعتبارات السابقة مجتمعة إلى أن المضمون الجوهري للديمقراطية الإلكترونية يحتمل بعدين هما: أولاً، أدوات الوساطة التكنولوجية. إذ اعتبرت الديمقراطية الإلكترونية وسيلة لإتاحة أكثر للمعلومات حول السياسات العامة ولتعزيز الاتصال والمشاركة بهدف إحداث تغييرات لدى المجتمع المدني، والإدارة، والسياسيين، ورجال الأعمال. فيما يخص مستويات النقاش وطبيعة الثقافة السياسية. وبالتالي فهي تتضمن كل الترتيبات المستخدمة من طرف المسؤولين والمواطنين، المنظمة للتفاعل الهادف لتشكيل وتعديل آليات توظيف السلطة. تتجسد هذه الترتيبات في المنتديات الإلكترونية، اجتماعات عبر وسائط الكترونية، التصويت الإلكتروني، الاستفتاء الإلكتروني، .. وكل أشكال المشاركة الإلكترونية.⁽⁷⁾

أما البعد الثاني فهو آليات تأثير المواطن، وتشمل الديمقراطية الإلكترونية وفقه استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لدعم العمليات الديمقراطية التي تركز على المواطنين. وهي:⁽⁸⁾

- إجراء التصويت للممثلين المنتخبين.
- علاقات مستمرة مع الممثلين المنتخبين.
- علاقات مستمرة مع السلطة التنفيذية.
- العمليات التي يتم من خلالها صنع السياسات.
- قرارات بشأن تقديم الخدمات وتخصيص الموارد.
- العمليات التي يمكن من خلالها للسلطات التشريعية أن تحاسب السلطة التنفيذية.

كيف يجب أن تتطور نظرية الاتصال السياسي لتستجيب لهذه التحولات؟

قدمت الأدبيات ثلاث إجابات لا تعتبر متناقضة بقدر تكاملها: يركز الجواب الأول على اعتبار التكنولوجيات الحديثة فرصة وحافزا لبحث استخدامية وفعالية الآليات النظرية التقليدية المعروفة، ما يسهم في تعميق فهمنا لواقع الاتصال السياسي. في حين اعتبر التيار الثاني بأن التطور سمة طبيعية للآليات التقليدية، التي كانت متطورة في أوانها وبالتالي فهي تراكمية طبيعية. أما التيار الثالث فيؤكد على أن الآليات النظرية المعروفة تبقى سياقية وتحتمل تأثير السياقات.⁽⁵⁾ يسمح التسليم بأهمية السؤال ومختلف التوجهات الأدبية في طرح الإجابات بسؤال أعمق وهو: كيف يمكن قياس الدور السياقي للتكنولوجيات باعتبارها جزء من ممارسات الديمقراطية الإلكترونية؟

3- الديمقراطية الإلكترونية... ديمقراطية +

تكنولوجيا = ديمقراطية تكنولوجية؟

نقطة البداية في تعريف الديمقراطية الإلكترونية هو محاولة ترسيخ الممارسات الديمقراطية التقليدية وفق نموذج يتوافق والتغيرات العميقة في المجتمع، خاصة ما تعلق منها بتكنولوجيات المعلومات والاتصال. وبالتالي فكل تعريف للديمقراطية الإلكترونية يفترض أن يأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:⁽⁶⁾

- الضغوط السياقية وتحديات الديمقراطية التقليدية: تمثل المهمة الأولى في تحديد سياق المشاركة وتأثير المواطنين، وبالتالي لا تقتصر الديمقراطية الإلكترونية على التصويت الإلكتروني أو منتديات النقاش السياسي.
- آليات الوساطة المؤسسية: وهي امتداد للعنصر الأول، على اعتبار أن الديمقراطية الإلكترونية تقتض تغييرات هامة في آليات عمل المؤسسات (تقديم المعلومات، عرض الخدمات)، وتغييرات في البنية الاجتماعية (المواطنة المتكافئة بدل الانتماءات الفرعية)، والذهنيات. يحدد هذا العنصر كيف وإلى أي مدى يؤثر المواطنون ويتحكمون في القرارات الجماعية.
- أدوات الوساطة التكنولوجية: تمثل هذه الأدوات سببا ومظهرا للتحويل. إذ تعتمد المجتمعات في البلدان

المستوى المحلي و المركزي. وجهة نظر أخرى ترى أن سبب المشاركة ومستوياتها وإن كانت تعبر عن اهتمام بالمجال السياسي، إلا أنها ليست حاسمة، إذ قد تكون أشكال أخرى للمشاركة قد لا توفر شرط الحسبة، ولكنها تحقق هدف التأثير. طرح Homero, logan, pei تساؤلات متعلقة بإمكانية تطبيق أدبيات المشاركة التقليدية على المشاركة الإلكترونية، خاصة فيما تعلق بالتأثير. وفي بحثهم عن العلاقة السببية اعتبروا أن وسائط التواصل الإلكترونية تؤثر بطريقة غير مباشرة في الحياة السياسية (مشاركة وعزوفاً) من خلال الحصول على المعلومة من أكثر من مصدر وبتكلفة أقل ووسيلة أسهل، ما يؤثر على سلوكه السياسي (التصويت، الانخراط، التظاهر)⁽¹⁰⁾. ووفق دراسات مسحية أكد Lee Komito بأن توفر المعلومات لا يؤدي في السنوات الثلاث الأولى على الأقل إلى انخراط مجتمعي منافي لواقع المشاركة السياسية التقليدية⁽¹¹⁾.

قد ينطبق ذلك على الاستخدامات التقليدية للوسائط التكنولوجية في الحياة السياسية كالحملات الانتخابية، الحشد للتظاهر السياسي، المواقع الإلكترونية الترويجية للأحزاب السياسية. وهي بالتالي استخدامات سطحية، لا تحليلية وغير مقارنة. كما أنها تعبر عن انتقال جاف من طرق تقليدية إلى طرق متوافقة وتوفّر تكنولوجيات حديثة. ما يعني أن التغيير في مفهوم المشاركة السياسية مس بدرجة أكبر الوسيلة وليس الإجراءات، وهي تخدم فرضية التعبئة أكثر من ارتباطها بفرضية تعزيز المشاركة.

تعتبر الويب 2.0 تطوراً ثورياً في مجال الانترنت؛ إذ كانت مجرد صفحات ثابتة المحتوى، وأحادية الاتجاه من المرسل إلى المستقبل، وهذا ما يعرف في هذا الميدان بالويب 1.0. ظهر بعدها الويب 1.5، قدم إمكانية وجود أكثر من قائم على المضمون من جهة ومنح للزوار إمكانية التعليق عليه، ثم تطور الوضع بظهور الويب 2.0. ووقفه أخذ مفهوم المشاركة

ثقلاً في نشر المحتوى [...]، لم يعد المحتوى المنشور على المواقع الإلكترونية ينتج فقط عن طريق متخصصين أو عن القائمين على إدارة المواقع الإلكترونية، بل تغير مفهوم النشر من إنتاج المحتوى من فرد/مجموعة يستقبله المستخدمون، إلى إنتاج المحتوى من مستخدم/مستخدمون يستقبله مستخدم/مستخدمون آخرون.

- مجموعة واسعة من الأنشطة غير الحكومية والطوعية. ترتبط المشاركة السياسية ارتباطاً وثيقاً بالديمقراطية فالعمق الفلسفي واحد؛ فلا ديمقراطية من دون آليات للمشاركة السياسية، في حين أن لا مشاركة سياسية دون ديمقراطية. لذلك عادة ما تتداخل التعريفات بينهما كمصطلحين مترادفين بالرغم من أن العلاقة هي علاقة بُعد من الأبعاد، وآلية تعغيلية بفلسفة تسييرية. أحاول من خلال الجزء التالي إبراز مفهوم المشاركة السياسية بنسختها التقليدية والإلكترونية.

ثانياً: ماهية المشاركة السياسية الإلكترونية

أسس التطور التكنولوجي وجهود تطويعها لأهداف المشاركة السياسية لنقاشات مفاهيمية وتنظيرية تستهدف توضيح قدرتها على تعزيز وتحسين مبادئ المشاركة التقليدية بقنوات أكثر وثوقاً ووصولية، ونطاقات البحث فيها، وآليات التفاعل بين الفواعل من خلالها.

1- تأثير الويب 2.0 على تعريف المشاركة السياسية

الإلكترونية

يتضمن مفهوم المشاركة في الحياة السياسية "الأفعال التي يقوم بها المواطنون، ويكون لها الشرعية القانونية، التي ترتبط بعدة عمليات كالانتخاب والمشاركة والنقد والاشتراك في عمليات صنع القرارات السياسية ..."⁽⁹⁾. فهي تمكن المواطنين من التعبير عن مطالبهم من خلال قنوات اتصال عديدة على أن تكون سلمية وقانونية. وتشمل التصويت، المشاركة في الحملات الانتخابية، الانخراط في الأحزاب والجمعيات، والمشاركة في الاحتجاجات السلمية.

اختلفت الطروحات النظرية في تأثير المشاركة السياسية، إذ يرى تيار بأنه ليس مفصلاً قياس مستوى المشاركة السياسية بانخراط المواطنين في الحياة السياسية. كما أنه لا يمكن اعتبار مستويات المشاركة شرطاً للاستقرار والمساءلة، على اعتبار وجود مؤسسات منتخبة بنزاهة تتكفل بخلق آليات للحسبة، وتطور المنافسة الحزبية. في حين يرى تيار آخر بأن توسيع المشاركة والانخراط عامل أساسي للديمقراطية من خلال المشاركة في النقاشات العامة، جمعيات المجتمع، وبالتالي المشاركة في اتخاذ القرارات على

الحياة السياسية وفق عموم الدراسات حول محاور أساسية ثلاث وهي: (16)

- الديمقراطية الإلكترونية: الديمقراطية والانترنت ، الديمقراطية ونظم المعلومات ، الديمقراطية الرقمية. تستند مثل هذه الدراسات على المقارنة بين التجليات التقليدية للمشاركة ونسختها الإلكترونية.

- المشاركة الإلكترونية: الحكومة الإلكترونية ، العرائض الإلكترونية ، الاستشارة الإلكترونية. تحلل هذه الدراسات آثار مبادرات المشاركة الإلكترونية بالتركيز على تغير الهياكل ، وأنماط الاتصال ، ومدى فعاليتها في ترسيخ المساواة والحفاظ على هياكل السلطة التقليدية.

- الإدماج الإلكتروني: من خلال تحليل التأثير على المشاركة الاجتماعية و بناء القدرات المجتمعية ورأس المال الاجتماعي.

وركزت حسب مسح الدراسات المتعلقة بها بخمسة قضايا: (17)

- الفاعلين في المشاركة الإلكترونية: المواطنون ، السياسيون ، المؤسسات الرسمية ، المنظمات الطوعية.

- نشاطات المشاركة السياسية: التصويت الإلكتروني ، الخطاب الإلكتروني ، صنع السياسات العامة ، الاستشارات والعرائض والحملات الانتخابية الإلكترونية.

- العوامل السياقية: توفر المعلومات ، البنية التحتية ، التكنولوجيات المطلوبة ، النفاذية ، القضايا السياسية ودور المؤسسات الحكومية.

- تأثير المشاركة السياسية: التأثير على الانخراط السياسي والمدني ، والتأثير على الاستشارات والتداول.

- التقييم: تقييم حدود تعزيز المشاركة فعليا.

يمثل الجدول رقم 01 ، أهم مميزات ومضمون دراسات المشاركة الإلكترونية ونتائجها.

يمكن أن نرى هذا المفهوم في أبسط صورة في التدوين حيث يقوم مستخدم بكتابة تدوينة ، يتلقاها مجموعة من زوار مدونته ، أو تقوم مجموعة بإنتاج فيلم ونشرة على يوتيوب لتلقاها مجموعة أخرى من المستخدمين ، وهذا المفهوم أثر بشكل واضح في تعزيز حرية الرأي والتعبير. (12)

فميزة ويب 2.0 أتاحت فرصة مشاركة البرامج والمحتوى من خلال إدخال البرنامج في التطبيق الذي يعمل به الموقع كما في فيسبوك مثلاً أو المدونات ، كما ظهرت فكرة محاكاة التطبيقات المكتبية على الويب حيث يمكن استخدام تطبيقات مكتبية كثيرة ، وميزات أخرى كثيرة أتاحتها لنا الويب 2.0 . إلا أنه تبقى الفكرة الأهم هي إدخال مفهوم المشاركة ضمن أساسيات التطوير ، حيث أن المواقع التي بنيت على تقنية الويب 2.0 لا تعتبر حُرْمَ برمجية جامدة بقدر ما تعتبر تطبيقات يمكنك المشاركة في تطويرها ومشاركة المحتوى الذي يريده المتصفح من خلال هذه التطبيقات.

من الواضح أن تعريف المشاركة الإلكترونية يحقق "وعد" المواطنة من خلال التكنولوجيا ، ويجعل المؤسسات أكثر تشاركية ، فتعرف بأنها "عملية انخراط المواطنين من خلال تكنولوجيات المعلومات والاتصال في السياسة وصنع القرارات" (13) ، من خلال "التفاعل بين مجال المجتمع المدني والمجال السياسي الرسمي ، وبين مجال المجتمع المدني والإدارة" (14) متجسداً في إتاحة المعلومات ، توظيف المدخلات ، تعزيز المشاركة ومعرفة احتياجات المواطنين. لذلك تقترض المشاركة الإلكترونية عنصراً معيارياً متعلقاً ب"الجهود المبذولة لتوسيع وتعميق المشاركة السياسية من خلال تمكين المواطنين من التواصل مع بعضهم ، ومع ممثليهم المنتخبين ومع الحكومات" (15)

2- نطاق البحث في المشاركة السياسية الإلكترونية ارتبطت تكنولوجيات المعلومات والاتصال

الجدول رقم 01: أهم مميزات ومضمون دراسات المشاركة الإلكترونية ونتائجها

الموضوع محل النقاش	<ul style="list-style-type: none"> - الخيارات التي طرحها المشاركة الإلكترونية مقارنة بالتقليدية. - الفرص والتحديات التي تواجه استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال . - نطاق الإدماج الاجتماعي وتأثيره على المشاركة السياسية. - تحسين التفاعل بين مختلف الفواعل ومستويات التأثير. - قضايا الفئات الخاصة (غير المستخدمين للانترنت). - استخدام المواطنين للمعلومات المتاحة من طرف الحكومات. - بناء قدرات المؤسسات الحكومية بالنظر لمفهوم المشاركة الإلكترونية. - تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على العلاقة بين المؤسسات والمواطنين - العلاقة بين السياقات الاجتماعية والسياسية وبناء نماذج المشاركة الإلكترونية.
وحدات التحليل	<ul style="list-style-type: none"> - الأحزاب السياسية ، الممثلون. - المواطنون ، الحركات الشعبية ، النخب ، الشبكات المدنية. - المستوى: الجماعات المحلية ، الحكومات الوطنية.
المنهجية	<ul style="list-style-type: none"> - تقييم مبادرات المشاركة الإلكترونية. - تحليل جهود الاتصال عبر الخط (البريد الإلكتروني ، المنتديات ، ..). - اختبار الدراسات الميدانية (المضمون ، التحليل ، تحليل المحتوى). - المسوح المكتبية للدراسات. - دراسات الحالات. - الدراسات المقارنة.
أهم النتائج	<ul style="list-style-type: none"> - التوظيف غير المكتمل لجوهر المشاركة الإلكترونية. - وجود عوائق قانونية ومؤسسية. - لا يطمئن السياسيون لاستخدام التكنولوجيا من طرف المواطنين. - تأثير التكنولوجيا في المشاركة السياسية ليس حاسماً ، بل معزز. - لزال هناك عوائق ثقافية واجتماعية للتصويت الإلكتروني. - تفتقر مبادرات الأحزاب السياسية للاهتمام الكافي بالموضوع.
توصيات	<ul style="list-style-type: none"> - البحث في الأسس النظرية للواقع الإلكتروني. - البحث في التطوير المفاهيمي. - البحث في العلاقة من الأسفل إلى الأعلى (المواطن-الحكومة). - البحث متعدد الاختصاصات. - البحث في الخصوصيات المجتمعية. - الدراسات المقارنة بشكل أوسع.

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على:

Anna Carola Freschi, others, A Tale of Six Countries: eParticipation Research from an Administration and Political Perspective. In: Ann Macintosh, others (ed), **Electronic Participation**. Germany: Springer-Verlag Berlin Heidelberg, 2009, p 39-41.

1- نموذج مستوى المشاركة الالكترونية ل Ann Macintosh ويتضمن ثلاث أبعاد هي: (19)

- التمكين الالكتروني E-Enabling: ويتعلق بكيفية استخدام التكنولوجيات، والمهارات المطلوبة لتوظيفها من طرف المواطنين. إضافة إلى القضايا المتعلقة بتوفير المعلومات وإمكانية النفاذ إليها.

- الانخراط الالكتروني E-Engaging: يتعلق بالوصول إلى أوسع فئة من المجتمع بقصد تعميق المشاركة في نقاشات السياسات العامة. يشير استخدام الانخراط في هذا الصدد إلى العلاقة من الأعلى إلى الأسفل، من الحكومة ومؤسسات الدولة إلى المواطنين.

- التعزيز الالكتروني E-Empowering: بخلاف البعد السابق، يتعلق التعزيز الالكتروني باتخاذ المواطنين صفة صانعي السياسات العامة بدل اعتبارهم مستهلكين لمخرجاتها، وهو اعتراف ضمني بضرورة السماح للمواطن بالمشاركة في اتخاذ القرار.

تبرز هذه الأبعاد وفق هذا الترتيب باعتبارها مراحل في المشاركة السياسية. بحيث تمكن المعلومات المتاحة من طرف الحكومات من خلال تكنولوجيات المعلومات والاتصال المواطن من دراسة الخيارات المتاحة. ما يُفعل مبدأ التشاور بفعالية، ويعزز مكانة المواطن في منظومة صنع السياسات العامة. ويلاحظ تضمنه علاقة باتجاه واحد (توفير المعلومات)، وعلاقة باتجاهين (التشاور والتغذية العكسية)، ينتج عنها مشاركة في تسيير الشأن العام.

3- النماذج النظرية للتفاعل من خلال المشاركة الالكترونية

تعرضت الدراسات في السنوات القليلة الماضية إلى تكنولوجيات المعلومات والاتصال باعتبارها آلية لتغيير نمط العلاقة بين المواطن والحكومة. وقد عرفت هذه الدراسات تطورا منطقيًا من دراسات نظرية في منتصف التسعينيات، تهتم بالمنافع التي يمكن التمتع بها، إلى دراسات ميدانية- تطبيقية عن الأثر الفعلي لهذا التغيير. وانحصر تضمين تكنولوجيات المعلومات في ثلاثة نماذج أساسية حكومة-حكومة (G2G)، حكومة-مواطن (G2C)، حكومة-قطاع أعمال (G2B) (18).

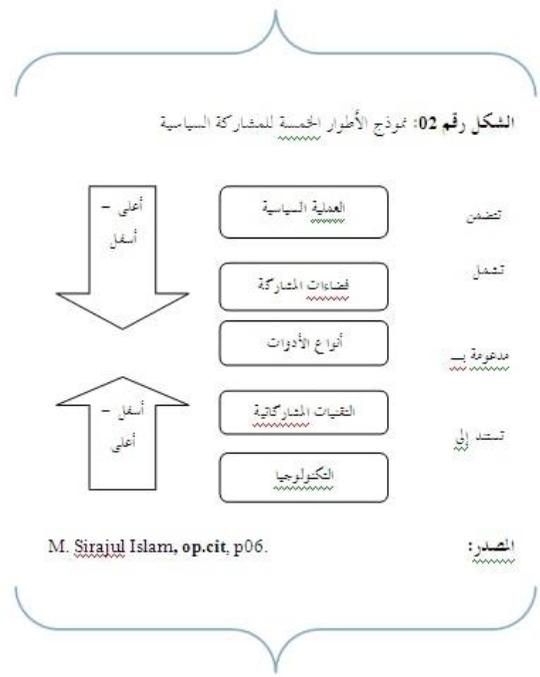
يعتبر النموذج الأول (G2G) أساس الحكومة الالكترونية، ويقوم على تبادل داخلي ومشارك بين الإدارات، وعلى تفاعلات بين المستوى الوطني والإقليمي والمحلي. ويُخصص النموذج الثاني (G2C) للعلاقة بين المواطن والحكومة. أما النموذج الثالث (G2B) فيتعلق بالعلاقة بين الحكومة وقطاع الأعمال.

وفق النماذج الثلاث -الكبرى- اختلفت النماذج النظرية في محاولة التأسيس للمشاركة الالكترونية من خلال استيضاح مراحلها وفواعلها وسياقها. إلا أن اختلافها لم يطل معيارين إثنين؛ أولهما نوع المشاركة، ويركز على أشكال المشاركة السياسية والمدنية الفردية والجماعية. وثانيهما دور تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، مستهدفا التمييز بين الوظائف الأساسية لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات ودرجة تأثيرها على المشاركة في صنع القرار.

بالرغم من أن أشهر نموذجين للمشاركة السياسية الالكترونية هما نموذج المستويات الثلاث " لشبكة الأمم المتحدة للإدارة العامة (يعرف بنموذج الأمم المتحدة)، المستند على نموذج "أبعاد المشاركة الالكترونية" الذي قدمته المنظمة الدولية للتعاون الاقتصادي والتنمية (OECD). إلا أن هناك العديد من النماذج اعتمدت كليًا أو جزئيًا على النموذجين السابقين، وركزت على زوايا مختلفة للمشاركة الالكترونية. وفيما يلي عرض لبعضها مع الإشارة إلى أن عددها في الأدبيات المتعلقة بالحكومة الالكترونية كثير.

يُعتبر النموذج تنصلاً من النقاشات الجدلية حول دور التكنولوجيات الحديثة في تعزيز المشاركة الإلكترونية ، ودور السياق الإلكتروني في تعزيز استخدام التكنولوجيا من أجل المشاركة. فالنموذج تجميع للموقفين ، وبالتالي يمكن توظيفه حسب السياقات المختلفة للمجتمعات ؛ إذ يمكن استخدام النموذج لبحث دور التكنولوجيات الحديثة في تعزيز المشاركة السياسية في إنجلترا أو النرويج ، كما يمكن استخدامه لبحث تأثير مواقع التواصل الاجتماعي في التعبئة الجماهيرية وتوفير المعلومات عن مستويات الفساد ومظاهره في دول أخرى.

3- نموذج الأمم المتحدة (قسم إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية): تعتمد الأمم المتحدة في دراستها للمشاركة الإلكترونية على نموذج من ثلاث مراحل هي: المعلومات الإلكترونية، الاستشارات الإلكترونية وصنع القرارات إلكترونياً⁽²¹⁾



2- نموذج الأطوار (المراحل) الخمس للمشاركة الإلكترونية: هو إطار لدراسة المشاركة الإلكترونية بالاعتماد على أطوار أو مراحل العملية السياسية الإلكترونية من الأعلى (الإقرار بالديمقراطية) إلى الأسفل (توفر التكنولوجيا).⁽²⁰⁾

الجدول رقم 02: ملخص السمات الأساسية المقيمة والمتعلقة بالمشاركة الإلكترونية

- وجود المعلومات المحفوظة (السياسات والموازنة والوثائق القانونية وما إلى ذلك) فيما يتعلق بالتعليم والصحة والتمويل والرفاه الاجتماعي ومعلومات العمالة والبيئة
- وجود مجموعات البيانات حول التعليم والصحة والتمويل، مثل الإنفاق الحكومي والرفاه الاجتماعي ومعلومات العمالة والبيئة
- الدخول على الموقع الإلكتروني للحكومة بأكثر من لغة وطنية رسمية
- توفر خصائص الشبكات الاجتماعية
- وجود آليات الاستشارات الإلكترونية للقطاعات الستة: التعليم والصحة والتمويل والرفاه الاجتماعي ومعلومات العمالة والبيئة
- توفر الأدوات من أجل الحصول على الرأي العام الأولي (غير التشاوري) لأجل مناقشات السياسة العامة، مثل المنتديات الإلكترونية والأدوات الإعلامية والاستفتاءات وأدوات التصويت وتقديم المطالب العامة
- وجود أدوات لصنع القرارات إلكترونياً للقطاعات الستة: التعليم والصحة والتمويل والرفاه الاجتماعي ومعلومات العمالة والبيئة

المصدر: إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية (الأمم المتحدة)، مرجع سبق ذكره، ص 80.

يحاول النموذج التأسيس لنهج كمي لقياس المشاركة الإلكترونية بالاعتماد على سمة اتصال ثنائية الاتجاه يجعل المواطنين والحكومة مشاركين في صنع السياسات العامة

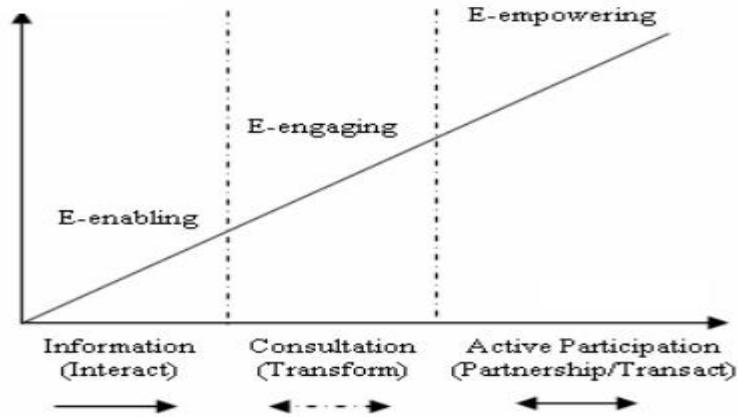
4- نموذج منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية: يعتبر هذا النموذج أشهر النماذج على الإطلاق ، وعليه اعتمد

- التعامل مع جمهور أوسع لتمكين أعمق، ومساهمات أكثر، ودعم المناقشات التداولية. يعتبر نموذج منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أن المشاركة الإلكترونية تتحقق وفق ثلاث مستويات وهي: المعلومات، الاستشارات والمشاركة النشطة. وهي بذلك تتوافق إلى حد بعيد مع نموذج الأمم المتحدة (أنظر الشكل رقم 03).

نموذج الأمم المتحدة (بالرغم من جهود تطويره وتضمينه بمؤشرات قياس). ويستند إلى تحديد آلية توظيف التكنولوجيات لتعزيز مشاركة المواطنين في عمليات صنع السياسة العامة من خلال:

- الوصول إلى جمهور أعرض لتمكين مشاركة أوسع.
- دعم المشاركة من خلال مجموعة من التقنيات لتلبية المهارات الفنية والتواصلية المتنوعة للمواطنين.
- تقديم المعلومات ذات الصلة في شكل يسهل الوصول إليه وأكثر قابلية للفهم للجمهور المستهدف لتمكين المساهمات المستنيرة.

الشكل رقم 03: مقارنة بين نموذج الأمم المتحدة ونموذج منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.



المصدر: (بتصرف) Sirajul Islam , op.cit, p 06.M .

المعلومة، وأضحت الصحافة مهنة غير نخبوية؛ إذ أدى هذا التحول إلى إعادة النظر في الفاعلين والمتلقين للمعلومة، وكذا في قاعدة نشر المعلومة من الفرد إلى المجموع (from one to many) والاعتماد على نشر المعلومة من الكل إلى الكل ((from many to many) وذلك بالاعتماد على مواطنين صحفيين.

بهذا التحول في المتلقين والصانعين التقليديين "للحقيقة"، فقدت الأنظمة السياسية نمط الاتصال الهيراركي (الهرمي) أحادي الاتجاه؛ إذ أن التفاعلية في صحافة المواطن والتي تعتمد على مجموعة من التمثيلات المشتركة لمجموعة الأفراد وذلك من أجل أن تكون عملية الاتصال منسجمة ومتناسقة وحاملة لذكاء جمعي، "وفرت فرصة تقييم ونقد أداء وسائل الإعلام وجعله ظاهراً بل مؤثراً بقوة في عملية التلقي في هيئتها التفاعلية الحديثة. ويعود ذلك إلى خروج الإعلام

من خلال هذه النماذج وغيرها (غير المذكورة)، نلاحظ بأن مفهوم المشاركة الإلكترونية يتجاوز المفهوم المتعارف عليه والموظف شعبياً، وهو استخدام مواقع التواصل الاجتماعي عادة. وإن كانت هذه المواقع واستخدامها لا يتنافى ومفهوم المشاركة الإلكترونية إلا أنها مظهر من مظاهر الاتصال السياسي واتجاه واحد للعلاقة بين المواطن والحكومات. لذلك فهو مفهوم يفترض علاقة متعددة الاتجاهات بالنظر إلى تعدد الفواعل (المواطنين، منظمات المجتمع المدني، المؤسسات الحكومية، قطاع الأعمال)، وتعدد الطبائع (تقديم الخدمات، توفير المعلومات، فتح المجال للاستشارات)، وتحقيق مستويات معقولة من التأثير يتطلب بيئة بمميزات خاصة.

النموذج الشبكي للاتصال المجتمعي وتشكيل الرأي العام: برزت "صحافة المواطنين" كأحد أبرز عوامل نقل

- إدارة التغير والإقناع به: يجسد الانتقال من الديمقراطية بمفهومها التقليدي إلى تفاعل سياسي إلكتروني تغيراً مهماً في العلاقة بين الفواعل السياسية؛ فالمواطن عهد الانتخابات الحضورية الورقية، والمظاهرات، والاجتماعات والنقاشات في القاعات المغلقة والفضاءات المفتوحة، وهذا التحول سيخلق لديه هواجس متعلقة بمستوى الثقة في الرقمية وسرية وحماية المعلومات. وعلى اعتبار أن هذا التحول يعبر عن حركية ثقافية يمس بالوعي فلمؤسسات الإقناع دور مهم فيه كالجمعيات ووسائل الإعلام والتظاهرات والمدارس والجامعات.

- النفقات المالية: تتطلب المشاركة الإلكترونية ظروفًا منطقية متعلقة بالبنية التحتية للاتصال في الدولة، إضافة إلى نفقات الصيانة الدورية والحماية. وبالرغم من إمكانية اللجوء إلى القطاع الخاص للاستثمار إلا أن ذلك لن يثني دافعي الضرائب على دفع تكاليف لا يمكن أن تكون إلا باهظة. كما أن استثمارات البنية التحتية الاتصالية هي استثمارات في مجال سيادي حساس بالنظر إلى الكم الهائل من المعلومات المتداولة من خلاله، ما يستوجب نفقات صيانة تضع الأعطال في نطاق "الاستحالة"، ونفقات حماية بالنظر إلى حساسية المعلومات.

- التكنولوجيا المتطورة: المشاركة الإلكترونية في الأصل تطور حتمي فرضه التطور التكنولوجي، وبالتالي فتوفرها يجعل المشاركة الإلكترونية واقعا. كما أن وجود هذه التكنولوجيات يتطلب إطاراً قانونياً للتعامل، وبناء أراضيات لتفعيلها في إطار الإدارة الإلكترونية يخلق تحدياً متعلقاً بالتعامل من كل السلوكيات المرتبطة بها (الجرائم وصلحية النفاذ).

- الأمان: تعتبر متطلبات الأمان من أهم متطلبات التعاملات الإلكترونية عموماً، خاصة في ظل تزايد الهجمات الإلكترونية على المواقع الإلكترونية والأنظمة الإلكترونية للبنوك والوزارات ووسائل النقل (قطارات، مترو، طائرات..). ومن التعاملات المنطقية لهذا المتطلب اعتبار حلف شمال الأطلسي⁽²⁴⁾ الهجمات الإلكترونية تهديداً يرقى لمستوى الحرب (استحدث مفهوم الحرب السيبرانية للتعامل مع التهديدات والأضرار الجدية للهجمات الإلكترونية). إن تضمين التعاملات الإدارية الإلكترونية معلومات سرية للمواطنين يتطلب أخذ

والاتصال من وضع هرمي قديم إلى شبكي حديث، ومن جماهيري إلى فردي شخصي، وهو ما قلب وظيفة المتلقي ليتحول في نفس الوقت إلى باث ومرسل⁽²²⁾.

نتقل بهذا المنطق من نظرية تدفق الاتصال ذو الخطوتين (Two Step Flow Theory) التقليدية، والتي يمكن إسقاط مضمون قادة الرأي فيها على الواقع السياسي في البلدان العربية من خلال قادة الأحزاب السياسية والكثير من منظمات المجتمع المدني الصورية، إلى النموذج الشبكي.

ثالثاً: المشاركة الإلكترونية: المتطلبات، الأدوات

والتحديات

بذات الزخم التنظيري للشروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للديمقراطية التقليدية، برزت تحديات تفعيل آليات المشاركة الإلكترونية. لكن ما يميزها هو خصوصية متطلباتها بالنظر لطبيعتها "التقنية" وأهدافها "السياسية"؛ فمتطلباتها تستند إلى قدرة تقنية مكلفة، ورغبة سياسية داعمة، وأدواتها تقنية تستوجب الحماية والأمان. وهي بذلك تطرح تحديات الخصوصيات المجتمعية كذلك.

1- متطلبات تفعيل المشاركة السياسية

الإلكترونية

بالنظر لمضمون المشاركة السياسية، يتطلب تفعيل المشاركة الإلكترونية بيئة بمميزات خاصة من جهة، وجهوداً سياسية من جهة ثانية؛ لذلك فمتطلبات المشاركة الإلكترونية تنقسم -وهي متسلسلة- إلى:⁽²³⁾

- وجود إستراتيجية تحول واضحة: من الضروري والحاسم أن تتوفر لدى السلطات العمومية توجه صريح ورؤية واضحة فيما يخص إحداث ثورة في العلاقة بين المؤسسات الرسمية ومختلف الفاعلين (المواطنين، القطاع الخاص، منظمات المجتمع المدني).

- اكتساب المعرفة: يرتبط هذا العنصر بحيوية المواطنين وقدرتهم الذاتية على النفاذ للفضاءات الإلكترونية، وهو مُتطلب يفوق القدرة على الكتابة والقراءة ولا يتجاوزه؛ هذه التحولات تهدف إلى التأسيس لنظام استشارات عامة متمحورة حول خيارات المواطنين، وبالتالي لا بد للمواطنين أن يتمتعوا بالمؤهلات الكافية لاستخدام الوسائل الإلكترونية وفهم لغتها.

للمقارنة هو مكانة المؤسسات (التفاعل)، التأثير (مخرجات نقاشات القضايا العامة) وسياق السياسة العامة (الشفافية، الفعالية، المرونة، المواطنة). ولتحقيق أهداف المشاركة الإلكترونية تختلف الأدوات دون أن تختلف فضاءاتها؛ فميادين المشاركة هي ذاتها ميادين الديمقراطية سواء كانت تقليدية أو الكترونية، فهو سياق المنظمات الطوعية والمؤسسات الرسمية، وقطاع الأعمال. إن اختلاف أداة التواصل لا يعني بالضرورة تغييرا في فضاء تلقي وتبادل المعلومات ومحاولة التأثير من خلالها.

ما يختلف في المشاركة الإلكترونية هو تعزيز قدرات المجتمع في ترسيخ قيم الشفافية وسلوكيات التشاور والتداول من خلال مستوى "المعلومات" المشار إليه أعلاه، والمفعل في ذاته من خلال تعدد قنوات الاتصال وتجلياتها. ومن بينها:

- الاتصال الشبكي: التسجيلات في الوقت الفعلي للاجتماعات المنعقدة عبر الإنترنت.

- نشر ملفات الوسائط المتعددة (الصوت والفيديو) عبر الإنترنت، حيث يمكن تحميل المحتوى تلقائياً باستخدام برامج قادرة على متابعة آخر الأخبار بشكل مباشر وبدون الحاجة إلى زيارة المواقع الرسمية، يشار إليه باختصار خدمة RSS.

- تطبيقات الويب التي تسمح للمستخدمين بإضافة المحتوى وتعديله بشكل جماعي.

- المدونات: وهي محتويات يتم التحكم فيها من طرف شخص أو أكثر.

- استطلاعات للرأي على المواقع الرسمية للمؤسسات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني أو من خلال تطبيقات الهواتف.

- الاستبيانات التي تُدار ذاتياً، حيث يظهر الموقع قائمة الأسئلة التي يجب عليها المستخدمون ويقدمون إجاباتهم عبر الإنترنت.

- التطبيقات التي تمكن المستخدمين من الاطلاع على جديد القضايا المحلية والوطنية وردود الفعل الرسمية وغير الرسمية حولها.

- تنبيهات البريد الإلكتروني والرسائل النصية، وهو اتصال يكون في العادة ذو اتجاه واحد.

هذا التحدي مأخذ الجد، وتوفير المهارات والنفقات والبرامج الكفيلة بمواجهته.

بالإضافة إلى ما سبق، تفترض المشاركة الإلكترونية جهوداً حكومية تغطي الجوانب القانونية والمؤسسية والإجرائية/التنفيذية إضافة إلى الجانب التوعوي؛ فالجهود القانونية تساعد في استيضاح أولويات الحكومة في تفعيل مبدأ المشاركة الإلكترونية من عدمه، كما يحدد مواطن تحمل المسؤولية في ذلك. وتوضح جهود المؤسسة قضايا استخدام الموارد المخصصة لأنشطة المشاركة الإلكترونية وتحديد كفاءتها وإنتاجيتها واستجابتها. أما الجوانب الإجرائية والثقافية فتحدد أولويات واستخدام وسائل الاتصال الخاصة للمشاركة الإلكترونية، والتي لها آثار ثقافية ومالية. عموماً، يمكن إبراز الجهود الحكومية في النقاط التالية:

- تعميم المشاركة العامة لتحسين أداء السياسات: هناك حاجة إلى استثمارات لترسيخ سلوكيات صنع السياسات كجزء من وظائف للحكومة ومُخرج للعلاقة بين المواطنين وممثلهم، والمواطنين والمؤسسات الرسمية. وكذا بناء المهارات بين موظفي الخدمة المدنية، وإبراز الدعم السياسي والإداري من خلال توفير المعلومات، والأخذ بعين الاعتبار مخرجات التفاعل الإلكتروني.

- التأسيس لأدوات تقييم فعالة تتماشى والطابع الخاص للعلاقة بين الفواعل السياسية: لا بد أن يتجاوز مفهوم المشاركة التفريد، لا بد أن تستند أدوات التقييم إلى مضمون الفضاءات المختلفة للتفاعل، والتأكيد على جدية الأصوات الإلكترونية. في هذا الصدد لا بد من الاستفادة من المدونات، ووسائل الإعلام الاجتماعية.

- على الحكومات أخذ السياق المحلي بعين الاعتبار، فكما للممارسات الديمقراطية التقليدية سياقها، كذلك المشاركة الإلكترونية. فالقضية ليست متعلقة بالسياق العالمي وحده، فعوامل كنسبة الأمية الإلكترونية، ولغة المواقع وأرضيات النقاش لها تأثير حاسم.

2- أدوات المشاركة الإلكترونية ومعايير قياسها

ترتبط المشاركة الإلكترونية ونسختها التقليدية في الأدبيات بتساؤلات مقارنة في كثير من الأحيان؛ فعلى اعتبار أن الجوهر واحد وهو محورية المواطن، فإن ما يخضع

- مواقع الانترنت التي توفر بوابة لمجموعة من مستوى من المستويات المذكورة سالفًا (المعلومات المعلومات والتطبيقات المطلوبة).
بالاعتماد على هذه الأدوات ، يقدم الخبراء آلية كمية
لقياس المشاركة السياسية الإلكترونية ، ومستوى تفعيل كل

الجدول رقم 03: أدوات المشاركة الإلكترونية وإطار مقترح للقياس

المعلومات	- عدد التنبيهات البريد الإلكتروني المرسل (وفقاً لقائمة البريد الإلكتروني) - الرسائل المرسله إلى الهواتف الخليوية وأجهزة المساعد الرقمي الشخصي. - عدد الزوار الذين يصلون إلى المنشور - عدد من يقوم بتحديث الأخبار في المواقع المتطلبة إضافة المحتوى بالاشتراك. - عدد طلبات البحث عن المعلومات المنشورة من خلال محرك البحث. - عدد مرات الوصول إلى الرسائل الإخبارية. - عدد الاجتماعات الإلكترونية المزمع عقدها
الاستشارات	- هل الموقع لديه ميزة ردود الفعل (عدد الردود الفعل على السياسات الحكومية). - تفاعل المواطنين في مؤتمرات الفيديو وغرف الدردشة الإلكترونية المشاركة. - عدد حسابات البريد الإلكتروني التي تم إنشاؤها. - عدد الردود على رسائل البريد الإلكتروني ، الرسائل النصية والرسائل عبر الإنترنت. - نسبة المشاركين في استطلاعات الرأي عبر الإنترنت. - عدد الردود على الاستقصاءات. - نسبة المشاركات في منتديات الويب لمناقشة قضايا سياسية واجتماعية وثقافية. - عدد النماذج الإلكترونية المرتبطة بالعلاقة مواطن-حكومة التي تم تنزيلها.
اتخاذ القرارات	- عدد النماذج القابلة للتنزيل. - توفير التوقيعات الإلكترونية. - عدد الرواتب التي تتم عن طريق الإنترنت ، وعدد بطاقات الدفع. - عدد إصدارات المواقع الحكومية. - عدد النتائج المنشورة لآراء المواطنين على الموقع. - إقرارات الآراء الإلكترونية المستلمة. - عدد "إيصال الإرسال" من الحكومة إلى المواطنين.

المصدر: (بتصرف).

Emad Abu-Shanab, Raya Al-Dalou, E-participation Initiatives: A Framework for Technical Tools. Paper prepared for : **Conference: The 2012 International Arab Conference of e-Technology (IACe-T'2012)**. At Zarqa, Jordan, April 2012, p 07.

العامة مضطلعين باستخدام التكنولوجيا فإن غيرهم وينسب
عالية غير ملمين.

- المتطلبات التكنولوجية: تفترض المشاركة
الإلكترونية تمكين المواطنين من النفاذ للمعلومات وهذا
يطرح تحدي مرتبطة بالقدرات التكنولوجية والفجوات الرقمية.
وعجز الدول في مواجهة تحدي توفير الخدمات قد يعجزها عن
مواجهة تحديات الحصول على معرفة سياسية أكبر ، وتسريع
وتيرة الاهتمام السياسي وبالتالي المشاركة الإلكترونية.

- تحديد المستخدمين ذوي الصلة والتواصل
معهم: تفترض الاستشارات واتخاذ القرارات الكترونيا مخاطبة

3- تحديات المشاركة الإلكترونية

تواجه المجتمعات وفقاً لخصوصياتها أنماط مختلفة
من العراقيل والتحديات في تفعيلها للمشاركة الإلكترونية ،
تصنفها بعض الأدبيات وفقاً للمستويات الواردة في النماذج
السابقة ، وتصنفها أدبيات أخرى وفقاً لطبيعتها (سياسية ،
ثقافية ، اقتصادية) ، في حين اعتمدت بعض الأدبيات على
مؤشرات قدمتها الأمم المتحدة لتقديم هذه النقائص. عموماً ،
يمكن إيجاز التحديات والنقائص فيما يلي:

- سهولة الاستخدام: يجد هذا التحدي معنى له لدى
الفئات العمرية غير الشابة خاصة ؛ فإذا كان الشباب في

الاستشارات في صنع السياسات العامة استجابات/تستجيب آليات المشاركة لتطورات قنوات ووسائل الاتصال عموماً، والاتصال السياسي على وجه الخصوص.

وقد عبر مفهوم المشاركة الإلكترونية عن قدرة المجتمعات حكماً ومحكومين على تطويع التطورات التي عرفتها تكنولوجيات المعلومات والاتصال لخدمة وتعزيز العلاقة بينهم من خلال توفير معلومات أكثر وإجراءات أسهل. ويجب في هذا الصدد الإشارة إلى النقاط التالية:

- مفهوم المشاركة الإلكترونية، مفهوم شامل للعلاقة بين المواطنين والحكومات والمجتمع المدني والقطاع الخاص. فهو مفهوم يعبر عن العلاقات بين مختلف الفاعلين في مجتمع معين.

- يحدد اتجاه العلاقة طبيعة النظام السياسي، ولا تكفي وجود علاقة في اتجاه واحد لاعتبار النظام ديمقراطياً، وهو ما ينطبق على مفهوم المشاركة الإلكترونية؛ فالسياق الديمقراطي حاسم في تعدد اتجاه العلاقة (مواطن-حكومة، حكومة-مواطن، مجتمع مدني-قطاع خاص ..). وقد تساهم التكنولوجيات في تعزيز هذا التعدد.

- تعتمد المشاركة الإلكترونية على توفير المعلومات كمرحلة أولى، لتعزيز الاستشارات كمرحلة ثانية، ما يعزز تمكين المواطنين في صنع السياسات كمرحلة ثالثة.

- بالنظر لتكلفة التكنولوجيا، والمهارات المطلوبة لتوظيفها وتحديات الأمان فإن قدرة المجتمعات على توظيفها لتعزيز الانخراط المجتمعي تبقى رهينة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ذوي المصلحة مباشرة (دافعي الضرائب، متعاملي الصحة، التعليم ..)، لأن توسع الاستشارات إلى غير أصحاب المصلحة قد يؤدي إلى خلل في اتخاذ القرارات.

- الإرادة السياسية: كثيراً ما تلاقي مثل هذه المبادرات مقاومة للتغيير من السياسيين والبيروقراطيين متجلية في توفير جزئي للمعلومات، غياب الجوانب القانونية لتفعيل المشاركة الإلكترونية. بالإضافة إلى العزوف المجتمعي بسبب فشل السياسيين في معركة لفت انتباه المواطن.

- عوائق المشاركة المتعلقة بالتجهيزات والمعرفة: إذ تعاني الدول من عدم القدرة على توفير بنية تحتية باهظة الثمن لتفعيل مبدأ المشاركة الإلكترونية. وتعتبر التطورات المتسارعة لهذا الميدان تحدياً ملازماً لاكتساب المهارات، فيفشل الموظفون والمواطنون في الاستخدام المجزي للتطبيقات والتجهيزات.

- الفجوة الرقمية بين المدن والقرى، المناطق، الولايات: ما يؤدي إلى خلل في تفعيل المساواة في المشاركة في تسيير الشأن العام

- العوائق المؤسسية: يؤدي غياب النضج السياسي إلى فشل في جهود المؤسسات نظراً لعدم قدرتها على التسويق لجهودها، وينتج عن ذلك أزمة ثقة وعزوف الكتروني.

الخاتمة

تجتهد المجتمعات أكاديمياً وممارساتياً وفق قيمها وتطلعاتها في وضع نماذج وأهداف العيش المشترك؛ فعبرت الديمقراطية عن رغبة في تفعيل آليات الاعتراف والاستشارة وفق نماذج نظرية وتجارب مجتمعية. ويهدف تعزيز

-

الهوامش

1. علي خليفة الكواري، مفهوم الديمقراطية المعاصرة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 14.
 2. لتفاصيل أكثر عن معاني الديمقراطية وفق المفاهيم الواردة، أنظر: روبرت دال، الديمقراطية ونقادها، تر: نيمير عباس مظفر، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2005، ص 144-164.
 3. لمعلومات أكثر أنظر:
- J.G Blumler and S.Coleman, "Realising Democracy Online : A Civic Commons in Cyberspac", **Citizens Online Research Publication**, Institute for Public Policy Research, No.2, March 2001.
4. عرفت السنوات الأخيرة (خاصة بعد 2010) تحولا للعديد من الجرائد العالمية المشهورة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من جرائد ورقية إلى جرائد إلكترونية ومواقع إخبارية، ويعود السبب في ذلك إلى تناقص مستمر في المبيعات ما أثر على عائدات الإشهار. في الوقت الذي عرف سوق الإشهارات على المواقع الإلكترونية ازدهارا مطردا.
 5. R. Kelly Garrett, others, "New ICTs and the Study of Political Communication", **International Journal of Communication**, University of Southern California, 6, 2012, p 219-220.
 6. Ari-Veikko Anttiroiko, "Building Strong E-Democracy—The Role of Technology in Developing Democracy for the Information Age", **Communications Of The Acm**, Vol. 46, No. 9, September 2003, p 122.
 7. Stephen Coleman, Donald F. Norris, "A new agenda for e-democracy", Oxford Internet Institute, Forum Discussion Paper No. 4, January 2005, p 6-7. <https://ssrn.com/abstract=1325255> or <http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.1325255> (12.09.2017)
 8. Ian Kearns, others, **e-participation in local government**. London : Institute for Public Policy Research, 2002, p12.
 9. سعد عبد الحليم الزيات، اسماعيل علي سعد، في المجتمع و السياسة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 449.
 10. Homero Gil de Zúñiga, Logan Molyneux, Pei Zheng, "Social Media, Political Expression, and Participation", **Journal of Communication**, International Communication Association , 64, 2014, p 613.
 11. Lee Komito, "e-Participation and Governance: Widening the net. **The Electronic Journal of e-Government**, Academic Conferences and Publishing International Limited, Volume 3, Issue 1, 2005, p40.
 12. الشبكة العربية لمعلومات حقوق الانسان، الانترنت في خدمة حرية التعبير، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الانسان، القاهرة، د.ت.ن، ص17.
 13. United Nations Public Administration Network, Measuring and Evaluating e-Participation (METEP): Assessment of Readiness at the Country Level. P 05. http://workspace.unpan.org/sites/Internet/Documents/METEP%20framework_18%20Jul_MOST%20LATEST%20Version.pdf, (10.09.2017).
 14. Vitri Tundjungsari, others, "E-Participation Modeling and Developing with Trust for Decision Making Supplement Purpose". **International Journal of Advanced Computer Science and Applications**, The Science and Information (SAI) Organization Limited, Vol. 3, No. 5, 2011, p55.
 15. Georg Aichholzer, Doris Allhutter , Online forms of political participation and their impact on democracy. **Paper prepared for delivery at the Joint Sessions of the European Consortium for Political Research**, University Institute for Social Sciences Business Studies and Technologies, Lisbon (Portugal), (ISCTE), 14-19 April 2009. p 05.
 16. Øystein Sæbø, others, "The shape of eParticipation: Characterizing an emerging research area", **Government Information Quarterly**, Company Overview of Elsevier Inc, Volume 25, Issue 3, July 2008, P 407.
 17. Rony Medaglia, "eParticipation Research: A Longitudinal Overview", In : E. Tambouris, A. Macintosh, and H. de Bruijn (Eds.), **ePart 2011**, IFIP International Federation for Information Processing, Denmark , 2011, p 102.
 18. Richard Amaechi Onuigbo, Eme Okechukwu, "Electronic governance & Administration in nigeria : prospects & challenges", **Arabian journal of business and management review**, **Arabian Group of Journals** , vol 5, N 03, October 2015, p22.
 19. Ann Macintosh, Characterizing E-Participation in Policy-Making, Paper prepared for : The 37th Annual Hawaii International Conference on System Sciences, 5-8 January 2004, Big Island, Hawaii, p 02-03.
 20. M. Sirajul Islam, "Towards a sustainable e-Participation implementation model", **European Journal of ePractice**, european commission, Vol. 5, no 10, October 2008, p 06. <http://www.diva-portal.org/smash/get/diva2:796551/FULLTEXT01.pdf> (06.09.2017).
 21. إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية (الأمم المتحدة)، دراسة الحكومة الالكترونية 2014، الأمم المتحدة، نيويورك، ص 79.
 22. جمال الزرن، صحافة المواطن: المتلقي عندما يصبح مرسلًا. تونس: المجلة التونسية لعلوم الإتصال، العدد 51-52 السنة 2009، ص 62.
 23. Amal Al-Harathi, A Study of the Deployment of E-Government in Developing Countries , **(BSc) Information Systems and Management Studies**, university of London, 2002/2003 p 19-21. https://minerva.leeds.ac.uk/bbcswebdav/orgs/SCH_Computing/FYProj/reports/0203/Al-Harathi.pdf, (05.09.2017).
 24. لمعلومات أكثر يمكن الاطلاع على الموقع الرسمي للمجلة حلف شمال الأطلسي على الرابط التالي: <http://www.nato.int/docu/review/2011/11-september/Cyber-Threads/AR/index.htm>, (05.09.2017).

التفكيك نحو التأسيس للمختلف

Deconstruction: Towards The Establishment Of The Different

تاريخ القبول: 2018-04-16

تاريخ الارسال: 2018-02-07

حنان حطاب، جامعة سطيف 2

hhattab.hanane@gmail.com

الملخص:

يعد التفكيك واحدا من اتجاهات مابعد الحداثة أو مابعد البنيوية ، وهو استراتيجية قرائية تسعى إلى مقارنة النصوص وجعلها مسرحا مختلفا للدلالات المتصارعة والقراءات المتعددة. وهذا من خلال تجاوز ميتافيزيقا الحضور والتأسيس لنص وفلسفة الاختلاف.

الكلمات المفتاحية: التفكيك-استراتيجية-مقارنة –ميتافيزيقا –الحضور-الاختلاف-الاختلاف(a)

Résumé :

La Déconstruction est l'une des directions postmodernistes ou poststructuralistes. C'est une stratégie de lecture qui vise à approcher les textes en les rendent la scène des significations contradictoires et des lectures multiples.

Négliger la métaphysique de présence et édifier un texte et une philosophie de la différance contribuent à atteindre ce but.

Mots-clés: Déconstruction- stratégie-approche-métaphysique-présence- différance- différance.

Abstract:

Deconstruction is one of the postmodernist and poststructuralist directions. It is a reading strategy that aim at approaching texts by making them the scene of the different significations and multiple readings.

To achieve that goal, one should neglect the metaphysics of the presence and found the philosophy of the différance.

Keywords: Deconstruction, strategy, approach ,metaphysics, presence, difference, différance.

التفكيك نحو التأسيس للمختلف

يعد التفكيك استراتيجية قرائية تروم تقديم رؤية نقدية قائمة على فك إسامر مقفل الخطاب النقدي الغربي المركزي ، وكذا اختراق المقول الذي يتبدى من خلال علامات النص ، هادفاً - أي التفكيك - إلى جعل النص مسرحاً مختلفاً للدلالات المتصارعة والقراءات المتعددة والتأويلات اللانهائية ، ذلك أنه "قراءة نص ما بصفة مركزة ومقربة جداً ، إلى حد يجعل المفاهيم التي يعتمد عليها النص نفسه تتميع وتنهار ، نتيجة للاستعمال المتضارب والمتناقض الذي تخضع له تلك المفاتيح داخل النص ككل ، وبمعنى آخر ترى من خلال هذه الطريقة أن النص يفشل وينهار قياساً لمعايير الذاتية ، حيث تستعمل المعايير والتعاريف التي بينها النص نفسه ضد النص نفسه لتشويش التمييزات الأصلية ودحضها ، وقد استعمل دريدا هذه الطريقة ضد هوسرل وروسو وسويسر وأفلاطون Plato وفرويد وغيرهم ، لكنها قابلة وصالحة للتطبيق على أي نص مهما كان نوعه"¹.

يرتكز عمل التفكيك على البحث عن التحولات الدلالية المرجأة داخل أي نص ، وهو بهذا يستند على دور القارئ في تفكيك النص واستطلاع آفاق الغياب في أقصى تجلياتها من أجل خلق قراءة تفكيكية جدلية أساسها "الاختلاف".

أولاً: التفكيك اختلافاً

لم تكن القراءة التفكيكية وحدها من أحاطت "التفكيك" بهالة من الجدل والنقد البالغين ، ولا الرغبة الكبيرة في تقويض ما طالته ، بل إن جل دعاويها ومفاهيمها وأفكارها على صعوبة فهمها كانت محل تساؤل دام ، لا سيما أن الفكر التفكيكي وصف على أنه فكر نهايات التاريخ ونهايات الفلسفة بمعناها العريق ، وكذلك هيمنة مفاهيم قريبة من العدمية والتشكيك واللاثبات واللعب.

إن التفكيك عملية تفتيت وتخريب لكل الخطابات الجاهزة القائمة وفق طقوس دلالية ورواسب قرائية تقليدية مودعة في الموثيق السابقة والمراسيم المتوارثة التي لا يجوز خرقها أو الارتداد عليها ، هو ضرب من الممارسة التي تنصب عملياتها على "السطح الخارجي لعلامات الخطاب وذلك بالقدر الذي تحول فيه هذه الظاهرية دون الارتداد إلى أية احتمالية مضرة أو كامنة في قلب الشعور أو اللاشعور ، بحيث تعوق

ربط علامات الخطاب بأية علامات تصويرية أو تفسيرية تركز على معايير خارجية ومرجعية على شاكلة المؤثرات الاجتماعية أو النفسية أو كل ضروب التنظيرات التي تجعل من الخطاب محاكاة أو تعبيراً أو تحقيقاً لمدلولات وغايات حسية أو جسدية أو عقلية سابقة عليه أو موجهة له"².

هذه القراءة وضعت التفكيك على محك المغامرة والاختلاف ، ذلك أن التفكيك دعوة صريحة لتجاوز الثبات ، تأسيساً لمعرفة جديدة قوامها الانفصال عن الجذور ومقاطعة التراث ، وتقويض المركز.

التفكيك ، إذن دعوة لفكر اختلاف يتجاوز فكرة الإنسان الذي يمتد عبر الزمن بل "ينظر إليه على أنه كائن المحدودية Finitude ، ليس لأنه كائن من أجل الموت وحسب بل إن دلالاته تمتد لتطال الحياة البشرية بأكملها ، فالإنسان وفق المنظور التفكيكي ، كائن سند بادي ، إنه كائن المنعرجات والتحويلات والتبدلات ، تصاحبه روح المغامرة المبحرة دائماً ، بحثاً عما هو خفي وكشفاً لما هو مجهول وعجيب ، وذلك لتحقيق مبدأ الإحساس بقيمة الحياة بوصفها مكاناً للمغامرة والإبداع ، ونقيضاً للمكوث والجمود ، إنها لعبة الاختلافات كبيان تأسيسي لهذا الفكر حيث ما يحط الرحال بأرض حتى يغادرها مغيراً وجهته"³.

هي لعبة الاختلافات التي لا يحكمها منطق أو قانون ، تسير وفق أفق المجهول / المغيب / الآخر لتقيم معه علاقة ، لكن "لا من أجل الطموح لمعرفة ، أو من أجل تقريبه من لحظة تعرضه للعلم والإدراك ، بل من أجل تمثيل مجهولته ، إنه منح الآخر ، المختلف ، غير الموجود هوية ما ، تمكن من تأمله دونها أي فعل ، ومن أي نوع يمكن أن يعقب هذا التأمل"⁴.

إن هذا التأسيس لثقافة وفكر الاختلاف داخل المخطط التفكيكي يعد رغبة كبرى في التمرد والانتقام ، كما يراها -عادل عبد الله- انتقام أسسه دريدا لقلب كيان الفكر الغربي لكن انتقام ممن؟!.

"من العقل ، من الحضور ، من الوجود ، من منطق تطابق الوعي مع مقولاته ، ومن هيفل أيضاً ، الأخير الذي لا يفتأ يغيب ويحتوي بآلته الجدلية الكبرى أقصى وأبعد نقائص العقل ، أشدها امتناعاً عن الاحتواء ، حتى إن الموت نفسه بكل صفاته العسية على الفهم والحضور لم يسلم من حركة

حقوق التفكيك اختلافه على مستوى آخر، هو صعوبته الاصطلاحية وصعوبة ترجمته للعربية ولغيرها من اللغات، وهذا بسبب إدراج التفكيك ضمن بدائل يمكن أن تحل محله مثل:

الأثر: Trace / الكتابة: écriture / الاختلاف: différence.

الزيادة: Supplément / الهامش: Marge...

ما يزيد من تحميل "التفكيك" لأبعاد مفاهيمية مشتتة، ذلك أن هذه البدائل—كما يقول دريدا—"لا يمكن أن تغلق، وأنا لم أذكر هنا إلا أسماء، وهذا ما يضل غير كافيا واقتصاديا فحسب، كان ينبغي أيضا إيراد جمل أو سلاسل من الجمل تحدد بدورها هذه الأسماء في بعض كتاباته، ما الذي لا يكون التفكيك؟ كل شيء؟ ما التفكيك؟ لاشيء!"⁸.

و لم يكتف دريدا بهذا، بل اختلف في مفاهيمه إذ أدرجها ضمن قالب من الثنائيات القائمة على المغايرة والاختلاف لتتحول هذه الثنائيات إلى بؤر تكثيف تجمع بين ثنائيتين مختلفتين: السلب والإيجاب، النفي والإثبات، الصحة والخطأ... من قبيل (العقل/اللاعقل) (الروح/الجسد)، (الكلام/الكتابة)، (المركز/الهامش)، (الحضور/المغيب)...

غير أن أكبر اختلاف حققه التفكيك كان ضمن أفكاره الجريئة، ودعوته تفكيك الموروث الغربي وتقويض التمركز حول العقل (Le logo-centrisme) وتقويض سلطة الصوت وميتافيزيقا الحضور (la présence)، وبهذا يخرج الاختلاف الدريدي—الذي جاء أصلا لكشف زيف المركز والإعلان عن ميلاد الهامش—إلى مفهوم انقلابي، ذلك أنه في توقيضه للأصل/المركز، بناء لمركزية بديلة، هي مركزية الهامش فيكون هذا اختلافاً آخر يضاف لهذه الاستراتيجية التي تتبغي قلب المفاهيم ونقض الأصول، بل إن دريدا نفسه يرى في نقض للأصل تأسيساً للاختلاف، حيث لا وجود لأصل أو لشيء خارج إطار المغايرة "لا شيء"، ولا كائن يكون حاضراً وغير اختلافي يسبق—إذن—المغايرة والتباعد، ليس هناك من ذات تكون مساعدة أو سيدة للمغايرة، إليها يمكن أن تنتمي وبشكل اختياري..."⁹

و بهذا يكون التفكيك تأسيساً لفكرة التجاوز والعبور، قوامها الانفصال عن الأصل/ التراث/ الهوية، فهي لعبة الاختلافات كبيان تأسيسي لهذا الفكر، لا من أجل الإغراق في العدمية واللامعنى واللاحقيقة" وإنما بالنظر إلى كل هذا على

الاحتواء تلك... من هنا ثمة تمرداً ما، نزاعاً وجودياً حاسماً سيخوضه الآخر، ضحية العقل، ضحية حضور العقل، ضد الحضور المطلق للعقل مستخدماً في نزاعه القدري هذا أمض سلاح لديه..."⁵

إنه سلاح الآخر / المختلف / الرفض / الشك / والمهدد لكيان العقل وحضوره المطلق، الكاسر لسلطة التعالي الفلسفي، والمؤسس لدعائم الغيرية L'alterité.

فما هو الاختلاف عند دريدا؟ وهل يمكن اعتباره بديلاً نقدياً وفلسفياً لتصورات الميتافيزيقا الغربية؟.

هل يمكن التأسيس لفكر ونص الاختلاف داخل ثقافات المطابقة والائتلاف؟.

يطرح الاختلاف كإشكال جوهري في كل الثقافات والعصور، فلا أمة تخلو من اختلافات اجتماعية، دينية، سياسية، اقتصادية... فالاختلاف هو الأصل والمبتدى يرجع إلى عمق الفكر الأسطوري والمأثور الديني والجدل التاريخي، إنه يمثل الآخر/ المغيب فينا الذي يقابل الحاضر، إنه قدرنا وشطرننا كما يقول—علي حرب—"إنه قدرنا، لأن الأنا تنبني أصلاً بالعلاقة مع العالم الآخر، والوعي بالذات يمر عبر الآخر... وهو شطرننا لأننا لا ننفك ننقسم على أنفسنا، فنغاير ذواتنا ونتماهي مع الغير ضرباً من المماهة... ننظر في ذواتنا، ونكتشف بعداً من أبعادنا المجهولة..."⁶

و لما كان الاختلاف ضرورة وحتمية كونية فلقد عرف الفكر الغربي هو الآخر تحولاً معرفياً ونقدياً—في إطار نقض النموذج الأول والبحث عن بديل—عرف بالحركة التفكيكية القائمة أساساً على مبدأ الشك والمغايرة والاختلاف.

فكان أول اختلاف عرفه هذا المشروع التفكيكي هو تجاوزه للنموذج اللغوي والنحوي والسيميائي العلاماتي، بل وأضعها جميعاً للمساءلة التفكيكية "فكان هو الآخر حركة بنوية، أو بأية حال حركة تضطلع بضرورة معينة للإشكالية البنوية ولكنه أيضاً حركة ضد بنوية، وهو يدين بجانب من نجاحه لهذا اللبس.. كان الأمر يتعلق بحل، بفك بنزع رواسب البنيات، جميع ظروف البنيات، لغوية تمركزية لوغوسية، وتمركزية صوتية"⁷.

ليكون التفكيك مساراً مختلفاً في الساحة النقدية لا بوصفه نقداً أو تحليلاً أو منهجاً أو طريقة، ولا بوصفه مجموعة من الإجراءات مابعد النصانية التي تزعم البحث عن الحقيقة والوصول إلى المعنى، إنما بعده استراتيجية أو ممارسة في قراءة النصوص وتحقيق لا نهائية الدلال. كذلك

النص النظير، النص الأعلى، جامع النص)، كما طرحها بارت من خلال أهم مفاهيمه (لذة النص ونص اللذة) ووقف عندها جاك دريدا من خلال (الكتابة، الاختلاف...)".¹³ هذا الأخير دعا إلى مبدأ الاختلاف في الفكر الغربي من خلال تقويض مركزيته، فلم تسلم لا مركزية الحضور ولا العقل ولا الحقيقة ولا حتى مركزية النص، فلا النص المغلق - المكبل بدعوى النسق البنيوي-بقي على حاله، ولا الكتابة بقيت في شكلها الأسبق ولا حتى قراءاته، وذلك تأسيساً للمختلف الذي عده دريدا قوة كونية حتمية. وجعله سبيل الكشف عن المفارقات الجمالية وعن أدبية النصوص ومجهول بيانها ..

إذن، عمل دريدا على نقض النسقية النصية وكسر الإطار الدلالي، وتحرير النص من خلال فتحه على آفاق جديدة، ذلك أن كل نص يمثل شبكة من النصوص المتداخلة والمتقاطعة فيما بينها وكل " تحول نصي يوسم فيه كل طرف مكون -رغم بساطته-بأثر طرف آخر. إن الطابع الداخلي المزعوم للمعنى يقع مسبقاً تحت تأثير خارج ذاته، ويكون مسبقاً مغايراً Différence بذاته قبل أي حدث تعبيري، وبهذا الشرط فقط يمكنه أن يكون دالاً"¹⁴ وبهذا فالنص لا يشكل وحدة ذات هوية زمنية محددة، وإنما هو عبارة عن طبقات ورواسب نصوية بدوال ومدلولات لا منتهية يكون فيها كل عنصر حاملاً لأثر عنصر سابق أو لاحق، يختلف معناه باختلاف السياق والنظم والتركيب، فيشكل نصوصاً أخرى جديدة تربطها علاقة الاختلاف وتحكمها قاعدة التشثيت التي قال عنها دريدا : (Dissémination) وهو "التحرك المفتوح والمنتج للسلسلة النصية"¹⁵ الذي يفتح نص الاختلاف على اللانهاية والتكثيف، ويمنع جسد النص من الانغلاق والشكلنة أو القولة النهائية، فهو مفتوح على سلسلة نصية دائمة الإنتاج، تمنع تصنيف النص أو البحث عن قصديته، إنه نص الإيهام البعيد عن التحديد والتجنيس الأدبي.

هذا النص الذي يخلخل العلامة السوسيرية القائمة على اعتبارية الدال والمدلول ذلك أن العلامة عند دريدا حضور استيهامي ومراوغة وإرجاء وتأجيل، تظهر ضمن سلسلة لانهاية مشكلة نمطاً مختلفاً داخل نظام الكتابة، "فالكتابة هي لعبة الاختلافات التي تتطلب تركيبات وإيحاءات تمنع أن يكون أي عنصر بسيط في أي لحظة، وبأي شكل من الأشكال حاضراً لذاته وفي ذاته، وسواء أكان الأمر متعلقاً

أنه لعبة من الاختلافات التي تبرز الخطاب الهامش / المغيب كخطاب مناوئ للفكر المركزي وتؤسس "لثقافة اختلاف" تعمل على فتح مشروع الحوارية Dialogisme، وعلى إلغاء ثقافة المطابقة والائتلاف التي تهمين على الهوية المركزية الغربية وتشكل ميتافيزيقاه، ومن هنا فإن التفكيك الذي يدعو إليه دريدا "لا يرتبط بالهدم أو التدمير بقدر ما يرتبط بامعان النظر في تلك المتضمنات التي ترسبت في لغتنا واحتلت منها ومن تفكيرنا موقع الثقة المطلقة..."¹⁰، وهذا من أجل التأسيس للاختلاف والمغايرة اللامعنى واللاوجود، حيث يصبح كل شيء قابلاً للتفكيك، خاضعاً لمعول الشك، مستغنياً عن سمة التعالي واليوتوبية التي رسختها الفلسفات القديمة.

تأسيساً على ما سبق، يكون الاختلاف في تفكيكية دريدا ضرباً من ضروب الانقلاب الكلي، إنه الغياب / الآخر الذي يطرحه دريدا بديلاً عن الحضور وعن كل المسلمات الميتافيزيقية، والقواعد اللغوية السابقة، ذلك أن الاختلاف هو البعثرة والتشتيت والتأويل والإرجاء، "إنه قوة كونية كلية الحضور، قوة التمييز الأولى الفاعلة التي تتغلغل في كل وجود ومفهوم في هذا العالم، ومن الواضح أن فعل هذه القوة سلبي لأنه يتجلى في الأساس في عملية تزيق الأشياء جميعاً وتقسيماً بصمت، فلا شيء يسبقه ولا شيء يهرب منه..."¹¹ إنه حالة إلى الآخر، الذي يتحاشى المثلث وأماناً ونقضاً للحضور الذي يقاسمنا مفاهيمنا وفلسفة حياتنا فكيف للاختلاف يغدو مقولة تفكيكية بعد ولوجه فكرة وفلسفة وثقافة ؟

ثانياً: النص اختلافاً

يعد النص مجالاً حيويًا لالتقاء الأفكار وفضاء إبداعياً يخلق لدى القارئ لذة فريدة "شبيهة بتلك اللحظة غير الثابتة، المستحيلة، الروائية المحضة التي يتذوقها الماجن في نهاية ديسية جسورة، مقطعا الحبل الذي يشنقه في اللحظة التي يتمتع فيها"¹²، لذة تقام على مدار كل النصوص التي يلجها القارئ فيجدها مركز نصوص يتجاذبها الموروث السابق حيناً والمكتوب (من الكتابة) اللاحق حيناً آخر، هذا النص الذي عرف أكثر الدراسات والبحوث حتى أقيمت له نظرية سميت "نظرية النص" أسهم فيها العديد من النقاد بمفاهيمهم، " فدخلتها جوليا كريستيفا عبر مفاهيم (كالممارسة الدالة، الإنتاجية، التدليل، التناص، النص الظاهر، النص المولد...)، وعرفها جرار جنيت من خلال (التعالى النصي بأقسامه المختلفة: التناص، ما وراء النص،

من خلال مبدأ الاختلاف - إلى اللغة في مستوى أكثر تعقيدا ذلك أنه يربط الوجود والواقع باللغة، التي تعبر عن نوازعنا ومكوناتنا، اللغة هي من تنشئ مفاهيمنا عن العالم وتصوغ الفكر وتصنع العلم والفلسفة والميتافيزيقا، ذلك أنها تقول كل شيء دون أن تقول شيئا، وهذا ما يهدف إليه مبدأ الاختلاف في استراتيجية التفكيك، أي هو الرغبة في "فصح عجز اللغة، وحقيقتها السرية التي تستر والفكر عليها، وسيلة اللغة نفسها استخدام اللغة نفسها للتعبير عن عجزها ونقصها، وعيبتها الأساسي أنها مفارقة وصف الصمت (كحالة) عبر اللغة، حالة تبقى بنأي يزداد كلما شرعنا بالهزيم من الكلام (الصائت عن الصمت)"²².

إن اللغة عند دريدا تستمد وجودها من التوالد المستمر للمدلول، فنتج دالا آخر في لعبة متواصلة لانهائية فكل دال ما هو إلا استعارة لتعويم مدلول، تحول المدلول إلى دال يقوم بدوره بإنتاج جديد من الدالات، وكل هذا يكون ضمن اللغة بقول دريدا في هذا السياق: "ليس ثمة فينومينولوجيا تنتج العلامة أو تعيد حضورها وعليها فإن الدوال تتوهج ساطعة بسبب من حضورها الخاص بها، ولهذا يدوب المعنى فالأمر لا يعدو غير حضور علامات، بل إنه يؤكد قائلًا: نحن نفكر بالعلامات فقط"²³.

ثالثا: الاختلاف تفكيكا

استوحى دريدا فكرة "الاختلاف من سوسير، الذي جاء بتقابلاته الشهيرة حيث أعطى للعلامة (دال + مدلول) قيمتها في إطار علاقتها واختلافها مع غيرها، فقد ميز سوسير بين عنصرين هاميين هما اللغة (Langue) الحاملة للطابع الجماعي بوصفها مجموعة منتظمة من الرموز والكلام (Parole) كنادية فردية للغة، وربط سوسير الأحداث الكلامية بالنسق اللغوي حتى تنتج مفعولاتها مثلما هي الأحداث الكلامية ضرورية لنشأة النسق"²⁴، ولقد صاغ دريدا التفكيك بطريقة مغايرة ومطورة لثنائيات سوسير بعدما عمد إلى الفعل الفرنسي (Différer) معتمدا في هذا على صيغتين ثم الاشتقاق منهما:²⁵ الصيغة اللازمة الدالة على الشيء المغاير المختلف (Dissemblable) والصيغة المتعدية الدالة على الإرجاء والتأجيل لوقت آخر (Remettre au autre temps) مشتقا مصدرا للاختلاف (Différence) من الصيغة الأولى ذات الدلالة المكانية، أما الصيغة الثانية ذات الدلالة الزمنية فاشتق منها مصدر جديد لا عهد للغة الفرنسية به هو

بالخطاب الشفوي أو المكتوب فإن أي عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة إلى عنصر آخر لا يكون هو نفسه حاضرا حضورا بسيطا"¹⁶.

إن التأسيس للنص المختلف، يعني اللعب الحر للعلامة مما يقضي بلانهائية الدلالة، ومراوغة المعنى التي تقوم على الفصل بين الدال والمدلول، وتشكل منطقة "البين"، "مما يسمح باللعب الحر للنص / العلامة (...)"، فالنصوص السابقة تجتاح حدود النص الحاضر لتحويله إلى بينص تلعب فيه الاختلافات بحرية كاملة، لكن تلك النصوص السابقة ليست في الحقيقة نصوصا بل بينصوص، أي لا يوجد في الواقع نص أول أو نص أصل غزته نصوص سابقة"¹⁷ كما لا يمكن لأي نص أن يدعي كونه النواة الأولى، وكل النصوص "هائمة مع بدايات لم تبدئها... وتأثت وراثيا ونهايات لا تصل إليها ولا يمكن لأي نص أن يدعي أنه انتهى إليها... ولهذا فإنه لا يبقى أن نقول عنها سوى أنا فعالية تسير في اتجاهين: اتجاه البدايات التي تتناسل مع بدايات لا تتناهي، واتجاه النهايات التي تتوالد من نهايات لا تتناهي"¹⁸، وبهذا بقي نص التفكيك نصا مختلفا عائما في أودية الدلالة، محاولا استحضر المغيب عبر التخصيب المستمر للمدلول وعبر القراءات المتتالية المنتجة للاختلاف باختلاف القراءة. وبهذا "فإن التفكيك يتجاوز منطوق الخطاب إلى ما يسكت عنه ولا يقوله، إلى ما يستعيده ويتناساه، ومن هنا يشكل التفكيك استراتيجية الذين يريدون التحرر من سلطة النص"¹⁹.

غير أن نص الاختلاف يؤسس في اختلافيته ل "لغة الاختلاف"، ذلك أن اللغة لم تبق مجرد فضاء للتواصل عبر مجموعة من العلامات الدالة والأنظمة الإشارية، بل أصبحت "بيت الوجود" الذي يحتوي الكائن كما يرى هيدغر، "إنه يعيش في رحم اللغة حياته كلها فتشكله ثم تلغيه، ثم تشكله ثم تلغيه ثم تعيده من بعد الخلق خلقا آخر، وقد ينقضي أجله فيها ولما يكتمل كائنه الكلامي تماما وكهالا، ولعل ما يفسر سعيه الدائم لامتلاكها، واستحوادها والسيطرة عليها"²⁰.

إن اللغة، وتحقيقا لمبدأ الاختلاف جاءت ضمن استراتيجية التفكيك، رؤيا جديدة هي الغاية والوسيلة في حد ذاتها، ذلك أن التفكيك في بحثه الدائم عن بؤر النص ومراكزه من أجل إسقاطها يتموضع "في البنية غير المتجانسة للنص والخروج إلى سطحها ساعة يشاء، وحرية الانتقال بين خارج وداخل النص، تمده بنظرة محورية للأثر نفسه..."²¹، بعيدا عن التحليل المحايث والدراسة المغلقة. وبهذا ينظر دريدا -

5. Humen: كلا من البكارة والجماع... حتى تتضح وظيفة غشاء البكارة المزوجة، أقول إنه يحتفظ بحالة العذرية البيولوجية، وفي الوقت نفسه تطلب الجماع الذي هو انتهاك وفض وهتك.

وإضافة إلى هذه العناصر يضيف صاحباً كتاب (مدخل إلى فلسفة جاك دريدا) سارة كوفمان وروجي لا بورت مصطلحين آخرين على علاقة وطيدة بالاختلاف:²⁹

6. Trace au Game: أثر أو كتابة، وهو بنية إحالة إلى الآخر عموماً (متغير آخر...) ليس حاضراً أبداً أمام إدراك، ولا يوصل إلى أي حضور...

7. Pharmakon: فارماكون: سم ودواء (خير وشر، زائد وناقص...) لا هذا ولا ذاك، يعدى الواحد بالآخر دون تصالح ولا إشباع ممكن...

ولعل ارتباط الاختلاف بكل هذه العناصر يمنع تحديد دلالتها الاصطلاحية المشتتة والكثيفة ما يبعدة عن كونه مفهوماً أو كلمة كما يرى دريدا—بل يحمل معنى الإزاحة: فهو بنية من الاختلافات التي تحول العلامة إلى سلسلة لا متناهية من المفردات ذات الدلالة المؤجلة، وغير بعيد عن هذا يقدم "فنست ليس" تعريفاً للاختلاف إذ "لكي تعبر لغة ما عن معنى يجب أن تختلف عن الدالات الأخرى، ونفس الشيء بالنسبة للمدلول، إذ إن كل مدلول في نسق لغوي يجب أن يختلف—مهما كان صغر حجم التضاد- عن كل المدلولات الأخرى، إن الاختلافات أساسية لكي تعمل العلامات في اللغة"³⁰، وتحقق وظيفة لانهائية الدلالة.

و يشرح دريدا هذه الوظيفة ضمن كتابه Position والذي نشره بعد مقاله الأول بأربع سنوات حيث يرى الاختلاف "بناءً وحركة لا يمكن تصورهما على أساس تعارض ثنائية الحضور/الغياب، إن الـ Différance هو اللعب المنتظم للاختلافات ولآثار الاختلافات للتنظيم Spacing الذي يربط بين العناصر، هذا التنظيم هو الإنتاج الموجب والسالب في نفس الوقت لفواصل Intervals، لا تستطيع المصطلحات "الكاملة" أن تحقق الدلالة وأن تؤدي وظيفتها"³¹.

ولما كان الاختلاف (a ب) يعني المغايرة والتأجيل، فإن العنصر الأول الحامل لمعنى المغايرة يثبت الدلالة، فيما يعمل التأجيل على تفكيكها، فتبقى مؤجلة باستمرار تستعصي على قرائنها وتمارس معهم لعبة المراوغة وطقوس الإغراء، وهي حيلة يمارسها التفكيك، تقضي بإحالة الدال إلى دال آخر مع تعقيب متعمد للمدلول، حيث تسعى هذه اللعبة إلى تعدد

الإرجاء والتأجيل والاختلاف (Différance) ولقد خلفت هذه الكلمة ارتباكاً لدى القارئ خلال ترجمتها للعربية أو حتى الإنجليزية فأحياناً يستخدم ديفيد أيسون كلمة (Différentiation) مقابلاً لها في متن الترجمة ويتابعه في ذلك ميشال ريان حين يقتبس الفرنسية كما هي دون ترجمة وفي مرات قليلة يترجمها إلى ثلاث كلمات مجتمعة معا هي: (Différence - Différential - Différing) ويحرص على وضع كلمة دريدا الفرنسية بجوار ترجمته الإنجليزية²⁶، والاختلاف عند دريدا على هذا النحو من الكتابة ليس هفوة إملائية بقدر ما هو حيلة قصد بها إبراز الاختلافات الواردة على الدلالة ضمن المستوى الصوتي والكتابي، ليوضح من خلال هذا الإبدال والتشويه الصامت بإحلال "a" محل "e" أن الاختلاف (Différance) الذي يقصده هو، إنما هو بنية وحركة لا يمكن تصورهما على أساس التعارض بين الحضور والغياب، فالـ (Différance) هو التبدل المنظم للاختلافات ولآثار الاختلافات²⁷، غير أن هذا الاختلاف مقترنا بالإرجاء والتأجيل والتعويق والتأخير وكذا بالتشتت والانتشار، يحرق القارئ من مرجع محدد وثابت فيغدو المعنى مؤجلاً باستمرار في لعبة دلالية لانهائية قائمة على التخصيب المستمر للمدلول.

إلا أن دريدا باختياره كلمة (Différance) وضع معها جملة من الكلمات الممكنة إحلالها مكانها فتقوم بدورها كاملاً وهذه الكلمات البدائل هي:²⁸

1. Marge: الهامش أو الجانبية أو الحافة: يقول كاظم جهاد: "و نرى لدى دريدا إلى Marge (الهامش) وهو يتداخل مع، ويحيل إلى كل من Marque (سمة أو علامة) و March (مسيرة)، الهامش يساهم في مسيرة النص.

2. Supplément: إضافة وملحق ينضاف أو إنابة... إضافة تسند نقصاً أصلياً يعاني منه ما جعلته الميتافيزيقا في مرتبة الأصل.

3. Undécidable: عدم القدرة على حسم الأمور... التنازع وعدم الاستقرار إزاء أمر أو التقلب وما يعتوره من تحير...

4. Dissémination: التشتت / الانتشار / البعثرة... كيفية تفريق العناصر على النحو الذي يصعب معها لها ضمن نظام أو نسق أو حتى ترتيب معين...

- النص لا يشكل هوية محددة ، إنما هو عبارة عن طبقات من الآثار والمدلولات اللامتناهية.
- نص الاختلاف هو نسيج من العلاقات الاختلافية بين النصوص.
- التفكيك يؤسس لشبكة نصية تناسلية تنشأ وفق قانون المغايرة ووفقا لما يسمى "التشتيت التفكيكي"
- إذا كان الحضور مرتبطا بالكلام فإن دريدا من خلال ربطه بالغياب ، يحل الكتابة محل الكلام.
- الكتابة عند دريدا متحررة من سطوة المؤلف ، فهي تنطوي على سيرورة البقاء في غياب منتجها الأول. الكتابة هي لعبة للاختلافات التي تتطلب مجموعة من الإحالات.
- لا وجود لحضور خارج المغايرة فلا شيء ولا كائن يكون حاضرا وغير اختلافي.
- جدل الحضور والغياب يتشكل من الاختلاف الدلالي ، من خلال حضور الدوال وتعدد المدلولات وغياب بعضها.

القراءات وتشظي الدلالة وتشتت المعنى ، وبهذا يؤكد دريدا مبدأ الاختلاف القائم على تقويض المركز ، بعد أن قوض الأساس اللغوي التقليدي بإحلال الدوال إلى مدلولات واستبداله بمغامرة اللعب الحر التي تنتج لا نهائية الدالة وتقييب المعنى ، وتثير استفزاز العديد من اللغويين ، وقد تأتي موقف نظرية اللعب هذا من قصيدة دريدا في التعامل مع النص بوصفه موضوعا غير متجانس "فيه قوى تعمل على تفكيكه باستمرار فضلا عن طريقته في التوضع داخل البنية غير المتجانسة للنص ، والعثور على تواترات أو تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه ، ويفكك نفسه بنفسه ، إن بنية النص الداخلية حبلى بالقوى المتنافرة التي تكمن وظيفتها في تقويض النص وتجزئته"³².

و يرتبط مصطلح اللعب عند دريدا بمصطلح المراوغة الذي يقتضي مراوغة المدلول للدال ، بحيث تتحول العلامة اللغوية إلى كائن متشظي وعائم ومشتت قد يقود الانصياع وراءه حسب بعض اللغويين إلى العبثية والفوضى والوقوع في الحيل الخادعة التي تقود إلى اللاتزان الدلالي ، وتخرجنا من سجن النسق لتوقعنا في سجن الدال ، ومن ممارسة الكتابة إلى ممارسة اللعب ، ورغم هذا يرى أنصار التفكيك أن "التشدد في التركيز على أهمية الاختلاف قاد إلى تعميم استراتيجية هذه المقولة الفعالة بوصفها وسيلة حفر في بنية الخطابات الفلسفية والأدبية وحققت منجزها الأكبر في محاولتها تقويض المرتكزات الفكرية للثنائيات المعروفة مثل: الروح والجسد ، الخير والشر ، الشكل والمعنى ، الاستعاري والواقعي ، الإيجابي والسلبي ، وذلك لقلب التصور الذهني الذي أرسنه الميتافيزيقا الغربية"³³.

من هنا يكون التفكيك قراءة اختلافية تروم إبراز الخطاب المهمش/المدنس/المغيب والكشف عن الآفاق الجمالية للنصوص ، في ظل علاقة تفاعلية تربط النص والقارئ.

استنادا إلى ماسبق ذكره ، نخلص إلى جملة من النتائج نذكر منها تمثيلا لا حصرا:

- التفكيك تأسيس لفلسفة اختلافية تقلب المركزية العقلية الغربية (اللوعوس) القائمة على ميتافيزيقا الحضور لتبحث عن النقيض وهو الغياب.
- التفكيك يؤسس لنص جديد ، هو نص الاختلاف ، نص اللاتمركز واللاتحديد والانغلاق ، نص التعددية/التكثيف.

الهوامش

1. مادان ساروب، دليل تمهيدي إلى ما بعد النبيوية وما بعد الحدائث، ترجمة، خميسي بوغراة، دط، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 50-51.
 2. محمد علي الكردي، من الوجودية إلى التفكيكية دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ص 106-107.
 3. عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقل تأويلي)، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، 2008، ص 40-41.
 4. عادل عبد الله: التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل)، ط1، دار الكلمة، دار الحصاد، دمشق، 2000، ص 16-17.
 5. المرجع نفسه، ص 17.
 6. علي حرب: نقد الحقيقة (النص والحقيقة 2)، دط، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1995، ص 30.
 7. ينظر جاك دريدا: رسالة إلى صديق ياباني ضمن كتاب الكتابة والاختلاف، ترجمة، كاظم جهاد، دط، دار توبوقال، الدار البيضاء، 1998، ص 59.
 8. المصدر نفسه، ص 62-63.
 9. جاك دريدا، (مواقع وحوارات)، ترجمة فريد الزاهي، ط1، إصدارات دار توبوقال، المغرب، 1992، ص 40-41.
 10. محمود أحمد العشري، الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة (دليل القارئ العام)، ط2، مريث للنشر والمعلومات، 2003، ص 150.
 11. عادل عبد الله، التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل)، ص 73-74.
 12. عمر أوكان، لذة النص ومغامرة الكتابة عند بارت، ط1، إفريقيا الشرق، 1996، ص 43.
 13. المرجع نفسه، ص 13.
 14. جاك دريدا: (مواقع وحوارات)، ترجمة، فريد الزاهي، ط1، دار توبوقال، الدار البيضاء، 1991، ص 35.
 15. المصدر نفسه، ص 46.
 16. المصدر نفسه، ص 29.
 17. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة (من النبيوية إلى التفكيك)، عالم المعرفة، الكويت، 2001، ص 262.
 18. منذر عياشي، الكتابة الثانية وفتحة المتعة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1998، ص 144.
 19. علي حرب، الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكورة)، الدار البيضاء، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 22.
 20. منذر عياشي، الكتابة الثانية وفتحة المتعة، ص 65.
 21. عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص 137.
 22. عادل عبد الله: التفكيكية (إرادة الاختلاف وسلطة العقل)، ص 11.
 23. عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، ص 140.
- ورد لفظ الاختلاف في القرآن الكريم في عديد المواضع - وإن اختلف مفهومها عن ما ورد عند دريدا- نذكر منها سورة آل عمران: الآية 19، سورة يونس: الآية 19، سورة المائدة: الآية 48، سورة الأنفال: الآية 26، سورة الروم: الآية 31-32، سورة الأنعام: الآية 159. للمزيد من الاطلاع ينظر العلواني (طه جابر فياض)، أدب الاختلاف في الإسلام، دط، دار الشهاب، الجزائر، د ت.
24. لمزيد من الاطلاع ينظر: فردينان دي سوسير: محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986.
 25. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في خطاب النقد الجديد، دار العلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2008، ص 360.
 26. جاك دريدا وبول دي مان: استراتيجيات التفكيك، ترجمة حسام نايل، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص 10.
 27. جون ستروك: النبيوية وما بعدها من ليفي شتروس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، دط، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 220.

28. جاك دريدا وبول دي مان: استراتيجيات التفكيك، ترجمة حسام نايل ، ط1، أزمينة للنشر والتوزيع ،الأردن ، 2009، ص 11.
29. سارة كوفمان، روجي لا بورت: مدخل إلى فلسفة دريدا (تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر)، ص 58، وينظر: جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص ص8-227.
30. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص 377.
31. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
32. جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ص 49.
33. المصدر نفسه، ص 27.

الاستدلال البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني

Abd Al-Qaher Al-Jarjani's Rhetorical Inference

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2018-02-08

شهرزاد بلعربي، جامعة ابن خلدون تيارت

belarbisheherazed@yahoo.com

المخلص:

تتناول هذه الدراسة آلية الاستدلال وأهم صورها عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: الاعجاز القرآني، وأسرار البلاغة. وهذا لبيان مدى توظيف هذه الآلية في الدرس البلاغي العربي القديم من جهة، وكذا لتوضيح مظاهر العملية الاستدلالية عند الجرجاني من جهة أخرى. بحيث تطرقت الدراسة بداية إلى مفهوم آلية الاستدلال، وبعدها ركزت على مفهوم الاستدلال البلاغي بشكل خاص، ثم درست هذه الآلية ومدى اعتمادها في المدونات البلاغية النقدية العربية قديما، لنتقل بعدها لبيان الاستدلال البلاغي عند الجرجاني، خصصنا بالبحث القياس التمثيلي وتبيين أركانه وعلاقته باللزم والتضمين، وهذا لإدراك الكيفية التي وظفت بها آلية الاستدلال البلاغي في النقد البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال، البلاغة، اللزم، التضمين

Résumé

Cette étude porte sur le raisonnement et les formes les plus importantes chez Abdul Al khahir AlJerjani dans ces livres : Aliajaz al khorani, et Asrar al balarha. Ceci est de montrer l'étendue de l'emploi d'un tel mécanisme dans la vieille leçon de la rhétorique arabe d'une part, ainsi que de clarifier certains aspects de raisonnement operation chez Aljerjani de l'autre. Alors nous avant étudier au début la difinitions du raisonnement, et mis l'accent sur le resonment Rhétorique en particulier, alors ce étudié et l'étendue de son adoption dans les ouvges d'arabe et critique rhétorique, pour aller au-delà du raisonnement Rhétorique chez AlJerjani, le raisonnement représentative de recherche dédié et l'identification de son personnel et sa relation avec implication et l'inclusion, et ce de comprendre comment l'inférence employée par la critique rhétorique, de Abdul Al khahir Aljerjani .

Mots-clé: le raisonnement, la rhétorique, l'implication, l'inclusion**Summary**

This study deals with the reasoning and the most important forms in Abdul Al khahir AlJerjani in these books: Aliajaz al khorani, and Asrar al balarha. This is to show the extent of the use of such a mechanism in the old lesson of Arab rhetoric on the one hand, as well as clarify certain aspects of reasoning operation in Aljerjani on the other. So we before studying at the beginning the difinitions of reasoning, and put emphasis on the Rhetorical resonment in particular, then this studied and the extent of its adoption in the Arabic works and rhetorical criticism, to go beyond the reasoning Rhetoric at AlJerjani, the representative reasoning of dedicated research and the identification of its personnel and its relationship with implication and inclusion, and this to understand how the inference used by rhetorical criticism of Abdul Al khahir Aljerjani.

Keywords: reasoning, rhetoric, implication, inclusion.

الاستدلال البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني

تصافرت جهود كل من اللغويين والبلاغيين والمتكلمين من أجل إيجاد منهج أكثر دقة وأقوى حجة وكان آلية الاستدلال الحظ الأوفر في كل ذلك، وقد ساعد على ذلك أنّ "البيئات التي ساهمت في صرح البلاغة العربية هي بيئات متعددة المشارب والاهتمامات ولكنها يجمعها أنّها مشدودة إلى النص القرآني تستلهم جمالياتها وتلتفت إلى جماليات روائع الشعر العربي تستخلص منها القيم البلاغية"⁽¹⁾ وهذه القيم تنوعت صورها حسب مجال استخدامها؛ لأنها من الآليات الإنتاجية للخطاب المبين الذي يركز على الاستدلال، إذ أن البلاغة حددت منذ البداية قوانين ومعايير النقد العربي عامة.

لذا كانت الإشكالية التي تطرح هذه الدراسة إلى الإجابة عليها هي: ما مدى استثمار آلية الاستدلال البلاغي في الخطاب النقدي البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني؟

قبل أن نتكلم على الاستدلال البلاغي وحتى نستطيع أن نستوعب مضامينه يجب أن نحدد أهم مفاهيم الاستدلال وأنواعه، وأهم مرتكزاته.

آلية الاستدلال:

1_ الاستدلال:

في اللغة هو "طلب الدليل ويطلق لفظ الاستدلال في العرف على إقامة الدليل مطلقاً من نص أو إجماع أو غيرها، وعلى نوع خاص من الدليل وقيل: هو في عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك عن الأثر المؤثر أو بالعكس"⁽²⁾، وهذا التعريف لا يختلف كثيراً عن ما اصطاح عليه الفقهاء "فإنّه يطلق تارة بمعنى ذكر الدليل، وسواء كان الدليل نصاً أو إجماعاً أو قياساً أو غيره، ويطلق تارة على نوع خاص من أنواع الأدلة"⁽³⁾، ويقصد به الدليل الذي يعتمد على الصيغة الصورية المنطقية التي "تتضمن مقدمات ونتيجة والرباط المنطقي بين المقدمات والنتيجة"⁽⁴⁾، وهذه الصيغة المثالية التي يجب أن يكون عليها الاستدلال السليم. هذا المفهوم يجعل من الاستدلال عملية فكرية يقوم بها العقل للوصول إلى نتائج قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة.

مما يلاحظ أنّه لا فرق بين لفظة النظر ولفظة الاستدلال في كثير من النصوص العربية "فالنظر عبارة عن التصرف بالعقل في المعنى الأمور السابقة بالعلم والظنّ، لمناسبة المطلوب بتأليف خاص، قصداً لتحصيل ما ليس حاصلًا في العقل، وهو عام للنظر المتضمن للتصور والتصديق، والقاطع الظنّ، وهو منقسم إلى ما وقف الناظر فيه على وجه دلالة على المطلوب، فيكون صحيحاً، وإلى ما ليس كذلك فيكون فاسداً"⁽⁵⁾، وهذا التعريف لا يختلف كثيراً عن حد الاستدلال، ونجد مصطلح آخر يرد في الفكر العربي بنفس المعنى كذلك هو لفظ "الاعتبار" كثيراً ما يتداول بين علماء الكلام "وقد قال القاضي أبو بكر في حدّه: هو الفكر الذي يطلب به من قام به علماً أو ظناً"⁽⁶⁾، ومهما تعددت المصطلحات من نظر أو اعتبار أو استدلال فإنّ جميعها يقصد بها طلب الدليل وهو بيت القصيد عند جميعهم.

2_ التوظيف العملي للاستدلال:

علم الاستدلال هو معرفة طريقة ترتيب المقدمات للوصول إلى نتائج، فيكون "بذلك مباين للعلم الضروري من جميع الوجوه فهو أولاً علم استدلالى يقع بعد نظر وتفكير في حال المنظور فيه"⁽⁷⁾، وهو كل ما استنبط عن طريق الحواس أو عند الحاجة، أي ما جاء بعد إعمال العقل واستخلاص النتائج وطلب العلم به بعد استدلال، فهو علم تطبيقي من صنع الفكر البشري، يقع تحت تصرفه حيث يمكنه ذلك من إحداث تغيير فيه، أو استحداث معطيات جديدة مادية، بديهية فهو علم مكتسب، لذا "يعد النظر أو الاستدلال هو الوسيلة الأساسية للانتقال من مرحلة العلوم الضرورية التي يتساوى فيها البشر إلى مرحلة العلوم النظرية أو الاكتسابية التي يتفاوت فيها البشر تفاوتهم في قدراتهم على النظر والاستدلال"⁽⁸⁾، والعلم الضروري هو علم فطري يخلق مع الإنسان ويطلق عليه اسم العلم البديهي "الذي لا يحتاج في سيرورته معلوماً إلى إعمال فكر، أما النظري فهو الذي يحتاج في ذلك إلى إعمال الفكر"⁽⁹⁾. فالعلم النظري هو علم اكتسبه الإنسان من خلال النظر والبحث عن طريق طلب الدليل.

بينما العلم الضروري يعتبر القاعدة التي يبنى على أساسها الاستدلال ويمثل بالنسبة "للعقل قوانين الأساسية، البديهية التي لا تحتاج إلى برهان على صدقها لأنها ضرورية،

وتأخير، التفات، تكرار وإيجاز وإطناب واستفهام ودلالة الألفاظ".⁽¹⁴⁾ والكثير من الوجوه البلاغية التي لا يسمح موضوع الدراسة الاسهاب فيها.

فكان للاستدلال البلاغي الأثر الكبير في بناء أواصر الامتزاج والتبادل بين البلاغة والنقد العربيين، والوظيفة الرئيسة التي تم في إطارها هذا التبادل والاقتران هي الوظيفة الاستدلالية التي يسعى النقد العربي إلى ترسيخها، وقد وجد ضالته في البلاغة العربية، فكانت "العلاقة بين الكلام الاستدلالي والبلاغة علاقة جزء بالكل، فمعرفة خواص تركيب الكلام الاستدلالي جزء من معرفة خواص تركيب الكلام".⁽¹⁵⁾ فالكلام الاستدلالي يرتبط بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً حيث أن الاستدلال من مقومات علم البلاغة.

حتى يكون الكلام في علم المعاني كافياً، وشاملاً لأبد من أن ينبنى على استدلالات منطقية حيث شكلت هذه الأنواع الاستدلالية أدوات النقد العربي القديم، ومقياس يقاس بها مدى دقة وصحة الأحكام النقدية، التي ترقى بها إلى مستوى اليقين الذي لا مناص منه إلا الإذعان والالتقياد.

إن الخطاب النقدي العربي القديم يستند على الاستدلال الحجاجي، بحيث نجد أن "أهل البيان كانوا أقرب إلى الممارسة الاستدلالية السوية لدى الناس في الكلام من أهل البرهان لما وقع فيه هؤلاء من محاولة تحميل نصوصهم ما لا طاقة لها به إذ بمقدورها "الحجاج" من دون "البرهان"⁽¹⁶⁾ حيث استثمر النقاد الاستدلال الحجاجي بكل إجرائية لتحقيق الغاية المنشودة وهي الإقناع، لها يتميز به من خصائص تداولية تمكنه من استيعاب مختلف مضامين الخطاب العربي القديم عامة والخطاب القرآني على الأخص " لأن لغة الحجاج لغة قصدية بامتياز، والوظيفة اللغوية في الخطاب الحجاجي هي وظيفة تأثيرية، فالحجاج هو فن الإقناع له غاية واضحة ودقيقة يسير نحوها هي الإقناع نفسه، ولتحقيق هذه الغاية لا يتردد في توظيف كل وسائل الإقناع"⁽¹⁷⁾، ولعل أهمها آليات الاستدلال الحجاجي حيث "يكون إنتاج الخطاب، بين طرفه مرهونا بفهم مقاصد المرسل وذلك في الحجاج مثلاً، وفي الاستراتيجيات التي تبلورت العلاقة بين طرفي الخطاب، وينم ذلك بإدراك للسياق"⁽¹⁸⁾، وبذلك لا يخرج الخطاب عن المعنى الذي أريد له بلوغه.

فليست هذه البديهيات من عمل العقل ولكنها من بنية العقل ومن تركيبه"⁽¹⁰⁾، وهذا لا يعني أنه ليس للبديهيات دور فعال في العملية الاستدلالية فهي وإن كانت تدخل عادة في القياس إلا أن العقل يراعيها ويلتزم بها عند الاستدلال، وإنما سميت "بديهيات" لأنها من الواضوح بحيث لا تحتاج إلى برهان"⁽¹¹⁾، ولا يكمن الاختلاف بين العلم الضروري والعلم النظري في بنيتها ومضامينها بل يصل حتى إلى موضع تأثيرهما.

3_ علاقة الاستدلال بالبلاغة:

إن أغلب الاستدلالات المستعملة في البلاغة العربية القديمة تركز على محددات بلاغية أكثر منها لغوية "وبالرجوع إلى تاريخ البلاغة العربية يلاحظ أن الحاجة إلى المقاييس قد ظهرت منذ وقت مبكر، وأخذت في التنامي تماشياً مع الحياة الأدبية، للمحافظة على الجمال البلاغي والحس الفني"⁽¹²⁾، لما تعطيه هذه المقاييس البلاغية من صفة جمالية تبعث على جاذبية، نفسية، تدوقية للقطعة الأدبية، فتؤثر بذلك في السامعين، وتثير الأحاسيس وتحفز العقل على العمل في تدبر معانيها، ولا يتأتى ذلك إلا إذا ارتقى الخطاب إلى مستوى البلاغة "نقصد بذلك اختيار المفردات وطريقة ربط بعضها ببعض لتركب في النهاية جملة ذات دلالة محددة، يمكن للذهن أن يتلقاها، سواء أكان ذلك عن طريق السمع "الخطاب" أم عن طريق "البصر" الكتابة، يجب أن يسعى هذا الاختيار لتحقيق أفضل مستوى ليس من إفهام عند المستقبل فحسب، وإنما من التأثير الجمالي"⁽¹³⁾، وعلى هذا الأساس أصبح لألية الاستدلالي دور فعال في تحديد عوامل الجمال في النص الأدبي.

الاستدلال البلاغي في التراث النقدي العربي:

نجد الاستدلال البلاغي قد اكتسح الفضاء الكبير من النقد العربي القديم، بسبب الجدل الذي أفرزته القضايا البلاغية نحص بذكر قضية المجاز التي انبثقت عن ثنائية "اللفظ والمعنى"، وتعتبر الأبحاث اللغوية والنحوية ذات دور فعال في نشأة البلاغة العربية وكذا تطويرها؛ لأنهم كانوا الأوائل الذين تنبهوا قبل غيرهم إلى دلالة الألفاظ وأثرها في تغيير المعاني، وإكسابها إحياءات جديدة من بينها "معاني القرآن للفرء (207هـ)، "ومجاز القرآن" لأبي عبيدة (209هـ) وفيهما مسائل هي جواهر الدراسات البلاغية من تقديم

المعروف بوجه الشبه عند البلاغيين أو بالعلة الجامعة عند علماء الفقه وبالتالي: "أيا كانت الصيغة التعبيرية التي يرد بها "القياس" إن مقارنة أو تشبيها أو استعارة أو غيرها فإنه يقوم في الربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما"⁽²⁴⁾. هذا الرابط أو الحد هو الذي يحدد الدليل الصحيح.

مصطلح الاستدلال عند عبد القاهر الجرجاني:

استفتح عبد القاهر الجرجاني كتابه "دلائل الإعجاز" بالحديث عن العلم وعن البيان في كتابه "أسرار البلاغة" وهو يقر منذ البداية أنه ينتهج آلية الاستدلال للوصول إلى حقيقة الإعجاز القرآني، وبيان حقيقة الأسس والمفاهيم التي تبنى عليها البلاغة العربية.

لذا نجد مصطلح "الاستدلال" يتردد في كتابيه، وكذا مرادفاته وخاصة لفظة "النظر" ولا شك أن استخدام هذا المصطلح أو مرادفه نظريا وتطبيقيا يقودنا إلى رسم أبعاد المنهج النقدي البلاغي الذي أسس دعائمه عبد القاهر الجرجاني.

وقد نلمس ذلك كلما تصفحنا كتاب "دلائل الإعجاز" إذ يقول عبد القاهر: "لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم به، وطلب الوصول إليه، والحجة فيه، وبه ظاهرة لمن أراها، والعلم بها ممكن لمن التمسه؟"⁽²⁵⁾. وفي هذا النص وحده يبين عبد القاهر الجرجاني أن الوصول إلى حقيقة الإعجاز لا تتأتى إلا بالعلم فلا يكون برهاناً ولا حجة إلا به، وإن كانت الحجة والبرهان في نظره ماثلين للعيان لكن لا يمكن الوصول إليهما إلا لمن أراد ذلك، والإرادة يلزمها النظر الواعي الذي يدعوا إليه عبد القاهر في كتابيه "فإن هاهنا استدلالا لطيفا تكثر بسببه الفائدة"⁽²⁶⁾ وكذلك قوله في أسرار البلاغة "قد كتبت هذا الفصل على وجهه، والمقصود منه منعه أن تطلق الاستعارة على "الصوغ" و "الحوك" وقد جعلنا فعلا "للربيع، واستدلالة على ذلك بامتناع أن يقال "كأنه صائغ وكأنه حائك"، وكذلك قوله: "اعلم أن هذا الاستدلال كأحسن ما يكون إلا أن الفائدة تتم بأن تبين جهته ومن أين كان كذلك؟"⁽²⁷⁾. وأمثلة من هذا النوع كثيرة تدل كلها قيمة الاستدلال في المشروع البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني.

وتحتل المقصدية في أي خطاب نقدي كان الغاية التي يرجى من خلالها توظيف أدوات الاستدلال، ومدى فعاليته في تحقيق رؤية نقدية كاملة المعالم، لا سبيل إلى إبطال قيمتها، يمكن لها عند بلوغ تلك الذروة من أن تقيم نظرية نقدية قائمة بذاتها "ويشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفة بالعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقاتها واستعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالموضوعات التي تنظم إنتاج الخطاب بها"⁽¹⁹⁾، والعلاقات التي تربط الدوال بالمدلولات في أغلب الأحيان هي الاستدلالات العقلية، التي تبته علماء الأصول بدورها في معرفة المعنى الحقيقي. القياس التمثيلي من أهم صور الاستدلال البلاغي شيوعا.

القياس التمثيلي:

يعتبر هذا النوع من أهم الأقيسة المستعملة عند العرب، فجميع كلامهم تقريبا بني على هذا القياس ويعرفه المناطقة بقولهم: "قول مؤلف من قضايا تشتمل على بيان مشاركة جزئي لآخر في علة الحكم يثبت الحكم له"⁽²⁰⁾، كما يعرف عند البلاغيين بالتشبيه ويدخل فيه كل أنواع التشبيه، وكثيرا ما يوظف في الحدود، أي "قد يلجأ التعريف أيضا إلى التشبيه، فيستغنى عن الشيء في حد ذاته، ويختار شيئا شبيها معروفا ومشهورا، ولو كان التشبيه مغاليا أو تبسيطيا أو قائما خادعا؛ لأن الحجة الشبيهة، كمعادلة تبسطة تتغاضى عن اختلاف السياقات"⁽²¹⁾، انطلاقا من أن القياس عند العرب استخدم في كثير من العلوم العربية، فيسميه علماء الفقه بالقياس وكذا علماء النحو: "القياس النظري النحوي وهو قياس الحكم على الحكم لغة جامعة أو لشبه بين الطرفين"⁽²²⁾، أما في البلاغة والنقد العربيين يظهر بشكل "القياس التطبيقي هو الذي نكتب به أساليبنا في الكتابة والتكلم أيضا"⁽²³⁾ وهذا؛ لأن القياس التمثيلي يختص باللغة الطبيعية التي تبنى على آليات قياسية.

بحيث يعتمد القياس التمثيلي عامة سواء عند الفقهاء وهو قياس الأصل على الفرع أو عند البلاغيين الذين عرفوه باسم التشبيه على رابط يجمع بين حدي القياس وهذا الحد

مثل قوله في دلائل الإعجاز "إلا أنك لن ترى على ذلك نوعا من العلم..."⁽³⁴⁾. ومثل قوله كذلك "واعلم أن كل ما ذكرنا باطل، وأن لم تتصور إلا الثاني، فلا تخدعن نفسك بالأضاليل، ودع النظر إلى ظواهر الأمور، وأعلم أن ما ترى أنه لا بد منه من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر"⁽³⁵⁾ نلاحظ أن هذا النص حافل بالمفردات التي تدل على الاستدلال "اعلم النظر، ترى، الفكر" ويمكن أن نصل من خلال هذه النصوص وغيرها التي يزر بها كتابي عبد القاهر الجرجاني، والتي تحمل في طياتها ما يرمي إليه عبد القاهر الجرجاني من دلالة قوية على أنه كان على قدر كبير من الوعي والعلم الراسخ بالمنهج الذي يجب أن يسلكه حتى يحقق به إثبات الإعجاز القرآني من خلال نظرية النظم، فهو يذكر في كل وجه من وجوه الإعجاز، بأن الاستدلال سواء البرهاني أو الحجاجي هو الخيار الوحيد والأمثل الذي به يتم إثبات أن الإعجاز القرآني يتلخص في نظرية النظم وبه كذلك يمكن أن يثبت الأسس التي يبنى عليها النظم وفي نفس الوقت يدحض كل كلام معاند أو طاعن أو مدع.

مصطلح الاستدلال عند عبد القاهر لا يقتصر على ذكر الألفاظ التي تدل عليه، إنما يمكن أن نلمس ذلك من الطريقة التي يطرح بها عبد القاهر نظريته وأدلتها. فهو يسهب في الكلام عن "فضل العلم" إذ يقول مثلاً "فإنما لم نر فعلاً زان فاعله وأوجب الفضل له، حتى يكون عن العلم صدره، وحتى يتبين ميسمه عليه وأثره، ولم نر قدرة قط كسبت صاحبها مجداً وأفادته حمداً، دون أن يكون العلم رائدها فيما تطلب، وقائدها حيث يؤم ويذهب، ويكون المصرف لعناتها، والمقلب لها في ميدانها، فهي إذن مفتقرة في أن تكون فضيلة إليه، وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه، وإذا هي خلت من العلم أو أبت أن تتمثل أمره وتقتفي أثره ورسمه"⁽³⁶⁾. فبعد القاهر على بينة من أن أهم مقومات الاستدلال هو التسليح بالمعرفة التي تبنى على الحقيقة العلمية، وإلا فإن أي استدلال لا يرتكز على الحقائق العلمية مجرد أغاليط، وجدل عقيم لا تقوم له قائمة، وهو دليل ماله السقوط لا محالة.

ولعل أهم علم يراه عبد القاهر الواجب أن يتعلمه كل من أراد الخوض في أمر الإعجاز ولا بد له من أن يلم بأسراره

بينما لفظة النظر نسجل حضورها في نص عبد القاهر الجرجاني بشكل مكثف جداً وربما يرجع ذلك لتداول هذه اللفظة بدل لفظ الاستدلال عند الفقهاء أكثر من غيرها؛ ولأن علماء النقد عامة تأثروا بعلوم أصول الفقه، ولعل أول مظهر من مظاهر هذا التأثير هو اقتباس مصطلحاته، منه يمكن أن نستنتج أن مصطلح النظر يصب معناه في مفهوم الاستدلال، فنجد عبد القاهر الجرجاني يقول مثلاً: وانظروا في الذي اعترفتم بصحة وبالحاجة إليه"⁽²⁸⁾. ويقول في موضع آخر "ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء"⁽²⁹⁾ ويقول كذلك في موضع آخر من نفس الكتاب: "وإذا نظرتكم إلى قولنا"⁽³⁰⁾ ويقول كذلك "وإذا نظرت إلى الفصاحة" هذا النظر"⁽³¹⁾. وهذه بعض الأمثلة دعا فيها عبد القاهر الجرجاني إلى ضرورة اتخاذ الاستدلال "النظر" وسيلة للوصول إلى الحقائق وغير هذه الأمثلة كثيرة لا يمكن أن تحصى.

وكذلك في "أسرار البلاغة" لا ينفك عن الإصرار على النظر فتجده يقول في ذلك مثلاً: "لأن العلم المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة في غاية التمام، كما قالوا ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين"⁽³²⁾. ففي هذا النص الأخير يجزم عبد القاهر أن العلم الذي يحقق عن طريق الاستدلال والبرهان أعلى مستوى وأشد رسوخاً وأكمل يقيناً من العلم الذي يكتسب عن طريق الحواس ويقصد به "العلم الضروري" أي ما يعرف بالمسلمات أو المكتسبات القلبية، فهو بذلك يرسم الطريق القويم الذي يجب أن يسلكها كل عالم للوصول إلى الحقائق حتى لا تتنازع فيها العقول، ويقول في موضع آخر "واعلم أننا إذا أمعنا النظر، وجدنا المنقول..."⁽³³⁾. هذه الأمثلة تدل على ضرورة توظيف آلية الاستدلال سواء للوصول إلى دلائل الإعجاز أو إلى حقيقة أسرار البلاغة وهذا ما كان يبتغيه عبد القاهر تحقيقه من خلال كتابيه، فإن كلاهما يكمل الآخر.

"والنظر" الذي ما فتئ عبد القاهر يحرص على ضرورة الالتزام به، هو النظر الذي يكون عن وعي، أي الذي احترم فيه قواعد العقل، ألا وهي مبادئ المنطق السليم الذي يرتكز عليها الاستدلال الصحيح.

وقد ورد معنى الاستدلال بمرادفاته في كتابيه منها: "نرى، نعلم، القياس، نذكر بعض النماذج على سبيل المثال

به "(42). وأنه يذكر الاستدلال الحجاجي في قوله "من غير أن يتبع ذلك بيانا، ويقيم عليه برهانا ويذكر له علة، ويروى فيه حجة، وأن أنزل لك القول في ذلك وأدرجه شيئا فشيئا"(43). غير أن كل هذه الأنواع من الاستدلال كانت لها وجهة بلاغية عند عبد القاهر الجرجاني.

كما أنه كان يذكر كل مرة في كتابه صور الاستدلال التي كان يقرّ بمدى فعاليتها عن استخلاص النتائج التي بها قد يصل إلى المقاصد التي يرجوها من وراء توظيفها فنجده يذكر لفظ القياس كثيرا في كتابه مثل قوله: "وإذا كان هذا هكذا علمت أنه لا يكفي في علم "الفصاحة" ان تنصب لها قياسا ما"(44). بل إنه يذهب إلى تبين مفهوم القياس التمثيلي في كتابه دلائل الإعجاز والتدليل له في قوله "وهكذا قياس التمثيل" نرى المزية أبدا في ذلك تقع في طريق إثبات المعنى دون المعنى نفسه"(45).

كما أنه يحدد ويفرق بين أنواع القياس "القياس التخيلي" و"القياس العقلي" في كتابه أسرار البلاغة" إذ يقول عن القياس التخيلي، "ومعلوم أنه قياس تخيل وإيهام تحصيل وإحكام"(46). ويقول عن القياس العقلي "فالذي هو "العقلي" على أنواع أولها عقلي صحيح مجراه في الشعر والكتابة والبيان والخطابة مجرى الأدلة التي استنبطها العقلاء، والفوائد تثيرها الحكماء"(47).

وكذلك من صور الاستدلال الاستقرائي التي يذكرها عبد القاهر ويؤكد على ضرورة استخدامه كلما استدعت الضرورة لذلك فهو يقول "وصح أن لا غنى بالعقل عن معرفة هذه الأمور والوقوف عليها والإحاطة بها وأن الجهة التي منها يقف والسبب الذي به يعرف، استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظر فيها"(48). كما أنه لا يتحرج كل مرة وباستمرار من أن يذكر الألفاظ التي تدور في الحقل الدلالي الاستدلالي نذكر منها "الدليل، الشاهد، الحجة، اليقين وغيرها، كثير مثلا يقول "ويستقصي النظر في جمعه، ويتبعه شيئا فشيئا، ويستقصيه بابا فبابا حتى يعرف كلاً منه بشاهده ودليله، ويعلمه بتفسيره وتأويله"(49) ومثل قوله كذلك "ومن تعلق بهذا وشبهه واعترضه الشك فيه، بعد الذي مضى من الحجج"(50). من هنا ندرك أن الجرجاني لم يترك ولا نوع من صور الاستدلال إلا واستعان بها في مشروعه.

هو علم البيان "إذ يقول: "ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأسبق فرعا، وأحلى جنى وأعذب وردا، وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا...."(37). وهذا ما يؤكد عليه كذلك في فاتحة كتابه "أسرار البلاغية" مثل قوله "اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها ويبين مراتبها ويكشف عن صورها ويجني صنوف ثمرها..."(38). وهو كلما أكد على فضل العلم ربط بينه وبين العقل.

إذ لا يمكن أن نفصل العلم عن العقل، وإلا كان علما زائفا يتنافى والطبيعة البشرية، وقوانين المنطق السليم إذ يقول: "فهذا في فضل العلم لا تجد عاقلا يخالفك فيه"(39) وكذلك يقول في موضع آخر: "لا يعلم أن ها هنا دقائق وأسرار طريق العلم بها الرؤية والفكر، ولطائف مستقاها العقل"(40). ويصل إلى هذه النتيجة بعد أن يخوض طورا في تبين دلائل الإعجاز التي يرتكز عليها الإعجاز في كتابه "دلائل الإعجاز" عند قوله: "قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المثبت الحضيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول خاطر"(41). فمساره واضح يحصر على توضيحه من البداية إلى النهاية.

ويتبين من كلام عبد القاهر الجرجاني أنه كان على علم بـن أن النص القرآني يحمل في طياته مضامين تدل على حقيقة الإعجاز، لذا حدد الوسائل والآليات التي لا بد أن يحسن استخدامها ويحكم توظيفها حتى يتسنى له أن يصل إلى حقيقة الإعجاز، ولعل العلم يعتبر أهم وسيلة تقود إليها ولاسيما علم البيان الذي تحدث عنه طويلا في كتابه "أسرار البلاغة" وحدد بعدها الآليات التي تبنى عليها العلوم الآلة وهي صحة النظر الذي كما سبق وان أشرنا يقصد به "الاستدلال" والنظر الصحيح لا يدرك إلا بالعقل الذي يتبع قواعد المنطق السليم.

وعبد القاهر لم يكتف بذكر لفظ "الاستدلال" في كتابه صراحة أو بمرادفاته، إنما كان كل مرة يشير إلى أنواع الاستدلال التي كان يستعين بها لتدليل على أرائه والاحتجاج لها، فنجده يذكر لفظة البرهان في قوله: "أتعرف له معنى غير أن لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم

القياس التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني:

الطريقة التي يعمل بها هذا النوع من القياس حتى يتمكن من أن يتغلغل إلى النفوس فيعمل على إثارتها والانقياد لغاية المتكلم بكل سهولة .

والطرق التي ذكرها الجرجاني في هذا النص والتي تعمل على التفاعل معها ما هي إلا الأساليب البلاغية، التي تقنن العرب في تخريجها غير أن القرآن تفوق عليهم فيها وهي: التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية "وهو بذلك جعل من هذه الأنواع البلاغية أصولاً تتفرع جل محاسن الكلام عنها وتدور أقطاب المعاني وأقطارها، وصنعه هذا القائم أساساً على الذوق المرفه الإحساس العميق والاعتماد على العقل، والاستفادة من جهود سابقه وبلورتها كي تصبح أصيلة جعلته متفرداً في عمله، إذ لم يتفق أحد مثله عند التشبيه والاستعارة والتمثيل ككل، بدرسها معاً، ويربطها ربطاً واضحاً، يحاول فيه أن يوجد أوجه الاختلاف والتشابه بينهما بالقياس إلى درجة الإثبات والمساوية"⁽⁵³⁾ فقد كان الجرجاني بذلك يصنع طريقاً جديداً في الفكر البلاغي العربي.

كل الأساليب البلاغية التي اعتنى بها الجرجاني إنما تدل على: "اهتمام مفيد في بيان تصور الجرجاني للآلية الاستدلالية التي يقصدها والتي تمكن من الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني"⁽⁵⁴⁾، فالأساليب البلاغية كما شرحها عبد القاهر الجرجاني تعمل بدورها بالطرق الاستدلالية بحيث أنها تعتمد على معارف سابقة، فهي تنتقل عن طريق عملية عقلية "استدلالية" لتصل إلى معارف جديدة.

فمثلاً يرى أن الاستعارة: "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول"⁽⁵⁵⁾ وهذا ما لاحظته شكري المبخوت في دراسته للطرق الاستدلالية عند الجرجاني عند حديثه عن الكناية إذ يقول: "إن دلالة الكناية مثلاً على المكنى تكون بالاستدلال بمعاني الألفاظ الوضعية على غرض المتكلم وإلى انعدام الفرق بين المكني بدلالته الوضعية وخصائص التعبير في الكناية"⁽⁵⁶⁾. إذن إدراك المعاني البلاغية يكون بعملية عقلية، بواسطة ألفاظ وتراكيب معينة، وتبقى كفاءة المتكلم البلاغية في اختيار الألفاظ والتراكيب هي التي تحدد مدى تحقيق بلاغة الخطاب.

هذا ما يقره الجرجاني في كتابه حيث يقول: "فإن التمثيل.... فهو يفيد أمراً آخر يجري مجراه، وذلك أن الوصف

تنوعت تسميات هذا النوع من الاستدلال كما سبق وأن رأينا نظراً لاتساع مجالات استخدامه لما له من قوة تأثيرية هائلة في الإقناع، سواء من الناحية العقلية، الموضوعية التي يقوم عليها هذا الدليل، أو من حيث الأسلوب المعتمد في إبراز الأدلة. لذا فقد شكل "التمثيل" الموضوع الأبرز في كل الدراسات البلاغية، النقدية في التراث البلاغي.

عبد القاهر الجرجاني قد كان له دور فعال في المنظومة البلاغية العربية سواء من حيث التنظير أو من حيث التطبيق ويبدو ذلك جلياً كلما تصفحنا كتابه "الدلائل وأسرار البلاغة" فقط ضبط المفاهيم المتعلقة بهذا النوع من القياس واستطاع أن يرفع الشبهات التي التبتت به دائماً متبعاً المنهج القويم لذلك، موظفاً "آلية الاستدلال" فقد بين الجرجاني في باب التمثيل أن من بين أبرز صور الاستدلال هو الذي يقوم على القياس التمثيلي.

حيث يقول: "واعلم مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها كساها أبهة، وكساها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستتار لها من أقاصي الأفتدة صباة وكلفا، وفسر الطباع على أن تعطيهما محبة وشغفا"⁽⁵¹⁾ يمكن أن ندرك من خلال هذا النص أن عبد القاهر الجرجاني كان يسعى إلى إظهار حقيقة مهمة وأن من أبرز ما يضيف على المعنى نوعاً من السحر والجلال الذي يجذب النفوس ويهبر العقول هو هذا النوع من القياس.

وهو يستدل لرأيه هذا بعدة أدلة منطقية جاهزة يؤكد و يقوى بها دليله.

ويذهب حتى إلى البحث عن السبب الذي يجعل هذا النوع من القياس "التمثيل" له هذه الطاقة الكبيرة في الإقناع ويعقد باباً خاصاً لذلك فيقول: "فأول ذلك وأظهره، أن أنس النفوس موقوف على أن تخريجها من خفي إلى جلي، وتأثيرها بصريح بعد مكنى، وأن تردّها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه اعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعمما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع"⁽⁵²⁾ فهذا شرح عبد القاهر الجرجاني

فهو يقول في ذلك: "وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده، كمن ثقل العروس بأصناف الحلبي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها"⁽⁵⁹⁾، فالجرجاني بهذا التمثيل أراد أن يستدل على حقيقة ألزمتها التكلف في التكلف في الكلام فربط بين هذه الظاهرة والعروس التي يراد أن تزين بأنواع من الحلبي والوشي فيصيبها مكروه من كثرة ما تحمل جسمها من ثقل فهو بهذا التمثيل أعطى للمعنى قوّة وجاذبية لم تكن لو أنه ذكر رأيه ولم يعقد له مثالا يقرب للمخاطب الصورة أكثر. فيجعل بذلك المتلقي مشاركا للمخاطب في أعمال الفكر واستخراج الأحكام وبذلك يكون الدليل أقوى وأثبت في النفس.

ويقوم هذا التمثيل على الأركان التالية:

-الركن الأول: الممثل (المقيس): طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده.

-الركن الثاني: الممثل به (المقيس عليه): من ثقل العروس بأصناف الحلبي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها.

-الركن الثالث: العلة الجامعة: الزيادة عن الحد المعقول تضر صاحبها.

-الركن الرابع: الحكم الذي في الأصل: إصابة العروس بالمكروه لما أفرطوا في تزيينها. كثيرا ما يكون هذا النوع من الاستدلال "ناقصا" حيث تكون فيه بعض الأركان محذوفة أو مضمرة ويمكن للمتلقي أن يقدرها استدلالا بأدلة ظاهرة وقد انتشر هذا النوع من القياس الناقص بشكل مكثف؛ لأنه يشغل في إطار اللغة الطبيعية.

النموذج التالي: من أسرار البلاغة يوضح هذا النوع من التمثيل الفائدة من التجنيس في قول الجرجاني: "فهذه السريرة صار "التجنيس" وخصوصا المستوفي منه المتفق في الصورة من حلي الشعر"⁽⁶⁰⁾

ومن خلال هذا النموذج يمكن أن يتوضح الركن الناقص من خلال تحليله إلى أركان القياس التمثيلي:

-الركن الأول: الممثل (المقيس): التجنيس في الشعر.

كما يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته وأصله، فقد يحتاج إلى بيان المقدار فيه، ووضع قياس من غيره يكشف عن حدّه في القوة والضعف والزيادة والنقصان"⁽⁵⁷⁾، فالعملية الاستدلالية التي تقوم عليها الأساليب البلاغية بمثابة الميزان الذي يعمل على تحديد الكلام وترجيح دلالاته، إذا كان يقع الكلام ضمن البليغ أو أبلغ من البليغ أو المعجز أو عكس ذلك تماما، أي الكلام المبتدل لذا لا مناص لهذه الأساليب البيانية من أن تخرج عن قواعد الاستدلال.

نلمس هذا النوع من القياس في كتابي الجرجاني؛ لأنه في مقام الإقناع وهذا القياس من أهم الاستدلالات التي تقي بالعرض؛ لأنه يركز على مقومات الاستدلال الحجاجي أهمها اللغة الطبيعية التي توفر لصاحبها كل التقنيات المساعدة في الإقناع.

سنحاول أن نقف على هذا النوع من الاستدلال في كتاب "دلائل الإعجاز" حين يستدل لمن يتشدد لأرائه حول مسألة "اللفظ" وإعطائها كل ميزة بلاغية.

إذ يقول: "وذلك لأن الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم، وتأشّب فيها، ودخل بعروقه في نواحيها، وصار كالنبات السوء الذي كلما قلعتة عاد فنبت"⁽⁵⁸⁾. ويمكن تمثيل أركان التمثيل على النحو التالي:

-الركن الأول: الممثل ويسمى المقيس: إن الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم، وتأشّب فيها..

-الركن الثاني: الممثل به ويسمى المقيس عليه: النبات السوء الذي كلما اقتلعتة عاد فنبت.

-الركن الثالث: العلة الجامعة وهي سبب التمثيل: التشدد والتشبث بالشيء.

-الركن الرابع: الحكم الذي في الأصل: تكرار نمو النبات لتثبت بالأرض.

ويستدل بنفس الطريقة الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" لكي يبين كيف أن الإكثار من ألوان البديع قد تشوه المعنى وتدخل إليه القبيح من حيث أريد له التحسين والتنسيق.

بإضافة إلى ذلك هناك علاقة أخرى يقوم عليها الاستدلال وهي دلالة التضمين: عندما يكون المعنى جزء من المعنى الذي أداه اللفظ الحقيقي، "فبلاغة الكناية والمجاز التي تحدث عنهما الجرجاني تعود إلى كثرة المعاني التي يؤديها القول بإيجاز في أخصر لفظ يجمع دلالة صريحة غير مقصودة في ذاتها بدلالة ضمنية تمثل المراد من الكلام." (65) ويتضح ذلك من خلال تحليلات الجرجاني للشواهد الشعرية أو الأمثلة المتداولة في التراث العربي التي استدل بها على مختلف الأساليب البلاغية.

كما أنه خص باباً كاملاً حول الحذف أو ما سمي بالإضمار وهو يرى أنه: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين" (66) فإن الحذف في البلاغة العربية معاني بلاغية جليلة تجعل المعنى أقوى وأدل من أن يصرح به، ويضرب عبد القاهر الجرجاني على ذلك أمثلة كثيرة يؤكد بها صحة دعواه، ويبين من خلالها المعاني التي يضيفها الحذف على الكلام من جمال وقوة تأثير لا مثيل لها على النفس.

وقد أطل في الشرح حول ما يجب فيه الحذف وما لا يجب والإضمار عادة ما يكون فيه "المدلول مضمراً أي محذوفاً من الكلام ويكون تقديره ضرورياً يتوقف عليه صدق المتكلم، إذ يستحيل فهم الكلام إلا بتقدير المحذوف" (67)، والمعنى المحذوف لا يمكن الوصول إليه إلا في ظل السياق النصي والمقامي وهذا ما ترسم الاستعارة أبعاده "ففي طرفي الاستعارة تكون أمام معنى جديد، نابع من التفاعل الحي من الدلالات القديمة لكل طرفي من طرفيها داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه" (68)، من خلال ذلك نستنتج أن الدليل الذي يوصلنا إلى المعنى المراد من الأساليب البلاغية يكون منبعه سياق الكلام (نص الكلام أو المقام الذي قيل بشأنه هذا الكلام).

الخاتمة:

حوصلة الكلام هو أن آلية الاستدلال أخذت تنمو في التراث البلاغي العربي القديم شيئاً فشيئاً، وهذا كلها انفتحت

-الركن الثاني: الممثل به (المقيس عليه): محذوف وهو العروس.

-الركن الثالث: العلة الجامعة: التزيين.

والقرينة التي تدل على المحذوف هي "الحلي" التي تزين العروس فهي لازمة من لوازمها أو من لوازم المرأة عامة إذا ما أخذت زينتها.

لذا لا بد أن نبين علاقة اللزوم وأثرها في الاستدلال البلاغي وكذا علاقتها بالتضمين.

الاستدلال البلاغي وعلاقته باللزوم والتضمين:

لقد كانت لهذه العلاقة حضور مهم في محور الدراسة النقدية البلاغية التي خاض فيها عبد القاهر في كتابه: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" ولما كان الاستدلال عند الجرجاني طلباً للدليل على ما تقيد الصيغة الصرفية، باتخاذ المعنى الأول المفهوم من اللفظ دليلاً على المعنى الثاني، فإن الاستدلال علاقة بين معنيين متلازمين أحدهما مقول، منطوق والآخر مستلزم منه بوجه من الوجوه" (61)، فهذه العلاقة الإستلزامية بين المعنى الأول والثاني هي التي لها الدور الفعّال في بناء الدليل لاسيما الدليل البلاغي غير أن "مبدأ اللزوم سواء كان سورياً أو مادياً، فهو في الأساس انتقال من شيء إلى شيء لازم عنه، وهو من أدوات المنطقي الضرورية في كل تركيب وفي كل حكم" (62). فهو عملية عقلية دون منازع.

لأن هذه الدلالة اللزومية هي دلالة عقلية وهي نفسها دلالة "معنى المعنى" الذي استند عليها عبد القاهر الجرجاني في تفسير مختلف الأساليب البلاغية تفسيراً استدلالياً التي تقوم إما على اللزوم أو التضمين أو الحذف وهذه الطرق التي تعمل بها الأساليب البلاغية لا تعمل إلا في ظل الدليل.

بحيث أن دلالة الالتزام "تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصلة التي تكون بين اللفظ ومعناه وبين "الدال والمدلول" (63)، وهذه الصلة التي تكون بين اللفظ ومعناه هو ما يعرف في البلاغة العربية بالقرينة التي لولاها لما اتضح مفهوم المعنى، "فهي إذن ترتبط بين المعنى الحقيقي أي الوضعي وبين المعنى المجازي في الأساليب البلاغية لا تختلف في وظيفتها عن العلة" (64). إذن فإن الاستدلال مرتبط دائماً بقرينة.

والمتلقي ، يظهر ذلك بشكل كبير في جميع القضايا النقدية التي طرحها.

فعبد القاهر يحاول من خلال الاستدلال البلاغي تثبيت قضية النظم ، وما نلمسه أثناء الدراسة قدرته الفائقة في التحكم في هذه الآلية التي لم يسبقه إليها ناقد من حيث الإجادة ، وربما قد استفاد من الذين سبقوه وعلى أساسهم بنى مشروعه النقدي.

المشروع البلاغي لعبد القاهر الجرجاني كان له أثر عميق ، في "التوظيف الاستدلالي" ، حيث اتضحت الرؤية الاستدلالية وتبينت أهميتها الوظيفية في الممارسة النقدية البلاغية العربي ، فقد شكلت مختلف الأسس التي دعا الجرجاني إلى إتباعها من طرق استدلال وصوره نظرية عامة ودعامة لقواعد قام على أساسها النقد البلاغي العربي القديم بعده.

المعالم واستجدت الرؤى ، وإنّ هناك عدة مشارب ساهمت في هذا الانفتاح وتثبيت قواعد الاستدلال الصحيح.

إنّ أهم العوامل التي ساعدت النقاد العرب على حسن استغلال هذه الآلية وتكييفها ومتطلبات الحاجات النقدية في التراث النقدي البلاغي العربي القديم ، هو البحث في قضية الإعجاز القرآني ، فقد شكلت أهم القضايا التي أسالت الكثير من الأقلام.

إنّ الدافع الأساسي الذي جعل عبد القاهر الجرجاني يستثمر آلية الاستدلال هو إثبات الإعجاز القرآن ، فكان عليه أن يجد أقوم المناهج التي تفهم الآراء وتخرص الأسنة ، وتعتبر آلية الاستدلال أفضلها على الإطلاق.

عبر الجرجاني عن الاستدلال في كتابيه "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" بألفاظ مختلفة أهمها: النظر ، الدليل ، الحجة ، القياس. فلم يستقر على لفظ واحد ويبدو أنه كان متأثراً بمختلف العلوم التي استقى منها عبد القاهر الجرجاني مادته المعرفية كالفقه والنحو العربي والمنطق الأرسطي ، بالإضافة إلى أثر الخلفيات الفكرية التي كانت توجه مشروعه البلاغي كعلم الكلام ، والشعوبية.

أكد الجرجاني أنّ الطرق التي تشكل العلاقات التي تقوم عليها الأساليب البلاغية العربية ، ما هي إلا علاقات استدلالية نستدل من خلالها على معانيها البيانية التي تحرك القلوب ، بتثبيت العقول من خلال نتائج موضوعية ، لما تختص به من مصداقية وعقلانية تتفق عليها جميع العقول مهما اختلفت توجهاتها.

أخذت آلية الاستدلال في مشروع عبد القاهر الجرجاني شكلها النهائي حيث استغلها في الغالب بمختلف صورها. غير أنّ الاستدلال البلاغي أخذ الحظ الأوفر من مشروعه النقدي البلاغي فلاحظنا أنه خصه بباب منفرد كما أسهب في التمثيل له ، موضحة العلاقة البلاغية التي تربط بين الاستدلال البلاغي وبين التضمين واللزوم ، وكيف أن هذه العلاقة تحدد المعنى وتحقق الأثر البلاغي المنشود.

إذ لم تعد البلاغة مجرد طابع جمالي يسم الخطاب ، إنما هي وسيلة يتشكل بها الخطاب المبين والاستدلال هو الركيزة الأساسية في ذلك ؛ لأن بها يتم إيصال الأفكار بتثبيتها أو نفيها ، وهذا من أبرز المقاصد التي تكون بين المخاطب

الهوامش

1. عباس أرحيلة ، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين ، (د.ط.)، 1999م ، جامعة محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، المملكة المغربية ، ص: 263.
2. الكفوي أبو البقاء الحسيني ، طبعة خاصة ، سنة 2003م. ج 01 ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ص: 114.
3. الأمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، مجلد 4 ، 3 ، (د.ط.ن) و(د.س.ن) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص: 361.
4. ألكسندر اغيننونا ، علم المنطق ، ت: التعديلات ، (د.ط.ن) ، دار التقدم ، 1999م ، الاتحاد السوفياتي ، ص: 174.
5. الأمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، ج 01 ، ص: 11.
6. المصدر نفسه ، ص: 11.
7. ألكسندر اغيننونا ، علم المنطق ، ص: 56.
8. المرجع نفسه ، ص: 65.
9. الشهيد مرتضى المطهري ، المنطق ، تح: الشيخ حسين ، ط ، 02 سنة 1432هـ ، دار الولاة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان . ص: 28.
10. حسان تمام ، الأصول ، ص: 46.
11. محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، ط 6 ، 2000م ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (د ، ب ، ن) ، ص: 395.
12. د. حامد صالح خلق الريبي ، مقاييس البلاغة للأدباء والعلماء ، (د.ط.ن) ، 1996م ، جامعة أم القرى ، (د ، ب ، ن) ، ص: 45.
13. د. حسين الصديق ، " المناظرة في الأدب العربي الإسلامي ، (د.ط.ن) ، سنة 2000م . ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر لنجمان ، القاهرة ، ص: 202.
14. ينظر عباس أرحيله ، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين ، ص: 264.
15. شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ط 1 ، 2006م ، دار المعرفة للنشر ، منوبة تونس ، ص: 109.
16. طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ط 2 سنة 2002م المركز الثقافي العربي الرباط المغرب ، ص: 148.
17. أبو الزهراء ، دروس الحجاج وما يعاضدها هذا النص: الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة ، ص: 12.
18. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ط 01 ، 2004م ، الكتاب الجديد ، (د ، ب ، ن) ، ص: 21.
19. نفس المرجع ، ص: 18.
20. ألكسندر اغنتمانوفا ، علم المنطق ، ص: 195.
21. محمد طروس ، النظرية الحجاجية ، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، ط 1 ، 2005م ، دار الثقافة ، دار البيضاء ، ص: 29.
22. حسان تمام ، الأصول ، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، (د.ط.ن) ، 2009م ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص: 66.
23. المرجع نفسه ، ص: 153.
24. طه عبد الرحمن أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص: 98.
25. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط 3 ، 1992م ، مطبعة المهدي المؤسسة السعودية ، مصر ، ص: 10.
26. المصدر نفسه ، ص: 371.
27. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغية ، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط 1 ، 1991م ، دار المهدي بجدة ، السعودية ، ص: 381.
28. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 30.
29. المصدر نفسه ، ص: 34.
30. المصدر نفسه ، ص: 31.
31. المصدر نفسه ، ص: 37.
32. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص: 121.

33. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:402.
34. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:06.
35. المصدر نفسه ، ص:52.
36. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:04.
37. المصدر نفسه ، ص:05 ، ص:06.
38. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:02.
39. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:05.
40. المصدر نفسه ، ص:07.
41. المصدر نفسه ، ص:171.
42. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:10.
43. المصدر نفسه ، ص:65.
44. المصدر نفسه ، ص:37.
45. المصدر نفسه ، ص:71.
46. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:267.
47. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:263.
48. المصدر نفسه ، ص:41.
49. المصدر نفسه ، ص:40.
50. المصدر نفسه ، ص:64.
51. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:115.
52. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:121.
53. د: أحمد علي الدهان ، الصورة ، البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، "منهجاً وتطبيقاً" ، ط2 ، 2000م ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ص:283.
54. شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص:42.
55. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:20.
56. شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص:46.
57. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:125.
58. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:365.
59. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:09.
60. عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص:08.
61. شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص:60.
62. محمد شطوطي ، النظرية المنطقية عند الشيخ الرئيس ابن سينا ، ط1 ، 2007 ، دار قرطبة ، ص:212، 213.
63. إدريس بن خويا "البحث الدلالي عند الأصوليين قراءة في مقصديه الخطاب الشرعي عند الشوكاني ، ط1 ، مطبعة بن سالم ، الأغواط ، ص:51.
64. محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، ص:70.
65. شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص:44.
66. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص:146.
67. الأمدي ، الأحكام في أصول الأحكام ، مج3 ، ص:22.
68. د: أحمد علي الدهمان ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، ص:248.

القيم - سياق التكاثر والمقاربة السوسولوجية -*Values - Trading Context And Sociological Approach*

تاريخ القبول: 2018-04-09

تاريخ الارسال: 2018-02-10

فتيحة حفوف، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

lawshan2008@gmail.com

الملخص:

لا يزال مفهوم القيم -رغم الجهود المضنية التي بذلت في تأصيله محل غموض وتداخل عند الكثيرين ، والمفارقة أنه يزداد حضورا في خطاباتنا -التربوية والثقافية والاجتماعية والدينية-، فهو بذلك جدير بالدراسة والبحث رغم أنه شائك المسلك . وقد جاءت هذه الورقة بغية التعريف بهذا المفهوم الذي يكتنفه الكثير من الغموض والتعقيد وذلك لوقوعه في أرض مشتركة بين عديد العلوم كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والدين... ، ومحاولة إزالة اللبس عنه وذلك بتبني مقاربة نفسية -اجتماعية ، كما تسعى إلى الوقوف على الدلالات الاصطلاحية للمفهوم وما تتضمنه من معان عند من يستعملونها كافة ، مروراً بالتأصيل النظري لها من المنظور الإسلامي ، والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، وختاماً بخصائصها ومكوناتها ووظائفها ومصادرها ووسائل نقلها .

الكلمات المفتاحية: القيم ، الأسرة ، المدرسة ، الثقافة ، الدين .

Résumé:

La notion des valeurs reste encore ambiguë, et demeure contusionnée dans ces significations, chez la plupart ; malgré des efforts déployés . cependant, la notion se paraît toujours présente dans nos discours éducatifs, culturels, social et religieux.

Le présent article a pour objet de définir cette notion de valeurs à travers son utilisation dans les différents champs académiques en notant la sociologie, la psychologie, la philosophie et la religion. Réessaient éclaircir sa signification selon l'approche psycho-sociologique, qui s'appuie sur les significations conventionnelles de cette notion ; cela par rapport à son intégration théorique philosophique, psychologique, sociologique et également la perspective religieuse, aussi que ses caractéristiques, ses composants, fonctions et ses classifications et ses sources.

Mots-clés : Valeurs - Famille - Ecole - Culture - Religion.**Summary:**

The concept of value, despite the strenuous efforts that have been made in rooting it, is still unclear and interwoven for many .Yet, it is increasingly present in our educational ,cultural , social ,and religious discourses .therefore ,it is worthy of study and research eventhough it is thorny. This paper came in order to introduce this concept, which is surrounded by a lot of ambiguity and complexity as it is located in a common ground between several sciences such as sociology ,psychology, philosophy and religion .It also tries to remove confusion through psychological -social comparison, and it seeks to identify the conventional connotations of the concept and its meanings used by people through theoretical acquisition in philosophy, psychology ,sociology and from the Islamic perspective concluding with the concept's characteristics, components,functions,classification and sources .

Keywords: Values - Family - School - Culture - Religion.

مقدمة:

-لارتباطه بعدد من المفاهيم كالاتجاهات والمعتقدات والمعايير والسلوك والعادات والدوافع والرغبات، والتي يحاول استخدامها في مقام واحد.

- ولوقوعه على أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم (الدين، الفلسفة، علم النفس، علم النفس الاجتماعي، علم الاجتماع، الاقتصاد...).

إن تعاريف القيمة تكاد تتعدد بتعدد كتابها، وتختلف باختلاف المجال المعرفي الذي يعمل في إطاره الباحث، "فالقيمة على حد قول دوركي لي" عصبية على التعريف: إنني أتكلم عن القيمة ولكنني لست مستعدا لتعريفها"⁽¹⁾. وستحاول هذه الورقة تقديم بعض من أهم التعاريف المقدمة:

1-القيمة لغة: القيم جمع مصدره قيمة وأخذت اللفظة من "قوم" واستعمل جذرها للدلالة على معان مختلفة: "قام بالأمر يقوم به قياما، فهو قوام وقائم، واستقام الأمر...، وقام المتاع بكذا أي تعدت قيمته به، والقيمة الثمن الذي يقاوم به المتاع أي يقوم مقامه، والجمع القيم وشيء قيميّ نسبة إلى القيمة على لفظها...، وقومت المتاع: جعلت له قيمة معلومة"⁽²⁾. وقد ورد لفظ القيمة في القرآن الكريم في ثمانية مواضع هي: الروم:آية 43 - الروم:آية 30- الكهف:آية 1و2- البينة:آية 3 و البينة:آية 5 - التوبة، آية:36- يوسف:آية 40- الأنعام:آية 161، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

"فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون"(الروم:آية 43)
 -"فيها كتب قيمة"(البينة:آية 3)
 -"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"(الروم:آية 30)
 -"وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة"(البينة:آية 5)

وفي جل الآيات السابقة الذكر فإن الدين القيم يقصد به الدين المستقيم، وبذلك تصح لفظ القيمة في المعنى اللغوي بمعنى الاستقامة والاعتدال، فالقيمة في اللغة العربية لها معنى ايجابيا يعكس مدى أهميتها في حياة الفرد والمجتمع.

تعد القيم قاسما مشتركا داخل المنظومة المعرفية للعلوم الإنسانية على اختلافها، فعلى اعتبار أن الإنسان كائن قيمي بطبعه فهو يحتكم إلى جملة القيم التي يتبناها في تجسيد سلوكاته وأفعاله، ومن هذا المنطلق فالقيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة البشرية الاقتصادية والثقافية، ولا تقف أهمية القيم على علم من العلوم.

وتعد القيم في أبسط حالاتها مواقف المفاضلة والاختيار، وكلما ازدادت خبرة الإنسان بمثل تلك المواقف - مواقف المفاضلة - كلما تكونت لديه جملة من القيم، فتستقر في نفسه وتكون له جهازا يستطيع عن طريقه أن يحكم على الأحداث من حوله فهي أحد أهم ضوابط السلوك، كما وتعد بمثابة المعايير التي توجه أفعال وأقوال وسلوكات الفرد داخل الجماعة، وتعتبر أيضا عن الاتجاهات المشتركة بين أفراد المجتمع فهي بالنسبة لحاملها عاملا مهما وفعالا لتماماتهم، مما يضمن ضبط وتنظيم وتماسك المجتمع، ولما كانت القيم تتضمن عناصر الانتقاء والتفضيل فإن الأمر يجعلها تختلف من مجتمع لآخر بل من شخص لآخر داخل نفس المجتمع، غير أنها في الوقت نفسه حجر الأساس في البناء الثقافي للمجتمع وتسهم في تحقيق التوازن الاجتماعي والنفسي داخل إطار هذا المجتمع وبين أفراده.

ونظرا لأهمية القيم سواء في المجال العملي الواقعي، أو في بعدها التنظيري، فقد احتلت مكانة بارزة في اهتمامات العلماء والباحثين على اختلاف تخصصاتهم، الأمر الذي تمخض عنه وجهات نظر متعددة، وكما هائل من التعاريف والتصنيفات والنظريات حولها، وقد حاولت هذه الورقة الخوض في تفصيل مفهوم القيم في مجالات العلوم المختلفة، وكذا التأسيس النظري لها.

أولا: تعريف القيم: values: إن مفهوم القيم يكتنفه نوع من عدم الوضوح، ولعله من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضا ذلك:

ترتبط في الاقتصاد الماركسي بتوزيع السلع والخدمات والتي يجب أن تقوم على مبدأ العدالة.

د-كما اهتم علماء الأنثروبولوجيا بدراسة القيم في إطار اهتماماتهم بدراسة المجتمعات والثقافات والنظم التقليدية والحديثة، وقد عرفها كلابد كلاكهون "بأنها تصور صريح أو ضمني خاص بفرد أو مميز لجماعة عما هو مرغوب فيه، ويؤثر على الاختيار من بين البدائل المطروحة من أنماط ووسائل وغايات الفعل"⁽⁷⁾ فهو يعتبر القيم بمثابة حقائق ثقافية وسيكولوجية يمكن كشفها وتحليلها، فالإنسان باستطاعته ملاحظة ما يفعله الآخرون وما لا يفعلونه. فالأنثروبولوجيا تنظر إلى القيم كونها معايير اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر وتحدد السلوك الاجتماعي والاتجاهات السائدة.

هـ- وعلى غرار ماسبق فقد حظي مفهوم القيمة في الدراسات السوسولوجية باهتمام كبير وكذا باختلاف كبير أيضا، حيث اختلط المفهوم بمفاهيم أخرى متصلة به، وكان الإشكال يبرز أيضا بين القيمة كمفهوم والقيمة كعملية، "وكان أول من استخدم لفظ "القيمة" توماس وزنانيكي في كتابها "الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا" وعرفها على أساس أنها: القواعد الرسمية الظاهرة للسلوك، والتي عن طريقها تستمر الجماعة وتنظم، وجعل أنماط الأفعال المتصلة دائمة وعمامة بين أعضائها"⁽⁸⁾.

"والباحث في التراث السوسولوجي يمكنه أن يميز بين ثلاثة نماذج من التعريفات تعكس ثلاث توجهات مختلفة نحو مفهوم القيمة وهي:⁽⁹⁾

النموذج الأول: يشير إلى الموجهات الفلسفية والثقافية: فبارك وبيرجس على سبيل المثال عرفا القيمة على أنها: "أي شيء قيمته قابلة للتقدير".

- هنري "أي شيء نرى فيه خيرا مثل الحب والشفقة والقناعة والمرح والأمانة والذوق والترويح والبساطة".

النموذج الثاني: يشير إلى الموجهات السيكولوجية، ويجد الباحث في هذه المجموعة تحبطا بين القيمة والاتجاه من ناحية وبين القيمة والمعيار

والقواعد والذات الجمعية من ناحية أخرى.

2-القيمة اصطلاحا: لما كانت القيمة من المفاهيم

التي عني بدراستها عدد من العلوم المختلفة فإن الغموض والخلط في تأويلها يكون أمرا طبيعيا، وستحاول هذه الورقة عرض أهم تعاريف القيم حسب وجهات نظر العلماء والباحثين في مختلف التخصصات:

أ- في علم الأخلاق" يطلق لفظ "القيمة" على ما يدل على لفظ "الخير" بمعنى أن تكون قيمة الفعل نابعة مما يتضمنه من خيرة، وتكون قيمة

الفعل أكثر كلما كانت المطابقة والصورة الغالبة للخير. وقد أصبح باب القيم بابا هاما من أبواب الفلسفة العامة ويرتبط خاصة بعلوم المنطق والأخلاق و الجمال والإلهيات"⁽³⁾ ويطلق على الفلسفة التي تبحث في القيم بالاكسيولوجيا.

ب-للقيمة أهمية كبرى عند علماء النفس وذلك راجع لما لها من علاقة وثيقة بمفهوم الشخصية، وتعرف القيمة بأنها: "تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، والقيمة مفهوم مجرد ضمني، غالبا ما يعبر عن الفضل والامتياز، ودرجة التفضيل التي ترتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني"⁽⁴⁾ هذا يعني أن الإنسان يصدر أحكاما تفضيلية بشأن مختلف الموضوعات وبذلك تصح القيمة هي مسألة شخصية وذاتية تختلف من شخص لآخر حسب الزمان والمكان وكذا الثقافة، والقيمة في علم النفس مرتبطة ارتباطا وثيقا بشخصية الفرد واستعداداته وميولاته.

ج-واعتر علماء الاقتصاد رواد دراسة القيم، وكان يطلق على علم الاقتصاد بـعلم القيمة، وحظي هذا المفهوم بأهمية خاصة في أعمال آدم سميث،

وديفيد ريكاردو وكثيرون من أصحاب المدرسة الكلاسيكية، "واستخدم آدم سميث هذا التعبير على أساس أنه يطلق على قيمة الشيء بالنسبة لشخص معين، قيمة المنفعة وهي مسألة اعتبارية وفي أحيان أخرى القوة الشرائية أو قيمة الاستبدال"⁽⁵⁾ و لفظ القيمة في علم الاقتصاد يعبر "بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن نظرية السعر"⁽⁶⁾، كما

من ارتباط بين المفهومين إلا أنه في حقيقة الأمر يمكن التمييز بين المفهومين على أساس أن: الفرق بين القيمة والاتجاه هو الفرق بين العام والخاص، فالقيم هي محددات لاتجاهات الأفراد، والقيم تنطوي على جانب تفضيلي في حين الاتجاه يأخذ بالسلب أو الإيجاب، والقيمة هي محصلة مجموع الاتجاهات التي تتكون لدى الفرد إزاء شيء معين.

3- القيم والسلوك: السلوك هو حالة من التفاعل بين

الكائن الحي ومحيطه وفي غالبه يكون مكتسبا يتم من خلال الملاحظة والتعليم والتدريب،

وبفعل تكراره المستمر يتحول إلى سلوك مبرمج سرعان ما يتحول إلى "عادة سلوكية". و هناك عدد من الباحثين من تناول مفهوم القيم من خلال مؤشر السلوك، وهم يجمعون على أن القيم هي محددات السلوك الفردي التي يقرها المجتمع، ومنهم "إميل دوركايم" و"تالكوت بارسونز" و"روبرت ميرتون" وغيرهم كثير، وقد أكد "فرنس أدلر" أنه عندما نكون بصدد تحديد مفهوم القيم ينبغي أن نعرفها بمعنى "السلوك"، وما يؤخذ عليه "أنه لم يحدد نوع السلوك الذي يختاره الفرد، فهل هو ما يرغبه فعلا أو ما يعبر عنه لفظيا؟ وعلى أي أساس يختار؟... وإن الكثير من الأنماط السلوكية التي يصدرها الفرد وهو بصدد التعامل مع المواقف الاجتماعية المختلفة، إنما تقف كدالة لما حددته الثقافة على أنه أسلوب مرغوب فيه، أكثر من أنها دالة لما يتمثله الأفراد من قيم يرونها جديرة باهتمامهم، فالاستجابة التفضيلية لا تحدث في فراغ، ولكنها توجد في سياق اجتماعي معين"⁽¹³⁾ غير أن ما هو مؤكد أن القيم أكثر تجريدا من السلوك، ذلك أنها ليست مجرد سلوك انتقائي بل تتضمن المعايير التي يحدث التفضيل على أساسها، وبذلك يكون السلوك هو مرحلة أخيرة من مراحل تشكل القيم، فبعد أن تم تكوينها معرفيا ووجدانيا يتم ممارستها وتكرارها في الحياة اليومية على شكل سلوكيات.

4- القيم والعادات: إن مفهوم العادة" يشير إلى كل

الأنماط السلوكية المشتركة بين جماعة أو مجتمع معين، والتي تعد بمثابة طرق تقليدية للناس في حياتهم، والإشارة إلى طريقة معتادة تعني أن سلوك المجتمع له تاريخ طويل وأصبح جزءا من سلوك الفرد"⁽¹⁴⁾ ولعل التكرار المستمر يؤكد

النموذج الثالث: يشير إلى الموجات

السوسولوجية، وعرفت القيمة في هذا الاتجاه من ثلاث زوايا: -موجهات الفعل الاجتماعي: حيث يعبر الفعل عن القيمة. -النسق الإجرائي: وقد استخدم لوصف ماهية القيم. - مؤشرات للقيم: يعرفها جورج لندبرج "الشيء له قيمة أو هو قيمة عندما يسلك الناس نحوه كما لو أنهم يحفظونه أو يزيدون من ملكيتهم له".

ثانيا: علاقة القيم ببعض المفاهيم النفسو-

اجتماعية:

بعد أن قدمنا عرضا لمفهوم القيمة، وقد سبق أن أوضحنا أن مفهوم القيمة مرتبطا بعدد من المفاهيم الأخرى، والتي كثيرا ما استخدمت بالمعنى نفسه، كان لابد من تمييز هذا المفهوم عن غيره:

1- القيم والمعايير: لقد كان التراث السائد في علم

الاجتماع حول القيم والمعايير يميل إلى ربط المصطلحين معا، لكن تم التفريق بينهما في وقت

لاحق. "والمعايير هي آداب التصرف والحياة والتفكير المحددة اجتماعيا، والمعاقب على تجاوزها اجتماعيا"⁽¹⁰⁾ وعلى ذلك تكون المعايير هي سلطة اجتماعية يخضع لها الفرد حتى في غياب رقابة الجماعة، والقيم هي التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل والسلوك بالصواب أو الخطأ فهي تحديد للسلوك المرغوب فيه.

2-القيم والاتجاهات:"يقول بوغاردس Bogardus "

إن كل اتجاه مصحوب بقيمة وأن الاتجاه والقيمة جزآن لعملية واحدة، ولا معنى لأحد دون الآخر فحياة الإنسان خاضعة للاتجاهات والقيم معا"⁽¹¹⁾ هذا يعني وجود تجانس كبير بين المفهومين ومن الصعوبة بمكان الفصل بينهما ذلك لأنها تنشآن نتيجة التفاعل الاجتماعي للفرد، وكل منهما مكتسب من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، وعادة ما يرتبط مفهوم الاتجاه بالدلالة السيكولوجية،

وفي أبسط تعريف له ورد بأنه "الميل لأخذ موقف مع أو ضد"⁽¹²⁾، وفي علم الاجتماع يعرف الاتجاه بأنه منظومة من العقائد الموجهة نحو سلوك معين يتخذ الفرد خلالها استجابات تفضيلية. ورغم ما يبدو من خلال التعاريف السابقة

معين 3- درجة إشباع الحاجة أو تحقيق الهدف تؤدي إما إلى تكراره أو تغييره. وبذلك نصل إلى أن الفرق بينهما هو فرق في نوع الهدف، فالهدف في القيمة هو هدف من النوع الذي يتسم بالوجوب، فالدافع استعداد داخلي يسهم في توجيه السلوك نحو غاية معينة أما القيمة فهي التصور القائم حول الدافع وتكرار الدوافع تتولد عنها قيما معينة.

ثالثا: القيم في المنظور الإسلامي-الفلسفي -

السيكولوجي - السوسولوجي - : يعتبر مفهوم القيم من المفاهيم التي لاقته اهتماما ورواجا كبيرا من قبل كثير من الباحثين، وفي ميادين ومجالات مختلفة، وهذا ما أدى إلى حدوث خلط وغموض كبيرين أثناء استخدام هذا المفهوم، وهذا ما جعلنا نحاول أن نميز بين أربع منظورات مختلفة لتفسير القيم يعتقد أنها أساسية لتوضيح الصورة أكثر وهي:

1- القيم في المنظور الإسلامي: الإسلام كدين

سماوي مبني على منظومة قيمية متكاملة ومتجانسة، ولا يمكن فصل قيمة عن قيمة أخرى، وكما سبق الذكر فإن لفظ القيمة ذكر في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، وحسب أشهر التفاسير القرآنية فإن لفظ القيمة جاء بمعنى:

-الاستقامة: وتعني التوحيد الذي لا تشوبه شائبة.-

القوام: ويعني العدل وهو الذي لا يقوم الشيء إلا به.- التقويم: بمعنى التسوية والاعتدال والمساواة.

-القيم على نفسه: بمعنى المالك لزام أمره .

كما وذكرت بعض القيم في القرآن الكريم لفظا صريحا كقيمة العدل والأمانة والصدق والإحسان وطاعة الوالدين...الخ، حتى إن البعض منها صنف عند بعض العلماء كقيم مثالية (طوباوية) كقيمة مقابلة الإساءة بالإحسان مثلا التي يعتقد أن الإنسان عاجز على الالتزام بها، ولكن الله عز وجل دعا عباده للامتثال لمثل هذه القيم السامية، وفي هذا المثال البسيط تكون مجموعة القيم في التصور الإسلامي أعلى وأسمى بكثير منها في التصور الغربي الوضعي، فإن كانت معها في تقاطع واتصال إلا أن القيم في هذا التصور ترتبط بأبعاد أشمل، فانتماؤها ليس للمادة واللذة بل لقضية أكبر هي الاستخلاف والإعمار، وترتبط بغايات بعيدة المدى فبالإضافة إلى أنها توضح للإنسان علاقته

القيمة الاجتماعية للعادة، هذا وإن العادات والقيم تعتبر عاملا هاما في تشكيل الحياة الاجتماعية ووسيلة هامة لتحقيق الذات الاجتماعية، ومن آليات الانسجام والاتساق بين الأفراد وكذا الجماعات. ورغم صعوبة استجلاء العلاقة بين المفهومين نظرا لتداخلهما إلا أنه يمكن "أن نشير إلى العادات بوصفها المضمون المادي للسلوك بينما تشكل القيم مضمونه المعنوي"⁽¹⁵⁾.

5-القيم والحاجة: الحاجة هي "حالة من النقص

والعوز والافتقار واختلال التوازن، تقترب بنوع من التوتر والضيق ولا تلبث أن تزول الحاجة متى قضيت"⁽¹⁶⁾، وتنشأ عنها بواعث معينة ترتبط بموضوع الهدف. وكثيرا من العلماء من يجعل القيمة مرادفة لمفهوم الحاجة، ومن هؤلاء نجد "ماسلو" الذي يكافئ بين المفهومين، كما تصور بعضهم الآخر القيمة على أن لها أساسا بيولوجيا فهي تقوم على الحاجات الأساسية، فلا يمكن أن توجد قيمة لدى الفرد إلا إذا كان لديه حاجة معينة يسعى إلى تحقيقها أو إشباعها، ويتفق هذا القول مع التصنيف الذي قدمه بعض العلماء للقيم، حيث صنفت إلى: قيم أولية تتعلق عادة بالحاجات البيولوجية للفرد، والنوع الثاني هو قيم ثانوية تتعلق عادة بالجانب الأخلاقي والاجتماعي للفرد. ولكن في المقابل هناك من يفرق بين المفهومين "ومن أمثال هؤلاء نجد ميلتون روكيش الذي يرى أن هناك اختلافا بين المفهومين فالقيم من وجهة نظره عبارة عن تمثيلات معرفية لحاجات الفرد أو المجتمع، وأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات وفي ضوء ذلك يميز

بينهما على أساس أن الحاجات توجد لدى جميع

الكائنات (الإنسان والحيوان) في حين أن القيم يقتصر وجودها على الإنسان"⁽¹⁷⁾.

6-القيم والدافع: هناك الكثير من الباحثين من عرف

القيمة وتناولها على أساس أنها أحد جوانب الدافع، وفي ضوء تعريف الدوافع نستشف الفرق بينهما، فيعرف بأنه "كل ما يحرك السلوك ويوجهه في اتجاه معين وما يسبب استمرارية ذلك النوع من السلوك"⁽¹⁸⁾، فهو بذلك عامل داخلي يستثير سلوك الفرد ويوجهه وفقا لثلاث مراحل: 1-تحريك السلوك من خلال إكسابه طاقة 2- توجيه السلوك عمليا نحو هدف

والم تأمل لأخلاق العربي قبل مجيء الإسلام ، يجده يتصف بالعديد من القيم الإنسانية فقد تميزوا "بتقديرهم للقيم وإيثارها على قيم الحياة المادية الزائلة ، فكان العربي يختار الموت المقترن بشرف الشجاعة والمحافظة على النسب ، ويفضله على الحياة الناعمة المترفة الجبانة ، وفي مجال الاختيار بين سلامة العرض المقترن بالكرم والجود وبذل المال وبين المحافظة على المال القائمة على البخل وعار الشح والتقتير يختار سلامة العرض"⁽²¹⁾ وقد كان للإسلام ثلاث مواقف من تلك القيم رصدتها (جابر قميحة) كالتالي:

"الموقف الأول: التحريم فقد حرم الإسلام شرور المجتمع الجاهلي وموبقاته ، فحرم الشرك والظلم ، وأد البنات ، والعدوان.... الخ.

الموقف الثاني: هو الإقرار حيث أقر البقية الباقية من الفضائل في المجتمع الجاهلي كالكرم والشجاعة والنجدة.

الموقف الثالث: التسامي أو الإعلاء: أي الإبقاء على (المنبع القيمي) مع تحويل مساره من الانحراف الخلفي إلى الوجهة الصحيحة"⁽²²⁾.

"وهكذا استمرت عمليات تغيير القيم واستبدالها بالقيم التي أسس القرآن لها وأرسى دعائمها ، وهذه القيم يمكن أن نجعل لها أصولا جامعة ندرج تحت كل أصل مجموعة من القيم الفرعية أو المشتقة ، فأعلى القيم وأهمها قيمة التوحيد ، فالتوحيد يحقق كما كبيرا من القيم الفرعية."⁽²³⁾

ومنه فالقيم الإسلامية تتصف بالكمال لأن مصدرها الله عز وجل ، وتقوم أساسا على التوحيد باعتباره النواة التي تتجمع حولها اتجاهات المسلم ، وتتميز بالاستمرارية والعمومية ، وهي ثابتة خصوصا ما تعلق بالقيم العقيدية وقيم العبادات ، ومرنة مرونة كافية لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من حوادث مستجدة ، وهي ضابطة وموجهة.

2- القيم في المنظور الفلسفي: "تسللت القيمة إلى معجم الفلسفة حديثا ، ونفذت إلى مذاهب الفلسفة من أبواب متعددة ، وتحت أسماء مختلفة

ولكنها لم تعتمد موضوعا ومبحثا شرعيا من موضوعات ومباحث الفلسفة إلا منذ زمن قصير يكاد لا يتجاوز

بنفسه وبمحيطه فهي أيضا مرتبطة أشد الارتباط بالغيب ، فالقيم الإسلامية ماهي إلا علاقة تلازم بين الواقع والغيب ، ومن هذا المنطلق يمكن الإقرار بأن الطرح الإسلامي طرح متميز فلا هو بذاتي يؤدي إلى عبادة الهوى ولا هو موضوعي يؤدي إلى تقديس التفاهات ، فهو طرح شامل وتكمن شموليته في الجمع بين العنصرين ، و تحديد القيم التي تربط الإنسان بربه وكذلك بغيره ممن يحيطون به حتى لا يختل توازنه وتضطرب نفسه ، "وقد حرص القرآن الكريم على أن يؤسس لمفهومي - المعروف والمنكر- ليجعل من كل منهما وعاء للقيم ومستودعا لها ، الأول فيما يتعلق بالقيم الإيجابية والثاني للقيم السلبية"⁽¹⁹⁾.

ومما سبق يمكن تعريف القيم الإسلامية بأنها: "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة ، يختارها الإنسان بحرية ويعتقد بها اعتقادا جازما ، تشكل لديه منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو القبح وبالقبول أو الرد ، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار ، ويتحدد برؤية الإسلام وتصوراته المعرفية والوجدانية والسلوكية ، وبمصادر اشتقاقها وبمنهجها في غرس القيم واكتسابها ، وبطبيعة المعايير التي يقررها لإصدار الأحكام على الأشياء من حيث قبولها وردّها"⁽²⁰⁾. فهي مجموعة الأحكام التي يصدرها الفرد على شيء ما مهتديا بالشرع ، ويتضح أن مفهوم القيم الإسلامية أسس على بعدين اثنين هما : البعد السلوكي يضاف إليه الحكم الشرعي .

وفي حقيقة الأمر فإن القيم الإسلامية هي في الأصل أحكام شرعية ذلك أن كل حكم شرعي يحمل قيمة محددة وسامية تبين للإنسان سبل السلوك السوي ، وللقيم مصادر تنتجها ، ومصادر القيم في الإسلام تنحصر في أربع مصادر أساسية هي: القرآن الكريم ، السنة النبوية ، الإجماع والقياس ، وهذا خلافا لما ذهب إليه العديد من الباحثين ، فعلماء الاجتماع وعلى رأسهم إميل دوركايم يرجعونها للمجتمع ، أما كارل ماركس ومن حذا حذوه

فيرجعونها إلى العالم المادي الاقتصادي ، ونيته وأصحابه من دعاة النزعة الإنسانية يرجعونها إلى الإنسان فهو صانع قيمه.

➤ الفلسفة الواقعية: أصحابها متفقون على أن الإنسان والأرض والكون جميعاً أجزاء من طبيعة واحدة كبرى ، تسري عليها قوانين واحدة وتدرس

بطريقة واحدة ، ولا بد لكل تفسير أن يقع في نطاق ما هو طبيعي فليس وراء الطبيعة شيء وليس غير الخبرة الحسية مصدر للمعرفة أو للقيم ، فالخبرة

هي مصدر الأحكام العملية مثلما هي منشأ أحكام القيمة⁽²⁶⁾ فالقيم وفق هذا الاتجاه من نتاج الإنسان وخبراته ونابعة من الواقع المحسوس ، وبذلك فهو قادر على أن يحددها ويضفي عليها معانيها حسب احتياجاته وظروفه الخاصة.

➤ الفلسفة البرجماتية: أساس هذه الفلسفة أن التغير هو قانون الطبيعة وحقيقة الوجود ، الأمر الذي يعني أن القيم ليست مطلقة وهي تتغير

بتغير الزمان والمكان ، وأن بإمكان الإنسان أن يخلق قيمه ، وأساس هذا الخلق هو المنفعة الخاصة ، (شيللر وديوي)

➤ الفلسفة الوجودية: أصحاب هذا الاتجاه يرفضون كل ما من شأنه أن ينقص من حرية الإنسان ، وللإنسان الحرية التامة في اختيار شيء ما دون

آخر ومن خلال اختياراته تبرز القيمة ، فالفرد قادر على ابتكار قيمه الخاصة من خلال اختياراته وأفعاله ، وإن الإنسان مطالب بتطوير مفاهيمه القيمية بنفسه ، وإن مفهومي الخير والشر يتوقفان على مدى اعتقاد الفرد ورغبته في أمر من الأمور ، وفي هذا الصدد يرى نيتشه أن "الإنسان هو الذي يحدد الخير والشر لنفسه في الحقيقة إذ هو الذي يعطي الأشياء معناها ويقومها ويجعلها إنسانية"⁽²⁷⁾.

3- القيم في المنظور السيكلوجي: على الرغم من أهمية موضوع القيم إلا أن الاهتمام بدراسته في علم النفس قد تأخر إلى غاية الأربعينيات من القرن الماضي ، و يرجع ذلك إلى اعتقاد الكثير من العلماء آنذاك أن مفهوم القيم يقع خارج نطاق البحوث الامبريقية مما يجعل أمر قياسها وتحديد علاقتها بغيرها من المتغيرات أمراً يصعب عليه ، ولكن ما لبث أن أخذ هذا المفهوم حيزاً كبيراً من الدراسات السيكلوجية

القرن التاسع عشر.⁽²⁴⁾ وإذا ما اعتبرت القيم عنواناً جديداً يطلق في بعض جوانبه على موضوعات قديمة ، فإنه يمكن أن يكون التفكير فيها قديم قدم الإنسانية ، ويتسنى بذلك تتبع نشأتها عند بعض المذاهب القديمة وفي مواقف الفلاسفة القدامى.

فإذا ما تم الرجوع إلى فلسفات الإغريق يظهر لنا سقراط وقد تناول هذا المفهوم ، وذلك من خلال اهتماماته بدراسة الخير والسعادة ومحاولاته القضاء على شرور الإنسان ، على اعتبار أن الشر والجهل يعتبران قيماً سلبية وأن العقل هو المصدر العظيم ويمكن أن نوجه أفعاله بفكرة ما هو أفضل. وتبدو القيمة واضحة في نظرية أفلاطون للمثل "والذي نادى بأن الخير (أو القيمة) هو سبب وجود الوجود... وقضى أفلاطون على ذاتية القيم والحقائق مؤيداً بذلك القيم الموضوعية المطلقة والمبادئ العامة"⁽²⁵⁾ ، كما كانت مشكلة القيمة تثار في فكر أرسطو وذلك حينما حاول أن يربط كل كائن بغاية ، أي البحث عن القيمة الجوهرية والأساسية لوجوده النهائي. وعند فلاسفة العصور الوسطى وجدت تحت اسم "الخير - أو الخير الأقصى- أو الكمال" ، أما مفهوم القيمة من حيث هي موضوع جديد فإنها وجدت عند كانط حيث يعتبر فيلسوف القيمة ، ذلك أنه تناول بحث العلاقة بين المعرفة والقيم الخلقية والجمالية والدينية. كما اعتبر الفيلسوف الألماني نيتشه أول من عمل على انتشارها انتشاراً واسعاً بين صفوف جمهرة المثقفين ، وذلك بعد نجاح فلسفته ورواجها والذي حمل الفلاسفة على الاهتمام المتزايد بها واعتبروها موضوعاً للبحث ، وبصفة عامة فقد حظي تألوث القيم التقليدي (الحق والخير والجمال) على اهتمام وتركيز كل من تعرض لمشكلة القيمة ، وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أصبحت القيمة مبحثاً أساسياً من مباحث الفلسفة المحدثّة وانقسم الفلاسفة وفقاً لمواقفهم من القيمة إلى أربع مجموعات هي:

➤ الفلسفة المثالية: تتصف القيم عند هذه المجموعة بالثبات فهي لا تتغير بتغير الزمان ، ذلك أنها صادرة من القوة العظمى ومدونة عادة في الكتب المقدسة ولا يجوز الشك فيها مطلقاً. (كانط ، ماكزري ، جود ، لافيل)

حدود فاعلية القيم بالنسبة للفرد وسلوكه ، هذا وقد برعوا إلى حد كبير في صياغة مجموعة من الاختبارات والمقاييس العلمية التي تساعد على دراسة القيم.

4-القيم في المنظور السوسولوجي : لقد ظل

الاهتمام بالقيم من طرف علماء الاجتماع مهملًا ولمدة طويلة مقارنة مع ما كان يحدث في مختلف الفروع المعرفية الأخرى ، "ويفسر E.G.jundy هذا العزوف عن دراسة القيم بقوله : كان علماء الاجتماع حتى عهد قريب يعتقدون أن دراسة موضوع القيم من شأن الفلاسفة وحدهم ، ولذلك لم يعيروها أي اهتمام وتركوها للفلاسفة ..وواضح أننا مصابون بفوبيا اجتماعية من ناحية القيم ، سببها الأساسي اعتقادنا أن دراسة القيم لا يمكن أن تكون (علمية) بمعنى الكلمة"⁽³⁰⁾. وإذا ما تم تفحص مدارس علم الاجتماع المبكرة فإنه سيتم الوقوف على وجود اهتمام كبير لهذا المفهوم ، حتى وإن بدى في كثير من الأحيان ضمنيًا وليس صراحة ، ولقد اختلف علماء الاجتماع كثيرًا في تفسير طبيعة القيم وأسباب تغيرها وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى ، واختلافهم كان باختلاف الأسس التي تقوم عليها مدارسهم.

4-1: الاتجاه الماركسي: إن قراءة ماركس(1818-

1883) وأفكاره لا بد وأن تمر عبر قراءة أهم مقولاته وفي ضوء ذلك يتضح مفهوم القيم في فكر ماركس.

استفاد ماركس كثيرا من جدلية هيغل وقلبها إلى جدلية مادية تاريخية أساسها الوعي- الوجود ، فالمادة هي القاعدة الرئيسية لظهور الوعي والفكر وبالتالي القيم ، والوجود يعتبر الشيء الأولي الذي يسبق الوعي الذي يعتبر ثانويا مرتبطا بالوجود ذاته حيث لا وجود للوعي دون وجود الوجود ذاته ، واعتبر ماركس فعل الإنتاج الأساس الأول في تلبية حاجات الإنسان ولكنه لا يقتصر على الإنتاج المادي فحسب بل يشمل في معناه الجوانب المعرفية والفكر والوعي. وتقوم هذه النظرية على افتراض أن أي شكل من أشكال التنظيم الاقتصادي يحدد طبيعة المجتمع كله بمختلف تنظيماته السياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية وما شابه ذلك ، الأمر الذي يجعل من القيم ظاهرة اجتماعية تاريخية تتميز بالنسبية فهي ذات طبيعة ديناميكية تتشكل وتتطور بتطور النسق الاقتصادي وهذا لوجود تأثيرات تبادلية بين البناء

ولعل الفضل في الاهتمام بالقيمة يرجع إلى اثنين من علماء النفس هما: " ثurstone وما قدمه من تصور لمعالجة القيم في إطار المنهج العلمي مستندا في ذلك إلى مبادئ السيكوفيزيقا المعاصرة ، وشبرانجر الذي نشر خلال هذه الفترة نظريته في أنماط الشخصية والتي انتهى منها إلى أن الناس يتوزعون بين ستة أنماط استنادا إلى غلبة أو سيادة واحدة من القيم التالية عليهم: القيمة النظرية والقيمة السياسية والقيمة الاجتماعية والقيمة الاقتصادية والقيمة الجمالية

والقيمة الدينية ، تلك القيم التي صاغها ألبورت وفيرنون فيما بعد إجرائيا في مقياس سمي باسمهما"⁽²⁸⁾. ثم توالت بعد ذلك البحوث لدراسة القيم وخاصة ضمن مجال علم النفس الاجتماعي. وتركز اهتمام علماء النفس في دراستهم للقيم بوجه عام في ثلاث جوانب أساسية هي:⁽²⁹⁾

-الاهتمام بدراسة الفروق الفردية في القيم وذلك في ضوء علاقتها بعدد من المتغيرات ، كالجنس وسمات الشخصية والديانة والاهتمام الأكاديمي والمهني والتوافق النفسي...الخ.

- دراسة القيم في علاقتها بالقدرات المعرفية للفرد وذلك باعتبار أن القيم عملية تتأثر بادراك الفرد فهي في أساسها عملية انتقاء ، فاختيار الفرد لموضوع معين وإعطائه أهمية أو قيمة عن موضوع آخر عبارة عن عملية إدراكية انتقائية أو اختيارية.

- مجال اكتساب القيم وارتقاؤها عبر العمر والعوامل المؤثرة أو المرتبطة بذلك باعتباره من المجالات المهمة والتي تقدم لنا خريطة لمعالم هذه القيم وأبعادها مكوناتها وأشكال تغيرها عبر العمر.

وفي ضوء ماسبق ولما كان الفرد هو بؤرة الاهتمام لدى علم النفس فإن تركيزهم كان على دراسة قيم الفرد ومحدداتها سواء أكانت نفسية أو جسمية ،

وركزوا في دراساتهم أكثر على إدراك الفرد واتجاهاته للقيم ، الأمر الذي جعل مفهوم القيمة يتساوى في كثير من الأحيان بمصطلحات قريبة كالحاجة والدافع ، والسلوك وغيرها كثير ، فنظرتهم إلى القيم كانت غالبا ما ترتبط بالجوانب المشاعرية والعاطفية ، فهم يقصرون نظرتهم على

المطلقة لا يمكن أن توجد في مجتمع يتسم بالصراع بين طبقاته ولكن سوف توجد حتما بعد زوال هذا الصراع وإحلال الشيوعية محل الرأسمالية .

2-4: الاتجاه الوظيفي: يعد إميل دوركايم (1858-

1917) من أبرز علماء الاجتماع الذين اهتموا بالقيم وأولها أهمية كبيرة في المحافظة على النظام

الاجتماعي واستمرار فعاليته وأكد على دور نسق القيم في تحديد السلوك الاجتماعي، واهتم بالقيم حينها تناول فكرة "الضمير الجمعي" واعتبر هذا الضمير هو مصدر القيم، فالمجتمع أو الضمير الجمعي كما يعبر عنه هو المشرع الوحيد للقيم لأنه موحدها وحافظها، "وبعني هذا أن القيمة التي تتضمن الإلزام والقابلية للرغبة فيها والتي يجب أن يكون لها شيء من الموضوعية حتى يمكننا التطلع إليها لا يوجد لها مصدر إلا المجتمع، فالمجتمع حسب ما يتصوره هو الذي يفرضها وهو الذي نتطلع إليه عندما نتعلق بها إذ أنه ذات قيمة تعبر عن نفسها في الوعي الفردي من جهة، وموضوع قيمي يمنح الأفراد مثلا أعلى يطمحون إليه من جهة أخرى." (34) فالقيمة في رأيه لا تكون موضوعية وعامة إلا إذا اعتبرناها في ذاتها "قيمة جمعية" وهي لا تتصف بالاستقلالية لأن المجتمع الذي نعيش فيه هو الذي يجعلها تظهر لنا، وهي كبقية الظواهر الاجتماعية من صنع المجتمع ولها قوة القهر والإلزام على جميع الأفراد، ولهذا السبب نؤمن بالقيم التي يمنحها مجتمعنا وقد لا نؤمن بقيم مجتمع آخر، "وفي كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" عرف الدين على أنه "مجموعة متماسكة من العقائد والأعمال المتصلة بالعالم القدسي أو التي يظن مجيئها من قبل هذا العالم، وهي عقائد وأعمال تشترك في إتقانها ومزاوتها مجموعة من الأفراد يتكون منهم مجتمع خاص" (35) فنجد أن دوركايم في تحليله للدين وعلاقته بالمجتمع قد وضع تأكيدا أكثر على دور القيم باعتبارها مبادئ للتضامن العضوي، فاهتمام دوركايم بالدين يعد اهتماما بالجوانب الداخلية لأنساق القيم، ومنه فإن مصدر القيم بالنسبة للفرد هو المجتمع وثقافته فقيم الإنسان هي قيم مجتمعه ومن ثم تتجسد في سلوكاته بمعنى ترتد إلى المجتمع ثانية.

الفوقي والتحتي، ويشير ماركس أيضا إلى التشكيلات الاجتماعية الناتجة عن حصيلة علاقات (قوى الإنتاج-علاقات الإنتاج) وأنها تمثلت تاريخيا في عدة تشكيلات يمثل كل منها نمطا إنتاجيا مرحليا، الأمر الذي ينجم عنه ديناميكية القيم فكل أسلوب إنتاج يعكس بالضرورة أفكارا ووعيا خاصا فهي عبارة عن شكل معين للوعي الاجتماعي يعكس علاقات الناس، "فالقيم تعكس طبيعة الوجود الاجتماعي للأفراد والجماعات في مرحلة تاريخية محددة وداخل تكوين اقتصادي اجتماعي معين" (31). ولما كان أيضا من أهم أفكار ماركس الطبقة فإنه يقرر أنه في كل تشكيلة اجتماعية طبقة تسود اديولوجيتها وهذه الطبقة تسيطر على كل وسائل الإنتاج المادي والروحي، ولذلك فإن أفكار أولئك الذين لا يملكون وسائل الإنتاج تصبح خاضعة لها، "ولهذا فإن القيم التي يعيش الناس مهتدين بنورها ليست إلا آثارا لمصالح طبقة ما، وليست هي القيم التي يجب على الإنسان أن يتمسك بها حتى يكون إنسانا حقا" (32) وبهذا المعنى فإن فماركس يؤكد على طبقية القيم. هذا "وقد عرض ماركس نظريته الاقتصادية في القيمة في كتابه (رأس المال) في معرض تحليله للنظام الرأسمالي القائم على السلع، فالسلعة شيء له قيمة استعمالية والقيمة الاستعمالية هي أي شيء يشع حاجة إنسانية بمقتضى خواصه وصفاته، ومنفعة الشيء هي التي تعين قيمته الاستعمالية المحددة بالخواص المادية للسلعة" (33) ورسم بذلك ماركس صورة القيم في المجتمع الرأسمالي على أساس علاقات المنفعة فكل شيء يتحول إلى سلعة ليس فقط ما هو مادي بل حتى الناس وضمايرهم.

ومنه يتضح أن مفهوم القيمة احتل مكانة بارزة في الفكر الماركسي، وبالرغم من أن تحليل القيمة كان ذو طابع اقتصادي بحث في الكثير من أعماله كفائض القيمة، قيم الاستعمال، قيم التبادل ...، إلا أن هذا لا ينفي وجود القيمة بمفهومها الاجتماعي، فالقيم في التحليلات الماركسية وبالمفهوم الاجتماعي تقع ضمن البنية الفوقية للمجتمع مع الأخلاق والدين والفكر، وهي نتاج إنساني بل أكثر من ذلك هي نتاج للطبقة المستغلة التي تعطي لنفسها أحقية امتلاك الجميع، وهي قيم نسبية -النسبية الزمانية والمكانية- وهي دينامية ومتغيرة تتغير بتغير الأوضاع الاقتصادية، والقيم

✓ **الفعل الاجتماعي الوجداني:** ويظهر هذا النوع من الفعل خلال معرفة السلوك الوجداني العاطفي للأفراد في المجتمع.

✓ **الفعل العقلاني الموجه نحو قيمة مطلقة:** ويظهر هذا النوع من الأفعال الاجتماعية خلال ما تحدده مجموعة القيم والأخلاق السائدة في المجتمع الذي تظهر فيه هذه الأفعال بصورة أساسية.

✓ **الفعل العقلاني الموجه نحو هدف معين:** ويمكن فهم هذا النوع من الأفعال عن طريق تفسير الغاية والوسائل والنتائج النهائية التي يسعى إلى تحقيقها أصحاب هذه الأفعال.

وملخص ذلك أن مهمة علم الاجتماع عند فيبر تتركز في دراسة مجموعة من القيم الأساسية التي تحدد السلوك الاجتماعي خلال مراحل معينة من التطور الاجتماعي، كما يسعى هذا العلم إلى الفهم الموضوعي للقيم الاجتماعية وتقسيمها في ضوء السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي التي ظهرت فيه، ولاسيما أن هذه القيم لها مؤشرات سوسولوجية في عدد من الدراسات عن الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية وأنماط السلطة والعقلانية.

وعلى غرار ماكس فيبر فإن **تالكوت بارسونز** بدوره يعتبر من أبرز علماء الاجتماع الذين أفردوا مكانة هامة للقيم وذلك في نظريته حول **الفعل والنسق الاجتماعي**، وأدرك بأن الفعل الاجتماعي هو الموضوع الحقيقي لعلم الاجتماع بل ويؤكد على أن علم الاجتماع لابد وأن يدرس الأسباب التي تجعل من الفرد غير مندمج وغير متوازن، فالمحور الأساسي للمجتمع يميل لتحقيق التوازن أو المحافظة على الاتزان وأكد على أن القيم والمعايير هي الموجهة للفعل الاجتماعي، وهي التي تثبت الأهداف وتوجه السلوك واعتبرها ظاهرة أو نمطا ثقافيا شاملا، "وأدرك بارسونز بشكل بديهي أن الفعل الاجتماعي ينطوي على توجيه قيمي، ويعني ذلك أن السلوك الإنساني يجري بوحى من نسق قيمي ينظمه ويحدد جوانب فعالياته المختلفة"⁽³⁸⁾ ومن خلال هذا الطرح فإن بارسونز أعطى للقيم معنى اجتماعيا وذلك حينما أشار إليها على أنها من مكونات النسق، والقيم تؤدي وظيفة هامة جدا في المحافظة على استمرار البناء الاجتماعي فهي تصفي قدرا من

وفي كتابه عن "تقسيم العمل في المجتمع" تناول بالدراسة والتحليل التغيرات التي تحدث في المجتمع نتيجة للتكنولوجيات وكيف يؤثر ذلك في نسق القيم والنظام الأخلاقي، ويقرر أن تقسيم العمل يصور التضامن الاجتماعي وهو على نوعان: التضامن الآلي والتضامن العضوي، ففي مجتمع التضامن الآلي نجد أن الاتفاق القيمي أو العاطفي هو الذي يعمل على استمرار النسق ويحفظ تماسك المجتمع، أما فيما يخص مجتمع التضامن العضوي تظهر أزمة المجتمع الصناعي والمتمثلة أساسا في الأزمة الأخلاقية بسبب فقدان المعايير **الانومي**، "والتميز المهم في نظره الذي يقمه بين التضامن الآلي والتضامن العضوي يرد إلى تصورين لما يعتبر شرعيا في هذين النمطين من المجتمعات الشديدة التناقض، من جهة امتصاص الفرد في الوحدة الجماعية، ومن جهة أخرى اعتبار المجتمع محصلة الجهود الفردية المنسقة والمراقبة، وتأمين الوحدة الاجتماعية بالنسبة لـ دوركايم كما بالنسبة لفيبر بواسطة القيم المترسخة في الأفراد وفي النهاية موزعة بينهم ومنتشرة من قبلهم، هذه القيم الموصوفة غالبا بأنها أخيرة ونهائية"⁽³⁶⁾.

أما **ماكس فيبر** (1864-1920) فإنه يعتبر الموضوع الرئيسي الذي تتمحور حوله الدراسات السوسولوجية هو **الفعل الاجتماعي**، وعلم الاجتماع عند فيبر هو العلم الذي يحاول أن يدرس الفهم التأويلي للفعل الاجتماعي من أجل الوصول إلى تفسير علمي لمجره وأثاره، والفعل الاجتماعي هو سلوك يقوم به الفاعل داخل نظام اجتماعي محدد، ويسعى الفاعل لإضفاء معنى ذاتي على الفعل مراعيًا سلوك الآخرين وموجهًا بموجهات قيمة يتحدد من خلالها ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه اجتماعيا، فالقيم هي الموجهات التي تقرض نمط أو شكل السلوك، وحدد نظريته في الفعل الاجتماعي باعتباره فعلا تتباين فيه مستوى عقلانية الفرد، ومن هذا المنطلق سعى فيبر للتمييز بين أنماط أربعة من الفعل الاجتماعي هي:⁽³⁷⁾

✓ **الفعل الاجتماعي التقليدي:** ويظهر هذا النوع من الفعل الاجتماعي من خلال ما تحدده العادات والتقاليد والأهداف.

خلال قراءة بعض أفكار روادها ، حيث تدور معالجتهم للقيم حول موضوعين رئيسيين هما:

- القيم والتعريفات الذاتية للواقع
- دور القيم في خلق التواصل بين الذات و العالم ، أو دور هذه الذات وارتقاؤها ونموها ،

حيث أكد "جورج هيربرت ميد" G.H.Mid الذي طور النزعة السلوكية: على أن العقل أو الوعي الجماعي لا يتحقق إلا من عملية يتم من خلالها تكيف الفرد (الذات) مع البيئة المحيطة به ، فالتفاعل بين الأفراد يؤدي إلى أن يؤثر كل منهم في الآخرين ، وبالتالي فإن أنصار هذا الاتجاه يحاولون توضيح القيم من خلال ما يقوم به الأعضاء والجماعات الاجتماعية من أفعال يقرها المجتمع ، ولا تخرج عن الإطار العام لبنائه الاجتماعي ، ومن ثم فالمصدر المباشر للقيم هو الجماعة الاجتماعية (بناءها الاجتماعي والثقافي).⁽⁴⁰⁾

4.4: اتجاه الخصوصية الثقافية والتاريخية: أصحاب

هذا الاتجاه يدرسون الظواهر الاجتماعية بالعودة إلى سياقها التاريخي والثقافي ، فهم يعتبرونها سلسلة من الأحداث لا يمكن فهمها إذا ما تم فصلها عن إطارها المرجعي-التاريخي والثقافي - ولما كانت القيم جزء من هذا الكل فهي بذلك نتاج الظروف الثقافية والسيروية التاريخية.

الاتجاه التاريخي: يعد "كارل مانهايم" من أبرز علماء

الاجتماع الذين أكدوا على الأخذ بالسياق السوسيو تاريخي في تناول الظواهر الاجتماعية ، "ورفض الاتجاهات القائمة في علم الاجتماع ووقف موقفا نقديا من علم الاجتماع الماركسي ومن فكرة العقل الجمعي الدوركايمية ، حيث أن مانهايم رفض الزعم بأن وضعية الطبقة هي القرار الحاسم في تغيير القيم والفكر ، كما رفض فكرة أن عقلا ميتافيزيقيا خالص يحلق بعيدا فوق عقول الأفراد يستوحي عنه هؤلاء أفكارهم ومشاعرهم ، ورأى أن حركة التاريخ وحدها هي مبعث الفكر وأن الحدس التاريخي في سعيه الحتمي والدائم هو مصدر القيم ، ومعنى ذلك أن أنماط الفكر وأساليبه لا يمكن فهمها إلا في ضوء الأصول الاجتماعية والمصادر التاريخية."⁽⁴¹⁾ وقد نحى ماكس تشيللر المنحى ذاته و أكد أنه عند تحليل القيم لا بد من الرجوع إلى السياق التاريخي الذي ظهرت فيه .

النظام والمعنى على سلوك الفرد ومن ثم تكبح الفوضى في المجتمع ، والأفعال الفردية تستطيع أن تكون في توافق فيما بينها لأن الفاعلين الاجتماعيين يتصرفون من خلال معايير وقيم المجتمع ،

وعليه فبارسونز يرى الحياة الاجتماعية من خلال أفكار البشر ، خاصة من خلال معاييرهم وقيمهم ، فالمعايير هي تلك القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم ، أما القيم فأفضل وصف لها هو أنها ما يعتقدده البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة ، وهي أيضا تأثير في تحديد أفعال البشر ، وأهم العمليات الاجتماعية عند بارسونز هي عملية توصيل المعاني ، أي توصيل الرموز والمعلومات .

أما وليام أوجبرن فقد أكد أن " التغير في التكنولوجيا والاختراعات في البيئة المادية لا بد أن يصاحبها تغير في القيم والعادات الاجتماعية ، حتى يحدث التكيف بين الفرد والتطورات السريعة التي تصيب المجتمع ، وهو بذلك يرى بأن تغير المجتمع يكون بناء على بعض الجوانب الاقتصادية المتمثلة في الأساليب التكنولوجية السائدة ، كما يؤكد أوجبرن على أنه غالبا ما يكون هناك تفاوت شاسع بين الثقافة المادية والثقافة المعنوية ، فالتخلف الثقافي يصيب دائما القيم والأنظمة الاجتماعية والتي تتغير بدرجة أقل من الثقافة المادية مما يؤدي إلى صراع القيم وبناء عليه تبرز المشكلات الاجتماعية"⁽³⁹⁾ .ومنه وحسب نظرية التخلف الثقافي لاوجبرن نلاحظ أن التغيرات المادية أسرع في تراكمها من المتغيرات اللامادية وأن المتغيرات المادية تصبح علة في تغيير الثقافة اللامادية ، الأمر الذي ينجم عنه نوع من الصراع بين القيم التقليدية والقيم الجديدة ، حيث أن النموذج الثقافي القديم لا يستوعب فكرة الجديد ببساطة ، مما ينتج عنه ما سماه بالهوية الثقافية ، وهي الفترة الزمنية التي تقع بين المرحلة الأولى التي يتم فيها التقدم التكنولوجي والى أن ينتقل إلى المرحلة الثانية التي يتم فيها التغير الاجتماعي ، هذه المرحلة التي يظهر فيها نوع من الصراع بين الجديد

والقديم يستتبعه تعديلات وتغييرات تمس العادات والتقاليد والقيم القديمة .

3-4:- اتجاه التفاعلية الرمزية: "لم تفرد التفاعلية

الرمزية مبحثا خاصا للقيم ولكن يمكن اكتشاف إسهامها من

فيعتقد ماركيز أن هذا التشيؤ يتم عن طريق "عمليات التنشئة الاجتماعية والإعلامية التي تقوم بها مؤسسات التربية والتعليم ووسائل الاتصال والإعلام، تلك المؤسسات الرأسمالية سواء أكانت تربية أو إعلامية أو اقتصادية أو أدبية لم تترك للإنسان أدنى أنواع من حرية التفكير وتبني وجهات نظر معارضة للنظام الرأسمالي"⁽⁴⁴⁾

4-6: الوظيفة المحدثة: ذهب لنديج إلى أن القيم لا

تنتمي لمجال البحث السوسيولوجي، "فمن أجل إقامة علم اجتماع أكثر موضوعية ذهب إلى أن عالم الاجتماع يجب عليه أن يعالج الظواهر الاجتماعية بنفس مصطلحات العلوم الطبيعية والموضوعية، ولا بد أن يضعوا نتائجهم في مقاييس كمية على الأقل فرضيا إن لم يكن واقعا، وذهب إلى أن ألفاظ مثل الإرادة، الغايات، الدوافع، القيم، الواقع المطلق، والجوهر هي فروض غير قابلة للتحقيق ولا يمكن التوصل لفهمها بواسطة المناهج المقبولة والمعترف بها من العلم ومن ثم فهذه الألفاظ تقع خارج نطاق علم الاجتماع، وعلى ذلك فإن المفاهيم في علم الاجتماع يجب أن تبني إجرائيا حتى يصل كل الملاحظين إلى نفس التحليل والتنبؤ. محمد بيومي"⁽⁴⁵⁾

"أما ادلر فيرى أن مفهوم القيمة خلق بواسطة علماء الاجتماع التفسيريين لإرضاء في أو أدبي أي لتفسير وفهم معنى الفعل الاجتماعي، أما علم الاجتماع العقلي فإنه يرى أن هدفه هو التنبؤ ولهذا ليس له حاجة حقيقية إلى مفهوم القيمة، ومفهوم القيمة في رأي ادلر استخدم في علم الاجتماع بطرق مختلفة ومشوهة، فالقيم المطلقة هي في غير متناول العلم، أما القيم المتمثلة في موضوعات فإنه لا يمكن اكتشافها منفصلة عن السلوك الإنساني المتصل بالأشياء، كذلك فالحالات العقلية أو الداخلية لا يمكن أن تلاحظ بعيدا عن الفعل، وهكذا يصل ادلر إلى القيمة."⁽⁴⁶⁾

رابعاً: خصائص القيم: تمتاز القيم بمجموعة من الخصائص يمكن إجمالها في النقاط التالية:

➤ إنسانية: كونها ترتبط بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية.

الاتجاه الثقافي: على اعتبار أن القيم منتجات ثقافية

تنبع من الواقع الاجتماعي وتؤثر في شخصية ممثليها، وعلى اعتبار أن الثقافات متميزة كان لا بد للقيم أيضاً أن تميز، وهو المدخل الذي اتخذ أصحاب هذا الاتجاه حيث أكدوا على ضرورة الأخذ بالبعد الثقافي في تفسير وتحليل القيم، "من أبرز أصحاب هذا الاتجاه "بيترين سوروكين" P. Sorokin والذي يقول: أن القيم كامنة في قاعدة كل النظم الاجتماعية والاتجاهات، ولذلك فإن علم الاجتماع يجب أن تكون مهمته الأساسية هي دراسة القيم، إن فهمنا للقيم أو نسق "المعاني-المعايير-القيم" يقوم على أساس فهمنا للثقافة، وعلم الاجتماع يجب أن يهتم بالقيم الثقافية على أنها محددات في أي تحليل للحياة الاجتماعية، أكثر من ذلك فإن موضوعات مثل الجماعات، الطبقات الأدوار، الترتيب، الفعل الاجتماعي، يكون لها أهمية عندما تستخدم أو تفسر على أنها متغيرات في أنساق "المعاني-المعايير-القيم"⁽⁴²⁾.

4-5: النظرية النقدية: بالرغم من أن هذه النظرية

ليست نظرية في القيم بقدر ماهي نظرية في المجتمع، تركز على دراسة العلاقة بين الفرد والجماعة أو المجتمع، في إطار ثلاث مفاهيم أساسية هي الثقافة والحضارة والتقدم التكنولوجي، غير أنه يمكن أن نستشف منها اهتماما بالقيم، حين نقدها للأسس التي يقوم عليها المجتمع الرأسمالي، وأكد روادها على تشيؤ نسق القيم بمعنى طغيان القيم المادية على القيم المعنوية، وهو ما ذهب إليه أدورنو حين أكد أن العقل الذي حرر الإنسان من الخرافة ما لبث أن كبله من خلال الانجازات الحضارية، وفي نفس السياق يرى ماركيز أن "المجتمع الرأسمالي الغربي بالرغم من تقدمه الفني والتكنولوجي، إلا أنه لم يستطع أن يوظف هذا النظام في ضمان حرية الإنسان بل سلبه حريته، والسبب يرجع إلى أن النظام الرأسمالي ذاته يحرص على ذلك، ويفرس فيه الكثير من السمات الشخصية التي تؤهل الإنسان وسلوكه وتجعله في طاعة مستمرة"⁽⁴³⁾ معنى ذلك أن الثقافة الجديدة تستخدم التكنولوجيا للسيطرة على الإنسان، وتجعله غير قادر على إدراك ذاته إلا من خلال الماديات التي يقتنيها، وهكذا يؤدي التشيؤ إلى بروز القيم المادية، وأكدت المدرسة النقدية على الدور الذي تلعبه مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تشيؤ القيم

خلال القيم العامة التي يشترك فيها أعضاء الجماعة، والمجتمع يلزم أفرادها بعدد من القيم الاجتماعية على حسب أهميتها وترتيبها في السلم القيمي الخاص به.

➤ **الترتيب الهرمي:** وهو ما يعرف أيضا "بتدرج القيم" أو "سلم القيم" يعني أن للقيم درجات مختلفة من التأثير فهي ليست متساوية في الأهمية، ذلك أن القيم ليست كلها في مستوى واحد، بل هناك قيم أساسية أو رئيسية تفرع عنها قيم أخرى أدنى منها، إلا أن هذا الترتيب لا يظل ثابتا وإنما يتغير بفعل التجارب والمواقف التي يمر بها الفرد.

➤ **كثرة القيم ووحدها:** وعلى الرغم من تنوع وتعدد القيم وكذا كثرتها فإن هناك انسجاما واتحادا بينها لا ينفصل، وهذا ما ينجم عنه ما يسمى **بنسق القيم** فالقيم تندمج في منظومة متكاملة.

➤ **"تدخل القيم في كل من الأنساق الكبرى الأربعة للفاعل الإنساني وهي: الكائن، الشخصية، المجتمع والثقافة، والحق أن بارسونز هو صاحب الفضل في التأكيد على أن القيم بمثابة متغيرات في انساق الشخصية والمجتمع والثقافة أيضا."** (51)

➤ **الشحنة الانفعالية:** ومعناه أن القيم تعود إلى الجانب الانفعالي لا إلى الجانب العقلي في الإنسان، أما أبسطها فلا يعدو أن يكون تعبيرات عن رغبات طبيعية، في حين الدقيقة منها عبارة عن متصلات سامية ومهذبة، وأرفعها جميعا الروحية التي تصدر عن الإنسان" (52)

خامسا: وظائف القيم: تعمل القيم على أداء جملة من المهام والوظائف يمكن إجمالها فيما يلي:

➤ **تقوم القيم بدور فعال في بناء الشخصية الفردية** وتحديد أهدافها، ذلك أنها تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم بمعنى أنها تحدد شكل الاستجابات.

➤ **تعمل القيم كمعايير توجه أفعال وأقوال وسلوكيات الفرد داخل الجماعة، كما أنها تساعد على ضبط غرائزه وشهوته حتى لا تتغلب على عقله، لأنها تربط التصرفات التي يقوم بها بمعايير وأحكام ترشده وتضبط سلوكه.**

➤ **ذاتية:** والمقصود بذاتية القيم أنها تتعلق بالطبيعة النفسية للفرد وتشمل الرغبات والميول والعواطف... الخ.

➤ **مكتسبة:** كونها يتم اكتسابها وتعلمها من البيئة المحيطة بالفرد من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

➤ **خاصية الاجتماعية والعمومية:** "يمكن النظر إلى القيم على أنها ظاهرة اجتماعية وتؤدي إلى تحقيق وظائف معينة في المجتمع، كما أن للقيم معرفة مصبوغة بصبغة العمومي فهي عامة تشمل فئات كثيرة من المجتمع." (47)

➤ **الوجوبية والإلزامية:** فهي تكتسب في ضوء معايير المجتمع وكذا الإطار الحضاري الذي ينتمي إليه الفرد، وهي ملزمة للأفراد وتعتبر ضابطة للمجتمع.

➤ **مثالية:** أي أنها معنوية وغير محسوسة.

➤ **معيارية:** "بمعنى أن القيم تعتبر بمثابة معيارا لإصدار الأحكام، تقيس وتقيم وتفسر وتعلل من خلالها السلوك الإنساني." (48)

➤ **تمتلك صفة الضدية - الجدلية بحكم أن لكل قيمة قطبين أحدهما إيجابي والآخر سلبي.**

➤ **الثبات النسبي:** "إن القيم من موجبات السلوك

الكبرى، فلو لم تكن تتصف بالثبات ولو كانت تتغير من حين لحين لاختلطت على الناس معاني الخير والشر والحلال والحرام." (49) فهي تمتاز بالثبات النسبي وذلك نتيجة لتكوينها البطيء والتدريجي في الوجدان حتى يتسنى اكتسابها، وبذلك فهي تقاوم التغيرات المفاجئة.

➤ **متغيرة:** بمعنى أنها ليست ثابتة تماما، فهي متغيرة بسبب الحراك الاجتماعي والتفاعل المستمر بين الفرد والبيئة،

➤ **"القيم تحميها نظم المجتمع ومنظوماته: يقول بهذا الصدد جوزيف فيشر "لا يستطيع الإنسان أن ينسجم مع الجماعة، ولا الأفراد أن يتوافقوا**

ويتألفوا معا ما لم يكن بينهم اتفاق عام على قيم اجتماعية مشتركة، ومن شأن هذا الاتفاق أن يولد ضغطا على سلوك الأفراد حتى يتلاءموا ويتكيفوا" (50)

➤ **تعتبر القيم أحد مفاصل الضبط الاجتماعي: وفي الواقع إن التضامن والتماسك الاجتماعي يحدد ويعرف من**

والإرادي بين البدائل المختلفة.

2-المكون الوجداني: ويشمل الشحنة الانفعالية

والمشاعر الوجدانية والأحاسيس الداخلية التي يكونها الفرد نحو قيمة معينة، "فهو نوع من الانفعال لموضوع القيمة بالميل إليها أو النفور منها، وما يصاحب ذلك من سرور وألم وما يعبر عنه من حب وكره أو استحسان أو استهجان، وكل ما يثير المشاعر الوجدانية والانفعالات التي توجد لدى الشخص نحو موضوع القيمة"⁽⁵³⁾ وتكون شدتها حسب قوة القيمة.

3-المكون السلوكي: في هذه المرحلة تترجم القيمة

إلى سلوك ظاهري فبعد أن تم تكوينها معرفيا ووجدانيا يتم ممارستها وتكرارها في الحياة اليومية.

سابعاً: مصادر القيم : لا تخرج القيم الاجتماعية عن

القاعدة القائلة أن لجميع الظواهر سواء أكانت طبيعية أو إنسانية- أصلاً ومصدراً تنبعث منه، غير أن مصدر القيم الاجتماعية كان ولا يزال محل نقاش بين العلماء والباحثين والمهتمين بمسألة القيم على اختلاف تخصصاتهم، وظلت ثنائية -القيم -المصدر- من المسائل الشائكة والمعقدة، والتي عادة ما تطرح ولا تجد لها اتفاقاً، ذلك أن مفهوم القيمة وكما سبق الإشارة إليه سابقاً يقع في أرض مشتركة بين عدة علوم، ومن ثمة فإن الخلاف سيكون أكيدا باختلاف تخصص العلماء، وهذا يعني تنوعاً في المصادر وعدم الاتفاق على مجموعة واحدة، وجدير بالذكر أنه في سياق الحديث عن التأصيل النظري للقيمة سواء سوسولوجياً أو نفسياً أو فلسفياً أو من خلال الطرح الإسلامي تمت الإشارة إلى هذه المواقف ضمنياً في أفكار واتجاهات روادها، وفي هذا خرجت هذه الورقة بوجود أربع آراء حول مصدر القيم وهي :

• الرأي الأول: أصحاب هذا الرأي يرون أن مصدر

القيم هو المجتمع، لأنه المشرع الوحيد للقيم، وهو الذي يمنح الأشياء قيمتها لأنه موجدتها

وحافظها وهو الحارس الأمين لكل خبراتنا وفضائلنا

لما له من قوة القهر، فالقيم عملية اجتماعية خارجة عن ذوات الأفراد وصادرة عن المجتمع والإرادة الجمعية التي تعلق على الأفراد وذواتهم، ويستتبع هذا الرأي أن الثقافة مصدراً أساسياً للقيم على اعتبار أن هذه الأخيرة مكون رئيسي لها، ولأن

تساعد الفرد على التوافق والتكيف مع الجماعة،

كما تساعده على التكيف مع مختلف التغيرات والمستجدات.

لما كانت القيم من أهم مرتكزاتها الاختيار بين

البدائل المختلفة فهي بذلك قادرة على مساعدة الفرد على اتخاذ القرارات في المواقف التي قد تواجهه.

تعمل القيم على ضبط المجتمع وتنظيمه،

والمحافظة على هوية المجتمع وكذا المحافظة على أصالته، فلكل مجتمع هويته المميزة والتي تعمل القيم على الحفاظ عليها.

تشكل إطاراً عاماً للجماعة ونمطاً من أنماط الرقابة

الداخلية، إن القيم الاجتماعية تساعد على وصف وتحديد نوع الثواب والعقاب للأفراد والجماعة في إطار علاقاتهم الاجتماعية وسلوكهم، وهي تتمتع بالقوة خاصة في هذا الصدد مما يحفظ الحقوق والواجبات في المجتمع وتجعله يلتزم بها.

الوصول إلى التكامل أو التضامن في المجتمع،

من خلال نسق القيمة العامة التي تعطي شرعية لمصالح الأهداف الجمعية.

تساعد المجتمع على مجابهة التحديات والتغيرات

التي تطرأ عليها، فالتمسك بالقيم الاجتماعية يعتبر الحل الأمثل لمواجهة هذه التغيرات التي عادة تكون خارجية، كما تساهم في نقل التراث الثقافي عبر الأجيال.

تضمن تماسك المجتمع حيث تعتبر القيم

بالنسبة لحاملها عاملاً مهماً وفعالاً لتماسكهم، فالقيم والعادات الاجتماعية يمكن النظر إليها كقيود أو ضوابط تنظم وتكبت الميول والدوافع الأنانية أو العدوانية.

سادساً: مكونات القيم:

يؤكد الباحثون والمختصون في مجال القيم أن القيمة

تتشكل عبر مراحل ثلاث لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، لأنها تندمج وتتداخل لتعبر في النهاية عن وحدة الإنسان وهي:

1-المكون المعرفي: وهو متعلق بالجانب الذهني

لل فرد، ويحوي المعارف والمعلومات التي يكونها الفرد حول موضوع معين فتتمثل معتقداته

وتصرفاته وتوقعاته وأحكامه بمعنى أن الفرد يدرك

موضوع القيمة، فتعرف البدائل الممكنة وينظر في عواقب كل بديل وفيه يتم الاختيار الحر

تحمل العديد من المعضلات ذلك أنهم يتعاملون معها تارة على أساس أنها ظاهرة اجتماعية وتارة على أساس أنها ظاهرة ثقافية وكثيرا من تعريفاتهم تفادت الإشارة إلى الرب أو كل ما هو مقدس ، ومهما كانت طبيعة الدين ومهما كانت اتجاهاته فإنه يقوم بوظائف أساسية للفرد وللمجتمع ، أهمها التضامن والتماسك والتلاحم القوي بين المعتنقين لدين واحد ، فعلى اعتبار أنهم يتبنون فكرة واحدة تسمى العقيدة يجتمعون حولها ويحاولون فرضها وتجسيدها لإيمانهم الراسخ بنجاحاتها ، وتعد هذه الوظيفة ذات أثر عميق في تماسك أجزاء الجماعة ، والحقيقة أن هناك اتصالا ملحوظا وقويا بين الدين والقيم ، فالدين له تأثيره البالغ في نسق القيمة ، وانطلاقا من هذا المقترح والذي يرى أصحابه بأن الدين هو المصدر الأساسي للقيم التي يحتاجها المجتمع من أجل تماسكه ، يمكن أن ندرج عددا من الباحثين الذين يحسبون على هذا المقترح.

يعد عالم الاجتماع ماكس فيبر أحد أهم أصحاب هذا الاتجاه وأرجع فيبر تطور الرأسمالية في البلدان الغربية إلى بعض القيم البروتستانتية ، واهتم

بإثبات أن كل نسق قيمي للأخلاق مستمد من مصادر دينية وليس من اعتبارات اقتصادية أو اجتماعية أو سيكولوجية ، ولكنه لم يرفض هذه العوامل بل ركز فقط وأكد على أن القيم الدينية تمارس نوعا من التأثير المستقل على مجرى التغيير الاجتماعي ، وسعى فيبر إلى البرهنة على أن الرأسمالية نظام اجتماعي واقتصادي وهي في مجملها نتاجا طبيعيا للدين البروتستانتية وما يقوم عليه من مبادئ وقيم ومعتقدات ، وفي دراسته -الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية- أكد أن "كلا من الأخلاق الكالفينية وروح البروتستانتية توجه الحياة اليومية العادية ، لاسيما نحو الأنشطة الاقتصادية المنتجة مثال ذلك الادخار ، والاستثمار ، والعمل ، والإنتاج ، واحترام المهن وقديستها ، كما تنظم مجموعة من الواجبات والحقوق والسلوك الاقتصادي وتندرج من عواقب الكسل والخمول والالتكالية ، كما تحجب الفرد في تنمية علاقاته مع جماعات العمل عن طريق قيم علمية ودينية في نفس الوقت ولاسيما قيم الأمانة ، والصدق وضرورة اكتساب الخبرة"⁽⁵⁴⁾. كما حرص كل الحرص على أن يوضح

الثقافة تقدم قيما شاملة وعامة لجميع أفراد المجتمع مما يضمن تماسكه ووحدته كما تتبثق عنها قيم خاصة بكل مجتمع.

• **الرأي الثاني:** أصحاب هذا الرأي يردون أصل القيم إلى الفرد ، بل ويؤكدون أن الوعي والوجدان النفسي للإنسان وبما يحويه من رغبات ومشاعر

هو أصل القيمة ، وبهذا الطرح لا تكون القيمة صفة خاصة بالموضوعات بل بما ترتضيه رغبة النفس وبما تثير انفعالاتها أو تجسد دوافعها.

• **الرأي الثالث:** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن أصل القيم يعود أساسا إلى طبيعة الأشياء ذاتها ، والإنسان يكشف هذه القيم ويهتدي إليها بعقله ،

وعليه فلها وجود مستقل عن أي شيء خارج عنها ، فهي تتمتع بالاستقلال الذي يتصف به الشيء.

• **الرأي الرابع:** أصحاب هذا الرأي يرجعون مصدر القيم إلى قوى خارجة عن الإنسان وعن عقله وعن المجتمع ككل ، فالقيم لا تخلق نفسها ولا

يخلقها لا الفرد ولا المجتمع بل الله خالقها ، وأصحاب هذا الاتجاه يصنفون ضمن من يعتقدون بالدين المنزل من الإله هو مصدر القيم.

وتبعا لكل ماسبق يتضح صعوبة الاتفاق على مصدر واحد من مصادر القيم ، ولعل الفعل القيمي يؤخذ قياسا على أهمية إحدى المصادر السالفة الذكر المسيطرة على المجتمع والمهتنة من طرف أفرادها. وارتأت الدراسة أن تركز على مصدرين اثنين دون غيرهما يعتقد أنهما الأولى بالتحليل وهما :

1- الدين كمصدر للقيم: يعتبر الدين ظاهرة اجتماعية عالمية لازمت الإنسانية منذ ظهورها ، فلم يخل منه مجتمع من المجتمعات وجميعها قامت

على أسس دينية ، وكثيرا ما انشغل علماء الاجتماع والانثروبولوجيا بمفهوم الدين واعتبروه ظاهرة اجتماعية وثقافية ، وإن دراسة علماء الغرب للدين

والقيم ، ويعتقد محمد أحمد بيومي أن الإسلام أكثر من أي دين آخر يعد المظلة للنظام الاجتماعي.

كما ويتضح من خلال القراءة المتعمقة لنظرية المفكر الجزائري (عبد الرحمان عزي) عن الإعلام والقيم ، أنه يمكن أن تدرج ضمن هذا المقترح أيضا ذلك أنه يعتقد " بأن القيمة تؤسس الإنسان ولا يكون هذا الأخير مصدر القيمة بل أداة لها (أي تتجسد فيه القيمة) ومصدر القيم هو الدين"⁽⁵⁷⁾ وعلى ذلك يؤكد عبد الرحمان عزي كسابقيه من أن مصدر القيم في الأساس هو الدين وهو عالم "المجرد" وأن الإنسان لا يخلق القيم بل يتجسدها فقط ،

وبذلك تنعكس هذه القيم على أفعاله وسلوكياته وهو عالم "المجسد".

وعلى ضوء التحليلات السابقة أي على اعتبار أن الدين هو مصدر القيم يتضح جليا بروز طرح جديد يتمثل أساسا في أن مثل هذا الطرح يتعارض والتصنيفات التي تم طرحها خصوصا التصنيف الشهير لـ Spranger الذي صنف فيه القيم إلى ستة تصنيفات ، ومن ثم تصبح عناصر التصنيف السابق أبعاد للقيم وليست قيما في حد ذاتها ، وتظهر جليا "إلزامية القيم" ذلك أنها تحمل صفة "القدسية" ومن ثمة فإن المجتمع يسعى إلى تنفيذها بقوة وحزم سواء عن طريق العرف أو القانون أو كلاهما معا ، وتصبح بذلك عنصر ضبط في المجتمع تحفظ تماسكه ، ويمكن الحديث أيضا عن القيم ذات الطابع التفضيلي وهي القيم التي يشجع الإسلام الأفراد على الاقتداء بها والسير تبعاً لها وهي ليست منفصلة عن سابقتها بل تتكامل معا .

وعلى هذا الأساس تعد القيم وفقا لهذا المقترح هي حكم يصدره الإنسان على شيء معين مهتديا بمجموعة من المعايير ، والمبادئ والمعتقدات التي أقرها الدين ، وهي موجبات للسلوك تمتاز بالقوة والتأثير ، وأهم من ذلك تمتاز بالثبات ذلك أن مصدرها الإله ، ولعل أهم ميزة أيضا في مثل هذه القيم هي العمومية فهي لا تخص فردا بعينه بل تخص جموع الناس ، فتسعى المجتمعات إلى تعزيزها ، ومن هذه الزاوية فإن القيم تربط الأفراد والجماعات فيما بينهم وتخلق فيهم التماسك والانسجام الاجتماعيين في وحدة متكاملة ، الأمر الذي ينعكس بوضوح على البناء الاجتماعي.

العلاقة القوية بين الدين المسيحي ولا سيما المذهب البروتستانتي وما يتصف به من قيم مشجعة على العمل في تشكيل الرأسمالية التي ظهرت في أوروبا الغربية .

كما عبر عن هذا المقترح أيضا كل من "K.Davis و W.Moore بقولهما: لعل سبب ضرورة الدين واضحا في حقيقة أن المجتمع الإنساني تتحقق وحدته من أن هذه القيم المطلقة والغايات ذاتية ، إلا أنها تؤثر في السلوك وتكاملها يساعد المجتمع على الاستمرار كنسق ، فعن طريق الاعتقاد والشعائر تتصل الغايات العامة والقيم بعالم تخيلي يرمز إليه بالموضوعات المقدسة الثابتة ، ومن خلال الدين يمكن ممارسة نوع قوي من الضبط على السلوك الإنساني والذي يوجه في نفس الاتجاهات المدعمة للبناء النظامي"⁽⁵⁵⁾ وبذلك فالباحثان أكدوا على الأهمية البالغة للدين في تحقيق الوحدة الاجتماعية ، فالدين كنظام للمعتقدات والممارسات السلوكية يرسخ حالات وجدانية ودوافع قوية لتغليب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية لكل من اعتنق وتبنى قيمه ، الأمر الذي يخفف من حدة الصراع في المجتمع ويحقق وحدته كنسق عام.

وفي السياق ذاته يرى (يرى محمد احمد بيومي) أن هناك علاقة قوية بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعي ، فيقول "إذا أخذنا الدين الإسلامي كمثال توضيحي للعلاقة بين الدين والقيم من ناحية ، والعلاقة بين الدين والتغير من ناحية أخرى ، فإنه يمكننا القول بأنه تحت النظام الإسلامي تمارس القيم الدينية تأثيرا عظيما على أنساق القيم الأخرى ، فالقيم السياسية يجب أن تؤسس على القيم الدينية ، والحرب لها جزء ديني وتعتبر واجبا دينيا والنظم التعليمية يجب أن تعكس القيم الدينية الإسلامية ، والفنون والآداب ليسوا إلا انعكاسات للقيم الدينية ، والحياة الأسرية محكومة بالشريعة والأخلاق ولها أساس مستمد من الأخلاق الإسلامية الخاصة بالشخص والمجتمع ، كذلك يتطلب الإسلام أن يكون المسلمون متفوقون في نشاطهم الاقتصادي ، ولهذا نقول أن الإسلام يقدم المقاييس للقيم التي يمكن من خلالها اختيار المعايير النظامية وبناء على ذلك فإن كل أنشطة الإنسان سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي من المتوقع أن تعكس القيم الإسلامية"⁽⁵⁶⁾ من خلال ماسبق تتضح العلاقة القوية بين الدين

ترتبط البناء الاجتماعي بالشخصية، فالقيم والأدوار عناصر اجتماعية تنظم العلاقات داخل البناء وتؤكد هذه العناصر علاقة التداخل والتفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعي.⁽⁵⁹⁾ والأسرة هي أساس وجود المجتمع وهي المصدر الرئيسي للأخلاق ولضبط السلوك، فهي الإطار الذي يتلقى فيه الفرد أولى دروس الحياة الاجتماعية، ففيها يتم تحويل الفرد من كائن فطري بيولوجي إلى كائن اجتماعي، فلا يقتصر دور الأسرة إذن على الوظيفة البيولوجية فحسب بل يمتد ليشمل الجانب الاجتماعي، "ويؤكد" رينيه كونينغ "على أهمية وظيفة التنشئة الاجتماعية في الأسرة فيقول: إن الميلاد البيولوجي للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجوده واستمراره، بل إنما العامل الحاسم هو الميلاد الثاني أي تكونه من شخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلى مجتمع بعينه، وتدين بثقافة بذاتها، والأسرة هي صاحبة الفضل في تحقيق هذا الميلاد الثاني ولا توجد أي مؤسسة اجتماعية أخرى يمكن أن تؤدي هذه الوظيفة بمثل هذه الكفاءة"⁽⁶⁰⁾.

ولما كانت الأسرة هي وعاء للتراث القومي والحضاري والثقافي فإنها تسهم في حفظ ونقل ثقافة المجتمع في شكل قيم وعادات واتجاهات وسلوكات، وتلقنه أيضا المعايير العامة التي تفرضا أنماط الثقافة العامة السائدة في المجتمع، فمن خلال التنشئة الأسرية تفرس قيم المجتمع وديانته وعاداته وتقاليدته ونظمه، فهي تنقل إلى الطفل تراثا راسخا من القيم والثقافة المادية وغير المادية، ذلك أن الفرد لا يخضع لسلطان جماعة أخرى أسبق من الأسرة فهي الحضن الأول له، ولما كانت أكثر الجماعات تماسكا وأيسرها تواصلًا كانت عملية نقل العادات والاتجاهات والقيم عميقة الأثر.

فالأسرة إذن كوحدة اجتماعية لها دور فعال في إكساب القيم، فالطفل يولد وهو فاقد لضمير أو مقياس للقيم، فالأسرة هي التي تحدد ما ينبغي وما لا ينبغي في ظل فلسفة وثقافة المجتمع، فهي كمؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ وإنما يحكمها إطار الثقافة الفرعية التي تنتمي إليها، فالقيم الاجتماعية السائدة والنمط الثقافي والحضاري والديني وحتى الاقتصادي السائد في المجتمع يفرض نمطا من السلوك يتبناه الأهل فينتقل وبشكل غير مباشر على الأبناء ليتحول إلى قيم

2-الثقافة كمصدر للقيم: الثقافة هي تكوين مفاهيمي مركب، وتشمل الثقافة فيما تشمله كل ما يتلقاه الفرد عن الجماعة من مظاهر الفنون والعلوم

والمعارف والعقائد والقيم، يكتسبها تراكميا من خلال احتكاكه بالواقع الاجتماعي، عن طريق عدد من العمليات كالتقليد والمحاكاة، ويستخدمها مرة أخرى في اتصاله بهذا الواقع مما يسهل عملية التكيف وكذا عملية التفاعل الاجتماعي، ولكل مجتمع ثقافة خاصة به مهما كانت درجة تقدمه أو تخلفه وعلى هذا تكون الثقافة نسبية.

والقيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها، والثقافة هي التعبير الحي عن القيم وهذا يعني أن القيم هي المحور الأساسي للفعل الثقافي والإنساني،

"ويذكر اليكس ميكشيلي Alex Mucchielli أن الثقافة تشكل الإطار العام للمبادئ القيمية عند أفراد المجتمع، وتشير الذهنية أو العقلية باللغة الدارجة إلى حالة نفسية داخلية وإلى طريقة للنظر إلى الأشياء ترتبط عفويا مع آداب سلوكية قابلة للملاحظة، فالذهنية تنطوي في ذاتها على رؤية خاصة للعالم وعلى طريقة للتعامل مع الأشياء"⁽⁵⁸⁾، ووفقا لهذا السياق تعد القيم عنصرا ومكونا أساسيا من مكونات الثقافة وهي جزء محوري من أجزاء التراث الثقافي أو الحضاري المتراكم عبر تاريخ المجتمع، ولأن القيم أهم عناصر الثقافة فإنها تمثل أهم العوامل التي تدعم انتشارها واستمراريتها فهي حلقة ترابط بين الأجيال. وعلى اعتبار أن القيم من مكونات الثقافة فإن هذه الأخيرة تعد مصدرا أساسيا لها، فالثقافة تقدم قيما شاملة وعامة للمجتمع تبعا لشموليتها وعموميتها، كما تنبثق عنها قيم خاصة بفئات معينة داخل المجتمع الواحد، فمجموع المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع والمحددة لسلوك أفرادها هي التعبير عن ثقافته.

ثامنا: مؤسسات التنشئة الاجتماعية بوصفها مرسختا لمنظومة القيم:

1-الأسرة مرسخ للقيم: تعد الأسرة الخلية الأساسية في بناء المجتمع ونواته الأولى، وهي من أكثر الظواهر الاجتماعية انتشارا وعمومية، بل هي من أهم النظم في المجتمع، ويعرفها بارسونز "بأنها نسق اجتماعي لأنها هي التي

وتوجهاتها، وتصبح كذلك القيم المكتسبة والمتبناة إطارا مرجعيا لضبط السلوك وتوجيهه وتنظيم علاقاته في المجتمع.

2- المدرسة مرسخة للقيم: تعد المدرسة مؤسسة من

مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي أنشأها المجتمع بل هي أهم هذه المؤسسات على الإطلاق لا شيء إلا لكونها أكثر نظاما وانتظاما، بالإضافة إلى أن المهمة المنوطة بها أكثر صعوبة أيضا فهي موكلة بإعداد الناشئة إعدادا متكاملًا من كل النواحي الجسمية والنفسية والتربوية والعلمية، كما وأوكل لها مهمة الحفاظ وتوريث التراث الثقافي من قيم وعادات وعقائد وأنماط التفكير والسلوك.

ومن المهم الإشارة إلى أن البيئة المدرسية أكثر تباينا واتساعا من البيئة المنزلية وأشد خضوعا لتطورات المجتمع الخارجي، وأسرع تأثيرا واستجابة لهذه التطورات ومن ثم فهي تترك أثارها القوية على اتجاهات التلاميذ وقيمتهم وهنا تبرز أكثر أهمية هذه المؤسسة وأهمية الوظائف المسندة لها، فالمدرسة هي المحطة الثانية للناشئة يستكمل خلالها مهمة الأسرة في إعداد الفرد وفي إثراء منظومته القيمة بقيم جديدة من خلال الاحتكاك بنموذج مجتمعي آخر، وكثيرا ما يورد علماء الاجتماع والتربية بعض النماذج لقيم تعززت في شخصية الطفل وتم اكتسابها من المناخ المدرسي، مثال ذلك قيمة المنافسة حيث يسعى الطفل داخل المدرسة إلى احتلال المراتب المتقدمة ويتعلم في الوقت نفسه احتمال الريح والخسارة، وأيضا قيمة الإخلاص والتعاون فيبادر بالعمل دون مقابل، كما يتعلم قيمة الاستقلالية وينخفض مستوى الاتكالية لديه وتزداد ثقته بنفسه ويقدم على أفعال ترتبط بتقديم صورة حسنة عنه. وعليه فالمدرسة مصدر أصيل ورافد قوي من روافد استنباط القيم، ولذلك كان على الفاعلين في الهيئة التعليمية العمل بجهد لا على التركيز فقط على قضية التحصيل العلمي بل الاهتمام أكثر على غرس وترسيخ القيم الاجتماعية في نفوس الناشئة، "وتمكينهم من حمل قيم للتوافق مع محيطهم الاجتماعي والنفسي، أي إعطاؤهم المعارف الضرورية وعناصر التربية المسهمة في تيسير المجال للعيش في أمان وحرية وحب ومسؤولية وغيرها من القيم التي تمكن التلميذ من التوافق النفسي والاجتماعي وبذلك يمكن اختزال دور المدرسة حسب هذا الموقف على

في سلوكياتهم، ثم تقوم الجماعات الثانوية التي ينتمي إليها الفرد في مسار حياته بدور مكمل.

ومن الأمور المسلم بها عند جمهور العلماء وبصفة خاصة علماء النفس الاجتماعيين أن أساليب التنشئة الاجتماعية تحدد وبصورة معتبرة العناصر المكونة للشخصية القاعدية وكذا السلوكات والاتجاهات، ذلك أن ما ينقل من خلال التنشئة الأسرية يرتبط عمليا بأساليب نقله، ومنه يتأكد أن أسلوب المعاملة يحدد السلوك المتبنى، والواقع أن هذه الأساليب تتعدد من مجتمع لآخر، وتختلف من أسرة لأخرى داخل نفس المجتمع، حتى أنها تختلف بين الوالدين نفسيهما، وذلك تبعا لعوامل ثقافية واقتصادية ولللسفة والادبولوجية المتبناة، ولا بد من الإشارة هنا إلا أن هذه الأساليب تحمل في طياتها قيما معينة، وفي هذا الشأن أشارت العديد من الدراسات أن أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي يتبعه الوالدين يؤثر في عملية تبني الأبناء لقيم معينة دون أخرى، فمن المألوف أن الأسر التي تستخدم أسلوب العنف في غرس القيم، وذلك من خلال الأمر بالقوة والإجبار، يخلف رصيد من التوتر عند الطفل فيحتاج للقيام بسلوكيات عنيفة للتخلص من هذا التوتر، الأمر الذي يجعل منه متمردا على الجميع وأولها على القيم التي أجبر عليها، لذلك فإن جل الدراسات أكدت أن تبني الطفل لقيم ومعايير الوالدين إنما يعتمد على مقدار الدفء والحنان الذين يحاط بهما في العلاقة التي تربطه بوالديه، فمما الضمير إنما يتضمن توحيد الطفل مع والديه، ويزداد هذا التوحيد كلما كان الوالدين أشد رعاية وحبًا للطفل فالطفل الذي يتوحد بقوة مع والديه يكون أسرع في تبني المعايير السلوكية، فالتنشئة الأسرية في مضمونها تحمل قيما ومعتقدات ومعايير تماشى وثقافة المجتمع، وما التفاعل الحادث عادة بين الآباء والأبناء في حقيقة الأمر إلى إكساب وترسيخ لقيم المجتمع الذي ينتمي إليه، من خلال استيعاب الطفل لمختلف السلوكات والمعايير وأنماط التفكير الخاصة بمحيطه السوسيو ثقافي، فالأسرة كمؤسسة اجتماعية وكنسق بنوي هي التي تحدد للفرد كيف ينظر إلى الأشياء وكيف يحكم عليها ومتى يعطيها قيمة ومتى يسلبها القيمة، ومن ثمة يصبح للفرد نسق قيمي من المعايير والأحكام التي تسهل عليه اختيار أهدافه

وثيقة بما يسمى فلسفة التربية، والتي تمثل المنبع الأول للأهداف التربوية فقد تشترك النظم التربوية في وسائل التأطير ولكن لكل نظام أهدافه ونظراته إلى المواطن الذي يريد إنتاجه، فلا شك أن التأكيد على بناء نظم من القيم يعتبر هدف أساسي من الأهداف الموضوعية للتربية بل إن كل الأهداف الموضوعية للتربية ما هي في الأساس إلا تصورات للأشياء المراد تحقيقها في الحياة والتي تستند أساساً على إطار قيمي معين، وهنا لابد من التأكيد على ضرورة دمج القيم الأساسية للثقافة المجتمعية في المناهج، وهذا بعد انتقاء ما يصلح للمجتمع ويعمل على تطويره وتنميته والابتعاد عن تقديس وتمجيد القيم البالية التي تثبط المجتمع وتدفع به إلى الركون والخمول، فالقيم التي يحويها المنهج ويسعى إلى ترسيخها مرتبطة أشد الارتباط بالمجتمع وماهي إلا انعكاس للفلسفة الفكرية والاجتماعية والسياسية السائدة، فالمنهج التربوي يحمل في ثناياه قيماً عقائدية واديولوجية تارة تكون صريحة ومعلن عنها وغالباً ما تكون ضمنية، فالمنهج التربوي وما تحويه من مضامين وأهداف وغايات وفلسفات لا يمكن أن يصاغ في بوتقة غير بوتقة القيم.

ب- دور المعلم في إكساب القيم : إن المضامين التربوية وما تحويه من قيم ومعارف علمية بمثابة رسالة تحتاج إلى من يقوم بإبلاغها، ومن الأمور المتفق عليها أن المربي أو المعلم هو الكفيل بهذه المهمة وهو الركيزة الأساسية للنظام التعليمي، فالمعلم يتجاوز حدود إلقاء الدرس وتلقين المعارف العلمية فهو القِيم على نقل تراث المجتمع بكل محتوياته، يثبت الحسن منها ويعدل ويقوم السيئ منها، مما يجعله القائم على تكوين وتشكيل شخصية التلميذ العلمية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى، وتشير العديد من الدراسات القديمة منها والحديثة إلى مجموعة من الخصائص التي يجب توافرها في المعلم حتى يقوم بدوره على أكمل وجه وعادة ما تربط هذه الخصائص بين الجوانب المعرفية والعلمية وبين الجوانب السلوكية المتعلقة بشخصيته، وكذا أعمق الخصائص في شخصيته والمتعلقة بقيمه ومعتقداته وحتى ما تعلق منها بالمظهر والملبس، ذلك أن المعلم يعتبر القدوة والنموذج، فسلكه العلمي والتربوي يسهم بقسط كبير في إكساب التلميذ القيم والمواقف إزاء أمور الحياة المختلفة، وهو قدوة لتلاميذته

تعلم القيم الاجتماعية والأخلاقية والوطنية التي تتم عن طريق العمل الجماعي⁽⁶¹⁾، وعلى هذا يكون الدور الأساسي للمدرسة هو التوفيق بين القيم المختلفة لتكوين نسق قيمي موحد، فهي من جهة تحاول استبعاد كل القيم التي لا تخدم التماسك الاجتماعي أو أنها قيم مثبطة للتطور والتغيير والتنمية المنشودة للمجتمع فمن واجب المدرسة إذن العمل على تغييرها، ومن جهة أخرى دورها أكثر من ضروري في تكوين وترسيخ القيم الإيجابية وذلك بالعمل على تشجيعها وتعزيزها في نفوس الناشئة وعن طريق العمل على تكرار نماذج السلوك والممارسة. وستأخذ الدراسة عنصر المضمين والمدرس كنموذج لفهم أهميتهما في نقل وإكساب القيم للناشئة.

أ- دور المناهج المدرسية ومضامينها في إكساب

القيم : المنهج نظام متكامل من الحقائق والمعارف، التي تقدمها المؤسسة التربوية للمتعلمين وللمنهج شقين شق نظري -فكرة- وشق تطبيقي -سلوك- بمعنى الانطلاق من أسس فلسفية وما ينبثق عنها من أهداف عامة يتبناها المجتمع وفقاً لاديولوجيته لتنعكس على المكونات التطبيقية، والبناء القيمي هو أحد الأركان الأساسية عند بناء الجانب المعرفي لأي منهج وفي أي مجتمع، فلكل مجتمع قيمه التي يتمسك بها ويرجوا أن تستمر لدى أبنائه بل وهناك بعض القيم المرغوب فيها والتي تنتقل إلى المجتمع من الخارج ولكنها تبدوا

غريبة أو تلقى معارضة في تقبلها ولذلك فإن مهمة هذه المناهج تعزيز وتشجيع وتوريث ما هو مرغوب فيه وتحمية غير المرغوب فيه.

والحديث عن القيم في المناهج المدرسية يقود إلى مكون أساسي ألا وهو الأهداف التربوية، فالقيم قبل أن تكون متضمنة في المناهج فهي منبثقة ونابعة أولاً من أهداف المجتمع وفلسفته التربوية والاجتماعية، ويؤكد التربويون أن عملية "تحديد الأهداف تسهل مهمة اختيار المحتوى أو تعديله، والأهداف بوصفها بداية لتكوين المنهج يجب أن تتضمن القيم والمبادئ والاتجاهات المتضمنة في فلسفة المجتمع، وأن تكون أهداف المادة منسقة مع الأهداف العامة للتربية"⁽⁶²⁾ فوضع الأهداف وتحديدها يشكل الخطوة الأساسية في العملية التعليمية، وهذه الخطوة على علاقة

التخصص الواحد ، وتوصلت هذه الورقة أنه ليس من السهل التوصل إلى مفهوم متفق عليه للقيم لأن هناك كما يقال جذب في النظريات المتناسقة وخصب في النظريات المتضاربة.

وإذا ما كان هناك هذا القدر الكبير من الاختلاف والتباين في الرأي حول مفهوم القيم بين المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ، فإن ما يؤكد الجميع ويتفق حوله هو أن القيم هي القوى الدافعة للسلوك الإنساني وهي التي ترقى به إلى أسى درجات الإنسانية ، وبدونها يفقد المجتمع المبادئ التي تنظم حياته.

فهي عند جمهور علماء الاجتماع يمكن النظر إليها باعتبارها شروطا اجتماعية لضبط سلوك أعضاء الجماعة ، فالفرد في الجماعة يتشكل سلوكه تبعاً للقيم والمعايير التي تتبناها هذه الجماعة ، حيث يستدمج الفرد قيم الجماعة ويستدخلها في إطاره القيمي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد طيلة حياته وبالتالي تصير قيم الجماعة هي قيمه التي يتبناها ، وبما أن القيم نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويتشربها تدريجياً ثم يضيفها إلى إطاره المرجعي للسلوك ، فهي على ذلك بالغة الأهمية في حياة الفرد والمجتمع.

والقدوة وسيلة من وسائل إكساب القيم ، فالطفل يتمثل ويكتسب سلوكات معلمه بطرق مباشرة عبر الخطاب وعبر المعاملة أيضاً ، ولذلك يتطلب من المعلم في كل المراحل التعليمية بدون استثناء أن يكون دقيقاً في سلوكاته ولا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون فيجب أن يتصف مثلاً بالمثابرة والجد والصدق والعدالة... ، وحتى في هذا المجال فهناك بعض القيم التي يحتاج المعلم إلى تمحيصها والدراية بفاعليتها أو العكس فليس كل ما هو مجمع عليه في المجتمع صالح ، فدور المعلم أكثر من هام في تشكيل النسق القيمي للتلاميذ ، فبالإضافة إلى دوره في تحقيق نتائج علمية ، لا بد أن يكون النجاح حليفه في مجال تعديل السلوك وتحقيق التكيف الاجتماعي لتلامذته.

خاتمة:

يكشف استعراض موقف الفكر الإنساني من مفهوم القيم عن أفكار ووجهات نظر متعددة ، ذلك أنه يعد من بين المفاهيم التي عني بدراستها العديد من الباحثين في مختلف العلوم والتخصصات ، ومن ثمة فإنه من الطبيعي أن يظهر نوع من الغموض وعدم الوضوح وحتى الخلط في استخدام وتأويل هذا المفهوم ، من تخصص لآخر ، بل وداخل حدود

الهوامش

- 1- على وطفة ، مها زحلوق : (دت) ، الشباب قيم واتجاهات ومواقف ، ط 1 ، سوريا ، ص 60.
- 2- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: (2006)، أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 337.
- 3- جميل صليبا: (1973)، المعجم الفلسفي ، مادة: قيم ، دار الكتاب اللبناني ، ج 2 ، ط 1 ، لبنان ، ص 255.
- 4- أحمد مصطفى خاطر: (1980)، الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي ، المكتب الجامعي الحديث ، مصر ، ص 110.
- 5- أحمد مصطفى خاطر: مرجع سابق ، ص 111.
- 6- بلال العربي : (2001)، "القيم و التغيير الاجتماعي : الشباب نموذجا " ، مجلة دراسات مستقبلية ، مركز دراسات المستقبل ، العدد 6 ، أسبوط مصر ، ص 11.
- 7- سلوى السيد عبد القادر: (2013)، الانثروبولوجيا والقيم ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ، ص 20.
- 8- أحمد مصطفى خاطر: مرجع سابق ، ص 109.
- 9- محمد أحمد بيومي: (2002)، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ص 107.
- 10- خليل أحمد خليل: (1984)، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، ط 1 ، دار الحداثة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 192.
- 11- فوزية ذياب : (1980) ، القيم والعادات الاجتماعية (مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية)، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص 134
- 12- عامر عوض: (2008)، السلوك التنظيمي الإداري ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص 71.
- 13- عبد اللطيف محمد خليفة: (1992)، ارتقاء القيم - دراسة نفسية- سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ص 47.
- 14- محمد أحمد بيومي: مرجع سابق ، ص 18.
- 15- علي وطفة : مرجع سابق ، ص 80.
- 16- عبد الرحمن الوافي: (2004)، مدخل إلى علم النفس ، دار هومة للنشر والتوزيع ، بوزريعة ، الجزائر ، ص 72.
- 17- عبد اللطيف محمد خليفة: مرجع سابق ، ص 36.
- 18- طارق كمال: (2007)، علم النفس المهني ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، ص 109.
- 19- طه جابر العلواني: (2002)، "القيم بين الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية في المنهج المعرفي القرآني" ، في القيم في الظاهرة الاجتماعية ، تحرير نادية محمود مصطفى وآخرون ، دار البشير للثقافة والعلوم ، القاهرة ، مصر ، ص 105.
- 20- ماجد زكي الجلال: (2007)، تعلم القيم و تعليمها تصور نظري و تطبيقي لطرائق و استراتيجيات تدريس القيم ، ط 2 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الأردن ، ص 55.
- 21- صلاح الدين بسيوني رسلان: (1990)، القيم في الإسلام (بين الذاتية و الموضوعية) ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص 128.
- 22- جابر قمبحة : (1984) ، المدخل إلى القيم الإسلامية ، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، القاهرة وبيروت ، ص 152.
- 23- . صلاح الدين بسيوني رسلان: مرجع سابق ، ص 107.
- 24- صلاح قنصوه: (2010)، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 18.
- 25- صلاح الدين بسيوني رسلان: مرجع سابق ، ص 6.
- 26- صلاح قنصوه: مرجع سابق ، ص 65.
- 27- الربيع ميمون: (1980)، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، بين النسبية والمطلقة ، الشركة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر ، ص 91.
- 28- عبد اللطيف محمد خليفة: مرجع سابق ، ص 14.
- 29- عبد اللطيف محمد خليفة: مرجع سابق ، ص 15.
- 30- فوزية ذياب : مرجع سابق ، ص 17.
- 31- أحمد أنور: (1992)، الانفتاح وتغيير القيم في مصر ، العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص 36.
- 32- الربيع ميمون: مرجع سابق ، ص 199.

- 33- صلاح قنصوه: مرجع سابق ، ص 93.
- 34- الربيع ميمون: مرجع سابق ، ص 215.
- 35- عدلي أبو طاحون: (د ت)، في النظريات الاجتماعية المعاصرة، ط1، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ص 125.
- 36- ر.بودون وف.بوريكو: (2007) ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة سليم حداد ، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 451.
- 37- عبد الله محمد عبد الرحمان: (2006)، النظرية في علم الاجتماع - النظرية الكلاسيكية ، دار المعارف الجامعية ، مصر ، ص 274.
- 38- علي وطفة: مرجع سابق ، ص 83.
- 39- محمد احمد بيومي: مرجع سابق ، ص 90.
- 40- نويصر بلقاسم: (2010): التنمية والتغير في نسق القيم الاجتماعية ، دراسة سوسولوجية ميدانية بأحد المجتمعات المحلية بمدينة سطيف ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، غير منشورة. ص 132.
- 41- قباري محمد إسماعيل: (1979) ، علم الاجتماع والادبيولوجيات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ص 431.
- 42- محمد أحمد بيومي: مرجع سابق ، ص 91.
- 43- عبد الله محمد عبد الرحمان: مرجع سابق ، ص 450.
- 44- عبد الله محمد عبد الرحمان: مرجع سابق ، ص 450.
- 45- محمد احمد بيومي: مرجع سابق ، ص 102.
- 46- محمد احمد بيومي: مرجع سابق ، ص 102.
- 47- الجموعي مومن بكوش: (2014) ، "القيم الاجتماعية مقارنة نفسية اجتماعية": مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، العدد 8 ، جامعة الوادي ، ص 84.
- 48- ماجد الزبود: مرجع سابق ، ص 24.
- 49- محمد محمد الزلبناني: (1972/1937) ، القيم الاجتماعية : مدخلا للدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية ، الكتاب الأول الخلفية النظرية للقيم ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، مصر ، ص 26.
- 50- محمد محمد الزلبناني: مرجع سابق ، ص 45.
- 51- كريمة فلاحي : (2013) ، القيم النفس -اجتماعية لدى المرأة الممارسة للرياضة البدنية في الجزائر ، دراسة ميدانية (بقسم التربية البدنية والرياضة بجامعة منتوري -قسنطينة ، جمعية الرهام بدار الشباب عز الدين مجوبي وجمعية فتيات الخروب لكرة القدم) نموذجاً ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم اجتماع التنمية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم الاجتماع ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، غير منشورة ، ص 84.
- 52- فيروز زراقة: (2009) ، " التغير القيمي وصراع المرجعيات الثقافية في المجتمع الجزائري " ، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة فرحات عباس سطيف ، عدد خاص ، الملتقى الوطني الأول حول التغير القيمي في المجتمع الجزائري ، يومي الرابع والخامس من شهر ماي ، ص 91.
- 53- عبد الله عقله مجلي الخزاولة: (2009) ، الصراع بين القيم الاجتماعية والقيم التنظيمية في الإدارة التربوية ، دار الحامد ، الأردن ، ص 83.
- 54- عبد الله محمد عبد الرحمان: مرجع سابق ، ص 285.
- 55- محمد أحمد بيومي: مرجع سابق ، ص 131.
- 56- محمد أحمد بيومي: مرجع سابق ، ص 132.
- 57- بوعلي نصير: (2005) ، الإعلام والقيم -قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمان عزي ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، ص 49.
- 58- علي وطفة: مرجع سابق ، ص 92.
- 59- فرج محمد سعيد: (2001) ، البناء الاجتماعي والشخصية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ص 246.
- 60- علياء شكري: (1979) ، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 247-248.
- 61- بوغازي الطاهر: (2010) ، القيم التربوية -مقاربة نسقية - ، ط 1 ، منشورات الحبر ، الجزائر ، ص 86.
- 62- فوزي طه ابراهيم ورجب احمد كلزة: (2000) ، المناهج المعاصرة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ص 354.

دراسة تحليلية لكتاب "مرآة الجزائر" لعلي رضا باشا الجزائري - من العهد العثماني إلى الاحتلال الفرنسي -

An Analytical Study Of The Book "Marat Al Jazeer" By Ali Reza Pasha Of Algeria - From The Ottoman Period To The French Occupation

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2018-02-11

خيرالدين سعدي، جامعة قلمة-
khairo@hotmail.fr

الملخص:

توجد بعض المصادر في تاريخ الجزائر فُقدت أصولها فيما بقيت نُسخها موجودة في لغات أخرى غير اللغات الأصلية التي كتبت بها، من بين المصادر التي عانت هذا الأمر كتاب (مرآة الجزائر) "علي رضا باشا" إذ نقف عليه باللغتين العثمانية والتركية، بينما لا نكاد نقف له على ذكر باللغة العربية، مما أدى إلى بقاء هذا المصدر وصاحبه مجهولين لدى جلّ الباحثين والمؤرخين، إضافة إلى ما سبق نقف على سبب آخر ساهم في عدم ظهور الكتاب، ألا وهو تشاركه في نفس العنوان مع كتاب آخر هو "المرآة" لحمدان بن عثمان خوجة" والد علي رضا باشا، وتوهم عدد من الباحثين أنّهما كتاب واحد، في حين أنّ الأمر عكس ذلك تماما كما سيأتي، وإذا تقرّر هذا كان من الواجب علينا أن نعمل على إعادة تقديم هذا الكتاب وصاحبه "علي رضا باشا" بالوجه الحقيقي بهما كمصدر تاريخي وعلم جزائري.

الكلمات المفتاحية: علي رضا باشا، مرآة الجزائر، تاريخ الجزائر العثماني، الاحتلال الفرنسي للجزائر.

Abstract :

"Mirror of Algeria" for his writer "Ali Riza Pasha" is considered one of the most important references in the Algerian history during the rule of the Ottoman Empire. Though the book eventually remains unknown because of two reasons; First because of its lost original version (Arabic version) Second, because of the similarity with another book titled "The Mirror". This last was written by "Hamdan bin Othman Khoja" the father of "Ali Riza Pasha" and one of the decision makers in that period's politics. "Mirror of Algeria" is no doubt an independent oeuvre in terms of structure, information and analysis. In this paper we aim to describe the book and take a deeper look at the historical events it presents starting from the Ottoman and Turkish version of the book.

Keywords: Ali Riza Pasha, Mirror of Algeria, Algerian history during of the Ottoman Empire

Résumé :

« Miroir d'Algérie » pour son écrivain « Ali Riza Pasha » est considéré comme l'une des plus importantes références de l'histoire de l'Algérie pendant la période Ottoman.

Bien que le livre reste inconnu à cause de deux facteurs essentiels ; le premier il s'agit de la perte de sa version originale (version arabe) le deuxième est lié à une sorte de similarité avec un autre livre intitulé « Le miroir ». Ce dernier a été écrit par « Hamdan bin Othman khoja » le père de « Ali Riza Pasha » et l'un des grands décideurs des politiques de ce temps. « Miroir d'Algérie » est sans doute une œuvre indépendante en termes de structure, d'information et d'analyse. Dans cet article, nous visons à décrire le livre et approfondir les événements historiques qu'il présente à partir des versions ottomane et turque du livre.

Mots clés : Ali Riza Pasha, Miroir d'Algérie, l'histoire de l'Algérie pendant la période Ottoman

مُفتتح:

«مرآت الجزائر» في حقيقته مُصنَّفٌ صغير الحجم، غير أنه غنيٌّ بكم المعلومات التي نجدها فيه، والتفاصيل التي يُوردها. فما هي المحاور الكبرى الذي أدرجها مؤلفه علي رضا باشا؟ وإلى أي مدى استطاع صاحبه نقل صورة حقيقية عن تاريخ الجزائر؟ هل نجح علي رضا باشا في تصوير ما حدث خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر بشكل دقيق؟ وما الوقائع التاريخية التي ركز عليها في الكتاب؟ أو تجاوزها وأهمل ذكرها؟ هل للكتاب قيمة إضافية مُعتبرة فعلاً أم أنّ أهميته تكمن في جزئيات ما بعينها؟ وأخيراً هل ألف علي رضا باشا كتابه لجهة محدّدة كما فعل والده "حمدان بن عثمان خوجة" أم أنّه كان للجميع؟

هذا ما سنحاول أن نجيب عنه في هذه الورقة، معتمدين في ذلك على المنهج السردى. ثم سنقارب النص من خلال المنهج التحليلي لتبيّن بعض الأمور وتوضيح الصورة التي قد لا نجدها في الكتاب، وقد استغنيا عن استخدام المنهج المقارن في هذه الدراسة بين ماورد في المصدر وغيره (كما جرت العادة في مثل هذه الدراسات) حتى لا نثقل هذه الدراسة بالتفاصيل. على أن نحقق التفصيل المطلوب والدراسة الدقيقة عندما يخرج الكتاب كاملاً. قسمنا الدراسة في ثلاثة مباحث: أولها التعريف بصاحب الكتاب. المبحث الثاني خُصّصَ للتعريف بالكتاب محل الدراسة أما المبحث الثالث فتناولنا به محتوى الكتاب.

المبحث الأول: التعريف بصاحب الكتاب

أولاً: مولده ونشأته

لا نقف في المصادر العربية على معلومات تخص حياة صاحب كتاب «مرآة الجزائر» علي رضا باشا، إذ أنّ معظم ما وقفنا عليه هو قراءة في الكتابات القليلة التي ورد فيها الإشارة إلى صاحب الكتاب: سواء بطريقة مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة. وكثيراً ما كانت هذه المضامين مرتبطة بذكر والده "حمدان بن عثمان خوجة" أو إذا ذكر نجده ضمن المظان الأرشيفية كان للمناصب التي شغلها في الدولة العثمانية.

لذا يمكننا القول أن صاحب الكتاب كما ذكر في ورقة العنوان هو "علي رضا باشا" كما نقف عليه في تصنيف الدولة التركية لوثائق الأرشيف العثماني بشكليين، أحدهما "علي

أحد أهم الشروط التي ستمكنا من فهم تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بالشكل الصحيح هو توفر المصادر التاريخية الخاصة بمرحلة الوجود العثماني في الجزائر، ولعل اتفاقاً عُرفياً يجب أن يوجد بين المؤرخين والباحثين حيال ضرورة الاشتغال بإحياء التراث التاريخي أينما كان وكيفما وجد السبيل لذلك، فإن تقرّر هذا فمن الواجب أن نصرف القول أنّ لكل مصدرٍ تاريخي: مادي، أو معنوي. أهمية كبيرة في بابه، لذا وجب بعثه والتعريف به، بما يتيح للباحثين الاستفادة ممّا قد يضيفه هذا المصدر من معلومات أو معطيات لأي بحث.

اليوم سنأتي على ذكر نموذج لتلك المصادر وهو يتعلق بتاريخ الجزائر في المرحلة الممتدة ما بين أحد (1512م-1847م)، وتقصد به كتاب "مرآت الجزائر" كما يعرف في اللغة التركية العثمانية، هذا الكتاب نشره علي رضا باشا ابنح حمدان بن عثمان خوجة ونشره في استنبول كما سيأتي بيانه، وهو أحد الجزائريين الذين أُجبروا بعد الاحتلال الفرنسي؛ على الهجرة من الجزائر، ظل الكتاب الذي صنّفه علي رضا باشا محل الطي والنسيان (حتى لا نكاد نجده يُعرف بين المصادر التاريخية)، ولعل هذا راجع إلى أنّ الكتاب ظل حبيس اللغة التي تُرجم إليها، إذ أنّنا نقف على الكتاب في الثُلث الأخير من القرن التاسع عشر باللغة العثمانية، وظلّ كذلك إلى غاية بداية الألفية الجديدة، إذ نجده نُقل إلى اللغة التركية الحديثة، بينما كُتب عليه أن يبقى مفقوداً باللغة العربية.

والمصدر الذي بين أيدينا هو أحد أهم وأثرى مصادر تاريخ الجزائر خلال مدّة طويلة تمتد من بداية الوجود العثماني في الجزائر إلى غاية نهاية مقاومة الأمير عبد القادر، مع ضمه بين جانبه تراجم لعدّد من باشوات الجزائر خلال الفترة المتأخرة من العهد العثماني، وإنما أتينا على ذكر هذا حتى نقول أنّ الورقة التي بين أيدينا لن تحيط بكل ما ورد في هذا المصدر ولن تعلق على كل ما أورده علي رضا باشا، فما هي إلا توطئة لإخراج المصدر كاملاً فيما هو قادم بنقله من العثمانية إلى العربية وتحقيق ما ورد فيه.

متصرفاً مرةً ثانية⁸ على مقاطعة سواس (Sivas)⁹ ثم ُرقّي بعدها إلى رتبة (Müşir) "مشير"، بعد هذه الترقية وحسب إحدى وثائق الخارجية في الأرشيف العثماني أُرسِل لتقلد الوزارة في "طرابلس الغرب" وكان ذلك على مرتبتين منفصلتين، كانت الأولى في (1284هـ/جوان/1867م)¹⁰ وحينها استمرّ في منصبه ثلاث سنوات انقضت بالتحديد في شهر (مارس/1870م)¹¹، لُعِن بعد ذلك واليا على مدينة "بورصا" لفترة قصيرة¹²، فمسؤولاً عن قيادة الجيش العثماني الثاني الموجود في الأناضول في الفترة الممتدة من (نوفمبر/1871م) إلى غاية (أبريل/1872م)¹³، وُستدعى مرةً ثانية ليشغل منصب والي "طرابلس الغرب" في الفترة الممتدة ما بين سنتي (1872م-1873م)¹⁴ لكن ما يلبث أن يعود مرةً ثانية إلى مركز الدولة العثمانية؛ ليشغل هذه المرة أيضاً منصب والي مدينة "بورصا"¹⁵، وقد استمرّ في هذا المنصب إلى غاية (جويلية/1875م)¹⁶ عين بعدها حسب إحدى وثائق المهمة دفتري¹⁷ في الأرشيف العثماني عضواً في مجلس التنظيمات العسكرية سنة (1291هـ/1875م)¹⁸.

ثالثاً: مؤلفاته ووفاته

ل"علي رضا باشا" إضافة للكتاب الذي بين أيدينا كتاب آخر صنّفه غالباً قبل تصنيفه لكتاب "المرأة" الذي تتعلق به هذه الدراسة، وهو يتمثل في رحلة داخل إيالة الجزائر، ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة الفرنسية بعنوان "Souvenirs d'un voyage d'Alger à Constantine" قام بهذه الرحلة عندما كان شاباً وكان خلالها برفقة والده، امتدّت هذه الرحلة من مدينة الجزائر إلى عاصمة بيلك الشرق الجزائري مدينة قسنطينة، وتمت في إطار المساعي التي سلكتها فرنسا مع "الحاج أحمد باي" من أجل إقناعه بالتخلي عن خيار المقاومة العسكرية ضدها، وقد أجبر حمدان بن عثمان خوجة بناءً على ما يذكره صاحب الكتاب على القيام بتلك الرحلة¹⁹؛ بسبب التعتُّت والتهديدات التي مارستها القيادة العسكرية الفرنسية²⁰.

قام صاحب الكتاب بهذه الرحلة رفقاً والده سنتين بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، أي: في سنة (1832م)، حينها لم يتجاوز سنّه على الأكثر ثلاثة عشر سنة، لذا نجده يعترف لصديقه "صولسي" ((Saulcy) عمّا يكون قد نسيه من

رياض باشا" (Ali ryz Paşa)¹ أما الثاني فهو ما نقف عليه داخل الوثائق نفسها باسم "علي رضا باشا" (Ali Rıza Paşa)، ولد بمدينة الجزائر سنة (1820م) حسب ما أورده (علي شوقي)²، وهو ما يُفهم أيضاً من حديث علي رضا باشا عن نفسه في موطن واحد بشكل ضمني في كتابه الذي بين أيدينا، إذ يفهم أنّ سنّه إبان الحملة الفرنسية على الجزائر كان قد بلغ العشر سنوات³، أمّا والده فهو سيدي حمدان بن عثمان خوجة الجزائري أحد أهم أعيان وأغنياء الجزائر وأشهر سياسيينها خلال المرحلة الأولى من الاحتلال الفرنسي⁴، انتقل بعدها مع والده -بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر- إلى باريس، وهناك تعرّف على قنصل الدولة العثمانية بباريس السيد "رشيد باشا" الذي أصرّ على ضرورة إحقاقه بالمدرسة العسكرية العثمانية.

تلقى علي رضا باشا تربية عسكرية في المدرسة الإعدادية الثانوية وقضى بالمدرسة المذكورة مدّة تسع سنوات كاملة، استطاع خلالها تعلم الفنون الخاصة بالمدفعية والعسكرية.

ثانياً: المناصب التي شغلها

عَين بعد تخرّجه مباشرة (Yüzbaşı) (يوزباشي) أي (نقيباً) في صفوف القوة المدفعية، ثمّ تدرج بعد ذلك إلى رتبة (بينباشي) (Binbaşı) أي (مقدم) ليُرقي بعد ذلك إلى رتبة (كايماكام) (Kaymakam) أي (قائم مقام) حينها لم يكن سن علي رضا باشا يتجاوز الثلاثين، ليُرقي مرةً أخرى نتيجة ما أظهره من جهد إلى منصب (Albay) (ألباي) أي (عقيد) في الجيش⁵.

شارك في العديد من الحروب التي خاضتها الجيوش العثمانية ضد روسيا (1853-1863م) وقد أبلى فيها البلاء الحسن ما ما جعله يتحصل على العديد من التشرّفات والأوسمة والترقيات، لذا نجده يُقلد بعض المناصب الرفيعة كمتصرف بلغراد سنة (1864م)⁶ ليتحصل نتيجة إدارته الجيدة للولاية على الدرجة الثانية لنيشان مجديا (Mecidiye nişanı) (أحد النياشين التي استحدثها السلطان عبد المجيد 1823-1861م) تحصل على هذه الوسام سنة (1281هـ/1865م)⁷، كما نقف ضمن وثائق الأرشيف العثماني على تعيين علي رضا باشا بعيد توليه متصرفية بلغراد

المبحث الثاني: الكتاب

أولاً: التعريف بنسخ الكتاب

أما عنوان الكتاب الذي نحن بصدد الان فهو في النسخة العثمانية التي صدرت عام (1293هـ/1876م) هو «مرأت الجزائر» ويقصد بها باللغة العربية «مرأة الجزائر» بينما أضيفت في النسخة التركية التي صدرت حديثاً عبارة (ELVEDA CEZAYİR) ويقصد بها باللغة العربية: (الوداع الجزائري)

والمرجح أن الكتاب أُلّف في الأصل باللغة العربية ثم نقل إلى اللغة العثمانية؛ إذ قد أضيف في الورقة الأولى من النسخة العثمانية تصريح دار النشر بأن جميع حقوق هذه النسخة تعود إلى المترجم "علي شوقي" وبالتالي فإن هذا مما يؤكد أن اللغة الأصلية التي كتبت بها «مرأة الجزائر» إنما هي اللغة العربية، وقد مرّ بنا أنّ مستوى اللغة العربية الذي كتب به رحلته إلى قسنطينة كان في غاية الجمال؛ حتّى شبّه المترجم (دي صولسي) سلاستها وتناسقها باللغة التي تتزيّن بها أشهر الرحلات في العالم العربي²⁸. وإذا تقرّر بأنّ (دي صولسي) قد نقل الرحلة من اللغة العربية إلى الفرنسية وفهنا أنّ (علي شوقي) قد نقل كتاب «مرأة الجزائر» إلى اللغة العثمانية، تأكّد لدينا أنّ الكتاب لم يوضع باللغة العثمانية، ولذا وجب علينا أن نصرف القول إلى أن علي رضا باشا كان يجيد اللغة العربية بشكل أفضل من غيرها لذا كان يرجّح التّصنيف بها مباشرة.

توجد النسخة العثمانية التي بين أيدينا في أكثر من مكتبة، بسبب أنّها انتشرت بالطبع، وصورتها الأساسية موجودة في المكتبة الوطنية العامة (Millet genel kütüphanesi) تحت رقم (529) في اسطنبول، وهي نفس النسخة الموجودة ضمن شكل ميكروفيلمي في مكتبة السليمانية باسطنبول (Süleymaniye yazma eser kütüphanesi) كما نقف على نفس النسخة في المخزن الميكروفيلمي للكاتب النادرة ضمن مكتبة (مركز البحوث الإسلامية) (İslam Araştırmaları Merkezi) تحت رقم (051262/36717)، كما أفادنا الأستاذ خليفة حمّاش أنه وقف على نسخة في مكتبة السلطان محمد الفاتح، وقد نشرت هذه النسخة سنة (1293هـ) الموافق ل(1876م) في اسطنبول

أسماء الأماكن والقرى والجبال²¹ التي مرّوا بهم أثناء رحلتهم لمقابلة الحاج "أحمد باي" وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّه لم يتم بكتابة مذكرات هذه الرحلة مباشرة بعد عودته وإنما كانت بعد فترة ما، وما حمله على ذلك هو طلب صديقه صولسي ذلك منه²².

تقع هذه الرحلة في قرابة خمس وثلاثين صفحة، وقد نُشرت في فرنسا بمدينة ميتز (Metz) من طرف السيد (F.De. Saulcy) باللغة الفرنسية، تحت عنوان «*Souvenirs d'un voyage d'Alger à Constantine travers les montagnes*» أي «مذكرات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال» حسبما ما صرّح به صاحبها، وهي في الأصل عبارة عن رسالة ودية منه أجاب فيها صديقه إلى طلبه بكتابة مذكّرة عن رحلته مع والده إلى بايلك قسنطينة²³، وكُتبت الرحلة باللغة العربية وقد كانت حسب صولسي وهو أحد المستشرقين المتقنين للغة العربية بأن الرحلة قد كتبت «بلغة جيدة وعميقة»²⁴.

نظراً لأهمية هذه الرحلة فإن عدداً من الباحثين الجزائريين اهتموا بدراستها وترجمتها من الفرنسية إلى العربية، لذا نجدها قد نشرت ثلاث مرات: فقام أول الأمر الأستاذ "علي تابلت" بإعادة تعريف الرحلة، ونشرها أولاً: ضمن حويلات جامعة الجزائر سنة (1993م). وثانياً: نشرت مستقلة في كُتيب سنة (2008م) وتولت عملية النشر دار ثالة بمدينة الجزائرية. أما الباحث الثاني الذي اهتم بالرحلة المذكورة فهو الأستاذ "عميرواي حميدة" المرّة الثالثة والأخيرة والذي نشرت ترجمته للرحلة سنة (2012/2013)²⁵ ونشر نص الرحلة بعنوان: وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال (1832م) ضمن إحدى الملتقيات العلمية التي نظّمها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية²⁶.

وقد توفي علي رضا باشا بعد مرضٍ صَدريٍّ لازمه مدة قصيرة إلى غاية وفاته سنة (1293هـ/1876م)²⁷ وهي نفس سنة نشر كتابه "مرأت الجزائر" باستنبول.

صاحب الكتاب أراد من خلالها أن يعطي صورة مُجملّة عن تاريخ المنطقة لا غير، وإذا تقرّر هذا كان جديرا بنا القول أنّ صاحب الكتاب لم يُورد تاريخ الجزائر بشكل عام، وإمّا أراد رسم صورة عامة لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني واهتمّ بشكل أكبر في كتابه بالمرحلة الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى غاية نهاية مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري.

استهلّ صاحب الكتاب فصله الأوّل بالحديث عن موقع الجزائر جغرافيا، فقسّم لذلك المغرب الكبير إلى قسمين: مغرب أوسط ومغرب أقصى، وحدّد لكل منهما مجاله، فحصر المغرب الأوسط ما بين مدينة تلمسان وتخوم بجاية، وصرّح أنّ إيالة الجزائر تشغل هذا الحيز³⁰، لما فرغ من ذلك شرع في الحديث عن تاريخ هذا المكان وكيف تناوبت العديد من الأمم على حكمه، فتحدّث في البداية عن خضوع المنطقة الممتدّة من "جبل طارق" إلى "مصر" لسيطرة الروم بعد تغلبهم على القرطاجيين³¹، ثمّ تحدّث عن سكان المنطقة خلال تلك المرحلة التاريخية، وقسمهم إلى قسمين: النوميدي وعرب³². في نفس الفصل انتقل للحديث عن دخول العرب الفاتحين للمنطقة زمن حكم الخليفة "عثمان بن عفان" الذي أرسل من مصر سنة (78هـ)³³ "عبد الله بن سعد بن أبي سرح" في جيش قوامه أكثر من عشرين ألف مسلم لفتح بلاد المغرب³⁴، كما تحدّث عن "عقبة بن نافع" وجهوده لضبط المنطقة³⁵، استرسل بعد ذلك في ذكر خبر سكان المنطقة من جنوبيين وإسبان ورومان وعلاقاتهم مع سكان الأصليين لبلاد المغرب³⁶.

بعد ذلك وضع صاحب الكتاب عنوانا للحديث عن عائلة بربروس والقراصنة المسلمين، وافتتح كلامه بوصف حالة المنطقة قبل ظهور الإخوة بربروس على الساحة، معتبرا أنّها (أي: المنطقة) كانت تعيش نوعا من التشرذم والتفرّق؛ بسبب عدم تمكّن سكان المنطقة من التوافق حول حاكم ما يكون له القدرة على تسيير شؤون المنطقة، لذا فقد ظلّت لفترة طويلة تعاني من المواجهات بين القبائل المختلفة³⁷، وهو ما جعل الجبهة الخارجية في ضعف دائم، في نفس الفترة كان نشاط الإخوة بربروس يشتهر في حوض المتوسط بما أحدثوه من هلع لدى الأوروبيين الذين لم يصبحوا في مأمن من نشاط هؤلاء الإخوة، وهو الأمر الذي حمل صاحب الكتاب أن يُخصّص حيزا للكلام عن هذه العائلة، فينقل صاحب الكتاب

عن مطبعة دار المعارف العثمانية. وهي تقع في كتاب من (141) صفحة من الحجم المتوسط، مسبوقة بمقدمة من صفتين إضافة إلى فهرس للمواضيع بآخر الكتاب²⁹.

أما النسخة الثانية المعتمدة في الدراسة فهي منقولة إلى اللغة التركية الحديثة من اللغة العثمانية وقد قام (Ali Şevki) بنقلها إلى اللغة التركية الحديثة، وهي نسخة تقع في 108 صفحات ونشرت عن دار المؤرخ (Şevki Tarihi kitapevi) سنة (2014م)، وقد أضاف (Ali Şevki) إلى الكتاب صورتين ضمّنهما الفصل الخامس: إحداها خارطة للجزائر والثانية صورة تعبّر عن حادثة المروحة، كما رتب ناقل هذه النسخة في آخر الكتاب فهرسا للأعلام والأماكن والبلدان.

ثانيا: مضمون الكتاب

يقع الكتاب بنسخته (العثمانية والتركية) في سبعة عشر فصلا، بالإضافة إلى: مقدمة وفصل آخر هو "الفصل الثامن عشر" وُضع للتعريف بصاحب الكتاب، تتناول الفصول المختلفة: تاريخ الجزائر، والفصل الأوّل يشترع بتاريخ شمال إفريقيا قبل الوجود العثماني، ثمّ تتدرج المواضيع المختلفة إلى غاية الفصل السابع عشر الذي ورد فيه تراجم لباشوات الجزائر، وقد اقتصر في ورقتنا هذه على الجزء المتعلق بتاريخ الجزائر إلى غاية سقوطها في يد الاحتلال الفرنسي، وهو الجزء الذي يضمّ ثمانية فصول هي من الممتدة من الفصل الأوّل إلى الفصل الثامن. (لأنّ المقام يضيق بنا هنا عن تناول كلّ فصول الكتاب بالعرض والشرح والتعليق) لذا ارتأينا أنّه من الجدير بنا أن نُجمل هنا ما لن نذكره من تفاصيل تخصّ الكتاب فيما هو قادم، وذلك بأن نقدّم مُلخصا للفصول التي لن نستعرضها لاحقا: وهي الممتدّة من الفصل التاسع إلى الفصل الثامن عشر.

المبحث الثالث: محطات من تاريخ الجزائر من العهد العثماني إلى الاحتلال الفرنسي - من خلال كتاب «مرأة الجزائر» لعلي رضا باشا الجزائري.

يمكننا اعتبار أنّ الجزء المُخصّص للجزائر خلال العهد العثماني قد أخذ أكبر حيز من الكتاب، إذ أنّ المقدمة التي صُنّفت في مدح علم التاريخ وأهميته، إضافة إلى الفصل الأوّل الذي خصّصه علي رضا باشا للحديث عن موقع إيالة الجزائر ومختصر عن تاريخ شمال إفريقيا كان محاولة من

ينتقل المؤلف للحديث عن الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر وما انتهت إليه هذه المواجهة أيضاً⁴².

يتحوّل بعدها في الفصل الثالث - إلى الكلام عن أحوال أهالي وسكان الجزائر، مُتخذاً من التركيبة الإثنية للسكان أساساً انطلق منه إلى الحديث عن جغرافية السكان، وقد فصلّ أنّه توجد ثلاث فئات كبرى تقطن الجزائر وهي: الأندلسيون، النوميديون، والعرب⁴³. أمّا الأندلسيون فهم الوافدون من الأندلس، وأمّا النوميدي فهم القبائل التي تقطن الجبال، وأمّا العرب فهم الذين وفدوا من مصر في مرحلة ما⁴⁴. يتحدث بعد ذلك عن بعض المميزات التي تميّز بها كلّ فئة من حيث اللهجة والعادات والتقاليد والمذهب السائد⁴⁵، كما لم يفت صاحب الكتاب الحديث أيضاً عن أنواع المأكولات والأطعمة الموجودة بالجزائر، وأكدّ خلال ذلك على نوعية القمح المميزة التي توجد بالإيالة، ثمّ لفت النظر إلى الاهتمام البالغ لسكان الإيالة بأشجار الزيتون والتين، كما تحدّث أيضاً على مدى احترام سكان القبائل للجرف إذ يقول «..أنهم لا يرون شيئاً إلا صنعوا مثله..»⁴⁶. ولم يترك جزئية تتعلّق بسكان الجبال إلا وقد ذكرها، فتحدّث عن بشرتهم ولباسهم وعاداتهم وسيوفهم وطريقة حل النزاعات بينهم⁴⁷، وكأنّه في ذلك سلك نفس مسلك والده "حمدان بن عثمان خوجة" في كتابه "المرآة"، وكان سرده لهذه الأمور بشكل مُجمل لكنّه دقيق جداً، ويمنح صورة كاملة عن الحالة التي كان يعيش فيها السكان خلال تلك المرحلة إذ نعتقد أن زيارته لها أفادته كثيراً في هذا الجانب.

ثمّ انتقل مرّة أخرى للحديث بشكل عام عن تقسيم الجزائر إلى مقاطعات، وكيف أنّ لكل مقاطعة منها (بايا) تُعيّن حكومة مدينة الجزائر؛ من أجل الحفاظ على العلاقات بين القبائل، وتسيير البلاد، وتحصيل الضرائب. وتحدّث أيضاً ضمن هذا الفصل عن بعض التقسيمات الإدارية التي اعتمدت بشكل عُرفي كالمصرفية والقائمقام والإدارة⁴⁸.

ثمّ سلك صاحب الكتاب مسلكاً غريباً في المفاضلة بين الفئات الاجتماعية والعرقية في إيالة الجزائر، وقرّر بأنّ أفضل الذين كانوا موجودين في الإيالة هم الأتراك ويليهم الكراغلة، وأنّ الأهالي كانوا ينظرون إليهم باحترام بالغ بحكم أنّهم كانوا يرون أنّ "الترك" أعلم من الأهالي وأكثر ذكاء منهم، وأنّه لما ترك "الترك" البلاد ورثها قوم من الجهلة⁴⁹.

ما اشتهر من خبر هذه العائلة، فوالدهم يعرف باسم يعقوب الإسكافي (Pabuççu Yakup) كان أحد جنود بايزيد الثاني (Ikinci Bayezit) توطّن في جزيرة ميدلي (Midilli) وورق بأربعة ذكور هم: إلياس، إسحاق، عروج وخيرالدين (خضر)³⁸. يتحول بعد ذلك علي رضا باشا للكلام عن نشاط "خيرالدين بربروس" وأخوه "عروج" فيفرد لهما تفاصيل مهمّة عن كيفية دخولهما "مدينة الجزائر" و"جيجل" و"بجاية"، ثمّ كيف انتقل بعدها "بربروس" لضمّ تونس إلى الدولة العثمانية. ينتقل بعد ذلك إلى شرح ما حدث خلال تلك الفترة من محاولة الملك الإسباني (شارل كان) السيطرة على مدينة الجزائر سنة (1538م/945هـ)³⁹ وإن كان التاريخ الصحيح لحملة (شارل كان) على مدينة الجزائر هو (1541م)، وقد أخذت هذه الحملة مثل ما هو سائد في جلّ المصادر خلال العهد العثماني حيزاً هاماً من الكتاب.

بعدها ينتقل المؤلّف في الفصل الثاني للحديث عن وضع الجزائر بعد إلحاقها بالدولة العثمانية وإن كان العنوان يوحي بأنّ الأمر متعلّق بخيرالدين باشا والجزائر العثمانية فقط، إذ جاء الفصل بعنوان (الجزائر بعد سيطرة خيرالدين باشا عليها) (Hayrettin Paşanın Cezayir'i zaptı ve sonrası) لكنّه قبل ذلك يتطرّق لتاريخ المدينة قبل سيطرة خيرالدين باشا عليها، فنجده يروي تاريخ تأسيس المدينة من طرف الرومان، ويشير إلى أنّ اسمها كان "أكوزيوم" (Ekosium) وأنّها بعد مدّة من سيطرتهم عليها خرجت من تحت أيديهم واستقلّت إلى حد ما بأمرها⁴⁰، ثمّ يواصل في ترتيب زمني للأحداث - الحديث عن مآل المدينة بعد ذلك ومن ملكها، وكيفية تغيّر اسمها لتصل في الأخير إلى اسم "جزائر بني مزغنة"، في الفصل نفسه نجده يعود للحديث عمّا هيّاه (خيرالدين بربروس) للمدينة من ميناء وكيف قام بربط الميناء "ببرج الفنار" لحماية المدينة⁴¹.

كما تحدّث أيضاً - خلال الفصل الثاني - عن الطريقة التي شرع من خلالها في التمهيد لحكمه لمدينة الجزائر، وما استحدثه من تراتبية إدارية، ليتطرّق بعد ذلك لموضوع آخر - على قدر كبير من الأهمية - يتمثّل في العلاقة بين الدولة العثمانية ممثّلةً في (أوجاق الجزائر) من جهة، ودولة فرنسا ممثّلةً في (فرنسوا الأول) من جهة أخرى، وبشكل متسلسل

رضا باشا يقول: «...أنّ جميع الأمور أنيطت بشيخ البلد، يقوم شيخ البلد بتعيين مجلس يضم كبار وأعيان البلد، ويتخذ مكانا مخصوصا لهذا المجلس، وبهذا الشكل من التنظيم سارت أمور الحكومة بشكل إداري سديد ومميز...»⁵⁵ وهو بهذا يوافق ما تقرّه جل المصادر الجزائرية التي تناولت الفترة العثمانية بالبحث والتأريخ من كون الأمور الإدارية داخل القبائل ظلت منوطة بأهلها ولم تتدخل فيها السلطة العثمانية إلا بقدر ضئيل يحفظ لها حق تحصيل الضرائب الموسمية.

ويرى صاحب الكتاب أنّ أصل تنظيم الإدارة استفاده "خيرالدين باشا" من الأندلسيين المهاجرين إلى الجزائر، إذ قام بعد مشورتهم بتخصيص أمين لكل حرفة، وجعل هذا الشخص المسؤول عن الأمر سبّي أمينا ونجد أيضا لفظ القيد والذي دل أيضا عن المسؤول على مهمة ما فنقف على: (قيد العيون) و(قيد الوصفان) و(قيد الزبل)⁵⁶.

بعد الحديث المُستفيض عن هذه القيود أو الأعمال ينتقل صاحب الكتاب للحديث عن جهود "خيرالدين باشا" لأجل ضم كلّ من تونس وطرابلس الغرب إلى السُلطة العثمانية، ثمّ يُذكر علي رضا باشا بأنّ أوجاق الجزائر ظلّ يتميّز بأهمية كبرى لدى السلطة العثمانية؛ لذا كثيرا ما اعتُبر المُتصرّف فيه هو المتصرف في شؤون كل من إيالتي تونس وطرابلس الغرب، ولعلّ هذا ما يُفسّر تقديم إيالة تونس بعد انفصالها لهدايا أخرى إلى السُلطة في الجزائر⁵⁷.

يعرض علي رضا باشا في الفصل الخامس مقارنة مُضمرة بين حال إيالة الجزائر لما كانت تتبع الباب العالي بشكل قوي ومباشر، وحالها لما ظفر بشؤونها بعض الباشاوات الذين لم يحترموا الباب العالي ولم يكن من شيمهم العقل والتفكّر، جاء هذا الفصل بعنوان (Cezayir ve Hüseyin Paşa) "الجزائر وحسين باشا" استهل علي باشا الحديث في هذا الفصل بسيرة (حسين باشا) والحالة التي دخل بها الجزائر؛ إذ كان مجرد صيادٍ بسيط سرعان ما أضحي "خوجة الخيل"، وبعد خلو منصب الداوي اختاره ضباط الجيش ليكون باشا الجزائر، وهنا يشير صاحب الكتاب كيف تغيّرت حال (حسين باشا) وكيف انتكست أحواله، بعدما أصبح حاكما للجزائر إذ أضحي لا يرى إلا رأيه ولا يستمع إلا لنفسه⁵⁸.

بعدما فرغ من الحديث عن الحثيات التي تخص السُكّان وما يعترتهم من عادات وما يميز كل فئة عن غيرها من الفئات الأخرى، انتقل علي رضا باشا للحديث من جديد عن الجزائر من جانب تاريخها السياسي، مُركّزاً مرّة أخرى على فترة حكم (خيرالدين باشا) فأطنب في الحديث عن جهوده من أجل تنظيم إيالة الجزائر، إذ أحدث مجموعة من الرُتب والتنظيمات ظلّ مَعمولاً بها على امتداد مرحلة زمنية طويلة من تاريخ الإيالة، فشرع في ذكر بعض هذه المناصب والتّعريف بها، فذكر مثلا: عن منصب "الخزندار" بأنّه يأتي من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد حاكم الجزائر⁵⁰، ويليها "آغا العسكر" الذي يقع تحت إمرته جل الضباط والعساكر في الأوجاق، يليه من حيث الأهمية منصب "وكيل الخرج" وكان بمثابة ناظر البحرية وكان يقع تحت أمرته كل رياس البحر والطوبجية ومن يعمل في أبراج المراقبة البحرية، يأتي بعده "خوجة الخيل" ويرى صاحب الكتاب أنّ أهمية خوجة الخيل تكمن في إشرافه المباشر أو عن طريق من يعمل تحت إمرته على توفير الخيل والحيوانات التي تحتاجها الإيالة، كما يعمل على مراقبة والبحث عن الحيوانات الضائعة أو المسروقة، فلا يُباع أي من الحيوانات إلا بعد أن يأذن هو بذلك⁵¹.

ثمّ يذكر علي رضا باشا أنّه بعد المناصب السالف ذكرها يأتي منصب (الباي) وهو الذي بدوره منصب سامٍ لكنه وبسبب بعده عن قاعدة الحكم الموجودة "بدار السُلطان" ظلّ أقلّ تأثيرا في الحكم من (الخزندار، خوجة الخيل، آغا العرب، وكيل الخرج) لكنه خارج مدينة الجزائر وفي موطن حكمه أكثر سطوة وحظوة ممّن ذكرنا سابقا⁵².

وقد قسّم صاحب الكتاب الجزائر إداريا إلى أربعة أقسام، يخضع كلّ منها لسلطة الباي، ولكلّ منها قاعدة للحكم تكون عاصمة للبيك ففي: قسنطينة في الشرق ووهران في الغرب⁵³.

ظلت المناصب السّامية في الإيالة حكرا على "التُرك" دون غيرهم، باستثناء وحيد تُجسّده حالة "الحاج أحمد" باي الشرق الجزائري، ولأهمية "الحاج أحمد باي" في تاريخ الجزائر أفرد له صاحب الكتاب فصلا تحدّث فيه عن: صفاته، ومميزاته، ومقاومته للاحتلال الفرنسي⁵⁴.

ليأتي في نفس الفصل الحديث عن تنظيم الإدارة داخل البلد، إذ أنّ الأمر بقي مُناطاً بأهل القبيلة، لذا نجد علي

الطيبة التي كانت تربطه مع الأهالي والمحيط الدبلوماسي فكانتا مميزتين فعلياً؛ ما جعله يحظى بمعلومات مهمة من القنصل الهولندي بالجزائر، مفادها أنّ الفرنسيين سيقومون بإنزال قواتهم بموقع "سيدي فرج"، حينها ذهب (يحي آغا) إلى الباشا وأخبره الأمر، واقترح عليه بناء برج هنالك لرد السفن إذا ما اقتربت لكن الباشا لم يستسغ رأيه، بل وتوهم غير ذلك لذا لم تمر مدة طويلة حتى استبدله بصهره "إبراهيم آغا" والذي أعاد القنصل المذكور نصيحته له حول الثغرة الموجودة بـ"سيدي فرج" لكنه لم يُعَرِّم الأمر أي اهتمام، ولعل هذا ما جعل صاحب الكتاب "علي رضا باشا" يصف (إبراهيم آغا) كذا مرة بالرجل الجاهل⁶².

بعدها ينتقل علي رضا باشا مرة أخرى إلى الشطر السادس من الكتاب، فيصريح بما سيتناوله في هذا الجزء، ويوضح أنّ الحديث سيكون عن سعي فرنسا للمفاوضات وإرسالها إحدى سفنها الحربية لذلك، كما يوضح أنّه سيتحدث عن موقف باشا الجزائر (الداي حسين) من الشروط التي طالبت بها فرنسا من أجل الصلح مع الجزائر.

فيستهل حديثه عن وفود سفينة فرنسية كبيرة تحمل راية السلام البيضاء تقدّمت إلى ميناء مدينة الجزائر، نزل من السفينة عددٌ من الجنود إلى اليابسة وأعلموا من بالميناء أنّهم قدّموا لمقابلة الداي حسين، فلما قدّموا بين يدي الداي قالوا له ما معناه: «...أنّهم قد يتفهّمون موقف الداي المبالغ فيه من قنصل فرنسا الذي يمكن أن يكون قد أساء الأدب، لكنهم في نفس الوقت يتأسّفون على الطريقة التي ردّها بها الداي، عندما ضربه بالمروحة، وأنّه لم يكن لها حاجة، وأنهم الآن ما أتوا إلاّ للسلم وأعلموا الداي أنّهم قد أحضروا في السفن الكثير من الأموال والهدايا إرضاءً له، لكن لهم مقابل ذلك رجاءٌ واحدٌ وهو أن يُرسل معهم من جنابه رجلاً ليذهب مع السفن إلى فرنسا فيسكّن الأهالي الذين استشاطوا غضباً لها حدث، وأنهم يرجون منه التفكير في الأمر؛ لأنّه خير له...»⁶³

ويرى علي رضا باشا: أنّ الداي حسين عندما رأى محاولات فرنسا وسعيها من أجل السلم فسّر ذلك بأنه عجز وأنه لا توجد قدرة لدى فرنسا لمحاربة الجزائر، ورأى أنّ العرض الذي تقدّم به هؤلاء النفر ما هو في الحقيقة إلاّ وجه من أوجه التّضمين لخوف الفرنسيين من مواجهة الجزائر؛ لذا ردّ

ويعبّر علي رضا باشا في غير تموُّرٍ عن رأيه من هذا الحاكم وأسلوب حكمه، ثمّ يتعرّض إلى بداية المشكلة مع فرنسا، وقضية الديون، إذ أنّ الداي (حسين باشا) كان ينتظر من أحد اليهود وهو "بكري" بأن يدفع ما عليه من ضرائب لخزينة الإيالة؛ لأنّه كان يدين لخزينة الدولة بمبلغ كبير، لكن الأخير تحجّج بعدم قدرته على الدفع؛ لأنّ الفرنسيين حسب كلامه لم يدفعوا له حقوق المون التي أقرضها إيّاهم وحدّث الداي بقوله: «...الآن لا مال لدي، إذ ما كان لدي من المال هو الآن في ذمّة الفرنسيين، وبمجرد أن أُحصّله سأدفع لكم...»⁵⁹ من ساعته أرسل الداي حسين بمكتوبٍ إلى ملك فرنسا عن طريق القنصل الفرنسي يطالبه بمال اليهودي "بكري"، وبعد شهر من إرسال المكتوب وخلال إحدى الأيام التي صادفت أواخر شهر رمضان حضر القنصل الفرنسي إلى جناب الداي والذي كان جالساً يحمل بيده مروحة ومباشرة بادر القنصل بالاستفسار: «...كتبت إلى ملكك منذ شهر عن حالة ديون اليهودي لماذا لم يردن منه خبر إلى الآن؟» فأجابه القنصل: «...إنّ للملك أشغال عديدة ولديه أعوان مثل أعوانك يبنهونه للأمور...ومن عادتنا أن نرد على كل أمر في حينه ولما يصل دوره، ورسالتكم لم يصل دورها بعد، سيأتيك الجواب عن سؤالكم بمجرد أن يصلها الدور...» غضب الداي لهذا الرد فصرخ في وجه القنصل: «... كيف لهؤلاء الذين لدى ملكك أن يكونوا أعواناً كمثل الذين لدى...؟» وأثناء ذلك ضرب وجه القنصل بالمروحة التي كان يحملها⁶⁰ يذكر صاحب الكتاب بأنّ القنصل خرج من ساعته دون أن يقول أي كلمة متجهاً إلى ميناء المدينة ومنه ركب سفينة إلى فرنسا، فلمّا سمع الأهالي بما حدث أيقنوا لذلك؛ لأنهم يدركون أنّ فرنسا لن تظل ساكتة حيال ما جرى، وقد قصّ صاحب الكتاب أثناء ذلك ما حدث مع والده "حمدان خوجة أفندي" الذي اتّهم بأنّه يُشيع في الأخبار الخاطئة عن قوّة فرنسا وعدم قدرة الجزائر على مواجهتها، واستدعي لدى الداي ولكن "حمدان خوجة" استطاع ردّ هذه الأكاذيب والافتراءات وبرأ نفسه منها⁶¹.

من جهة أخرى نجد صاحب الكتاب ينتقل للحديث عن استعدادات الطرف الجزائري، فيتكلّم أولاً عن (آغا العرب) في تلك الفترة "يحي آغا" واصفاً إيّاه بالرجل الذي يحسن الاحتياط جداً، ومنوها في نفس الأمر بتلك العلاقة

يوجد أي تجهيز آخر بتلك الجهة ، لذا وبمجرد أن نزلت القوات الفرنسية وتوغلت في البرّ أحكمت السيطرة على البرج الذي أنشأه يحي آغا بما فيه من ذخيرة وأسلحة⁶⁷.

كما ركز صاحب الكتاب على ضعف وعدم أهلية "إبراهيم آغا" صهر "الداي حسين" على قيادة عساكر الجزائر ، الأمر الذي حمل العساكر على مراسلة الـداي في هذا الشأن لتغييره لكنه رفض ذلك ، ولم يقتنع بفشل صهره في إدارة الحرب إلا بعدما توغّلت العساكر الفرنسية في اتجاه المدينة بشكل أكبر ، وأصبح دفع هذه العساكر أمرا صعبا⁶⁸.

ينحو بعد ذلك صاحب الكتاب إلى الحديث عن غياب التنظيم والتدريب المحكم والذخيرة اللازمة للعساكر الجزائرية ، فيورد في ذلك أمثلة عن أنه لما وصلت قبائل العرب لمواجهة الجيوش الفرنسية صدموا بعدم وجود ذخيرة ، إذ أخبروا بأنّ الفرنسيين استولوا على معظم الذخيرة الموجودة ، لذا فقد قُدم لكلّ شخصي اثنتا عشرة طلقة لاغير ، لذا استهجن قبائل العرب ذلك ، وقال بعضهم -مستغربا الأمر-: «...المكان الذي نلقي به العدو على مسافة أربع ساعات ، عندما تنفذ الطلقات هل سنعود إلى هنا لتأخذ الطلقات ؟»⁶⁹ وإذا عرف هذا فمن الواجب القول أنّ الوضع في الإيالة كان مهيباً بالتمام لنجاح الحملة الفرنسية على الجزائر.

ثمّ نجده يسترسل في الحديث عن تفاصيل دخول العساكر الفرنسية إلى إيالة الجزائر ، والملاحظ أنّ صاحب الكتاب لا يستثني فقرة من الفقرات في الكتاب إلا ويشير فيها إلى غياب التنظيم في صفوف الإيالة ، إذ جُمع من المتطوعين ؛ استجابة لنداء الجهاد الذي أعلن عنه مئتا ألف فرد ، لكن بدون أن يجدوا القائد الذي من شأنه قيادتهم للنصر⁷⁰.

وقد نتج عمّا سبق استمرار تقدّم القوات الفرنسية ، فكان الفرنسيون لا يصلون مكانا موجودا فيه العساكر التي يقودها إبراهيم آغا إلا استولوا عليه ، وحين عاد إبراهيم باشا إلى مدينة الجزائر ليشرح الوضع للداي ، أدرك باشا الجزائر أنّ صهره لم يكن من أرباب القيادة⁷¹.

وأثناء وصفه لحركة العساكر الفرنسية للسيطرة على مدينة الجزائر- في هذا الفصل- نجد علي رضا باشا ينتقل للحديث عن استهداف عساكر الفرنسيين "البرج مولاي حسن"

الداي على العرض بقوله :«...نحن لا نعرف إلا الحرب..» وعاملهم معاملة سيئة⁶⁴.

وهنا يتوجب علينا أن نطرح علامة استفهام حيال المصادر التي استقى منها صاحب الكتاب "علي رضا باشا" منها معلوماته ومدى صدقها ، ونجد أنّ علي رضا باشا لم يجعل الأمر سراً ، بل صرّح بأنّه التقى أثناء إقامته بفرنسا مع السيد بيناك (Binake) وقد قام بسؤال السيد (بيناك) بخصوص ما جرى في تلك المقابلة ، فأخبره الأخير برواية تعنت "الداي حسين" وسوء معاملته للوفد المفاوض ، بل نقل له قوله بالتركية للفرنسيين: «..اذهبوا فليس لنا معكم شيئاً آخر إلا الحرب...»⁶⁵ ، فلو جعل الأمر كذلك فعلا مثلما رواه السيد (بيناك) ونقله عنه "علي رضا باشا" فهّمنا سبب التّحامل الكبير لصاحب الكتاب علي "الداي حسين" ومن معه فيما سيأتي.

وبعدما تحدّث علي رضا باشا عن اللقاء الذي تمّ بين الـداي والمبعوثين الفرنسيين انتقل للحديث عن قضية السفينة التي كانت تحملهم ، وكيف تعامل معها الطرف الجزائري بإجبارها بأمر من الـداي على الرحيل من الميناء على الفور ، كما وضح أنّ هذا الأمر تزامن مع وجود عاصفة جعلت من الأمر غاية في الصعوبة ، وهنا أشار إلى قيام المدفعية الجزائرية بقصف السفينة كلما حاولت الأخيرة الاقتراب من السّاحل⁶⁶.

ينتقل بعدها صاحب الكتاب في الفصل السابع للحديث عن مرحلة جديدة من مراحل الاحتلال الفرنسي للجزائر يبدأ بإنزال الجيش الفرنسي لقواته ، ثمّ ينتهي إلى شرح الأحداث التي وقعت أثناء هذا الإنزال ، والمحاولات الحثيثة للسيطرة على أماكن هامة مثل "برج مولاي حسن".

شرح "علي رضا باشا" هنا بالحديث عن سبب اختيار الجيش الفرنسي لساحل "سيدي فرج" من أجل رسو العمارة البحرية ، وأشار أيضا إلى محاولات الـداي حشد القوات اللازمة لأجل دفع الهجوم الفرنسي ، غير أنّ المشكلة كانت تكمن في المسافة الطويلة التي كانت تفصل بين قوات البيلك والقوات التي كان يقودها صهر داي الجزائر "إبراهيم آغا"

بالإضافة إلى ما سبق تحدّث "علي رضا باشا" أيضا عن استغلال العساكر الفرنسيين لعدم جاهزية القوة الجزائرية لرد الحملة ؛ إذ باستثناء البرج الذي أنشأه "يحي آغا" لم يكن

من اليوم الذي يلي هذا الاتفاق فحدث أن اتفق الفريقان على ذلك⁷⁵

ثم تحدّث في هذا الفصل أيضا عن مراسيم تسليم مفاتيح خزينة الدولة ثم التنازل عن السلطة في المدينة إلى الجنرال ديورمون⁷⁶ إذ تسلّم الأخير من الداوي مفاتيح الخزانة وكانت مليئة بالأموال ، وقد سمح الجنرال ديورمون للداوي أن يأخذ ما يشاء منها ، فأخذ العديد من المجوهرات والأساور⁷⁷ ، وكان بصاحب الكتاب يمحي كل ما من شأنه أن يكون حسنة لدى الداوي حسين المذكور.

بعدها ينتقل علي رضا باشا إلى الفصل التاسع ، ومن هذا الفصل يشرع صاحب الكتاب في الحديث عن وضع الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي ، وكيف تصرف الجنرال ديورمون في تلك الأثناء ، وحاول صاحب الكتاب بداية من الفصل التاسع أن يخوض في مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر ، وهي مرحلة الاحتلال الفرنسي ، لذا نجده يُخصّص الفصل التاسع للحديث عن سياسة المرشال ديورمون -قائد الحملة الفرنسية على الجزائر- وكيف بدأ يغيّر في ملامح المدينة بتحويله المساجد إلى كنائس أو تحويلها إلى ميادين.

لينتقل بعده في الفصل العاشر إلى الحديث عن مطالب السكان للدولة العثمانية بالحماية من بطش الجنود الفرنسيين ، وسعي الدولة العثمانية لذلك ؛ لكنه يقرّ بعجز الدولة العثمانية عن ذلك ، ثم بعد هذا يتحدّث صاحب الكتاب في الفصل الحادي عشر في عجالة عن حالة "الداوي حسين باشا" بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر ، وترحيله إلى فرنسا.

ينتقل بعدها في الفصل الثاني عشر إلى الحديث عن أحد الشخصيات الهامة التي أثّرت أو كانت تسعى للتأثير في الوضع السائد ، فاستهلها بوالده حمدان بن عثمان خوجة ، ثم عاد صاحب الكتاب للحديث عن تجديد الجيش الفرنسي وزيادة قواته في الجزائر في الفصل الثالث عشر ، بعدها يرجع صاحب الكتاب في الفصل الرابع عشر للحديث عن علم ثان كان له وزن مهم في تاريخ المقاومة وهو "الحاج أحمد باي" حاكم بيلك الشرق الجزائري ، وأشاد صاحب الكتاب كثيرا بقوته وحنكته وكيف أنه رفض الاستسلام لفرنسا وإغراءاتها.

في الفصل الخامس عشر يواصل صاحب الكتاب التأريخ للمقاومة الشعبية وهذه المرّة يستعرض مقاومة "الأمير

فاسترسل في الحديث عن سبب إنشائه وصرح أنّ الإسبان هم من أنشؤوه ، ثمّ تحدّث عن أهميته وعدّد صاحب الكتاب الاستحواذ على "برج مولاي حسن" هو بمثابة سيطرة تامة على المدينة ؛ إذ البرج يتيح لمن يُشرف عليه السيطرة الكاملة على مدينة الجزائر⁷².

ثمّ تحدّث في أثناء هذا كيف رفض من كان بالقلعة من عساكر الجزائر تسليم القلعة للفرنسيين ، وكيف أنّهم فضلوا أن يموتوا بها ويفجروا ما فيها من بارود وأسلحة على أن يأخذها الفرنسيون ، وصور لنا الكاتب صورة الانفجار الكبير الذي هزّ هذا البرج فسمع دويبه من أقصى الأمكنة واهتزت الأرض بمدينة الجزائر لهذا الانفجار⁷³.

بعدها فصل صاحب الكتاب الأحداث التي جرت عند "برج مولاي حسن" انتقل إلى الفصل الثامن من الكتاب ، وخصّصه للحديث عن تسليم باشا الجزائر "الداوي حسين" المدينة للفرنسيين ، لكنه قبل أن يصل إلى تلك النقطة توقف للحديث عن مساعي الداوي المتأخرة لأجل إيجاد الحلول اللازمة للمشكلة ، ثمّ عرّج للحديث عن الطريقة التي دعا بها الداوي أعيان وعلماء ورياس البحر وضباط الجيش من أجل أخذ رأيهم واستشارتهم في الموضوع ؛ وما حدث أثناء ذلك من نقاش ، وكيف أنّ العديد من الحضور حمل مسؤولية ما حدث مع الفرنسيين للداوي حسين. ثمّ يقرر كيف انتهى الأمر بين المجتمعين بقرار المواجهة لكن هذا القرار لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما تراجع بعض سكان المدينة عن ذلك القرار ؛ لإدراكهم بأنّهم سينهزمون لا محالة ؛ وخوفا على أبنائهم ونسائهم من الوقوع أسرى لدى الفرنسيين قرّر من بقي في المدينة أن يفاوضوا الفرنسيين ، وأن يستجيبوا لمطالبهم لحفظ أنفسهم وأهلهم⁷⁴ ؛ الأمر الذي حمل باشا الجزائر على مباشرة المفاوضات مع الجنرال ديورمون.

وقد أكدّ الجنرال ديورمون حسب ما أورده صاحب الكتاب أنّه شخص مأمور من طرف الدولة العلية ، وأنه لن ينتقل من مكانه إلا بأمر منها ؛ لذا اتفق الطرفان على أن يُسلم الداوي المدينة لعساكر فرنسا على أن يحترم العساكر الأهالي فلا يغتصبون أموالهم ولا يرؤعونهم في أمنهم وأن يحترموا المساجد والمقابر فلا يغيروا حالها ولا يدنسوها ، وطلب الداوي بذلك كتابا من الجنرال ديورمون نفسه فأجابه لما طلبه على أن يُضاف إلى ذلك السّماح للجنرال وعساكره بدخول المدينة

والمواضيع مختلف تماما ، لذا من الظلم أن يظل مجهولا إلى الآن.

- لم يخف صاحب الكتاب تعاطفه مع المرحلة العثمانية وتحسره على ضياع الجزائر ، وهذا أمر طبيعي ، خاصة إذا علمنا الميزات والوظائف التي تقلدها صاحب الكتاب في الدولة العثمانية.
- يتفق علي رضا باشا مع بعض المؤرخين المعاصرين له أو من أتى بعدهم في تحميل مسؤولية ما حدث للداي حسين ، لكنه يتميز عنهم بطريقته الصارمة والقاسية في وصف السبب في عدم جاهزية القوات الحربية لإيالة الجزائر ، كما أنه يميز بين فترتين أساسيتين في حالة الإيالة ، فترة التبعية والعلاقة القوية وفترة الفتور وتراجع قوة الإيالة كما سيأتي في كتابه كاملا لاحقا.

عبد القادر" ونجده يفصّل في مجريات الأحداث. ليأتي في الفصل السادس عشر من الكتاب فيصف كيف انتهت المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر بالاستسلام.

أما الفصل السابع عشر فقد خصّصه صاحب الكتاب لترجمة بعض باشاوات الجزائر وابتدأ الترجمة مع بابا محمّد باشا منتهيا بآخر باشاوات الجزائر حسين باشا ، لنقف في الفصل الثامن عشر على ما اعتقد أنّه مضاف من طرف مُترجم النسخة العربية إلى اللغة العثمانية علي شوقي ، إذ خصّص هذا الفصل للتعريف بجزء من حياة صاحب الكتاب لكن انتهاء الترجمة بالتّرحم على صاحب الكتاب يوحي بأنّ من كتب هذه الترجمة ليس هو صاحب الكتاب وإنّما المترجم. وهنا نصل إلى نهاية ما أردنا عرضه في هذه الدراسة من صورة كتاب «مرآة الجزائر» والذي يعد بحق وثيقة تاريخية هامة يجب الاستفادة منها قدر الإمكان.

خاتمة:

بالفصل الثامن كما أسلفنا يختتم صاحب الكتاب الحديث عن المرحلة الممتدة من الوجود العثماني إلى غاية دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر ، بعدها تبدأ مرحلة جديدة في الجزائر هي مرحلة المقاومات الشعبية المختلفة للوجود الفرنسي في الجزائر ، والتي خصّص لها صاحب الكتاب ما بقي من فصول كتابه ، ومن خلال إعادة استقراء ما مرّ بنا من عرض موجز للعناصر الكبرى التي استعرضها "علي رضا باشا" في مرآته إلى غاية سقوط مدينة الجزائر يمكننا أن نعرض موجزا للمحاور التي تشكلت منها الدراسة وهي جملة من الملاحظات والنتائج نقف عليها كمايلي:

- لصاحب الكتاب أهمية كبيرة في تدوين تاريخ الجزائر في فترة متقدمة ، إذ نقف إلى الآن على الأقل على مؤلّفين هاميين وضعهما في تاريخ الجزائر: الأول هو "الرحلة من مدينة الجزائر إلى مدينة قسنطينة سنة 1832م" والثاني هو "مرآة الجزائر" والذي ظل مجهولا لدى الكثير من الباحثين المتخصصين فضلا عن العامة من الناس.

- الكتاب الذي بين أيدينا "مرآة الجزائر" يختلف تماما عن كتاب "المرآة" الذي وضعه "حمدان بن عثمان خوجة" وهما لا يتقاسمان إلا الاسم وموضوع البحث فقط تقريبا ، فنمط عرض الفصول والتعاطي مع المعلومات

الهوامش

1. BOA: MKT.MHM Dosya 24 Gömlek No. 3 Tarihi 1266-1282 Belgil
2. - علي رضا باشا: مرآت الجزائر، مترجمي: علي شوقي، مجلس كبير معارفى تنسيبيله، اسطنبول، 1293هـ، ص 1.
3. -Ali Rıza Paşa: Mir 'at ül Cezayir(elveda Cezayir) çevirmen: Ali Şevki, Günümüz Türkçesine uyarlayan Cahit Kayra, 1. Baskı, Tarihçi kitap evi, İstanbul, Haziran 2014, s75.
4. -Zekeriya Kurşun : Osmanli Cezayiri'nin Son Müdâfii Hamdan b. Osman Hoca (1773-1842), (TARİHİMİZDEN PORTRELER – Osmanli Kimliği,PROF. DR. Cevdet Küçük Armağanı) O.R.A.F yayınları, İstanbul, 2013, s-s 28-34.
5. -Ali Rıza Paşa: a.g.e, s104.
6. BOA: HR.SFR Dosya N 1403. Gömlek N6 Tarih 1864.
7. BOA: MKT.MHM Dosya N 304. Gömlek N 70. Tarih 1281.
8. BOA: MKT.MHM Dosya N 348. Gömlek N 19. Tarih 1282.
9. - مدينة تركية تقع في وسط تركيا تبعد عن اسطنبول بحوالي 885 كلم وعن أنقرة العاصمة بـ 450 كلم باتجاه الشرق
- 10.BOA: IMMS. Dosya N 34. Gömlek N1420 Tarih 1284.
- 11.-Sinan Kunalp: Son dönem Osmanlı erkan ve ricali (1839-1922) prosopografik rehber, 1.Baskı, Isis, 1999, İstanbul, s 40.
- 12.-Ali Rıza Paşa a.g.e, s104.
- 13.-Sinan Kunalp: a.g.e, s15.
- 14.BOA: MKT.MHM Dosya N 454. Gömlek N100 Tarih 1290
- 15.-Ali Rıza Paşa: a.g.e, s104.
- 16.-Sinan Kunalp :Son dönem Osmanlı erkan ve ricali (1839-1922), s65.
17. - قسم من الوثائق ضمن الأرشيف العثماني يخص المراسيم والمراسلات والأوامر السياسية والاقتصادية والعسكرية الهامة التي كانت تصدر عن الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية يوجد (419) مجلد في الأرشيف العثماني تغطي سنوات ما بين (1553-1915م).
- 18.BOA: MKT.MHM Dosya N .475 Gömlek N59 Tarih1291.
- 19.-Ali Effendi: Souvenirs d'un voyage d'Alger à Constantine travers les montagnes, tr F. De. Saulcy Metz, 1838, P5.
- 20.-Ali Rıza Paşa: a.g.e, s74.
- 21.-Ali Effendi : Souvenirs d'un voyage d'Alger à Constantine travers les montagnes, P5.
22. - علي أفندي بن حمدان خوجة: وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال (1832م) تر عميرايوي حميدة، مراجعة بحاز إبراهيم، مجلة بوليكرومي، المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية، 2012، ص 6.
- 23.-Ali Effendi :op cit P3.
- 24.-ibid.
25. - مجلة بوليكرومي، المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية، 2012.
26. - مجلة بوليكرومي، المتحف العمومي الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية، 2012.
- 27.Ali Rıza Paşa: a.g.e, s106.
- 28.-Ali Effendi : op cit P3.
- 29.- علي رضا باشا: مرآت الجزائر، مترجمي: علي شوقي، مجلس كبير معارفى تنسيبيله، اسطنبول، 1293هـ، ص 1.
- 30.-Ali Rıza Paşa: a.g.e, s13.
- 31.-a.g.e: s13.
- 32.-a.g.e: s13.
33. الأصح أن إرسال الصحابي عثمان بن عفان لجيش عبد الله بن أبي سرح لفتح إفريقية كان في حدود سنة (27هـ).
- 34.-a.g.e: s14.
- 35.-a.g.e: s15.
- 36.-a.g.e: ss 14-18.
- 37.-a.g.e: s18.
- 38.-a.g.e: s19.
- 39.-a.g.e: s25-28.
- 40.-a.g.e: s29.
- 41.-a.g.e: s30.
- 42.-a.g.e: s33-35.
- 43.-a.g.e: s36.
- 44.-a.g.e: s36.

- 45.-a.g.e: s 36.
46.-a.g.e: s 37.
47.-a.g.e: s 37.
48.-a.g.e: s 39.
49.-a.g.e: s 40.
50.-a.g.e: s 41.
51.-a.g.e: s 41.
52.-a.g.e: s 41,42.
53.-a.g.e: s 42.
54.-a.g.e: s .87,88
55.-a.g.e: s 42.
56.-a.g.e: s 42.
57.-a.g.e: s 44.
58.-Ali Rıza Paşa: a.g.e, s46.
59.-a.g.e: s 46.
60.-a.g.e: s 46.
61.-a.g.e: s 47.
62.-a.g.e: s 49.
63.-a.g.e :s51.
64.-a.g.e: s52.
65.-a.g.e: s52.
66.-a.g.e: s53.
67.-a.g.e: s54.
68.-a.g.e :s55.
69.-a.g.e: s55.
70.-a.g.e: s56.
71.-a.g.e: s57.
72.-a.g.e: s57.
73.-a.g.e: ss 57,58.
74.-a.g.e: ss 59,60.
75.-a.g.e: ss 61.
76.-a.g.e: ss 62.
77.-a.g.e: ss 62.

الحوار الشعري عند أحمد عبد المعصي حجازي

Ahmed Abdul Muti Hijazi Poetic Dialogue

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2018-04-08

حنان بومالي، المركز الجامعي ميله
boumalihan@yahoo.fr

الملخص:

إن التطور الذي لحق لغة الشعر العربي المعاصر وصوره وإيقاعاته ، تزامن مع تطور بناء القصيدة الفني ، فالقصيدة أو التجربة كل لا ينفصل ، وكل ما فيها من عناصر رؤيوية مؤثرة في العناصر الأخرى وأنماط البناء الفني في القصيدة المعاصرة تتعدد وتتسع وتتفق في الانبثاق من النزعة الدرامية ، ولقد وعى أحمد عبد المعطي حجازي هذه الحقيقة التي تربط عناصر التجربة بعضها ببعض فوجد في الحوار وأنواعه أحد أشكال الدراما الشعرية المعاصرة ، واجتهد في استثمارها في متنه الشعري على نحو شكل علامة بارزة وظاهرة في قصائده ، من منطلق أن الحوار في النص الشعري ليس مجرد تعاطي الكلام أو حالة مقابلة بين شخصيتين أو أكثر.

الكلمات المفتاحية: الشعر المعاصر ، الدراما الشعرية ، الحوار ، القصيدة المعاصرة ، الإيقاع.

Summary:

The evolution of contemporary Arabic poetry language and image and its rhythms, which coincided with the development of construction technical poem, poem or experience all inseparable, and all its elements of other elements and influential visionary patterns technical construction in contemporary poem multiplied up and agree on emergence of dramatic tendency, We have consciously Ahmed Abdel moaty Hegazy this fact that binds together experience found in dialogue and a contemporary poetic drama types, and plied with investment in more poetic form a milestone and a phenomenon in his poems, poetic text dialogue not just speech abuse or h Interview between two or more persons.

Keywords: contemporary poetry, poetic drama, dialogue, contemporary poem , rhythm.

Résumé :

L'évolution de la langue de la poésie arabe contemporaine, d'image et de ses rythmes, qui a coïncidé avec le développement du poème technique construction, poème ou expérience tout indissociable et tous ses éléments d'autres éléments et de la technique de construction influents patrons visionnaires dans poème contemporain multiplié en hausse et s'entendre sur l'émergence de la tendance dramatique, Nous avons consciemment Ahmed Abdel moaty Hegazy ce fait qui lie expérience trouvé dans le dialogue et un types de drame poétique contemporain et retordus avec investissement en forme plus poétique, une étape importante et un phénomène dans ses poèmes, un texte poétique du dialogue non seulement les abus de discours ou h Entretien entre deux ou plusieurs perçons.

Mots-clés : poésie contemporaine, drame poétique, dialogue, poème contemporain, rythme.

نص المقال:

إن بناء القصيدة لا يعبر عن إحساس الشاعر بالتجربة الشعرية فقط، بل قد يتجاوز هذا إلى إحساسه ببناء الحياة عامة، والرؤى الفكرية التي يواجه بها معضلات هذا الوجود وقضاياها، فالبناء الفني يعني الرؤية المعمارية للهيئة التي وفدت بها التجربة إلى مخيلة الشاعر، ويجمع في طياته تفاصيل اللغة والإيقاع والصورة والأساليب ليعبر عن الروح العامة التي سرت في التجربة الشعرية سواء أكانت هذه الروح غنائية أو ملحنية أو درامية.

إن هذه الأنماط من البناء قد تلقي الضوء على قضايا أخرى تتعلق بشخصية الشاعر وقضاياها، ومن هنا فإن أساس نقد الشعر والبحث في الشعر أولاً وقبل كل شيء بحث عن الشكل، بما يختاره هذا الشكل من أنظمة خاصة على المستويات الخاصة، بما يختاره هذا الشكل من أنظمة خاصة على المستويات الخاصة، وبناء القصيدة هو السيطرة على التجربة واضطراباتها في نفس الشاعر، أو هو التأكيد للقارئ وللشاعر نفسه بأن الشاعر يسيطر على الاضطراب خارجه وداخل نفسه أيضاً.¹

ولقد استلزم تطور بناء القصيدة المعاصرة نظرة متحررة من القواعد المسبقة، أو «تجاوز النظرة التقليدية إلى القصيدة على أنها شكل ومضمون، أو مبنى ومعنى، إذ ليس هناك شكل في المجرى، وليس هناك أيضاً مضمون خارج بنية التعبير، فالقصيدة نص كتابي لا يمكن تقويمه أي نقده إلا انطلاقاً من بنية التعبير».²

وأنماط البناء الفني في الشعر العربي المعاصر تتعدد وتتسع وتتفق جميعها في الانبثاق من النزعة الدرامية التي تغلب على الشعر المعاصر، وهذه النزعة تأخذ دائماً في الاعتبار أن «كل فكرة تقابلها فكرة، وأن كل ظاهرة يستخفي وراءها باطن، وأن التناقضات وإن كانت سلبية في ذاتها، فإن تبادل الحركة بينها يخلف الشيء الموجب... إنها تعني الحركة من موقف مقابل، من عاطفة أو شعور إلى عاطفة أو شعور مقابل، من فكرة إلى وجه آخر للفكرة».³

أولاً-تقنية الحوار:

كل جديد ينطلق من رفض القديم ومن تمثيل للنتائج التي تتمخض عنها تفاعلات المغايرة وعوامل التضاد المتصارعة مع مكونات ما هو قائم، تلك التي تؤدي حتماً إلى تغلب طرف أو أطراف متضاربة مع بعضها وتمكنها من تنحية طرف أو أطراف أخرى متنافرة معها، مما يتيح للأطراف التي لها القوة والغلبة أن تظهر في وضعية جديدة صارت من أجل تحقيقها، فتتغير التفاعلات الاجتماعية اقتصادياً وثقافياً ونفسياً أدى إلى تغيير أفكارها وقيمتها وسلوكها وكان من الطبيعي أن تتغير أشكال تعبيرها عن واقعها الجديد.

وقد أدى ذلك كله بالطبع إلى تباين واضح ومغايرة جمالية لا تحطأها عين المتلقي وأذنه، ومن ثم تغير الأثر الدرامي، مع التأكيد على أن تلك الأطر متوافقة من حيث جمالياتها مع طبيعة النص الشعري⁴ الذي تتبدى قيمته الدرامية بشكل كامل، حيث يجب أن يتميز الحوار الشعري بالحيوية و عدم التكلف.

و يعد الحوار الدرامي أداة المسرحية لأنها تعتمد عليه في أسلوبها إذا ما قورن بالسرد الذي يضيق مجاله فيها، لأن هدفها هو الاتصال بالآخرين عن طريق عناصر متعددة، فالحوار بمنزلة العمود الفقري للعمل المسرحي، وتكمن أهميته في النقاط الآتية :

1- التركيز والإيجاز: يحدد العمل المسرحي بمكان وزمان معينين، فهو عمل مقيد تحكمه الضرورة الفنية، لارتباطه المباشر مع المتلقي ولارتباطه بالأداء والإشارات التي تفصح عن الطبائع واللمحة التي توضح المواقف، ولهذا وجب «أن يكون الحوار مضغوطاً، وعلى الكاتب أن يقتصد في استعمال الكلام ولا يسرف في استخدامه»⁵ وهذا يتطلب طول التروي واستحضار الذوق والمهارة الفنية.

2 - الآنية: تكاد تجمع الآراء على أن الحوار الدرامي من أهم العناصر التي يقوم عليها البناء المسرحي، لأنه الوسيلة التعبيرية التي يمكن أن يصل عن طريقها المضمون المطروح وإن كانت تسانده في نقل الفكرة بقية العناصر الأخرى.

وكما أن « الكاتب المسرحي ملزم باختيار الأحداث فهو ملزم أيضا باختيار الحوار »¹⁰ الذي يقوم على الذوق والمهارة الفنية، بمعنى أنه الثمرة الناضجة التي يقدمها لنا الكاتب الفنان بعد طول التروي، والمراد بواقعية الحوار المسرحي هو أن «يلتزم الكاتب حدود الشخصية المرسومة فلا ينطقها إلا بما يتلاءم معها سواء أوتيت القدرة أو لم تؤت القدرة على الإيضاح عن ذاتها»¹¹ فالواقعية في الحوار المسرحي إذن ليست في نقل الواقع، وإنما بتصوير الشخصيات وإدراكها لمواقعها الحقيقية، لأن الفن ليس نقلا آليا للحياة، وإنما هو تصوير لها وتعبير عنها.

ومما يلاحظ أن هذه الخصائص التي يؤديها الحوار المسرحي تؤدي في وقت واحد، أي عندما ينطق الشخص بعبارة ما قد يكون في هذه العبارة مجموعة من المهمات، ففيها « إخبار بحادثة وفيها تكوين شخصية وفيها خلق الجو وفيها تلوين لروح مظلم أو مفرح، مثلها كمثل العبارة الموسيقية التي تنطق محملة بالنغم الذي يُرَوَى وَيُلَوَّنُ وَيُكُونُ ويشير كل هذا في لحظة، وكشأن البيت في القصيدة الشعرية ينطلق حاملا إلى النفس عذوبة ووزنا وفكرا ومعنى وصورا كل هذا في آن»¹².

ولما كان الحوار توأما بين الشخصيات وتعبيرا عنها وعن مكوناتها، فهو الأداة الفارقة أو هو السمة الجامعة المانعة المنظمة لأي عمل مسرحي، خاصة وأنه ليس كلاما تنطق به الشخصيات فحسب بل هو منطقها الفكري ومنظورها الفني داخل إطار البناء المسرحي، فهو « كلام يحتوي الإنسان كله والكلام بين الأشخاص يحتوي المجتمع كله...وعلى الكاتب الدرامي أن يكتب بفصاحة أي أن عليه أن يحقق مستوى من الكلام أعلى بكثير من كلامنا في الحياة»¹³.

إذا كانت هذه جماليات الحوار المسرحي عموما، فمما لا شك فيه أنه في النص الشعري يختلف عنه في المسرح النثري في بعض السمات والصفات، لأن لغة النثر غير لغة الشعر ولا شك أن الحوار متعلق بطبيعة اللغة وبطبيعة إيقاع هذه اللغة، ولا يستوي ذلك عند أهل الخبرة ولا عند أهل العلم المسرحي، خاصة وأن نشوء الحاجة إلى الحوار في النص الشعري مردها إلى شاعرية الموقف الدرامي وشاعرية الشخصيات بالإضافة إلى شاعرية لحظة الانفعال، بمعنى أن

ويسهم الحوار في تحريك الأحداث وامتدادها وفي تحديد الشخصية وتثبيتها من خلال علاقتها بالحدث وبالشخصيات المسرحية الأخرى، إضافة إلى أنه يسهم في عرض القضايا ومناقشة الأفكار وتحديد المواقف وهو في ذلك كله يقدم القصة المسرحية حية نابضة بالحركة تدل على اللحظة الآنية⁶، فمهمة الحوار لا أن يروي أحداثا حدثت في الماضي، وإنما يعبر عن الماضي بلغة الحاضر، فهو يصور أشخاصا يعيشون بيننا اللحظة والآن.

3- الانسجام مع الموقف: يتوقف اختيار نوع الحوار

تبعاً لنوع المسرحية؛ لأنه « يسهم في خلق الجو المسرحي أو تقرير المزاج النفسي للشخصية المسرحية لذا لا بد أن يتسم بالحيوية، وذلك من خلال قدرته على إيضاح ما يدور في نفس الشخصية وفكرها، وأن يتلون بما يتناسب مع طبيعة الموقف والشخصية»⁷ مما يعطي تحريكا لجو المسرحية بانسياب وإيقاعات مختلفة، وقد « يمضي الحوار على نحو عادي حتى يبلغ الموقف حد التأزم فيتوتر الحوار ويزيد إيقاعه ويصبح في المسرحية النثرية أقرب إلى الشعر، وقد تتطور الشخصية خلال نمو الحدث المسرحي فيتلون الحوار حسب ما طرأ عليها من تغيير كما يتلون حسب اختلاف الشخصيات نفسها في المستوى العاطفي والفكري والاجتماعي»⁸ بمعنى لا يظل الحوار على وتيرة أو إيقاع واحد.

4- الواقعية: أدرك المسرحيون العرب أن لغة المسرح

ليست لغة الحياة العادية، إذ إنها تعتمد على الحوار المكتف المختصر، الذي هو أخص ما يعتمد عليه الكاتب المسرحي في التعبير عن أمر ما تجري أحداثه في الحياة الواقعية ذلك أن الكاتب المسرحي مقيد بزمن محدد، لذا لا بد له من الاقتصاد في استخدام الكلام والابتعاد عن الحشو من الألفاظ المستخدمة في الحياة العادية، أو كما يقول لوتفج Luduing « إن المأساة الحديثة يجب أن تكون طرازا من الشعر ينبثق لا من اللحظة العابرة بل ينبثق من كيان الحياة الواقعية جميعا، فالمسرحية يجب أن تكون فاجعة تستدعيها الأحداث والشخصيات، ويجب أن ينحو تسلسلها وحوارها منحى التحليل، أي ينبغي أن تطور الحدث وتقضي إلينا بالحقائق التمهيدية»⁹.

الإحساس بالإيقاع العام ، أو كما قال توفيق الحكيم « الحوار يجري على منطلق الشعر بتسلسل ، بنظامه الطبيعي في حياة المعاني النفسية ، فهو يقفز قفزات ويعبر فجوات ويستعين بالكلمات المضيئة والحكم البليغة والصور اللامعة ليصل في صفحات قليلة إلى أغوار النفس الإنسانية »¹⁸ ، بمعنى أنه في الشعر فن خاضع لتصورات متعددة ويختلف عن الحوار في الفنون الأدبية الأخرى ، ويتمرد على كل جملة وعبارة ليتصل بالشخصيات ويعكس مواقفها وانفعالاتها ويعبر عن الواقع .

والصياغة اللغوية لحوار النص إنما تبلور درجة وعمق ثقافة المؤلف ثم إن « شفافية الحوار وقدرته على التعبير واكتنازه للصورة الدرامية يخضع لا للمعنى المستشف فحسب ، بل إلى طبيعة موسيقى الكلمة وحروفها وتأثيرها وقيمتها في خلق الجميل لدى المتلقي »¹⁹ وعليه فالحوار يشكل العصب الأساس في النص لأنه الطريق الذي يُعبّر من خلاله عن مشاعر وأفكار وتطلعات وأهداف الشخصيات .

ثم إن استخدام هذا الأسلوب من الحوار في القصيدة الغنائية في الشعر الحديث لم ينتقل فجأة إلى الحوار الدرامي الصرف ، أي أنه لم يستغن الشاعر فيه تماما عن أسلوب رواية الحوار ، وإنما «وظف الحوار بما يمتلكه من طاقات تفعيل فنية لتطوير أساليب تعبيره ، وهو ليس ابتكارا شعريا جديدا... ، لذا فإن توظيفه على يد الشاعر الحديث يعد امتدادا لذلك ، إلا أن توظيفه على هذا النحو الكبير والواسع في بناء النص الحديث يشكل إضافة جديدة للنهوض بكثافة النص وشعريته»²⁰.

ثانيا- أشكال الحوار في شعر حجازي:

لقد وجد الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي* في الحوار أحد أشكال الدراما الشعرية ، واجتهد في استثمارها على نحو شكل علامة بارزة وظاهرة في شعره ، إذ تحتشد الكثير من قصائده بنماذج متنوعة من تقنية الحوار بطابعه الدرامي المميز .

1- الحوار الداخلي (المونولوج):

يطلق هذا النوع على حوار الذات أي محاوره الكاتب نفسه ، إذ هو «أحادي الإرسال تعبر فيه الشخصية الواحدة عن حركة وعيها الداخلي في حضور متلق واحد ، متعدد ، حقيقي ، أو وهمي ، صامت غير مشارك في الإجابة»²¹ ،

التعبير الشعري هو الذي يفرض شكل الحوار بالدافع الانفعالي للشخصية .

إن الشعر كما يقول آرثر سايمونز (Saymonz Arthur) « هو دم الحياة الذي يسري... وأن عظمة المسرحية تطالعا من خلال الشعر بصورة مشروعة »¹⁴ ، وقد يبدو هذا شيئا عاديا ومتوقعا ، ولكن في فوضى أمور الدنيا وعجز معظم الناس في مختلف المناسبات نجد أن شيئا من الحوار الجيد هو بحد ذاته مصدر متعة وبأينا بما يشبه المفاجأة اللذيذة¹⁵ ، لأن الشاعر يتخلص في الشعر من كل الأسانيد الوصفية والسردية ، ويجترح معجزة يثيرها في نفس المتلقي بتحريك الشخوص وانطلاقها بصورة حية ومستقلة فيحقق تكاملا فنيا انطلاقا من الشعور أو الحدث ، وانطلاقا من تبنيه لأسلوب درامي تختفي فيه شخصيته عن لغة الحوار وتظهر في روح الحكاية .

وعليه فإن التعبير الشعري يرتبط غالبا بالمنجاة أي المونولوج ، إلا أن الديالوج لا يخلو أيضا من التعبير الشعري وهو « تلاؤم الصورة الشعرية والوزن مع الشخصية بحيث لا يزيد عن كونه تعبير الشخصية المنفعل مع الموقف الذي تعيشه ، ولا يزيد عن كونه أحد عناصر التّوصّل لدوافع الشخصية ووجدانها في حالة انفعالها المتفاعل مع عناصر الموقف الدرامي من شخوص ودوافع وعلائق متفاعلة في حالة من توافق المتلازمات ، وتناسق المتنافرات في وحدة من الموقف الدرامي»¹⁶.

ويتأتى له هذا بالبعد عن وحدة البيت التي عرف بها الشعر العربي وبالبعد عن وحدة القصيدة وتوخي أن يؤدي كل ما تقوله الشخصيات أداء يسعى إلى أن يكون عنصرا ضمن نسيج العمل المسرحي ويتحقق ذلك من قدرة اللغة الشعرية على الإيحاء أو كما يقول إليوت (T.S.Eliot): «لا يكون الشعر شعرا إلا حين يصل الموقف الدرامي إلى حد من العمق والتركيز يصبح معه الشعر الوسيلة اللغوية الوحيدة للتعبير الطبيعي ، فهو في هذه الحالة اللغة الوحيدة التي يمكن بها التعبير عن العواطف»¹⁷.

والحوار في النص الشعري ليس مجرد تعاطي الكلام أو حالة مقابلة بين شخصيتين أو أكثر ، إنه قبل كل شيء إحساس بالزمن والمقدرة على التوظيف المناسب له ومن ثم

أَنَا رَأَيْتُ سَتَائِلَ حَضْرَاءَ تَأْكُلُهُنَّ سَتَائِلُ يَابِسَاتٍ
أَنَا رَأَيْتُ إِلَى جَسَدِي رَاجِعًا بَعْدَ مَوْتٍ طَوِيلٍ.²⁴

يبحث حجازي في هذا المقطع عن قضية واقعية كبيرة تتمثل بشخصيته "الرائي"، والتي تمثل أيضا صفة مركزية أساسية لكل شاعر، فهو راء في المقام الأول، لكنها لا تعدو إلا أن تكون اهتماما بالواقع والقدرة على النفاذ إليه في حدس شعري صادق متميز، وهو ينفذ إليه عن طريق الحوار الداخلي "الذاتي" ليعكس شعوره الداخلي، وليعوض عن حالة الإحباط التي يعيشها جراء فساد واقعه.

ويستمر أحمد عبد المعطي في حوار الداخلي مع ذاته بالتسلسل المنطقي للأحداث الذي ينعكس بصورة أخرى على حالة الواقع المتردي، حين يصور قسوة الناس في المدينة؛ وكيف بلغت الحد الذي يتعذر معه على الناس أن يخصوك بنظرة إشفاق، ولو سرت بينهم عاريا، يقول:

رَأَيْتُ نَفْسِي أَعْبُرُ الشَّارِعَ عَارِي الْجَسَدِ
أَغْضُ طَرْفِي خَجَلًا مِنْ عَوْرَتِي
ثُمَّ أُمَّدُهُ لِأَسْتَجِدِّي الْتِبَاقًا عَابِرُ
نَظْرَةَ إِشْفَاقِي عَلَيَّ مِنْ أَحَدٍ
فَلَمْ أَجِدْ⁵⁶²

يكتب الشاعر في المقطوعة بلغة واضحة تمتاز بالإيجاز في إيراد المعاني، وبالسرعة في إيراد الأفعال، إذ يستدعي بذلك جميع الحواس إلى النهوض، ويظهر الحوار الداخلي (المناجاة) من حيث هو حديث النفس للنفس في غيبة الآخرين في مقطع آخر حين يقول:

لَوْ أَنَّنِي -لَا قَدَّرَ اللَّهُ سَجُنْتُ- ثُمَّ عُدْتُ جَائِعًا
يَمْتَعْنِي مِنَ السُّؤَالِ الْكَبِيرِيَاءُ
فَلَنْ يَرِدَ بَعْضَ جَوْعِي وَاجِدٌ مِنْ هَوْلَاءُ
هَذَا الرَّحَامُ.... لَا أَحَدٌ.²⁶

يؤدي الحوار في هذه المقطوعة دورا كبيرا في الكشف عن طبيعة شخصية الشاعر وأفكارها وعواطفها، باستخدام التسلسل المنطقي غير المقصود للأفعال، فحجازي ابتدئ مقطوعته بحرف شرطي غير جازم، ثم ينتقل إلى النفي، والحقيقة أن أداة الشرط والنفي ما هي إلا وسيلة للتعبير الدرامي عن مناخ الاغتراب والنفى والسجن.

ولما كان الحوار الداخلي (المونولوج) هو «اتجاه إلى الذات واكتفاء بها، وهو عزلة فنية عن الخارج بما يوحي، إما

والحوار الداخلي تقانة تشكيل شعري جديد واسع الاستخدام مستعار أصلا من المسرح.

وبعد الشعر الغنائي حوارا داخليا يقيمه الشاعر مع ذاته لأسباب نفسية أو اجتماعية، فيقيمه عندما يمر بأزمات نفسية، ولاسيما أنه إنسان يتمتع بإحساس جاد وعميق بما يدور حوله من تناقضات يولدها الواقع الخارجي، فيحاول بذلك أن يكشف عن رفضه لهذه التناقضات عن طريق محاورة ذاته، ويبين لنا هذا النوع ما يدور في نفسية الشاعر ومشاعره²²، من ذلك قصيدة "موعد في الكهف"، إذ يتخذ منها حوارا داخليا بينه وبين ذاته للتنفيس عن غربته وقلقه وحرمانه، كما في قوله:

مَنْ يَا تُرَى يَذْكُرُنِي
بَعْدَ اخْتِفَاءِ الْفَارِسِ الشَّهِيدِ وَالشَّيْخِ الْحَكِيمِ
مَنْ يَا تُرَى يَذْكُرُنِي
مَنْ بَعْدَ أَنْ فَقَدْتُ إِيْمَانِي وَصِرْتُ مُلْجِدًا
مَنْ يَا تُرَى يَذْكُرُنِي
لَا تَسْأَلُنِي أَنْ أَقُولَ فِي عَدٍ
مَا قُلْتُهُ هَذَا الْمَسَاءُ
لَأَنْنِي أَحَاوِلُ النِّسْيَانَ... يَا حُبِّي الْقَصِيرُ
أَحَاوِلُ النِّسْيَانَ حَتَّى لَا يَرَانِي النَّهَارُ.²³

إن القصيدة من عنوانها مركزة تحمل سمة اليومية، وكأن حجازي يعبر فيها عن يومياته، تلك اليوميات المشغولة بقضية الحب، كما تنهض في تكوين شكلها الدرامي الشعري على المونولوج الذي يعد طريقة من طرائق تقديم الشخصية، إذ يعطي الحوار الداخلي في هذا المقطع حافزا للقارئ من خلال فضاء السؤال الدرامي "فمن يا ترى يذكركي"، والذي يطلقه الشاعر بقدر عال من التساؤل والتعجب، هذا التعجب الذي يقضي إلى تغيير الواقع، ولكن إلحاحه في ذات المقطع على محاولة النسيان "أحاول النسيان" يحول دون فعل التغيير، وإنما يبين الرغبة الشديدة في العزلة والهروب من فساد الواقع وتفننه بعد أن اكتشف زيفه وخداعه.

ومن خلال الاستغوار في أعماق وعي الذات الحجازية، تتحقق الصلة العلائقية مع الذات بوصفها كينونة عقلية توليدية، يستخدمها لتعميق معرفة الشخصية داخل متنه الشعري "قطار الجنوب":

أَنَا رَأَيْتُ قَضِيْبًا مِنَ النَّارِ فَوْقَ الْمَدِيْنَةِ

حقيقة معنية ويعبر عن تلك الحقيقة تعبيرا دقيقا لا مبالغة فيه أو افتعال.

وفي الحوار الخارجي لا تكون الدائرة الدرامية مغلقة ولكنها تتخذ شكل زاوية، ويعد المشاهد القارئ طرفا ثالثا فيها وجزءا أساسيا، بمعنى أنه جسر الشاعر نحو الآخر، فكما حاجته في مواجهة عالمه الداخلي من خلال الذات، فإن مواجهة العالم الخارجي يعوزه هذا النوع من التمازج.³⁰

إن الشاعر لا يهدف في نصه إلى الحوار لذاته، بل إن حاجته إليه هي التي تقوده إليه، فقد «تكون القصيدة كلها حوارا، بل يستخدمه حين يدرك بحاسته الدرامية جدوى الانتقال من صوته التقريرية إلى أصوات المشهد نفسه»³¹، والحوار الخارجي يتجاوز به الشاعر إلى المشاركة بوجهة النظر الخاصة به ودخوله طرفا في العملية الحوارية، وهذا يمنح الرؤية الشعرية فتننتها وتأثيراتها، فهي «لا تسير في اتجاه واحد، ولا ترى من الجبل سفحه المواجه لنا فحسب، بل هي سعي دائم لرؤية الشيء ونقيضه على النحو الذي تسعى فيه إلى التعدد والتنوع»³²:

صَوَّبْتُ نَحْوَهُ، «نَهَارِي كُلَّهُ

وَلَمْ أَصِدْ

عَدَوْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْغَيْمِ

بَيْنَ الْحُلْمِ وَالْيَقَظَةِ

مَسْلُوبُ الرُّشْدِ

وَمُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ بِلَآئِي... لَمْ أَعُدْ³³

يعد الحوار الخارجي في هذه المقطوعة تقانة أساسية، إذ يجري حجازي حوارا بين صوتين جاعلا من الإبداع الشعري نهارا للعطاء، حيث تتفاعل حركة الشخصيتين (الشاعر والآخر)، وتمتد تلك الحركة امتداد النهار الذي لا ينقطع عطاؤه، ثم إن استخدام هاء الضمير في "نحوه"، إنما جاء ليستثير الطرف الثاني ويحرك فيه صمته وسكونه بحضور الأفعال الماضية التي تنطوي على تسويق رمزي دلالي (صوبت/ عدوت/ خرجت)، فهي تمنح النص الشعري طاقة إيحائية توحى بقضية المنفى والوطن والحلم.

ويؤدي الحوار الخارجي مهمة كبيرة في جدة فكرة النص والإسهام في تقديم تأويلات رمزية من طبيعة السياق، عندما يقدم حجازي في قصيدة "مرثية العمر الجميل"، لاعب

بالخوف من الخارج أو اليأس منه، وفي الحالتين يطلب الشاعر العزلة، والتي يعبر عنها المونولوج فنيا»²⁷، كذلك فإن أحمد عبد المعطي حجازي يندفع إلى اليأس من تعقد القضايا واضطراب خيوطها، وتعدّد مواقفه منها بما يحتاج إلى الاستبطان واستفوار الذات والانكفاء عليها، كما في قوله:

هَذِهِ رِيحُهَا، كَأَنَّ رَجِيلِي

كَانَ حُلْمًا

وَعَوْدَتِي الْيَوْمَ صَحْوِي

هَذَا النَّهَارُ نَهَارِي

وَهَذِهِ الشَّمْسُ شَمْسِي!

شَجَرٌ فِي دَمِي يَجِيشُ

صَبَاحَاتُ خَرِيفٍ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ

مَعْسُورَةٌ بِطَلِّ

وَمُنْقُوصَةٌ بِسِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ

وَأَسْنُ

فِي الضَّفَّتَيْنِ، وَرُؤُوسِ.²⁸

إن الحوار الداخلي في هذه المقطع يتكثف زمنيا ومكانيا باستخدام آلية الاختزال، فالزمن النفسي والمكان النفسي يحلان محل الزمن والمكان الطبيعي، وذلك لأن "الشمس، والنهار، والشجر، والطير..." تختزل الأزمنة وتختصر الأمكنة، لينتقل الشاعر إلى الذات الإنسانية الشاعرة ويلتحم معها في اغترابه ومنفاه، وبهذه الملامح الفنية يكون الحوار الداخلي بنية درامية دالة في شعر أحمد عبد المعطي حجازي يصور توتره وتوتر ذاته وتصدها وصراعاتها الداخلية والخارجية، كما يشكل مرآة لهوموم ومؤشرا على تعقد واقعه المحيط، وعلى وعيه بهذا التعقد، ولقد تنوع هذا النوع حسب السياق الخاص بكل نص شعري.

2- الحوار الخارجي (الديالوج):

يعد الحوار الخارجي ذا أهمية مركزية في الدراما، وهو عصب الدراما المسرحية تحديدا، فيه تتصاعد الأحداث وتنمو، ولذلك يسميه الدارسون الحوار الدرامي، وهو أكثر دورا وفعالية من بقية عناصر التشكيل الدرامي، وظيفته تعدد رئيسية في الدراما سواء المسرحية الشعرية أو حتى درامية الشعر الغنائي،²⁹ والحوار الخارجي ينطلق من دوره ووظيفته، فالحوار الجيد هو الذي تدل كل كلمة فيه على معنى يكشف

السيرك شخصية دالة على السقوط الإنساني وفشله في الانتصار على عوائق الحياة ، يقول:

حِينَ يَصِيرُ الْجِسْمُ نَهْبُ الْخَوْفِ وَالْمَغَامَرَةِ
وَتُصْبِحُ الْأَقْدَامُ وَالْأَذْرُعُ أَحْيَاءَ
تَمْتَدُّ وَحَدَّهَا

كَأَنَّ حَيَاتٍ تَلَوَّتْ

قِطْعًا تَوَحَّشَتْ... سَوْدَاءَ بَيَاضًا

تَعَارَكَتْ وَافْتَرَقَتْ عَلَى مُحِيطِ الدَّائِرَةِ

وَأَنْتَ تَبْدِي فَلَكَ الْمُرْعِبِ الْآءُ وَالْآءُ

تَسْتَوْقِفُ النَّاسَ أَمَامَ اللَّحْظَةِ الْمُدْمَرَةِ

وَأَنْتَ فِي مَنَازِلِ الْمَوْتِ تَلِجُ... غَابِيًا مُجْتَرِبًا.³⁴

إن بنية الحوار في تشكيلها الدرامي تتمثل في هذه الثنائيات (الخوف / المغامرة) و(سوداء / بيضاء) و(تعاركت / افتقرت) و(الحياة / الموت) و(عاتب / مجتري) في آن واحد، وهي بجدلها وتنوعها أدت إلى استظهار القيم التعبيرية المباشرة وغير المباشرة في المقطع الشعري المبني على هشاشة الإنسان وسقوطه في برائن الموت والعدم.

وبما أن أخص سمات المسرح التي اكتشفها النقد الحديث هو تلك الحوارية المخصبة التي تسمح بتعدد اللهجات والنبرات داخل الخطاب، لا في الحوار فحسب، وإنما عبر الطبقات الحساسة من لغة الأشخاص، وهي تتجاوز وتتباعد عبر سياق النص،³⁵ فإن حجازي يقيم حوارا بين شخصيات متعددة في النص، الغالب منها يكون صوت الشاعر الذي هو أحد هذه الأصوات، كما في قصيدة "أنا والمدينة" حين يقول:

هَذَا أَنَا

وَهَذِهِ مَدِينَتِي

عِنْدَ انْتِصَافِ اللَّيْلِ

رَحَابَةُ الْمِيدَانِ، وَالْجُدْرَانِ تَلُّ

تُبِينُ ثُمَّ تَحْتَفِي وَرَاءَ تَلُّ

وَزَيْفَةُ فِي الرِّيحِ دَارَتْ، ثُمَّ حَطَّتْ ثُمَّ صَاعَتْ فِي

الدُّرُوبِ

ظَلُّ يَدُوبُ

يَمْتَدُّ ظَلُّ

وَجَاشَ وَجُدَانِي بِمَقْطَعِ حَزِينِ

بَدَأَهُ، ثُمَّ شَكَّتْ

مَنْ أَنْتَ يَا... مَنْ أَنْتَ؟

الْحَارِسُ الْفَقِي

لَا يَعِي حِكَايَتِي

لَقَدْ طَرِدْتُ الْيَوْمَ

مِنْ عُرْفَتِي³⁶

يستخدم الحوار هنا أداة تفعيل لتحريك حيوات النص، إذ يبدأ بوصف المدينة واغترابه فيها محاورا إياها من خلال الزمان (منتصف الليل) والمشاهد المخيفة التي توحى بضياعه وتساؤله فيها، ويرسم الشاعر المشهد الشعري هنا بصورة بصرية قائمة على آلية الوصف المشتغلة في القصيدة، ثم يقوم الحوار بعدها على رؤية استفهامية ذات براهين تبث الحزن الموحش والاغتراب، وبهذا حقق النص تفاعلا مهما في تماسك وحداته باختراقه لمنطقة السرد، وتعميق درامية القصيدة باستخدام وسائل فنية أخرى، منها بناء المقطع على الجمل الاسمية التي تعبر عن السكون والثبوت على حالة الاغتراب الموحش.

ويصادف المتلقي هذه البنية الحوارية الاستفهامية في

مقطع آخر، عندما يريد حجازي كشف اغترابه، كما في قوله:

يَا عَمَّ

مِنْ أَيْنَ الطَّرِيقُ؟

أَيْنَ طَرِيقُ السَّيِّدِ؟

أَيُّهُنَّ قَلِيلًا، ثُمَّ أَيُّسَرُ يَا بَنِي

قَالَ... وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ.³⁷

جاء الحوار هنا كاشفا لما يدور بداخل الشاعر من معاناة واغتراب ومسهما في الوحدة العضوية داخل القصيدة، حيث تبدو الجملة الاستفهامية أطول من جملة الإجابة، مما يشير إلى حرصه على تصوير القروي في صورة حميمية مع الآخرين، ولكن هذا الآخر غير راغب في هذه الصلة، وغير متصف بالحميمية، لينصهر القروي في بوتقة الألم الوجودي والحزن الإنساني العميق.

والحقيقة أن الحوار الخارجي يحتل مكانه بارزة في شعر أحمد عبد المعطي حجازي، حيث «يبدو بنية فنية مناسبة لاستحضار الشخصيات التاريخية على وجه الخصوص، والتي عن طريق التحاور معها يظهر الشاعر موقفه الواقعي من التاريخ والحاضر في ذات الوقت»³⁸، يقول:

أَهْ هَذَا الْفَارِسُ الشَّهْمُ النَّبِيلُ

قَالَ: هَيَّا يَا جُنُودَ اللَّهِ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ
 التوقع مهما بلغت درجته ؛ كما استطاع أن يوفر لمتنه الشعري
 أَنَا مِنْكُمْ وَدَمِي مِنْ لَحْمِكُمْ هَافَةَ المزدوجة الجمالية و الرؤية التي تجسد التحقق
 الشعري العميق ، وتأسر المتلقي بشكلها المتفوق من حيث
 الإستراتيجية الإبداعية التي لامست عمق لحظة السياق
 التاريخي والاجتماعي والنفسي والثقافي والفني .
 وَحِزَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ جُرْحِكُمْ
 وَقُرَّانِكُمْ مَوْطِنِي ، إِيَّيْ غَرِيبٌ
 قَدْ رَعَانِي ذَلِكَ الْوَادِي الْحَصِيبُ
 فَأَنْهَضُوا وَأَمْضُوا مَعِي
 آه.. مَا أَرْوَعُ أَصْوَاتَ الْجُمُوعِ³⁹

يبدو الحوار الخارجي متعدد في هذه المقطوعة ، حيث
 يظهر الشاعر أكثر من صوت ، وتبدو المقطوعة مزدحمة بهم ،
 فالحوار يديره بين أبناء الشعب البسطاء ، كما يحرص على
 إظهار صوت الجموع من جهة وتأييد البسطاء من جهة أخرى .

خاتمة:

هكذا استطاع أحمد عبد المعطي حجازي من خلال
 الحوار الشعري أن يعبر عن رؤيته الشعرية ببعديها الداخلي
 والخارجي ، حيث يتشكل الحوار الداخلي في متنه الشعري
 بأشكال عديدة من المناجاة والتمني والصراع مع الذات ،
 وتعمل كلها على إضاءة لحظات التنوير الشعري الحواري في
 قصائده ، إذ تمنحها طاقة درامية مشحونة بالأمل والمعاناة
 والاعتراب والحزن في آن واحد .

كما يكثر المتن الشعري الحجازي بالحوار الخارجي ،
 والذي قدم قيمة درامية كثيفة تتمثل في محاورة الواقع
 المغفور بالتناقضات والمفارقات على أشدها ، والحوار الخارجي
 جعل الصور الشعرية تحتشد لتملأ الفضاء الشعري بطاقة
 درامية حوارية تتشكل بقوة من كل هذه الصور وتفاعلاتها
 المتداخلة ، وبالتالي إنتاج بنية شعرية درامية تحاول استثمار
 طاقات الفعل الدرامي في فضاء القصيدة .

وبذلك استطاع حجازي أن يجسم الواقع الاجتماعي
 والسياسي بطريقة مستحدثة ومعاصرة في نصه الشعري ، وأن
 يجمع أحد أهم أركان المسرح الناجح داخل قصائده ، والذي
 قدم من خلاله رؤيته للعالم فكان تكثيفا لدلالات الحياة
 المختلفة ، وسهما في أحشاء القساة الجارحين وسيفا على
 رقاب الخونة والظالمين مهما كانت مرتبتهم ومهما كان
 توجههم الإيديولوجي ، كما عكس الحوار على الجانب الجمالي
 الذوقي قدرة الشاعر على تحريك الخيال ، وإثارة المتعة الفنية
 لدى المتلقي بما يثير مشاعره ويجعله قادرا على كسر أفق

الهوامش

- 1- ينظر كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة "دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية". د. ط. دار المطبوعات لجامعة الإسكندرية. 2007م. ص 729.
- 2- أدونيس: سياسة الشعر "دراسات في الشعرية العربية المعاصرة". ط 1. دار الآداب: بيروت. 1985م. ص 152.
- 3- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية. ط 3. دار العودة ودار الثقافة: بيروت. 1981م. ص 279.
- 4- ينظر أبو الحسن سلام: مقدمة في نظرية المسرح الشعري. ط 1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية. 2006م. ص 54 - 55.
- 5- عبد اللطيف محمد السيد الحديدي: العمل المسرحي في ضوء الدراسات النقدية. ط 1. د. ن. القاهرة. 1996م. ص 62.
- 6- ينظر حورية محمد حمو: تأصيل المسرح تأصيل المسرح العربي بين التنظير والتطبيق في سوريا ومصر. د. ط. إتحاد الكتاب العرب: دمشق. 1999م. ص 279-280.
- 7- المرجع نفسه. ص 281.
- 8- عبد القادر القط: من فنون الأدب "المسرحية". د. ط. دار النهضة العربية: بيروت. 1978م. ص 34.
- 9- إريك بنتلي: المسرح الحديث "دراسة في الدراما ومؤلفيها". ج 1. تر محمد عزيز رفعت. مر: أحمد رشدي صالح. د. ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة. د. س. ص 69-70.
- 10- محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن. د. ط. دار النهضة العربية: بيروت. 1983م. ص 29.
- 11- علي أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية. ط 3. مكتبة القاهرة: القاهرة. 1985م. ص 75.
- 12- حورية محمد حمو: تأصيل المسرح العربي. مرجع سابق. ص 285.
- 13- إريك بنتلي: الحياة في الدراما. تر: جبرا إبراهيم جبرا. ط 3. المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت. د. س. ص 79-80.
- 14- أبو الحسن سلام: الإيقاع في فنون التمثيل والإخراج المسرحي. د. ط. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية. د. س. ص 113-114.
- 15- ينظر إريك بنتلي: المسرح الحديث "دراسة في الدراما ومؤلفيها". مرجع سابق. ص 338.
- 16- أبو الحسن سلام: الإيقاع في فنون التمثيل والإخراج المسرحي. مرجع سابق. ص 116-145.
- 17- محمد عناني: دراسات في الشعر والمسرح. د. ط. مكتبة غريب: الفجالة. د. س. ص 30.
- 18- محمد مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث. ط 1. دار العلوم العربية: بيروت. 1990م. ص 285-286.
- 19- منصور نعمان: فن كتابة الدراما للمسرح والإذاعة والتلفزيون. ط 1. دار الكندي للنشر والتوزيع: الأردن. 1999م. ص 79-80.
- 20- خليل شكري هياس: تجليات القصيدة من فضاء التجربة إلى معمار النص. ط 1. دار غيداء للنشر والتوزيع: عمان. 2014م. ص 53.
- *- أحمد عبد المعطي حجازي: ولد عام 1935 بمدينة تلا (محافظة المنوفية) مصر، حفظ القرآن الكريم وتدرج في مراحل التعليم حتى حصل على دبلوم دار المعلمين 1955، ثم حصل على ليسانس الاجتماع من جامعة السوربون الجديدة 1978، ودبلوم الدراسات المعمقة في الأدب العربي 1979. عمل مدير تحرير مجلة صباح الخير ثم سافر إلى فرنسا حيث عمل أستاذا للشعر العربي بجامعة القاهرة، ثم عاد إلى القاهرة لينضم إلى أسرة تحرير (الأهرام) ويرأس تحرير مجلة (إبداع)، عضو نقابة الصحفيين المصرية ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، دعي لإلقاء شعره في المهرجانات الأدبية، كما أسهم في عديد المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، ويعد من رواد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر. ترك زادا شعريا ونقديا، وأهم دواوينه الشعرية: مدينة بلا قلب 1959، أوراس 1959، لم يبق إلا الاعتراف 1965، مربية العمر الجميل 1972، كائنات مملكة الليل 1978، أشجار الإسمنت 1989 أما مؤلفاته فمنها: محمد وهؤلاء، إبراهيم ناجي، خليل مطران، حديث الثلاثاء، الشعر ريفي، مدن الآخرين، عروبة مصر أحفاد شوقي.
- 21- محمود عبد الوهاب: الحوار في الخطاب المسرحي. مجلة الموقف الثقافي: العراق. 1997م. ع 10. ص 52.
- 22- ينظر إبراهيم حمادة: مقالات في النقد الأدبي. د. ط. مكتبة الدراسات الأدبية: د ب ن. 1989م. ص 77.
- 23- أحمد عبد المعطي حجازي: الديوان. ط 1. دار الآداب: بيروت. 1965م. ص 34-35.
- 24- المصدر نفسه. ص 85.
- 25- المصدر نفسه. ص 133.

- 26- المصدر نفسه، ص 140.
- 27- كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة. مرجع سابق. ص 769.
- 28- أحمد عبد المعطي حجازي: الديوان. مصدر سابق. ص 8.
- 29- ينظر علي قاسم الزبيدي: درامية النص الشعري الحديث "دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح". ط 1. دار الزمان: دمشق. 2009م. ص 292.
- 30- ينظر خليل شكري هياس: تجليات القصيدة من فضاء التجربة إلى معمار النص. ص 71.
- 31- السيد محمد علي السيد: النزعة الدرامية في الشعر العربي المعاصر. رسالة ماجستير. كلية العلوم: جامعة القاهرة. 1980م. ص 64. (غير منشورة)
- 32- علي جعفر العلق: في حادثة النص الشعري. مرجع سابق. ص 230.
- 33- أحمد عبد المعطي حجازي: الديوان. مصدر سابق. ص 52.
- 34- المصدر نفسه، ص 525-526.
- 35- صلاح فضل: تحولات الشعرية العربية. ط 1. دار الآداب: بيروت. 2002م. ص 120.
- 36- أحمد عبد المعطي حجازي: مدينة بلا قلب. ط 2. دار الكاتب العربي: د د ن. 1968م. ص 175-177.
- 37- المصدر نفسه، ص 105.
- 38- كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة. مرجع سابق. ص 762.
- 39- أحمد عبد المعطي حجازي: مدينة بلا قلب. مصدر سابق. ص 101-103.

معايير السواء ومؤشرات الصحة النفسية - دراسة نظرية تحليلية

Criteria Of Normalcy And Indicators Of Mental Health – A Theoretical Analytical Study

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2018-04-09

ناجية دايلي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

dailinadjia@yahoo.fr

الملخص:

إن الصحة النفسية مطلب أساسي في حياة الإنسان إذ بدونها يعيش في بؤس وشقاء ، فلا يستطيع الإستمتاع بما وهبه الله من قدرات ليتمتع بملذات الحياة ، فعلم الصحة النفسية لا يقتصر في دراسته على المضطربين نفسيا ووقايتهم ، أو المرضى النفسيين وعلاجهم فقط ، بل إنه يتخطى ذلك في اهتمامه بالسواء ، وذلك بدراسته للعوامل الفردية والاجتماعية التي تنمي هذه الصحة ، كما يحاول التنبؤ بالعوامل المضرّة بالصحة ، لأن الصحة النفسية ليست شيئا ثابت ومستقر ، فقد تتراجع في أي لحظة من لحظات الحياة ، كما أنه يدرس الفرد كوحدة زمنية ماضية وما يتضمنه من مؤثرات وراثية وبيئية ، ثم حاضر المرحلة العمرية التي يمر بها وما يتمتع به من حالة سوية وغير سوية ، معتمدا في ذلك على المعارف والأبحاث التي تتم في إطار الفروع الأخرى ، كعلم النفس التربوي ، و علم النفس الاجتماعي ، و علم الفروق الفردية ، و علم نفس الصحة...إلخ

الكلمات المفتاحية: الصحة النفسية ، الصحة العقلية ، معايير ، مؤشرات ، السواء ، اللاسواء.

Résumé:

La santé psychique est une exigence fondamentale de la vie humaine, Car sans elle il peut vivre dans la misère et le malheurs, et ne peut pas profiter de ce que dieu lui a donné, l'étude dans la santé psychique ne se limite pas a la préventions des personnes psychologiquement perturbées, et le traitement des patients psychiatriques seulement , Mais il va même au-delà dans son intérêt pour les normaux, En étudiant les facteurs individuels, sociaux et environnementaux qui développent la santé, et il tente également de prédire les facteurs nuisibles à la santé, parce que la santé psychique n'est pas quelque chose de stable et constant, il peut décliner à tout moment de la vie, il étudie également l'individu comme une unité de temps passé et ses influences génétiques et acquies, Puis l'âge actuel et ce qu'il apprécie actuellement d'un caractère normal ou dysfonctionnel, Basé sur les connaissances et les recherches effectuées dans le cadre d'autres branches, telles que la psychologie de l'éducation, la psychologie sociale, la science des différences individuelles, la psychologie de la santé ... etc

Mots clés: La santé psychique, La santé mentale, , normes, indicateurs, normale , anormale

Summary:

The psychological health is a fundamental requirement of human life, because without it ,we can live in misery and misfortune, and can not take advantage of what God has given tous, the study in psychological health is not limited to the preventions of psychologically disturbed people, and the treatment of psychiatric patients only, but it goes even beyond in its interest for the normals, by studying the individual, social and environmental factors that develop health, and italso tries to predict the harmful to health, because psychological health is not something stable and constant, it can decline at any time of life, it also studies the individual as a unit of past time and its genetic influences and acquired , then the current age and what he currently enjoys of a normal or dysfunctional character, based on knowledge and research done in other branches, tell as the psychology of education, social psychology, the science of individual differences, the psychology of health ... etc

Keywords: Psychological health, Mental health, norms, indicators, normal, abnormal

ليس من السهولة وضع تعريف محدد للصحة النفسية لأن ذلك يتطلب تحديد ماهية النفس، فالصحة النفسية تكوين فرضي يمكن التعرف عليه من خلال بعض الظواهر الإنسانية التي تخص سلوك الإنسان وشخصيته.

ولقد تعددت وتتنوعت تعريفات العلماء والباحثين للصحة النفسية، فما من نظرية أو مذهب أو مدرسة في علم النفس إلا وافترض تعريفاً للصحة النفسية، وفيما يلي سنتناول تعريف الصحة النفسية بالنظر إلى الهدف الذي يسعى إليه الفرد، وتنقسم بذلك هذه التعريفات إلى خمسة فئات (05)، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

شكل رقم (1): يوضح تصنيف الصحة النفسية إلى خمس فئات (05)



(من إعداد الباحثة)

1-1 تعريف الصحة النفسية على أنها حالة من

التوافق النفسي:

* تعريف "القوسي":

"يرى أن مفهوم الصحة النفسية يعبر عن التوافق (Adjustment) أو التكامل (Integration) بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ عادة على الإنسان، مع الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية" (1)

فالفرد حسب هذا التعريف لا يعاني من أي مرض نفسي، ولكنه دائماً في حالة تأهب واستعداد لمواجهة صراعاته النفسية، وبسبب قدرته على حل مشاكله بثبات وعزم نتيجة تنوع ميكانيزماته الدفاعية وفعاليتها فإنه يشعر بالسعادة، كما يشير هذا التعريف أن مصطلح التوافق مرادف لمصطلح الصحة النفسية، وهذا غير صحيح لأن التوافق بنوعيه "الشخصي والإجماعي" من مؤشرات الصحة النفسية وليس مرادفاً لها.

* صموئيل مغاريوس "1974:

دخل الإنسان القرن الواحد والعشرين يحمل معه من القرن الماضي عبئاً ثقيلاً من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المعقدة، وفي الوقت الراهن تعقدت أمور الحياة بشكل أكبر وكثرت مطالبها بسبب طغيان المادة على القيم والمعايير الروحية، مما جعل الإنسان يسعى بكل طاقته لتحقيق أهدافه وطموحاته مما شكل جواً ملائماً لزيادة الاضطرابات النفسية، والأمراض العقلية، والانحرافات السلوكية، وكل ذلك جعل من موضوع الصحة النفسية موضوعاً ذا أهمية كبيرة.

فالصحة النفسية محصلة جميع الوظائف النفسية التي يقوم بها الفرد، وهي غاية الوظائف النفسية المتعددة التي يتعرض علم النفس لدراستها، وهي من الموضوعات الهامة التي شغلت بال العلماء والباحثين في عدة ميادين، كعلم النفس، وعلوم التربية، بسبب مكانتها في حياة الفرد والجماعة على حد سواء، ولأنها من الغايات التي يطمح إليها كل إنسان.

فالإنسان باعتباره كائن إجماعي، ويولد بخلفية وراثية معينة، وينشأ في إطار بيئة طبيعية عليه أن يجد في كل لحظة من لحظات الحياة نوع من التوازن بين إمكانياته الداخلية وبين متطلبات العالم الخارجي ليحقق أعلى درجة من درجات الصحة النفسية وراحة البال، معتمداً في ذلك على ما يمتلكه من معرفة وأدوات علمية تجعله قادراً على حل مشكلات الحياة اليومية، من بينها تلك المتعلقة بالصحة النفسية، ولفهم حقيقة هذا المصطلح قمنا بصياغة التساؤلات الآتية:

- ما هو الفرق بين الصحة النفسية والصحة العقلية؟
- ولماذا نجد في بعض المراجع مصطلح النفسية على أساس أنه هو نفسه مصطلح الصحة العقلية، ولما هذا التداخل بينهما؟
- ماهي المصطلحات المرتبطة بمصطلح الصحة النفسية؟
- ماهي المعايير الفاصلة بين الصحة والمرض في مجال علم النفس؟
- ما هي مؤشرات السواء أو مظاهر الصحة النفسية السليمة؟

1- تعريف الصحة النفسية:

تناول هذا التعريف بعض مظاهر الصحة النفسية وحصرتها في التوازن الحاصل بين الجسم والروح، لكنه إستعمل مصطلح "الروح" بدلا من مصطلح "النفس"، وكما نعلم أن هناك فرق بينهما، بحيث كلمة الروح تشير إلى علاقة الفرد بخالقه، وتمثل الجانب العقائدي والروحي للإنسان، بينما مصطلح النفس فمرتبط بالأجهزة النفسية لشخصية الفرد، والمتمثلة في: "الأنا، الأنا الأعلى، والهو".

* تعريف أودرس وآخرون 1992 :

"الصحة النفسية عبارة عن حالة توازن بين الموارد الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية، وآليات الحماية والدفاع للعضوية من جهة، وبين التأثيرات الكامنة المسببة للمرض للمحيط الفيزيائي والبيولوجي والاجتماعي من جهة أخرى" (5) هذا التعريف يركز على عناصر الحماية في الشخصية، لأن فقدان التوازن الفيزيولوجي يؤدي إلى إصابة الفرد بأمراض سوء التكيف، التي تتمثل في الأمراض البسيكوسوماتية، بسبب فقدان الأعضاء الحيوية القوى اللازمة للصمود.

4-1 تعريف الصحة النفسية على أنها الشعور

بتحقيق الذات:

* تعريف " كنيث أبل Kenneth apple ":

"إن الفرد المتمتع بصحة نفسية قادر على مواجهة الصعوبات، واتخاذ القرارات، وتحمل مسؤولية نفسه نحو ذاته ونحو الآخرين، ويعتمد على نفسه، ويثق فيها، ويلجأ إلى الناس عند الضرورة، ويساهم في تنمية مجتمعه، ويستمتع بوجوده مع الناس، ويشعر بحبه لهم، وبحبهم له".(6).

هذا التعريف يتناول بعض مؤشرات الصحة النفسية والمتمثلة في: القدرة على اتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية، والثقة بالنفس، ولكنه يركز بشكل كبير على علاقة الفرد بالآخرين، وكأنها المظهر الوحيد من مظاهر الصحة النفسية.

5-1 تعريف الصحة النفسية على أنها الشعور

بالسعادة:

و لقد قرر "ماك دوغال mc- dogall"، ما قرره العلماء المسلمون من قبله، " أن الفرد السعيد هو فرد متكامل الشخصية، قوي الإرادة، ناضج العقل، يوجه كل طاقاته، ونشاطاته، نحو مبدأ يؤمن به، ويجد سعادته في إسعاد الناس جميعا"(7)

" إن مفهوم الصحة النفسية يتمثل في مدى أو درجة

التوافق الداخلي بين دوافع الفرد ونواذعه المختلفة، وفي التوافق الخارجي في علاقته ببيئته المحيطة، بما فيها من موضوعات وأفراد"(2)

لقد أشار هذا التعريف إلى أنواع التوافق، بحيث أن هناك توافق داخلي يعكس وجود صراعات داخلية تتعلق بالنزوات والرغبات، التي تُنغص على الفرد حياته، وهناك أيضا توافق خارجي يكون بين الفرد والعالم الخارجي، وكلا التوافقين يساعد على تمتع الفرد بصحة نفسية.

2-1 تعريف الصحة النفسية على أنها خلو من

المرض:

* يعرف مصطفى فهبي (1976) الصحة النفسية:

"الخلو أو البرء من أعراض المرض العقلي"(3)

ما نلاحظه أن هناك خلط بين الصحة العقلية والصحة النفسية حسب هذا التعريف، فهما مصطلحان مختلفان عن بعضهما البعض، كما أن خلو الفرد من المرض لا يعني أنه صحيح نفسيا، فهناك بعض الأمراض النفسية خاصة الحالات العصبية، يكون فيها المريض مستنفر داخليا ولا سوي، ولكنه خارجياً يبدو متماسك ومنسجم، لذلك لا نستطيع أن نلاحظ معاناته أو صراعاته، وبعض الأفراد من خلال مظهرهم يبدو كما لو كانوا مرضى، ولكن في الحقيقة عكس ذلك.

3-1 تعريف الصحة النفسية على أنها حالة توازن:

وضح الدكتور محمد عثمان نجاتي - أستاذ علم النفس المعاصر- التوازن النفسي كما جاء في القرآن الكريم، بحيث خلق الله الإنسان من جسم وروح، وأودع في كل منهما حاجاته التي تحفظه وتحميه وتنميه، ودعا الإنسان إلى تحقيق التوازن بين حاجاتها، ووجهه العقل ليميز بين الخير والشر.

- وفي هذا الصدد اتفق كل من الدكتور نجاتي،

الإمام الغزالي، وابن قيم الجوزية:

"في أن الفرد السوي المتمتع بالصحة النفسية، صاحب قلب سليم، قادر على تحقيق التوازن بين مطالب الجسم، والروح، وقادر على إشباع حاجاته باعتدال في حدود ما أمر الله، أما الفرد غير سوي، فهو مخذول القلب، أو قاسي القلب، يقهر حاجات روحه، باتباع الهوى، ويقهر حاجات جسمه بالرهبانية(4)

على يد أطباء الأعصاب في كل من: فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، النمسا...إلخ، كما كان المخ عندهم هو مركز الاهتمام، وفسروا السلوك الشاذ في إطار إختلال الوظائف العقلية، وكان من أسباب الكتابات الأولى لمصطلح "الأمراض العقلية"، أن فصام المراهقة أو أمراض الذهان الناتجة عن تلف أنسجة المخ كانت أولى الأمراض التي تناولها الأطباء، وساعدت على تأكيد هذا المصطلح (9)

و يرتبط المرض العقلي بعدة عوامل تتدخل في بناء الشخصية، بالإضافة إلى عوامل خارجية تتمثل أساسا في المحيط الذي يعيش فيه الفرد، لذا نجد صعوبة في تحديد مفهومه. (10)

والمرض العقلي هو اضطراب يصيب الجهاز العصبي، ويسبب اضطرابا حادا في الوظائف النفسية المختلفة، كالإدراك، الذاكرة، الانفعال، والشعور بالهلاوس السمعية والبصرية، السمعية، الحسية، والشمية، مع العجز عن القيام بنشاط فعال، فهناك أمراض ذات منشأ عضوي، كالصرع، ذهان الشيخوخة، أمراض الغدد الصماء، ذهان الحمل والولادة، وهناك أمراض ذات منشأ غير عضوي (11)، وهي كثيرة ومتنوعة منها: البارانويا، الهوس الإكتئابي، الفصام (12)

ما يمكن أن نستنتج أن المرض العقلي أخطر على الفرد وعلى المجتمع من المرض النفسي، والصحة العقلية تهتم بالحالات الذهانية ذات المنشأ العضوي والنفسي، وبعض الحالات العصائية" كالقلق العصائي، والاكئاب العصائي، وكذا عصاب الوسواس القهري"، والمساعدة التي يقدمها الطبيب المختص في مجال الصحة العقلية للمريض تتمثل في العلاج بالأدوية للقضاء على المرض والعرض، أما الصحة النفسية ومن خلال المعالج النفسي فتهم بالحالات الذهانية ذات المنشأ النفسي أكثر من اهتمامها بالحالات الذهانية ذات المنشأ العضوي، كما تهتم بالحالات العصائية والأفراد الأسوياء الذين يعانون من بعض المشاكل أيضا، وتتم مساعده لهم باستخدام تقنيات خاصة بالفحص العيادي، تتمثل في الملاحظة، المقابلة الإكلينيكية، والإختبارات الموضوعية والإسقاطية..إلخ، دون اللجوء للأدوية "لأن إعطاء الأدوية ليس من إختصاص الأخصائي النفساني".

ربط هذا التعريف الشعور بالسعادة بعملية الإدراك التي تستند إلى النضج العقلي، فالإنسان الناضج قادر على تحليل الأمور وحل المشاكل التي تواجهه بعقلانية فيستطيع بذلك إسعاد نفسه وإسعاد من حوله، والشعور بالسعادة مظهر من مظاهر الصحة النفسية التي نستدل عليها من تقرير الفرد عن نفسه، واعترافه بسعادته، أو في تعبيرات الفرح والسرور التي يلحظها عليه الآخريين، أو فيهما معا.

*تعريف أحمد عبد الخالق(1991):

"حالة عقلية انفعالية مركبة دائمة نسبيا، من الشعور بأن كل شيء على ما يرام، والشعور بالسعادة مع الذات والآخريين، والشعور بالرضا والطمأنينة، والأمن وسلامة العقل، والإقبال على الحياة، مع الشعور بالنشاط والقوة، وتحقق في هذه الحالة درجة مرتفعة نسبيا من التوافق النفسي والاجتماعي، مع علاقات اجتماعية راضية ومُرضية" (8)

حسب هذا التعريف أن السعادة هي حالة يسعى إليها الفرد ولا تأتي من تلقاء نفسها، وتكون نتيجة بذل جهد عقلي ونفسي على حد سواء، وهي دليل على التوافق النفسي والاجتماعي الجيد، اللذان يعدان من مظاهر الشخصية السوية.

نستنتج مما كتبه علماء النفس من تعريفات حول الصحة النفسية، أنهم اتفقوا على أنها حالة نفسية تتضمن شعور الفرد بالطمأنينة، والرضا، والارتياح، بمعنى غياب الأعراض السلبية، كما تتضمن الشروط اللازم توافرها حتى يتكيف الفرد مع نفسه ومع الآخريين، ومع البيئة بشكل عام تكيفا يحقق السعادة له ولأفراد مجتمعه.

2- الصحة النفسية وبعض المصطلحات المرتبطة

بها:

ارتأينا أن نتناول بعض المصطلحات الموجودة في الطب النفسي، والسيكولوجي على حد سواء، والتي تعتبر مرتبطة بوجود مصطلح الصحة النفسية، لكن في الحقيقة تختلف عنه، وهذا ما سنلاحظه.

1-2 الصحة النفسية والصحة العقلية:

يُطلق الكثير من العلماء والباحثين، كلمة "الصحة العقلية" قاصدين بها "الصحة النفسية"، ولقد سادت كلمة "العقلية" mental، نظرا لأن الاهتمام بالمرضى النفسيين بدأ

2-2 الصحة النفسية والتكيف:

على الانحراف، وأخطاره والنظر إليه بوصفه مرضا نفسيا، فالهليل هنا أكثر نحو استعمال كلمة شذوذ (15)، والجدول الآتي يبين أوجه الاختلاف بين سوء التكيف والشذوذ. (16)

جدول رقم (1) : يبين أوجه الاختلاف بين سوء التكيف والشذوذ.

الشذوذ	سوء التكيف
يغلب استعمال الكلمة على الاضطرابات النفسية الشديدة فقط.	يشمل الاضطراب النفسي ما كان منه ضعيف الشدة، أو خفيف.
يستخدم هذا المصطلح للدلالة على الاضطراب الذي تكون جذوره الفسيولوجية قوية وبالغة.	يستخدم هذا المصطلح للدلالة على الاضطراب الناشئ عن مواقف الحياة اليومية والاجتماعية.
يشير إلى التركيز على الانحراف وأخطاره، والنظر إليه بوصفه مرضا نفسيا.	يشير إلى التركيز على التفاعل بين الفرد ومحيطه، وأثر كل منهما على الآخر.

المصدر: (عطا الله فؤاد الخالدي، دلال سعد الدين العلمي،

2009، ص 105)

يمكن القول أن مصطلح سوء التكيف يدل على الاضطراب البسيط، بينما مصطلح الشذوذ فيدل على الاضطراب الشديد، لكن بالنظر إلى المعيار الإحصائي من وجهة نظرنا أن كل منهما يدل على الانحراف، والاختلاف بينهما يكمن في الدرجة، فسوء التكيف اضطراب بسيط يمس الصحة النفسية كضغوط الحياة اليومية، أو الإكتئاب الاستجابي، بينما الشذوذ فيمكن إدراجه ضمن الاختلالات التي تمس الصحة العقلية كالفسام، والبارانويا، والهوس الإكتئابي، الذي يفقد الفرد تواصله مع العالم الخارجي.

2-4 الصحة النفسية والتوافق:

يجمع معظم الباحثين على ضرورة التوحيد بين الصحة النفسية وحسن التوافق، حيث يرون أن دراسة الصحة النفسية ما هي إلا دراسة للتوافق، وأن حالات عدم التوافق ما هي إلا مؤشرا على اختلال الصحة النفسية، ويرى باحثون آخرون أن السلوك التوافقي ليس هو الصحة النفسية، بل أحد مظاهرها، فالصحة النفسية حالة أو مجموعة شروط والسلوك التوافقي دليل توافرها، على حين يرى آخرون أن الشخصية السوية مرادف لمصطلح الصحة النفسية، والحقيقة أن التداخل كبير بين هذه المصطلحات (17)

و التوافق النفسي هو الأسلوب أو مجموع العمليات النفسية التي تساعد الفرد في التغلب على المتطلبات

يحمل كل فرد حاجات متعددة، ويعمل باستمرار على إشباعها، ولو تم إشباعها كلها بطريقة سهلة لها كان هناك داع لعملية التكيف، إن هذه الحاجات والدوافع في الواقع دينامية وحركية، إذ أنها تحرك السلوك باستمرار ومن الصعب للفرد إشباعها، وقد يعترضه في ذلك عقبات بعضها داخلي، وبعضها الآخر خارجي، وإذا استطاع الفرد إشباع حاجته فإن حالة التوتر تنتفي عنده ويشعر بالرضا والطمأنينة، وإذا فشل فإنه يبذل محاولات أخرى وأساليب أخرى مثل: الإنسحاب والتبرير أو إتباع أي أسلوب غير سوي "مرضي"، وفي هذه الحالة يكون التكيف السيء دليل اعتلال الصحة النفسية. (13)

ويشير التكيف النفسي الناجح بذلك إلى تلك العملية المتواصلة التي يسعى بها الفرد إحداث تغيير في حياته، من أجل إحداث علاقة إيجابية بينه البيئة المحيطة به، فيتمكن بذلك من خفض التوتر الذي يزعجه.

فعلى الفرد مواجهة العقبات التي تعترضه بأساليب مناسبة من أجل استمرار التوازن النفسي لديه، والمحافظة على مستوى من التكيف الإيجابي، فالصحة النفسية هي تعبير عن التكيف، والتكيف مؤشر للصحة النفسية، فهما مفهومان متكاملان يشيران إلى المظاهر نفسها، لأن الفرد حين يمتلك شخصية متكيفة فهو على قدر كبير من الصحة النفسية (14)

في الحقيقة إن التكيف من أهم المؤشرات الدالة على الصحة النفسية وليس تعبيراً أو مرادفاً لها، فمصطلح الصحة النفسية أشمل وأوسع كذلك أن يكون التكيف سليماً يجب أن يكون إيجابياً وتتبعه شروط، ومثال على ذلك: أن ينتقل فرد إلى بلد أجنبي، يمكن له أن يتكيف مع الوضع الجديد ويحصل على عمل جديد يُلبّي به مختلف حاجياته، لكنه لا يشعر أنه في حالة نفسية جيدة، بسبب المتغيرات الجديدة التي لم يألفها بعد، فهذا التكيف لا يصحبه الشعور بالرضا والسعادة كشرط من شروط نجاح التكيف، وفي هذه الحالة التكيف ليس مظهر من مظاهر التمتع بالصحة النفسية، لأنه لا يُعد تكيفاً إيجابياً.

2-3 الشذوذ وسوء التكيف:

تشير عبارة سوء التكيف إلى التركيز على التفاعل بين الفرد ومحيطه، وأثر كل منهما على الآخر، أما إذا كان التركيز

الباحثين ، أن السلوك التوافقي ليس هو الصحة النفسية بل أحد مظاهرها ، فالصحة النفسية حالة أو مجموعة شروط ، والسلوك التوافقي دليل توافرها ، على حين يرى آخرون أن الشخصية السوية مرادف لمصطلح الصحة النفسية .(20)

وفي رأينا أن التوافق النفسي مؤشر من مؤشرات الصحة النفسية ، وليس مرادفا لها ، والحقيقة أن التداخل كبير بين هذين المصطلحين .

وبعد تناولنا لمصطلحي " التكيف ، والتوافق " وعلاقتها مع الصحة النفسية ، يمكن أن نستنتج ، أن التكيف عملية ديناميكية مستمرة ، وهو نتيجة تفاعل ذاتي لشخصية الفرد مع البيئة المحيطة ، والتوافق هو عملية ديناميكية مستمرة أيضا ، يحاول بها الفرد عن طريق تغيير سلوكه أن يحقق التوافق بينه وبين نفسه من جهة ، وبينه وبين البيئة التي تشمل كل ما يحيط به من مؤثرات وإمكانات للوصول إلى حالة من الاستقرار النفسي والبدني والتكيف الاجتماعي ، ومصطلح التوافق بذلك أوسع وأشمل من مصطلح التكيف ، والصحة النفسية تشمل هذين المصطلحين ، ويعتبر كل من "التكيف والتوافق" مظهر من مظاهرها .

5-2 الصحة النفسية والصحة الجسمية:

الصحة الجسمية من العوامل التي تساعد على التكيف السوي ، فباستطاعة الفرد الذي ينعم بصحة جسمية جيدة أن يواجه مطالب التكيف مع البيئة بنجاح ، إذ تقتضي عملية التكيف أن يتمتع الفرد بقدر مناسب من الصحة الجسمية ، التي تمكن الفرد من بذل الجهد المناسب لمواجهة حالات التوتر والضغط التي يتعرض لها ، بينما يُضعف المرض قدرة الفرد في مواجهة الضغوط النفسية (21)

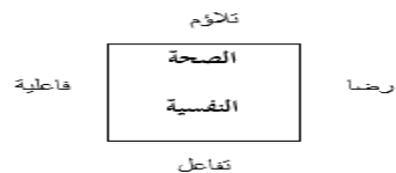
نستنتج مما سبق أن الصحة الجسمية وحدها غير كافية ، فإذا كان الفرد يتمتع بصحة جسدية وفي نفس الوقت يعاني من اضطراب نفسي معين ، فإنه لن يتمكن من مواجهة صعوبات الحياة بسهولة ، لأن هناك حاجز نفسي يحول دون تحقيقه لما يواجهه من أزمات وأحداث حياتية ، والعكس صحيح ، بحيث إذا كان يعاني الإنسان من خلل عضوي ، فإن هذه الإصابة تعيق حياته ، وتؤثر على صحته النفسية ، بسبب شعوره بالنقص ، على سبيل المثال : إذا كان الفرد مصاب بإعاقة حركية ، فهذا العجز الجسدي يؤثر على صحته النفسية ، لأن النفس والجسم وحدة متكاملة .

والضغوط المتعددة ، فيصبح بذلك أكثر كفاءة في علاقته بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.(18)

و يقوم بهذه العمليات النفسية "الأنا" لتحقيق التوافق النفسي للفرد من خلال " الآليات الدفاعية " باعتبارها إحدى أقسام جهاز المناعة النفسي ، والتي تقوم بمواجهة أخطار العالم الخارجي من جهة ، وصد هجمات العالم اللاشعوري من جهة أخرى ، اللذان يهددان التوازن والاستقرار النفسي للفرد ، فيقوم " الأنا" باعتباره الركن الواعي والعقل في شخصية الفرد بالتحايل على اللاشعور من خلال الميكانيزمات الدفاعية المتنوعة للتوفيق بين الصراعات المختلفة.

- كما يمكن تعريف التوافق: " بأنه العلاقة المرضية للإنسان مع البيئة المحيطة به ، ولهذا التوافق جناحان ، هما : الملائمة أو التلاؤم والرضا ، والصحة النفسية تشمل التلاؤم والرضا ، مضاف إليهما " الفاعلية ، والتفاعل " . ويطلق على هذه الحالة ، مربع الصحة النفسية(19) ، ويمكن توضيحه بالمخطط الآتي :

شكل رقم (2): يوضح عناصر التوافق



المصدر: (مصطفى خليل الشراوي ، د ت ، ص 29 ،

ص32)

من خلال الشكل السابق نلاحظ أن التلاؤم يرتبط بالبيئة المادية ومطالب الواقع بجميع جوانبها الاجتماعية ، والثقافية ، والبيولوجية ، ولا يتحقق التوافق أو لا يكون كاملا إلا إذا صاحب هذا التلاؤم "رضا" الإنسان ، وإحساسه بالسعادة والتقبل النفسي لهذه البيئة المحيطة .

و الصحة النفسية تشمل التوافق ، الذي يتمثل في التلاؤم والرضا ، بالإضافة إلى وجود عنصرين أساسيين هما : الفاعلية التي تعكس قوة "الأنا" من خلال الميكانيزمات الدفاعية التي يستخدمها الفرد ، وكذلك التفاعل الذي يتمثل في علاقة الفرد بالعالم الخارجي ، وبذلك فالصحة النفسية عملية معقدة تتضمن عوامل جسمية ونفسية واجتماعية .

- يري بعض الباحثين أن دراسة الصحة النفسية ما هي إلا دراسة للتوافق ، وأن حالات عدم التوافق مؤشر لاختلال الصحة النفسية ، في حين يرى البعض الآخر من

3- معايير السواء :

إليه ، لكن لن نبلغه أبداً لأن الحياة مليئة بالمشاكل والصراعات ، التي تحول دون تحقيق هذا الهدف.

2-3 المعيار الإحصائي:

يعتمد المعيار الإحصائي على درجة تكرار السلوك وشيوعه بين الناس ، أو بين أفراد الجماعة الواحدة ، فالسلوك الذي يصدر عن الأغلبية في إطار الجماعة سلوك سوي ، أما السلوك الذي يصدر عن أقلية في إطار هذه الجماعة فهو غير سوي. (25)

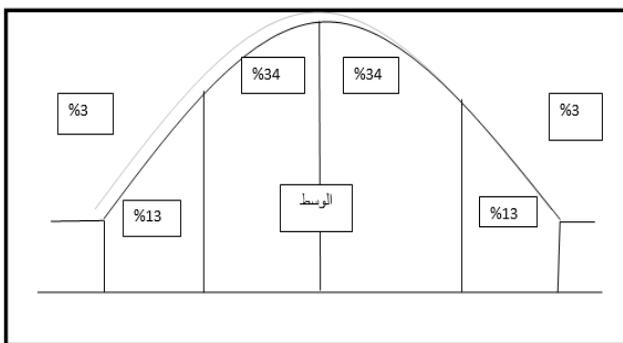
يشير المعيار الإحصائي إلى استخدام تلك القاعدة الإحصائية المعروفة بالتوزيع الإعتدالي ، الذي يقوم على التوزيع ذي الحدين فيأخذ التوزيع شكل المنحنى الجرسى. هذا المنحنى طرفاه متناسقان حيث لو قسمناه عند المنتصف بخط رأسي فإننا نحصل على نصفين متكافئين غالباً ، وعلى هذا المنحنى يقع حوالي 68% من عدد الأفراد في المستوى المتوسط من السمة التي نقيسها ، في حين يتضمن طرفي المنحنى (الطرف الموجب والسالب) 16% من التوزيع في كل طرف من الطرفين.

و السواء هو المتوسط العام لمجموعة الخصائص والأفراد ، في حين يشير الانحراف على طرفي المنحنى إلى اللاسواء. (26)

أنظر الشكل الآتي:

شكل رقم (3): يبين توزيع الناس على منحنى

التوزيع الاعتدالي:



المصدر: (مروان أبو حويج ، عصام الصديقي ، 2001 ،

ص 87)

هذا يعني أن انتشار السلوك عند غالبية الناس علامة على سواء الفرد ، وعدم انتشاره عند الغالبية علامة على انحرافه وشذوذه.

أدرجنا معايير السواء كعنصر في هذه الورقة البحثية لإرتباطها بالصحة النفسية ، لأن علم الصحة النفسية كما أشرنا سابقاً يهتم بالأفراد الأسوياء وغير الأسوياء ، كما أن نقص الصحة النفسية يعتمد على ما نسميه بالسلوك غير السوي ، ووجودها وكمالها مرتبط بالسلوك السوي وتناولنا لهذه المعايير نكون قد أشرنا إلى الأفراد غير الأسوياء أيضاً ، بالإضافة إلى ذلك إن هذه المعايير ستساعدنا على وضع حد فاصل بين الصحة والمرض.

وعليه فالسلوك السوي هو السلوك العادي والمألوف ، وبتعبير آخر ، هو السلوك الذي يواجه الموقف بما يقتضيه في حدود ما يغلب على الناس ، فإذا كان الموقف يدعو إلى الحزن واجتهناه بالحزن ، وحين يظهر أحداً ضاحكاً في موقف حزين ، نستهن بسلوكه هذا ونعده شذوذاً. (22)

ويستند مصطلح السواء كظاهرة إلى عدة معايير ، لكنها تختلف عند العلماء والباحثين ، وذلك لإختلاف إتجاهاتهم ومشاربهم ، وفيما يلي سنتناول البعض منها:

1-3 المعيار المثالي:

يتم النظر إلى الصحة النفسية من خلال هذا المعيار على أساس أنها هدف مثالي يسعى الجميع إلى تحقيقه ، لكنه صعب المنال ، فكل فرد يعمل على تحقيقه بشكل نسبي ، فقد يقترب البعض منه إلى حد كبير ، في حين قد يعجز البعض الآخر إلى الوصول إليه (23)

فوفق هذا المعيار فإننا نطلق على الشخص بأنه سوي كلما اتفق سلوكه مع المثل الأعلى ، ونطلق على الشخص بأنه شاذ كلما كان سلوكه غير متفق وبعيداً عن المثل الأعلى.

إلا أن أهم ما يؤخذ على هذا المعيار أن الشيء المثالي أمر لا وجود له في الثقافة التي يعيش فيها الإنسان ، ويعتبر هذا المعيار تطرفاً في تحديد السواء وأن كان هناك اتفاق جماعي ، على أن ارتفاع مستوى الجمال وارتفاع مستوى الذكاء يعتبر مثالية ، ومن الناحية العملية نجد أن الأخذ بهذا المعيار يحيل أفراد الثقافة – باستثناء قلة – إلى أفراد غير أسوياء.

(24)

ويقصد بالسواء في هذا المعيار الكمال أو ما يقترب منه ، وما يمكن قوله أن هذا المعيار بعيد جداً عن الواقع ، فالصحة المثالية مفهوم مجرد نسعى إلى تحقيقه والوصول

اليوم "سواء" ، فعلى سبيل المثال : في المجتمع الجزائري خروج المرأة للعمل والسفر لوحدها لم يكن مقبولا فيما مضى ، لكن في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي أصبح عملها وسفرها سلوكاً مرغوباً فيه وسوي .

يركز هذا المعيار على أهمية المعايير الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع ، ويرى أصحاب هذا المعيار أنه من الصعب تحديد مفهوم السواء بمعزل عن نظام القيم ، ويستخدمون مفهوم السواء لوصف مدى اتفاق سلوك الفرد مع المعايير الأخلاقية السائدة في المجتمع ، وكيف يكون هذا السلوك مقبولا ، ويتخذ هذا المعيار من مسابرة المعايير الاجتماعية أساسا للحكم على السلوك السوي وغير سوي ، فالفرد السوي هو المتوافق اجتماعيا ولا يشذ عن معايير الجماعة ويلتزم بقيمها إلزاما مطلقا ، أما اللاسوي هو الفرد غير متوافق اجتماعيا. (31)

ويرى المعيار الاجتماعي أن على الأفراد أن لا يتكيفوا مع البيئة التي يعيشون فيها فحسب ، بل عليهم أن يعملوا في سبيل بناء وتدعيم القيم والأهداف والأنشطة الخاصة بالجماعة(32)

لكن ما يعاب على هذا المعيار ، أن المجتمع نفسه قد يمرض ، وتنحط نوعية القيم التي يعتبرها أطر مرجعية ، كما أن المجتمع لا يتشكل من بنية واحدة ، بل يتنوع ويتباين طبقا لتباين ثقافات الأفراد واتجاهاتهم ، وبالتالي نجد هذا المعيار نسبي ، كما أن الحكم على شخص أنه متوافق نفسيا أو غير متوافق حسب المعيار الثقافي ، لا يمكن الوصول إليه إلا بعد دراسة ثقافة الفرد وتحليلها إلى الثقافات الفرعية المختلفة وهذا الأمر مستحيل واقعا.

4-3 المعيار السيكلوجي:

ويتحدد مفهوم الصحة النفسية في ضوء المعايير الإكلينيكية لتشخيص الأعراض المرضية ، فالصحة النفسية تتحدد على أساس غياب الأعراض والخلو من مظاهر المرض (33)

و لا يكفي أن يخلو الفرد من الأعراض المرضية لكي نعتبره متوافقا ، بل ينبغي أن تُوظف أهدافه وطاقاته توظيفاً فعالا في مواقف الحياة المختلفة ، ويحقق ذاته بشكل بناء.

فإذا كان الفرد الذي يعاني من القلق يقع في نطاق المستوى الوسط ، فإن قلقه عادي ، أما الفرد الذي يزيد قلقه عن المعتاد فيعتبر شاذا ، وكذا الفرد الذي لا يشعر بأي قلق حسب هذا المنحنى شاذ أيضا ، لأنهما يعتبران من الفئة المتطرفة سواء كان تطرفا سلبيا أو إيجابيا(27)

ما يعاب على هذا المعيار أنه لا يميز بين الشذوذ السلبي والشذوذ الإيجابي ، فالعقوبة والإبداع والموهبة ، تعتبر شذوذا ، إلا أنها أمور حميدة وإيجابية(28)

ومن المآخذ على هذا المعيار أيضا أنه قد يصلح عند الحديث عن الناس العاديين من حيث الصفات الجسمية كالطول والوزن ، بينما لا يصلح هذا المعيار في حالة القياس النفسي ، لأن القياس النفسي يقوم على أسس معينة إن لم يتم مراعاتها يصح الرقم الذي نخرج به رقماً مضللاً ولا معنى له ، كذلك الوسط على مستوى المنحنى أمر نسبي سواء بالنسبة للأفراد أو المجتمع ، أو القائم بعملية استخدام هذا المعيار ، كذلك شخصية الفرد وتقديرها "كل دينامي" متفاعل لا يمكن تقطيعها إلى وحدات رقمية ، ثم تجميعها بعد ذلك ، كما لا يمكن حساب هذا التقدير كميًا.

3-3 المعيار الثقافي والاجتماعي:

لكل ثقافة نموذجها في السواء والصحة ، وفي اللاسواء والمرض ، والأمور قابلة للتحويل ، فما يعتبر في مجتمع ما في فترة ما سويا أو لا سويا قد يتحول إلى عكسه ، كذلك لكل ثقافة نسبتها ، وبالتالي معاييرها في السواء واللاسواء ، فالسواء إذا هو تركيب ثقافي يرتكز على التوافق الاجتماعي أو المعايير الاجتماعية ، وهي معايير متغيرة طالما أن الثقافات تتباين ، وأن نفس المجتمع متحول في اتجاه أو آخر تبعا لحركة التاريخ.(29)

فمثلا: تعدد الزوجات في بعض المجتمعات البدائية التي درستها عالمة الأنثروبولوجيا "مارغريت ميد" ، تمثل السمة الأساسية لهذا المجتمع ، بينما هذه الظاهرة لا تقبلها الكثير من المجتمعات ، وتعتبرها سلوكا شاذا يعاقب عليه القانون ، وترفضها بعض الأديان.(30)

حتى في الثقافة الواحدة نجد أن المعايير والقيم السائدة تتغير من وقت لآخر نتيجة لعوامل التغير والتطور فما كان يعتبر "شاذاً" في يوم من الأيام بأحد الثقافات يعتبر

مع البيئة ، فتبدأ بوادر الإضطراب ومظاهر السلوك اللاسوي في الظهور.

3-5 المعيار الطبيعي:

يرى بعض الباحثين أن إطلاق اسم "معيار السلوك الجنسي" على المعيار الطبيعي لتطابقه واتفاقه مع مضمون هذا المعيار، فمن خلال هذا المعيار يعتبر الشخص سويًا لقيامه بالدور المناسب لجنسه مثل أن يكون الولد الذكر مبادرا، والبنت الأنثى خاضعة، والقيام بالدور الجنسي الغيري Hétérosexualité أسلوب سوي بالنسبة للحياة الجنسية لدى بني البشر، كما تعتبر في نفس الوقت الجنسية المثلية Homosexualité أي ممارسة الجنس مع فرد من نفس النوع أمرا شاذاً. (36)

السواء من وجهة نظر المعتمدين على هذا المعيار يكون في العمل وفق ما تقتضيه الطبيعة، أما الشذوذ فيكون عند الإنسان في العمل المناقض للطبيعة، أو انحراف بالغ في سلوك ما عن طريق طبيعته الأصلية (37)

و يركز أنصار هذا الاتجاه البيولوجي في دراسة الشخصية إهتماماتهم على مجالات متعددة من بينها (الوراثة، والتكوين البيوكيميائي والغددي)

* الوراثة:

تمثل الوراثة كل العوامل الذاتية التي كانت موجودة لدى الفرد قبل ولادته أي منذ بداية حياته الرسمية، وتشير قوانين الوراثة إلى أن ما نرثه هو مجموعة الإمكانات الوراثية الكامنة في البويضة الأنثوية، والحيوان المنوي تتحول بعد الإخصاب إلى خصائص وراثية تُخرج لنا مخلوقاً جديداً يحمل نفس الخصائص والصفات التي اتصف بها أباه وأمه (38). وتؤثر الوراثة على النمو سلباً وإيجابياً، فمثلها نرث مستوى رفيعاً من الذكاء، قد نرث استعداداً لاستقطاب بعض الأمراض، كما قد نرث بنية جسمية قوية أو ضعيفة أو بشرة بيضاء أو صفراء أي نأخذ مما هو موجود لدى آبائنا وأسلافنا من خصائص وسمات.

* التكوين البيوكيميائي والغددي للفرد:

إن التغيرات الكيميائية الحيوية والتوازن الهرموني يؤثر على وظائف الجملة العصبية والبدن، فأى إختلال في

يعتمد هذا المعيار على أساليب فعالة تمكن الباحث قبل أن يصدر حكمه من أن يصل إلى حقيقة شخصية الإنسان الكامنة في خبراته الشعورية واللاشعورية أيضاً (34) وفق هذا المعيار أن شخصية الفرد تتكون من جزئين هامين هما : الشعور الذي يتمثل في الجزء الواعي، واللاشعور الذي يتمثل في الجانب اللاواعي، والمساحة الأكبر من شخصيتنا يُسيطر عليها اللاشعور الذي يُخفي مادة مكبوتة تتحكم بدورها في إنفعالاتنا وسلوكياتنا وردود أفعالنا، كما يحتوي هذا الجزء على خبرات الطفولة الأولى التي تحدد نوع ونمط شخصيتنا فيما بعد.

ومن العوامل النفسية المهمة التي تؤثر على الصحة النفسية للفرد ما يحدث في فترة الطفولة المبكرة من خبرات أليمة، حيث تولد هذه الخبرات قدرا من الحساسية النفسية تمهد لظهور الإضطراب النفسي فيما بعد، فالإحباط الذي يعاني منه أي فرد نتيجة لإدراكه وجود عائق ما يحول دون تحقيقه لرغباته ومصالحه، وتكون الإستجابة له هي الشعور بخيبة الأمل والمحصلة النهائية في الغالب تكون حالة المرض، هذا يعني فشل وسائل وحيل الدفاع النفسي التي لدى الفرد ضد المؤثرات التي تسبب الصراع النفسي، وعليه فحالة المرض ليست سوى إخفاق لهذه الأسلحة الدفاعية، فينهار التوازن النفسي، ويظهر الإضطراب نتيجة لهذا الخلل. (35)

فخبرات الطفولة المبكرة تولد حساسية نفسية لدى الفرد يكون لها دور كبير في هشاشة "الأنا" ثلأحقه حتى سن الرشد، فتُصبح بذلك شخصيته ضعيفة اتجاه مؤثرات الحياة.

بالإضافة إلى ما تم ذكره حول خبرات الطفولة الأليمة، فقد تفقد الآليات الدفاعية التي يتحایل بواسطتها "الأنا" على اللاشعور فعاليتها في تحقيق التوازن النفسي للفرد حين يُفرض هذا الأخير في إستخدامها، فتصبح عملية لاشعورية تهدد نموه وقدرته على معرفة ذاته، كما أنها تؤدي إلى تعطيل علاقاته الإجتماعية بالآخرين، فقد يلجأ الفرد إلى الكبت حتى لا يشعر بالقلق، لكن قد تقوم هذه المادة المكبوتة "المتمثلة في القلق" بإحداث مقاومة بسبب الإفراط في إستعمال هذه الآلية كلما تعرض إلى موقف مُزعج، فيقوم "الأنا" ببذل طاقة نفسية جديدة يواجه بها هذه القوى، وشيئا فشيئا يضعف ويصبح غير قادر على التفاعل الشعوري

ونقص الأكسجين، والضغط البيئي والصدمات النفسية (41).

فهذه العوامل الخارجية تؤثر أيضا على الصحة النفسية للفرد، ففي حالة ما إذا تعرض فرد معين لحادث مرور، وكان من آثار هذا الحادث إصابة هذا الأخير بصدمة دماغية أو إعاقة حركية فإنه سيُشعر بالعجز لأنه لن يتمكن من أداء أعماله ونشاطاته كما في السابق (أي قبل تعرضه للحادث) الأمر الذي يجعله يشعر بالإحباط والأسى، وقد يدخل في نوبة إكتئابية بسبب ذلك، فخلو المرض الجسدي وفق هذا المعيار يؤدي إلى خلو المرض النفسي، ومن ثم تمتعه بصحة نفسية سليمة.

وما يعاب على هذا المعيار أنه ينظر إلى الاضطرابات النفسية بنفس النظرة التي ينظر إليها للمرض العضوي، في حين نجد أن معظم الاضطرابات النفسية متعلقة بظروف حياتية لا علاقة لها بالجانب العضوي.

ما يمكن أن نقوله من خلال عرض هذه المعايير، إنه لا يوجد حد فاصل حاسم بين السواء والمرض، فهما متداخلان، والآن سنتناول معيار يختلف عن المعايير الوضعية التي تناولناها لأنه معيار رباني، لذا فصلناه عن بقية المعايير، لكن أدرجناه ضمنها لأننا لا يمكن أن نتجاهله، فقد وضعه الخالق لينير دربنا ويزيل كدر الحياة عنا. "المعيار الديني"

3-7 المعيار الديني أو الخلق:

هذا المعيار يتم إكتسابه من القرآن والسنة، والآراء الدينية المفسرة لهما، ومن خلال التنشئة الأسرية، ومدى التزامها بالمبادئ والمعايير الدينية في حياة الأسرة وأفرادها في مرحلة الطفولة، وهو أول الأطر العامة للحكم على السلوك أو رفضه، أو القيام به، وعند قيام الفرد بأي سلوك، يتساءل هل حلال أم حرام، وهل هو مقبول خلقيا أم لا؟

قد تختلف مستويات الحكم الخلق من فرد لآخر، ومن أسرة لأخرى، لكن المعيار الديني هو الفيصل والأساس في المعيار الخلق لكل المجتمعات والأسر، وبصاحب ذلك مشاعر ذنب في مستويات متباينة بتباين شعور الفرد بالخطأ ودرجة هذا الخطأ، ومخالفته للمعايير الدينية والخلقية، وإذا كان هناك مشاعر ذنب تتناسب مع الخطأ الذي ارتكبه الفرد،

توازن "الأمينات"، التي لها أنواع عديدة منها: الدوبامين، السيروتونين، النورابينفرين، وهي عبارة عن نواقل عصبية لها وظيفة نقل المعلومات بين خلايا الجملة العصبية يؤدي إلى إضطراب في التوازن المزاجي، ولهذا تهدف الأدوية المضادة للإكتئاب إلى رفع مستوى النواقل العصبية المنخفضة مما يسهل عملية معالجة الإكتئاب. (39)

أما الغدد فتعتبر المصانع الصغيرة التي تكرر المواد الغذائية وتستخرج منها العصارات والمركبات الكيميائية اللازمة لنمونا وبناء أجسامنا، وللهرمونات التي تفرزها الغدد أثر بالغ على النمو فالزيادة، أو النقصان في إفراز الغدد يؤدي إلى خلل في النمو وتأخره أو انحرافه عن مساره الطبيعي، حيث أن إفراز الغدد يرتبط مباشرة بوظائف الجسم المختلفة بما يؤثر بطرق غير مباشرة على سلوك الفرد، ومثال ذلك تصبب العرق على الوجه عند الغضب بسبب زيادة كريات الدم الحمراء، وكذلك ظهور اصفرار الوجه عند الخوف بسبب زيادة كريات الدم البيضاء (40)

وبهذا يتلخص عمل الغدد في تكوين مركبات كيميائية خاصة يحتاج إليها الجسم وأعضائه الأخرى، واضطراب الغدد يؤدي إلى اختلال التوازن الفسيولوجي للفرد ومن ثم توازنه الإنفعالي أيضا.

3-6 المعيار الطبي:

ويشير هذا المعيار إلى أن الصحة النفسية تعني الخلو من المرض النفسي أو العقلي، فظهور الأعراض العضوية أو الخلو منها علامة من علامات الصحة النفسية، ويمكن توضيح وجهة النظر الطبية في ثلاث نقاط:

* اعتلال الصحة النفسية قد يرجع إلى إصابة الجسم بالعدوى عن طريق المكروبات، مما يؤدي إلى إعتلال السلوك في بعض الأحيان كالإصابة بالحمى التي قد تؤدي إلى الهذيان.

* إصابة عضو من أعضاء الجسم بخلل أو ضعف يُوقف عمل جهاز مسؤول عن سلوك الفرد، يحدث ذلك في بعض الحالات الوراثية كالتخلف الذهني الراجع لأسباب وراثية.

* العوامل الخارجية كالحوادث والإصابات مثل: التسمم، حوادث المرور، ونقص بعض العناصر الغذائية

العضوية بسبب مواقف الحياة الضاغطة، كارتفاع ضغط الدم، وزيادة ضربات القلب..الخ.

4-2 الكفاءة:

الشخص السوي يستخدم طاقاته من غير تبديد لجهوده، وهو من الواقعية بدرجة تمكنه من أن يعرف المحاولات غير الفعالة، والأهداف التي لا يمكن بلوغها، وهو في هذه الأحوال يتقبل الإحباط وضياح الأهداف ويعيد توجيه طاقاته.(44)

نستطيع القول أن مؤشر الكفاءة دليل على واقعية الفرد، فيدرك جيدا ما يملكه من إمكانيات وما يتطلبه الهدف الذي يريد بلوغه، فهو شخص لا يُضيع وقته، ولا ينتظر حصول المعجزات، كما ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية.

4-3 المرونة:

الشخص السوي قادر على التكيف والتوافق، فظروف الحياة دائمة التغير لذلك يضطر الإنسان إلى أن يعدل استجاباته كلما تغيرت ظروف البيئة التي يعيش فيها، فالمرونة تعد من أول مستلزمات الإنسان لكي يحيا حياة متوافقة سوية والعكس صحيح، أي أن التصلب مدعاة لحدوث الاضطراب والتوتر وسوء التوافق.(45)

فالأفراد غير الأسوياء يفتقدون لهذه الخاصية بحيث ينظرون إلى الظروف البيئية المتغيرة التي تُحيط بهم على أنها تهديد، ويرفضون التجديد في حياتهم، وهذا دليل على سوء التكيف الذي يعتبر من علل الصحة النفسية، لأن الأشخاص الأسوياء يتكيفون بسهولة مع مستجدات الحياة سلبية كانت أو إيجابية.

4-4 نظرة الفرد لذاته:

وتتمثل هذه النظرة في ثلاثة أبعاد وهي: فهم الذات، تقبل الذات، وتطوير الذات، وفهم الذات يعني أن يعرف المرء نقاط القوة والضعف لديه، أما البعد الثاني: وهو تقبل الذات بمعنى أن يتقبل الفرد ذاته بإيجابياتها وسلبياتها، أما فيما يخص البعد الثالث فعلى الفرد أن يحاول تحسين ذاته وتطويرها، ويتم ذلك بتأكيد جوانب القوة، ويقضي على النقائص ويتخلص من عيوبه أو التقليل منها على الأقل، وفي

فهو سوي، أما إذا كانت مشاعر الذنب وهمية لا ترتبط بارتكاب خطأ حقيقي، فهذا هو الإضطراب النفسي، أو انخفاض مستوى مشاعر الذنب، واللامبالاة بما يأتي من أخطاء، فهذه حالة تدرج في إطار اللاسواء.

ويعتبر المعيار الديني والخلقي من أقوى معايير الحكم على سواء السلوك، والإيمان بالقدر خيره وشره على سبيل المثال، يخفض من الخوف المستقبلي، والتوتر واليأس لدى الأفراد(42)

والصحة النفسية وفقا لهذا المنظور وحسب وجهة نظرنا أنها غاية وهدف المنهج الإسلامي، وهي تشمل السعادة في الدنيا والآخرة، ولا شك أن الإيمان بالله ربا والإسلام ديننا ومحمد نبيا ورسولا، تقوم بدور فعال في تحقيق الصحة النفسية للشخصية المسلمة، بل تعتبر عاملا أساسيا يؤثر في جميع وظائف الإنسان النفسية والبدنية، وتمده بطاقة روحية هائلة.

ومن المعروف أن الأحكام الخلقية منبثقة من الشرائع الدينية، وأحكامها، وما يلاحظ أيضا أن المعايير السالفة الذكر لا تتعارض مع المعيار الديني، بل هو الأساس الذي نقيس عليه بقية المعايير الأخرى، التي تعتبر قاصرة عن تحديد معنى السواء والشذوذ بشكل قاطع ومقنع، لأنه من الصعوبة تحديد فواصل قاطعة بين درجات الأحوال النفسية، نظرا لطبيعة التداخل بين هذه الأحوال.

بعد تناولنا لمعايير السواء، سنتناول الآن مؤشرات السواء، بمعنى ما هي مميزات الشخصية السوية؟

4- مؤشرات الشخصية السوية:

لكي يصل السلوك إلى مستوى السوية لا بد أن تتوفر فيه شروط معينة، ولقد وضع بعض الباحثين عدداً من الصفات اعتبروها محددة للسلوك السوي، تتمثل ما يلي:

4-1 الفاعلية:

الشخص السوي يصدر عنه سلوك فعال، سلوك موجه نحو حل المشكلات، والتغلب على الضغوط عن طريق المواجهة المباشرة لمصدر هذه المشكلات والضغوط.(43) حسب هذا التعريف يمكن القول أن السلوك الفعال هو سلوك صادر عن شخص سوي، قادر على استخدام إستراتيجيات لخفض الموارد الفيزيولوجية التي تهدد توازن

و هذا الأمر يشير إلى إدراك مناسب للحقيقة ، لأن البعد عن الواقعية يؤدي إلى تقدير خاطئ للأمور، مما قد يسبب للفرد بعض المشاكل النفسية والاجتماعية، كما يتطلب فهم الواقع الاتزان في ردود الأفعال ، وفي تفسير ما يجري في العالم المحيط(50)

يجب على الفرد أن لا يبالغ في تقدير ذاته ، أو يقلل من قيمتها، كما عليه أن لا يبالغ في تقدير الأهداف أو يقلل من قيمتها، بمعنى يزن الأمور بميزان العقل حتى يستطيع تقدير الأمور بشكل صحيح .

8-4 التناسب:

التناسب يعني عدم المبالغة خاصة في المجال الانفعالي، فالسوي يشعر بالسرور والزهو والأسى والحزن والدهشة وكل الانفعالات الأخرى، لكنه يعبر عنها بقدر مناسب للمثيرات التي أثارها، ولذلك نقول أن هناك تناسباً بين السلوك السوي والموقف الذي يصدر فيه السلوك، أما السلوك غير السوي فيتضمن مبالغة في الانفعال تزيد عما يتطلبه الموقف.(51)

فالتناسب هو الإبتعاد عن المبالغة في تقدير الأمور التي توقع الفرد في أخطاء التفكير، والتي أشار إليها " آرون بيك" وإعتبرها من العوامل السلبية التي تقود إلى اللاعقلانية ومنه إلى الإضطراب النفسي ، لذا يجب أن تكون الإستجابة متناسبة مع الحدث المثير .

4-9 الراحة النفسية:

إن من أهم العوامل التي تحيل حياة الفرد إلى جحيم لا يطاق شعوره بالتعب، وعدم الراحة، والتأزم من الناحية النفسية في جانب من جوانب حياته، وتمثل أمثلة عدم الراحة النفسية : حالات الاكتئاب، أو القلق الشديد، أو مشاعر الذنب، وإذا راودت الفرد هذه الحالات ، واستبدت به إلى جعلته يعيش حالة من الضيق والتأزم الشديدين.

و لكن ليس معنى الراحة النفسية، أن لا يصادف الفرد أي عقبات أو موانع تقف في طريق إشباع حاجاته المختلفة، وفي تحقيق أهدافه في الحياة، فكثيراً ما تصادف الفرد عقبات ومواقف مثبطة في حياته، لكن الشخص المتمتع بصحة نفسية جيدة ، يستطيع حل ما يعترضه من مواقف بطريقة ترضاها نفسه، ويقرها مجتمعه(52)

المقابل يمكن أن نقول أن السلوك غير سوي يتضمن عدم فهم الذات ، أو عدم تقبلها أو عدم الرغبة في تحسينها(46) وهذه الأبعاد الثلاث تُعزز من قوة "الأنا"، من خلال قيام الفرد بحصر نقاط القوة والضعف في شخصيته، ومن ثم تحديد جوانب القصور التي تعيق تكيفه فيقوم بتقويتها وتطويرها من خلال عملية التعليم والتدريب.

4-5 القدرة على التواصل الاجتماعي

تقوم حياة الإنسان على التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، والشخص المتوافق اجتماعياً يشارك في ذلك إلى أقصى حد، وتتميز علاقاته الاجتماعية بالعمق والاقتراب والاستقلال في الوقت ذاته.(47)

إن القدرة على التواصل الاجتماعي تعكس لنا جانباً سيكولوجياً مهماً في شخصية الفرد والمتمثل في " الذكاء الاجتماعي" ، الذي يُمكنه من إستخدام مهارات وآليات إجتماعية يستخدمها في تعامله مع الآخرين بحنكة وذكاء، فيكسب ثقتهم وإحترامهم له .

4-6 الإحساس الواضح بالهوية:

يتسم الشخص السوي بوضوح رؤيته عن نفسه، وبإحساسه الواعي بهويته، حيث يرى "جولد شتين" أن الإنسان تحركه من الداخل قوى أصيلة لكي ينطلق في الحياة ، ولكي يوظف إمكاناته، وطاقاته وفقاً لأحسن مستوى تؤهله له، ولكي يحقق وجوده على الرغم مما تواجهه من معوقات، ومن ثم فإن توجه الإنسان السوي في الحياة ينطلق من سعيه الأكيد لأن يشعر بنفسه(48)

فالإحساس بالهوية يشمل تلك الصفات الجوهرية الثابتة التي تمنح الفرد التفرد والخصوصية، ويساعده ذلك على تحمل المسؤولية، واتخاذ القرارات دون أن يتأثر بآراء الآخرين وردود أفعالهم اتجاه ما يقوم به من سلوكيات، كما يمنحه الشعور بالإستقلالية فلا يكون شخصاً تابعاً.

4-7 الواقعية:

الواقعية تعني التعامل مع حقائق الواقع، فالفرد الذي يحدد أهدافه في الحياة وتطلعاته للمستقبل على أساس إمكاناته الفعلية يعتبر فرداً سويّاً(49)

بنفسه الأهداف التي تتلاءم مع إمكانياته الواقعية، ويتحمل مسئولية تحقيقها وحده متقبلاً بشجاعة نتائج اختياره سواء أصاب النجاح أو صادفه الفشل، فلا يلجأ للتبرير وإنما يعاود النشاط بمثابرة كي يعوض ما فاته، فهو لا يعزل نفسه عن الآخرين بل يمكن أن يعتمد على الآخرين في سياق تبادل الأدوار الاجتماعية لإشباع بعض حاجاته، فالشخص السوي يستطيع أن يصبح عضواً فعالاً في الجماعة التي ينتهي إليها دون أن يفقد احترامه لذاته. (54)

وفي المقابل فالشخص غير سوي نجده شخصاً تابعاً، يخشى تحمل المسؤولية، وإذا حدث وإن ارتكب خطأ فإنه لا يعترف بذلك، ويسعى جاهداً إلى نسب ذلك الفعل إلى شخص آخر، وعليه فالإستقلالية علامة من علامات الصحة النفسية، والتبعية عرض من أعراض المرض النفسي.

4-12- التوافق: ويضم جانبين:

* التوافق الاجتماعي:

ويقصد به حسن التكيف مع الآخرين في المجالات الاجتماعية التي تقوم على العلاقات بين الأفراد، وأهمها الأسرة، والحياة المهنية، ويتضمن نجاح الفرد على إقامة علاقات اجتماعية راضية ومرضية. (55)

- وتعتبر العلاقات الاجتماعية بما تقدمه من دعم اجتماعي، مصدر من مصادر الصحة النفسية.

* التوافق الشخصي (الذاتي):

وهو الرضا عن النفس، بأن يقبل الفرد ذاته كما هي بكل جوانبها، وأن يكون لديه مفهوم إيجابي عنها، والأسرة لها دور كبير في تكوين هذا المفهوم الإيجابي، من خلال الممارسات الوالدية داخل المحيط الأسري.

ويرى "عبد الغفار" 1976، أن إدراك الفرد بما زود به من إمكانيات، ورضاه عن نجاحه وإدراك أن الناس يختلفون فيما بينهم من حيث ما زودوا به من إمكانيات، سواء كانت عقلية، أو معرفية، أو انفعالية، من دلائل الصحة النفسية السليمة، لأن هذا الاختلاف لصالح البشرية. (56)

والتوافق النفسي بنوعيه الاجتماعي والشخصي مظهر من مظاهر الصحة النفسية، يهدف إلى تحقيق الرضا عن النفس نتيجة شعور الفرد بالقدرة على تحقيق التكيف مع

وبناء على ماتم ذكره فإن المريض نفسياً لا يشعر بالراحة النفسية، فإذا كان يعاني من عصاب القلق نجده يشعر بالتهديد والخوف دائماً، وإذا كان يعاني من عصاب الوسواس القهري نجده يعيش حالة الهلع والذعر من أفكاره وأفعاله اللامنتظية، التي إذا لاحظها الآخرون أو سمعوها فإنه سيكون غير سوي في نظرهم وهذا ما يخشاه، بالإضافة إلى ذلك العديد من الأمراض النفسية تُفقد الفرد المصاب الراحة النفسية والهدوء والطمأنينة، لذلك تُعد الراحة النفسية من مؤشرات الصحة النفسية.

4-10 الإفادة من الخبرة:

يُعد الفرد السوي من سلوكه دائماً بناءً على الخبرات التي تمر به، فهو يغير ويعدل من سلوكه حسب ما تعلمه من المواقف السابقة خاصة المواقف ذات العلاقة والصلة بالموقف الذي يقف فيه، أما الشخص الغير سوي فلا يبدو أن سلوكه يعتدل بناءً على ما يقابله من مواقف لأنه في معظم الحالات لا يكون في وضع يسمح له باكتساب خبرة حقيقية في المواقف التي يمر بها، حيث لا ينتبه إلى جوانب هامة في الموقف، حيث يكون منشغلاً بذاته عما يحدث حوله، وقد تعود عدم الإفادة من الخبرة، كما أن غير السوي أحياناً لا يدرك العلاقة بين ما سبق أن مر به وبين الموقف الراهن الذي يمر به (53)

والخبرة عامل مهم لتخطي صعوبات الحياة، ولكي لا يقع الفرد مجدداً في نفس الخطأ يجب أن يستفيد من التجارب التي يمر بها ويستغلها أحسن إستغلال، وفي هذا السياق يقول رسول الله: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"، وفي معناه التحذير من تكرار الخطأ، والحث على التيقظ واستعمال الفطنة، فالفرد السوي يُحسن إستغلال ما تعلمه من مهارات وخبرات لأنه ينعم بالإستقرار الإنفعالي والتوازن النفسي، ويتصدى لما يعترضه من أزمات بقوة وحزم، بينما المعتل نفسياً فإنه لا يحسن إستغلال خبرته مما يجعله دائم الوقوع في دوامة المرض.

4-11 الإستقلالية:

الإنسان السوي هو الذي يعي حدود حريته ويدرك مسؤولياته، ويقدر على تحملها دون تردد أو اعتماد على الآخرين، وهو ذلك الإنسان المدفوع من الداخل الذي رسم

وتقييمه لها ، فهي إذن تتكون من خبرات إدراكية وانفعالية ،
تتمركز حول الفرد ، باعتبار أنها مصدر للخبرة ، وللسلوك ،
وللوظائف ودلائل تحقيق الذات تتمثل فيما يلي: فهم النفس ،
التقييم الواقعي للقدرات والإمكانات ، تقبل نواحي القصور ،
احترام الفروق بين الأفراد ، تنوع النشاط وشموله ، تقبل
الحقائق المتعلقة بالقدرات موضوعياً ، تقدير الذات حق
قدرها ، وبذل الجهد في العمل والرضا عنه والكفاية والإنتاج.
(61)

وتحقيق الذات يكون بتعبير الفرد عن مشاعره ،
وأفكاره وآرائه ، والدفاع على حقوقه ، ومواجهة من يستغلون
طيبته لينتهكوا حقوقه ، ويكون ذلك بالتعبير على الرفض
وقول كلمة " لا " بثبات وحزم.

4-15- القدرة على مواجهة مطالب الحياة:

يتصف الفرد ذو التكيف الحسن بقدرة على مواجهة
متاعب الحياة وأحداثها اليومية ، كما يتصف بدرجة عالية من
الصمود ، ومواجهة عقلانية لمواقف الإحباط لا يطفئ عليها
الانفعال أو التخبط
عندما يتعرض الإنسان السوي إلى مشكلة فإنه يفكر
فيها ، ويحدد عناصرها ويضع الحلول التي يتصور أنها كفيلة
بحلها ، وهو في هذا يتجه مباشرة إلى قلب المشكلة ويواجهها
مواجهة صريحة ، وقد يعلن فشله إذا لم ينجح في حلها ، أما
الإنسان غير سوي فهو لا يتجه مباشرة إلى المشكلة ويعمد إلى
الدوران حولها متهرباً من اقتحامها مباشرة. (62)

وهذه المواقف تعتبر وقفة اختبار للفرد في مدى
تغلبه عليها ، أو خضوعه لها ، والدخول في دائرة الاضطرابات
النفسية ، وقد قال الله سبحانه تعالى في ذلك: " ولبيولونكم
بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس
والثمرات وبشر الصابرين " البقرة: الآية 155. (63)

والقدرة على مواجهة مطالب الحياة تعتبر مهارة يتم
تعلمها للتعامل مع مشكلات الحياة الواقعية ، وتتضمن أن
يقوم الفرد بتقسيم المشكلة إلى عناصر فرعية ، ويجرب الحلول
المفترضة الواحد تلو الآخر ، ليختار في الأخير الحل الذي
يمكنه الخروج من المأزق بأقل الأضرار.

متطلباته ومع متطلبات العالم الخارجي ، وفي المقابل ينشأ
سوء التوافق عندما تتعارض حاجات الفرد ورغباته مع البيئة
التي يعيش فيها ، مما يؤدي إلى حدوث صراع نفسي ،
وإحباطات ، وأمراض نفسية.

4-13- الشعور بالسعادة: وينقسم إلى مايلي:

* الشعور بالسعادة مع النفس:

الشعور بالسعادة لها للفرد من ماضٍ نظيف وحاضر
سعيد ، ومستقبل مشرق(57) ، ودلائل ذلك الراحة ، الأمن ،
الثقة ، احترام الذات ، تقبل الذات ، التسامح مع الذات ،
والطمأنينة(58)
و يأتي ذلك عن طريق الاستفادة من مسرات الحياة
اليومية ، وإشباع الدوافع اليومية ، والحاجات النفسية
الأساسية. (59)

* الشعور بالسعادة مع الآخرين:

ويظهر ذلك من خلال احترام الآخرين ، إقامة علاقات
اجتماعية ، الانتماء للجماعة ، التعاون مع الآخرين ، تحمل
المسئولية الاجتماعية ، حب الآخرين والثقة بهم(60)
إن صحة الفرد النفسية ، تبدو واضحة في مدى
استمتاعه بالحياة ، وبعمله ، وبأسرته ، وبأصدقائه ، وشعوره
بالطمأنينة ، وبالسعادة ، وبراحة البال ، وبحب الناس ،
وبحب القيم الأخلاقية السامية ، ومع ذلك فقد نتعرض في
كثير من الأحيان إلى لحظات قلق ، أو إحباط.
لكن الفرد الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة ، يستطيع
أن يواجه مثل هذه الأزمات ، والشدائد ، ويحاول حلها حلا
سويا وسليما ، والشعور بالسعادة لا يكتتمل إلا باتباع ما أمر به
الله سبحانه وتعالى ، واجتناب ما نهى عنه.

والشعور بالسعادة من وجهة نظرنا هو الرضا بما
منحنا المولى عز وجل من نعم ، والصبر على ما حرمانا منه ،
كما لا يجب أن نربط السعادة بالأمور المادية ، وأن نستمتع
بملاذات الحياة في حدود ما أمرنا به المولى عز وجل.

4-14- تحقيق الذات واستغلال القدرات:

إن فكرة الفرد عن ذاته هي النواة الرئيسية التي تقوم
عليها شخصيته ، كما أنها عامل أساسي في تكيفه الشخصي
والاجتماعي ، فالذات تتكون من مجموع إدراك الفرد لنفسه ،

16-4- مدى نجاح الفرد في عمله ورضاه عنه:

إن العمل بالنسبة للأفراد مصدر من مصادر الأمن الاجتماعي، حيث يشعر الفرد بكيانه ووجوده داخل مجتمعه من خلال ما يقوم به من عمل، كما أن العمل يمثل مصدر من مصادر الأمن المعيشي من خلال ما يتقاضاه من المال مقابل ما يقوم به من مهام وظيفية، كما أن العمل يعتبر مصدراً هاماً في تحقيق الفرد لذاته.

إذ توجد علاقة واضحة بين الصحة النفسية، وما يتركه العمل من آثار، فلا شك أن الفشل والإحباط في العمل قد يؤدي إلى اضطراب الاتزان النفسي لدى بعض الأفراد، الذين يكونون أصلاً طبيعيين راضين عن أنفسهم. (64)

كذلك يجب أن يتلائم العمل مع قدرات الفرد حتى يشعر بالرضا والسعادة، فقد يكون العمل الذي يؤديه الفرد أعلى من مستوى قدراته، أو قد تكون قدراته واستعداداته أقل من الإمكانيات التي يتطلبها هذا العمل، وبطبيعة الحال هذان الوضعان المتناقضان يؤثران على توافقه مع بيئة العمل، وعلى صحته النفسية.

17-4- التحمس والإقبال على الحياة بوجه عام:

ويقصد بذلك مدى تحمس الفرد للحياة وتفاؤله بها، ولهذا فإن الاتجاه الإيجابي نحو الحياة، هو أحد الدعائم الهامة للشخصية المتمتع بالصحة النفسية (65) وقد ذكر "الشرقاوي" 1983 أن تقدير الحياة والشعور بالرضا للوجود فيها، يعني أن يكون الفرد سعيداً بحياته، ويرى أن لها قيمة، وفيها ما يستحق أن يكافح لأجله. (66)

التفاؤل شعور يعطي للفرد الأمل في الحياة ويعطيه دافعاً قوياً من أجل محاربة الفشل والهزيمة، والإنسان الذي يتسم بالتفاؤل ينجز أعماله بكل ثقة، وينظر إلى الحياة نظرة مشرقة، يعيش يومه بعمق طوله وعرضه، مستمتعاً بكل مباحج الحياة المشروعة، ممتلئاً بالتفاؤل والحيوية، وحب الحياة.

18-4 السلوك العادي:

السلوك السوي العادي المعتدل المألوف الغالب على حياة غالبية الناس العاديين، والعمل على تحسين مستوى

التوافق النفسي، والقدرة على التحكم في الذات وضبط النفس (67).

و السلوك العادي هو مرادف للسلوك السوي وقد أشرنا إليه سابقاً.

4-19 حسن الخلق:

ودلائل الخلق الرفيع: الأدب والالتزام، وطلب الحلال، واجتناب الحرام وبشاشة الوجه، وبذل المعروف وكف الأذى وإرضاء الناس في السراء والضراء، ولين القول، وحب الخير للناس، والكرم، وحسن الجوار، وقول الخير، وبر الوالدين، والحياء والصلاح، والصدق والبر، والوقار والصبر، والشكر والرضا، والحلم والعفة، والشفقة (68)

و يُعنى بحسن الخلق أن يكون الفرد لينا في التعامل مع الآخرين في جميع الجوانب الحياتية، وأن يكون بشوش الوجه، وأن يكون حكيماً في قوله وفعله، رزين الكلمة، خفيف الظل، وأن يحرص على إدامة المحبة بين الناس، فالأخلاق الحميدة يحتاجها الفرد في حياته اليومية، ويحتاجها مع نفسه، فهي تهذيب للنفس البشرية، ويحتاجها مع الآخرين لأنها تكسبه احترام وتقدير الآخرين، وحبهم له.

4-20 الخلو النسبي من الأعراض:

فكلما قلت مظاهر الاضطراب النفسي دل ذلك على مدى الاستقرار النفسي للفرد، وهذه أهم مظاهر الصحة النفسية، حيث من الممكن أن تساعدنا في الاستدلال على درجة الصحة النفسية، كما يمكن أن يستخدمها الفرد لتطوير شخصيته، وتعميق شعوره بحالة الصحة النفسية لديه والوقاية من أمراضها. (69)

إن الخلو النسبي من الأعراض لا يكفي ليتمتع الفرد بصحة نفسية جيدة، بل يجب أن يكون قادراً على حل مشاكله وصراعاته، كما يجب أن يكون قادراً على العمل والإنجاز في جميع مجالات الحياة.

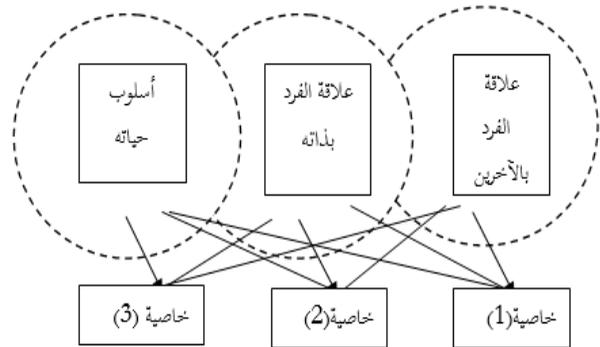
ويمكن تلخيص الأطر الأساسية لهذه المؤشرات في ثلاثة محاور رئيسية، وهي علاقة الفرد بذاته وخصائصه الفردية، وعلاقته بالآخرين، ونظرته إليهم، وأسلوب حياته، ونظرته للمستقبل، وهدفه في الحياة،

زمنية إلى حقبة زمنية أخرى، فلا يوجد شخص كامل في صحته النفسية.

وعليه فالصحة النفسية تكوين فرضي لا يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة، لكن يمكن الإستدلال على وجودها من خلال بعض الأدوات العلمية الموضوعية المتمثلة في الإختبارات والمقاييس النفسية .

وتبدو مظاهر الصحة النفسية في علاقة الفرد بذاته وفي علاقته بالآخرين، وفي الأسلوب الذي يتبعه في تسيير حياته، ويمكن إيضاح هذه العلاقات من خلال الشكل الآتي: (70)

شكل رقم (4): يوضح مظاهر الصحة النفسية



المصدر: (بطرس حافظ بطرس، 2008، ص 41)

فنجاح الفرد في علاقته بالآخرين ونجاحه في علاقته بذاته، بمعنى خلو هذه العلاقات من الصراعات والمشاحنات، دليل على اتخاذ هذا الفرد أسلوب حياة ناجح، يسهم بشكل كبير في تحقيق مستوى جيد من الصحة النفسية.

خاتمة:

إن مشكلات الصحة النفسية من الظواهر المهمة التي تستحق الدراسة والبحث، وذلك نظرا لأثرها على تكيف الفرد وعلاقته بمجتمعه، وهي ليست بالأمر السيء أو الشاذ، لكن سوء التعامل معها، وشدتها هو الأمر غير صحي.

وعلم الصحة النفسية يساهم بشكل كبير في معالجة هذه المشكلات من خلال التدخل وإصلاح وضع الفرد من خلال برامج وقائية وعلاجية يقدمها متخصصون في هذا المجال لديهم القدرة على إعادة التوازن النفسي للفرد، وصولا به إلى حالة إيجابية يكون فيها متوافقا مع ذاته ومع مجتمعه قادرا على أن يعيش حياة سعيدة مستغلا كل إمكانياته وطاقاته في حدودها الطبيعية، قادرا على توظيفها توظيفا سليما من أجل التمتع بصحة نفسية جيدة .

وما تجدر الإشارة إليه من خلا هذه الورقة البحثية أن الصحة النفسية ليست حالة ثابتة إما أن تتحقق أو لا تتحقق، بل إنها حالة ديناميكية متحركة نشطة ونسبية، تتغير من فرد إلى آخر، ومن وقت إلى آخر لدى الفرد الواحد، وكذا من مجتمع لآخر، وأيضا في نفس المجتمع من حقبة

الهوامش

- 1- سهير كامل أحمد، الصحة النفسية والتوافق، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، القاهرة، (1999) ص 26، ص 14.
- 2- نبيه إبراهيم إسماعيل، عوامل الصحة النفسية السليمة، الطبعة الأولى، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، (2001)، ص 30.
- 3- عماد محمد عطية، الصحة النفسية "المفهوم والأهمية والرؤى المستقبلية، الطبعة الأولى، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الأردن، (2014) ص 16.
- 4- مروان أبو حويج، عصام الصفدي، المدخل إلى الصحة النفسية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن، (2001)، ص 54.
- 5- السيد فهمي علي، علم نفس الصحة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، (2009)، ص 25.
- 6- مروان أبو حويج، عصام الصفدي، مرجع سابق، ص 58.
- 7- مرجع سابق، ص 61.
- 8- حسن مصطفى عبد المعطي، المقاييس النفسية المقننة، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (2009)، ص 15.
- 9- مصطفى خليل الشراوي(د ت)، علم الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ص 7، ص 8.
- 10 - Sébastien bureau, Julie-Anne Lalonde et all , sante mentale et psychopathologie, group modulo INC 5800 rue saint Denis , bureau 1102 Montréal (Québec) canada,(2012) ,p3. p4
- 11- رشيد حميد زغير، الصحة النفسية والمرض النفسي والعقلي، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (2010)، ص 254.
- 12- نازك عبد الحلیم قطيشات، أمل يوسف التل، قضايا في الصحة النفسية، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، (2009)، ص 79.
- 13- مرجع سابق، ص 43.
- 14- زياد بركات، الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى طلبة القدس المفتوحة، جامعة القدس المفتوحة، (2006)، (غير منشورة)، ص 11.
- 15- مرجع سابق، ص 92.
- 16- عطا الله فؤاد الخالدي، دلال سعد الدين العلمي(2009)، الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوافق، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، (2009)، ص 105.
- 17- بطرس حافظ بطرس، التكيف والصحة النفسية للطفل، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن، (2008) ص 112.
- 18- سامي محسن الختاتنة، دليل المقاييس والاختبارات النفسية والتربوية، الطبعة الأولى، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، (2013)، ص 19.
- 19- مصطفى خليل الشراوي، مرجع سابق، ص 29، ص 32.
- 20- أشرف محمد عبد الغني شريت، محمد السيد حلاوة، الصحة النفسية بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (2003)، ص 125، ص 127.
- 21- موسى جبريل، نزيه حمدي، وآخرون، التكيف ورعاية الصحة النفسية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، (2009) ص 84.
- 22- ماجدة بهاء الدين السيد، الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (2008)، ص 142.
- 23- رمضان محمد القذافي، الصحة النفسية والتوافق، الطبعة الثالثة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (1998)، ص 51.
- 24- محمود السيد أبو النيل، الصحة النفسية، جامعة عين الشمس، القاهرة، 2014، ص 36.
- 25- عطا الله فؤاد الخالدي، دلال سعد الدين العلمي، مرجع سابق، ص 103.
- 26- أشرف محمد عبد الغني شريت، محمد السيد حلاوة، مرجع سابق، ص 149.
- 27- مروان أبو حويج، عصام الصفدي، مرجع سابق، ص 87.

- 28- ماجدة بهاء الدين السيد ، مرجع سابق ، ص 144.
- 29- مصطفى حجازي ، الصحة النفسية منظور ديناميكي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة ، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 2000 ، ص 65 .
- 30- كامل محمد عويضة ، الصحة في منظور علم النفس ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (1996) ، ص 34.
- 31- أشرف محمد عبد الغني شريت ، محمد السيد حلاوة ، مرجع سابق ، ص 150.
- 32- عطا الله فؤاد الخالدي ، دلال سعد الدين العلمي ، مرجع سابق ، ص 103.
- 33- أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، الطبعة السابعة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، (1986) ، ص 486 ، ص 488.
- 34- أشرف محمد عبد الغني شريت ، محمد السيد حلاوة ، مرجع سابق ، ص 154.
- 35- لطفي الشربيني ، الإكتئاب " الأسباب... والمرض... والعلاج " ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2001 ، ص 46.
- 36- محمود السيد أبو النيل ، مرجع سابق ، ص 37.
- 37- عبد الحميد محمد الشاذلي ، التوافق النفسي للمسنين ، المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، القاهرة ، (2001) ، ص 28.
- 38- محمد عبد الله العابد أبو جعفر ، علم النفس النمو ، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ، ليبيا ، 2014 ، ص 22.
- 39- أسامة إسماعيل قولي ، العلاج النفسي بين الطب والإيمان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 216 ، ص 220.
- 40- محمد عبد الله العابد أبو جعفر ، مرجع سابق ، ص 33.
- 41- آمال عبد السميع مليجي باظة ، مرجع سابق ، ص 26 ، ص 27.
- 42- رشاد علي عبد العزيز موسى ، الصحة النفسية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (2000) ، ص 25.
- 43- أشرف محمد عبد الغني شريت ، محمد السيد حلاوة ، مرجع سابق ، ص 145.
- 44- المرجع نفسه ، ص 145.
- 45- المرجع نفسه ، ص 145.
- 46- المرجع نفسه ، ص 145.
- 47- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 32.
- 48- إعداد ابتسام أحمد أبو العمرين ، مستوى الصحة النفسية للعاملين بمهنة التمريض بالمستشفيات الحكومية بمحافظات غزة وعلاقته بمستوى أدائهم ، رسالة ماجستير في علم النفس بكلية التربية في الجامعة الإسلامية بغزة ، 2008 ، (غير منشورة) ، ص 21.
- 49- موسى جبريل ، نزيه حمدي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 59.
- 50- ابتسام أحمد أبو العمرين ، مرجع سابق ، ص 21 ، ص 23.
- 51- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 25.
- 52- أشرف محمد عبد الغني شريت ، محمد السيد حلاوة ، مرجع سابق ، ص 147 ، ص 148.
- 53- ابتسام أحمد أبو العمرين ، مرجع سابق ، ص 23.
- 54- بطرس حافظ بطرس ، مرجع سابق ، ص 38.
- 55- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 14.
- 56- حامد عبد السلام زهران ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، القاهرة ، (1997) ، ص 11.
- 57- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 16.
- 58- ابتسام أحمد أبو العمرين ، مرجع سابق ، ص 21.
- 59- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 17.
- 60- ابتسام أحمد أبو العمرين ، مرجع سابق ، ص 21 ، ص 22.
- 61- موسى جبريل ، نزيه حمدي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 60.
- 62- أشرف محمد عبد الغني شريت ، محمد السيد حلاوة ، مرجع سابق ، ص 147.
- 63- مرجع نفسه ، ص 17.

- 64- سامية لطفى الأنصاري ، أحلام حسن محمود ، الصحة النفسية والمدرسية ، مركز الأسكندرية للكتاب ، الأزاريطة ، مصر ، (2007) ص 14 ، ص 15.
- 65- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 23.
- 66- مروان عبد الله دياب ، دور المساندة الاجتماعية كمتغير وسيط بين الأحداث الضاغطة والصحة النفسية للمراهقين الفلسطينيين ، رسالة مقدمة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في علم النفس ، الجامعة الإسلامية بغزة ، (2006) ، غير منشورة ، ص 43.
- 67- رشاد علي عبد العزيز موسى ، مرجع سابق ، ص 24.
- 68- مروان عبد الله دياب ، مرجع سابق ، ص 43.
- 69- بطرس حافظ بطرس ، مرجع سابق ، ص 41.
- 70- مرجع نفسه ، ص 41.

الهوية التنظيمية وآليات تفعيلها في المؤسسة

Organizational Identity And Mechanisms Of Its Activation Inside The Enterprise

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الارسال: 2018-04-09

صونية براهمية، جامعة سطيف2

brahmia.sonia@gmail.com

الملخص:

يعتبر موضوع الهوية التنظيمية أحد أهم الموضوعات التي يجري العمل عليها في سوسيولوجيا التنظيمات، فالتحولات الثقافية والاجتماعية تضغط اليوم لأجل صياغة معايير ناظمة للتصرفات الفردية والجماعية في التنظيم؛ في نفس الوقت تقارب المؤسسات الحديثة علاقة جديدة مع العاملين تسمح لها بدمجهم في مشروعها المؤسسي وتحويل المنظمة إلى مجال إنساني وتنشئي يمثّل امتداداً لثراء التجربة الإنسانية في المجتمع.

بناء على ذلك تستهدف هذه الورقة البحثية، تتبع التوضع الجديد لمفهوم الهوية التنظيمية في الأدبيات السوسيولوجية والتفسيرية في إطار الإصلاحات التنظيمية المعاصرة، والوقوف على أهم الآليات التي يمكن أن تساهم في تفعيل الهوية التنظيمية في المؤسسة.

الكلمات المفتاحية: الهوية التنظيمية، التنشئة التنظيمية، الثقافة التنظيمية، رسالة المؤسسة.

Résumé :

Le thème de l'identité organisationnelle est considéré comme l'un des sujets les plus opérationnels en sociologie des organisations. Les mutations culturelles et sociales font pression aujourd'hui pour la formation de normes de conduite individuelles et collectives au sein de l'organisation ; à la fois les institutions modernes suscitent une relation nouvelle avec les employés et leur permet ainsi leur intégration au sein de son projet institutionnel en transformant l'organisation en un espace humain et constructif et permettant ainsi l'enrichissement de l'expérience humaine dans la société. A cet égard, la présente étude vise la poursuite de la nouvelle objectivation du concept d'identité organisationnelle dans la littérature sociologique et administrative dans le cadre des réformes organisationnelles modernes et l'identification des principaux mécanismes susceptibles de concourir à l'activation de l'identité organisationnelle au sein d'institution.

Mots-clés : Identité organisationnelle – la socialisation organisationnelle– Culture organisationnelle – Message d'entreprise.

Abstract :

The theme of organizational identity is considered one of the most operational subjects in sociology of organizations. Cultural, social and values mutations are now pressing for the formation of individual and collective standards of conduct within the organization; At the same time, modern institutions create a new relationship with active subjects and thus enable them to be integrated into their institutional project by transforming the organization into a human and constructive space and thereby enriching the human experience in the society. In this regard, the present study aims to follow the new localization of the concept of organizational identity in the sociological and management literature under the modern organizational reforms and the identification of the main mechanisms likely to contribute to the activation of the organizational identity within Algerian institutions.

Keywords : The Organizational Identity, Organizational Upbringing, Organizational Cultural, Letter Institution.

مقدمة:

للمؤسسة هي امتداد للهوية الثقافية للمجتمع الذي تتواجد وتنشط فيه تلك المؤسسة.

1- مفهوم الهوية الثقافية: يعد مفهوم الهوية الثقافية من المفاهيم التي نالت في السنوات الأخيرة نصيباً وافراً من اهتمامات الدارسين والباحثين في حقل العلوم الاجتماعية عموماً وحقل السوسولوجيا خصوصاً، "ويتميز مفهوم الهوية الثقافية بتعدد معانيه وانسيابيته، إنه ذو ظهور حديث في حقل العلوم الاجتماعية، وقد شهد تعريفات وإعادة تأويلات عدة، كانت الولايات المتحدة هي التي شهدت خلال الخمسينيات من القرن الماضي مَفْهَمَ "الهوية الثقافية"، كان الأمر يتعلق حينها بالنسبة إلى فرق بحث في علم النفس الاجتماعي بالعثور على أداة مناسبة تمكن من الإحاطة بمسائل اندماج المهاجرين. وتحيل مسألة الهوية الثقافية إلى مسألة أكثر اتساعاً هي مسألة الهوية الاجتماعية... إنها تعبر عن محصلة التفاعلات المتنوعة بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، قريباً كان أو بعيداً.

إن هوية الفرد الاجتماعي تتميز بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي: الانتماء إلى صنف جنسي، صنف عمري، طبقة اجتماعية وإلى أمة... إلخ. الهوية تمكن الفرد من أن يحدد لذاته موضعاً ضمن النسق الاجتماعي وأن يحدد الآخرين موضعه اجتماعياً. إن الهوية تبدو من هذا المنظور، ككيفية تصنيف للتمايز نحن - هم قائمة على الاختلاف الثقافي".⁽¹⁾

ويرى ريجارد جنكز أن الهوية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرون، وكذلك تصور الآخرون حول أنفسهم وحول الآخرين. والهوية هي شيء قابل للنقاش وتأتي إثر التفاعل الإنساني.² كما أن الفرد في محاولته لإثبات انتماؤه إلى فئة أو جماعة اجتماعية معينة يسعى إلى تقوية هويته من خلال مقارنة مجموعته مع المجموعات الأخرى، حيث أثبتت الدراسات بأن المجموعات المختلفة إذا ما واجهت نفس المواقف تكون ردود أفعالهم مختلفة باختلاف هوياتهم ومرجعياتهم الثقافية.³

وعلى هذا الأساس تعد الهوية بحد ذاتها آلية من آليات التمايز بين الأفراد والجماعات، كما تشكل مرجعية

إن مفهوم الهوية التنظيمية يعد من المفاهيم الحديثة في حقل الدراسات السوسولوجية، إذ لم يتناوله الباحثون بالدراسة بشكل ملحوظ إلا في التسعينات من القرن الماضي، ولكن يجب ألا نخلط بين دراسة الظاهرة (على مستوى المفهوم) وحقيقة وجودها (على مستوى الدلالة)، أي أن عدم تناول الظاهرة بالدراسة لا يعني أنها غير موجودة.

وتؤكد الأدبيات العلمية أنه على المؤسسة قبل أن تدرك ما يتوجب عليها القيام به وفق طبيعة نشاطها، يجب عليها أن تدرك من هي؟ ما ماهيتها وما هويتها؟ أي على المؤسسات أن تولي قدراً من الأهمية لتُكوّن لنفسها هوية تنظيمية قوية تميزها عن غيرها، وتكون لها بمثابة الدعامة التسييرية.

إن تنامي الاهتمام بالهوية التنظيمية في الآونة الأخيرة يرجع لها من دور إيجابي بالنسبة للمؤسسة سواء على مستوى محيطها الداخلي أو الخارجي. أما دورها المتعلق بالمحيط الخارجي فيتمثل في إثبات التفرد والتميز عن باقي الهيئات والمؤسسات الأخرى، مما يكسب المؤسسة ميزة تنافسية، وأما الدور المتعلق بالمحيط الداخلي فهو لا يقل أهمية عن سابقه، حيث من خلالها يتم توحيد العاملين على اختلاف خصائصهم الديمغرافية (السن، الجنس، الأقدمية، الخ...)، على تحقيق أهداف مشتركة، وبهذا تعتبر الهوية التنظيمية من أهم عوامل إدماج وتكيف العاملين. وانطلاقاً من هذا الدور تكتسي الهوية التنظيمية أهمية بالغة تحتم على قيادة المؤسسة التركيز على مختلف الآليات التي من شأنها تفعيل الهوية التنظيمية والتي تسعى المؤسسة من خلالها لتحقيق الفعالية التنظيمية ضمن واقع مؤسستي أقل ما يمكن أن نقول عنه أنه تنافسي. وهو ما دفعنا إلى إثارة تساؤل جوهري حول ما هي الآليات الكفيلة بتفعيل الهوية التنظيمية في المؤسسة الجزائرية؟ والذي سنحاول الإجابة عنه من خلال هذه الورقة البحثية.

أولاً-مدخل مفاهيمي: لتحديد مفهوم الهوية التنظيمية ينبغي أن نتطرق أولاً لماهية الهوية الثقافية، لأن العلاقة بين المفهومين هي علاقة جزئ من كل، والهوية التنظيمية

مؤسسة ما تنسجم مبادئها وقيمتها مع قيمه وقناعاته الذاتية توجد لديه روابط أكثر جاذبية وشعورا أقوى بالهوية التنظيمية، ويتكون لديه استعدادا أكبر لتحقيق أهداف المؤسسة.

وبذلك تعرف الهوية التنظيمية بأنها " فهم أعضاء المنظمة الجماعي للسماة الأكثر جوهرية /مركزية في المنظمة التي تميزها عن غيرها، وتتصف عادة بالاستمرارية".⁽⁶⁾ وتعرف أيضا " بأنها الشخصية المميزة للمنظمة التي تم إدراكها من خلال القيم المنتشرة والتي تظهر في اتصالات المنظمة بالخارج".⁽⁷⁾

تزامن ظهور هذا النوع من الهوية مع بروز البعد التنظيمي في الوسط المهني، ففي هذا الاتجاه تحولت الجماعة الى منظمة وتحول الأفراد الى فاعلين وتحولت الهوية الى استراتيجيات هوياتية غير مكتملة التحقيق، تحاول أن تنسجم مع المعطيات التي يفرضها تفاعل المحيط الخارجي مع الوسط المهني، ولهذا فالهوية في هذا المستوى هي عبارة عن ترتيبات متغيرة بشكل دائم، يسعى الفاعلون من خلالها الى تحقيق التكيف والانسجام مع متطلبات المنظمة التي ينشطون بداخلها.⁸

وبناء على ما سبق، يمكن تعريف الهوية التنظيمية على أنها مجموعة من السماة والخصائص، التي تميز المؤسسة عن غيرها من المؤسسات المشابهة، ومن ثمة فإنه على المسيرين الاهتمام بها ورعاية كل العوامل والآليات، التي من شأنها تفعيل هوية المؤسسة.

كما تعد الهوية التنظيمية غاية في الأهمية، فهي تعتبر من أهم موارد المؤسسة الناجعة، التي تعمل بدورها على بنائها وإدارتها وإيجاد الآليات الكفيلة بتفعيلها، من أجل تحقيق النجاح المطلوب.

وتعكس الهوية التنظيمية، سواء كانت معلنة أو غير معلنة، أهداف المؤسسة والعاملين على حد سواء، حيث أنها كلما كانت أكثر عمقا وتجسدا في كل قيم ومعتقدات المؤسسة، كلما كان العاملين أكثر التزاما ورقابة ذاتية وتماثلا. ولن تكون كذلك إلا إذا توفرت فيها مجموعة من الأبعاد. ويمكن التمييز بين ثلاثة أبعاد أساسية للهوية التنظيمية وهي:

وخصوصية ثقافية تميز المجتمع الواحد عن باقي المجتمعات الإنسانية.

" فالهوية الثقافية تمثل الخصوصية التي تميز جماعة بشرية عن غيرها: كالعيش المشترك، العقيدة، اللغة، التاريخ، والمصير المشترك... إلخ. ومن هنا فإن الهوية الثقافية هي المحددات الأساسية لثقافة الأمة، والتي عبر عنها منتسكيو ب «روح الأمة»، لأنها تمثل رمز وحدتها واستمراريتها بحيث تتفاعل عناصر هذه الهوية ضمن هوية مركزية أو أرضية مرجعية تتحدد وفق المرجعين التاليين:

الثقافة: إن الثقافة هي التي تمكن الفرد من التكيف والتوافق مع الجماعات الاجتماعية وتحقيق ذاته في إطار الجماعة والمؤسسات المجتمعية.

الوطنية: تعبر الدولة الحديثة عما يسمى الهوية الوطنية، كأرضية مرجعية تشمل كل السماة الثقافية للأمة، وتصبح بالتالي أحد الدلالات الأساسية المحددة لهوية شعب يعيش ضمن إقليم جغرافي محدد".⁽⁴⁾

وتعرف الهوية الثقافية أيضا بأنها "القدر الثابت والجوهري والمشارك من السماة والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات التي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى".⁽⁵⁾ وحسب ما أثبتته الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية أن الهوية الثقافية هي الشعور بالانتماء إلى جماعة أو مجتمع له من الخصائص والمميزات الثقافية والاجتماعية التي تميزهم عن بقية الأفراد والمجتمعات، وبذلك يصبحوا منسجمين ومندمجين تحت تأثير تلك الخصائص والمميزات.

وعليه فالهوية الثقافية تشير إلى مجموع الخصائص الجوهرية التي يشترك فيها غالبية أفراد المجتمع والتي تميزهم عن بقية المجتمعات الأخرى، وتمثل هذه الهوية في نفس الوقت خصوصية ثقافية لهذا المجتمع.

2- مفهوم الهوية التنظيمية: يقدم العاملون أنفسهم في كثير من الأحيان بصفتهم أعضاء في المؤسسة التي يعملون فيها، فالعمل في المؤسسة على هذا الأساس يشكل مصدرا مهما لتكوين هوية الفرد، ذلك لأنه يحتاج إلى الانضمام إلى مجموعة ينتمي إليها ويتبع تقاليدها. والفرد الذي يعمل في

وعموما فإن الهوية التنظيمية تركز على محاولة إجابة العاملين عن السؤال المتعلق بمن نحن كمؤسسة؟ وما يميزنا عن غيرنا من المؤسسات المشابهة؟

" والفرد الذي يكون لديه إحساس عال بهويته الوظيفية يميل لأن يكون أكثر اندماجا، وتعايشا في عمله ووظيفته، و يكون أيضا أكثر احتمالا بشعوره بالولاء للمنظمة و تحدد الهوية الوظيفية اتجاه الأهداف الوظيفية للفرد، ويمكن ترجمة ذلك من خلال بعض التساؤلات:

✓ هل يرغب الفرد في التقدم في المنظمة؟

✓ هل يرغب أن يكون في مركز قيادي؟

✓ هل يرغب أن يحصل على مركز أدبي أو اجتماعي

أكبر؟

✓ هل يرغب الفرد في الحصول على أجر ومزايا

مادية أكبر؟

✓ هل يرغب في تحقيق هذه الأهداف بسرعة؟ (12)

ثانيا: أنواع الهوية: ويمكن تصنيف الهوية في هذا

المجال إلى مستويين رئيسيين:

1-هوية فردية وهوية جماعية: "الهوية الفردية هي

مجموع الخصائص الفيزيائية والنفسية والأخلاقية والقانونية والاجتماعية والثقافية، التي يمكن للفرد من خلالها أن يحدد نفسه ويقدمها للآخر، وأن يتعرف عليها ويجعل الآخرين يعرفونها،...ومن هنا تصبح الهوية الفردية معبرة عن كل القدرات التي بإمكان الفرد الحصول عليها خلال مسار حياته الطويل نسبيا، والتي تمكنه من لعب دور محدد في المجموعة التي يوجد فيها من جهة، وتمكن الجماعة التي ينتمي لها بالاعتراف بحقه في ممارسة هذا الدور من جهة ثانية.

أما الهوية الجماعية فتعبر من جهتها على التمثلات

التي تحملها الجماعات عن الفاعلين الاجتماعيين الذين يشكلونها، والتمثلات التي يعطونها للجماعات الأخرى... إنها تعبر عن النحن الذي ينخرط فيه الجميع، فالهوية الجماعية تقتضي في نفس الوقت تحديد العناصر المشتركة بين الفاعلين والاختلافات والتناقضات التي تميز نفس المجموعة عن غيرها من المجموعات" (13).

وعلى هذا الأساس تمثل الهوية عددا من الخصائص

والمميزات المتعلقة إما بالفرد أو الجماعة.

أ/ السمات المركزية للمنظمة: هي تلك السمات التي

يمكن عدّها جوهرية، وهي التي من المفروض توافرها في أي مؤسسة.

ب/ السمات المتفردة: هي السمات التي تميز

المنظمة عن المنظمات الأخرى، وقد تعرف بعض المنظمات بسمة مميزة لها مثل شركة IBM تميزت بجودة خدماتها في مجال عملها بالحاسبات الإلكترونية.

ج/ الاستمرارية: تعني استمرار وجود السمات

المركزية والمتفردة في المنظمة بمرور الزمن، وهذه السمات لها صفة الديمومة ولا تتأثر سريعا بتغيرات البيئة.

ومن الضروري استمرار وجود الخصائص المركزية

والمتفردة للمؤسسة، إذ يعد بعد الاستمرارية شرطا أساسيا في تفعيل الهوية التنظيمية، فإذا لم يتحقق هذا الشرط فإن مفهوم الهوية التنظيمية يكون ضعيفا. وتظهر سمات المؤسسة بشكل واضح وجلي أمام العاملين فيها والمتعاملين معها بمرور الوقت (عمر المؤسسة) بعد أن ترسخ المؤسسة لنفسها ثقافة تنظيمية واضحة المعالم تكون الهوية التنظيمية من أهم إفرازاتها.

3- مفهوم الهوية الوظيفية: إذا كانت الهوية التنظيمية

تعني "درجة تعريف الأعضاء لأنفسهم بالانتماء إلى المؤسسة ككل وليس لوحدة أو مجال تخصص أو مجال مهني معين". (10)

فإن الهوية الوظيفية تمثل "المدى الذي يعرف فيه

الفرد نفسه من خلال الوظيفة أو العمل الذي يؤديه". (11)

إذن الفرق بين المفهومين واضح، فالهوية

التنظيمية تشير إلى درجة انتماء العاملين إلى التنظيم أو المؤسسة ككل -هناك من الباحثين من يطلق عليها الهوية المؤسساتية- ومن جانب آخر يشير مفهوم الهوية الوظيفية إلى درجة انتماء العاملين إلى وظيفة معينة أو مهنة معينة، فالعلاقة بين المفهومين هي علاقة جزئ (الهوية الوظيفية) من كل (الهوية التنظيمية) تماما كما هو الفرق بين ثقافة المهنة (الوظيفة) وثقافة المؤسسة.

ادعائها بالصفة المركزية: ويعني "البرت" و"ويتن" بادعائها بالصفة المركزية، بأن هوية المؤسسة يجب أن تركز على صفة أو عدة صفات للشركة، التي هي إلى حد ما، جوهرية لفهم "لماذا توجد الشركة" وهدفها أو مسألتها.

ادعائها بالتمييز: أما بالنسبة للادعاء بالتمييز فيناقش "البرت" و"ويتن" بأنه مهما كانت هذه الصفات فيجب فهمها بأنها فريدة بنوعها من قبل أولئك الذين يعتقدون هوية المؤسسة.

وهذا الإدراك للتمييز يوعز بأن المؤسسات تسعى جهودها لتمييز نفسها عن المؤسسات الأخرى المشابهة.

ادعائها بالاستمرارية الزمنية: أما الادعاء بالاستمرارية الزمنية فإن الباحثان يؤكدان على طول عمر الهوية المؤسساتية، أي بأن هوية المؤسسة سوف تبقى بدون تغير خلال الزمن، بغض النظر عن التغيرات الموضوعية في البيئة التي تعمل الشركة ضمنها.

إن الصفات الثلاثة التي تم اقتراحها أعلاه تظهر بأن طبيعة الهوية المؤسساتية كخطة مشتركة ترشد متخذي القرار ضمن المؤسسات¹⁵.

"...فالهوية المؤسساتية تقترح ما هو مناسب ومشروع وذي جدوى وبالعكس فهي تحدد أيضا ما هو غير مناسب وغير شرعي وغير ذي جدوى، فتأثير الهوية المؤسساتية إذن هو في النهاية توافق أهداف الأفراد مع أهداف المؤسسة"¹⁶.

2- الهوية كقيمة اقتصادية: تسعى المنظمات دائماً

نحو التمييز وصنع العلامة المميزة لها عن جميع منافسيها ولن يكون ذلك ما لم تتميز المنظمة بهوية خاصة بها تجعلها أكثر فاعلية وذات أثر بارز على المجتمع بشكل عام وعلى موظفيها بشكل خاص، من أبرز الأمثلة للمنظمات ذات الهوية المميزة شركة "أبل Apple" فعلى الرغم من انتشارها الواسع في العالم وتعدد فروعها إلا أن لها هوية تنظيمية رائدة تحدث نيابة عنها حتى أصبح شعار التفاحة المقضومة معياراً للجودة في مجال الأجهزة الإلكترونية¹⁷.

ويرى بعض الباحثين أنه من أجل أن تضيف الهوية التنظيمية قيمة اقتصادية للشركة، فعلى الهوية أن يكون لديها مضامين محددة للقرارات العملية والاستراتيجية، وفي

2- هوية ضعيفة وهوية قوية: "الهوية التنظيمية

الضعيفة يكون فيها شعور الأطراف المعنيين بالهوية التنظيمية ضئيلاً إذ قد تتوافر السمات الجوهرية وقد تكون السمات مميزة على المنظمات كلها، إلا أنه لم يمض الزمن الكافي (عامل الاستمرارية) لتعميق هذا الشعور. قد تغير هوية المنظمة نتيجة لتبني أنماط سلوكية جديدة مما يتطلب بروز هوية أخرى أو تغييرات في الهوية السائدة، لكن هذا التغيير في الهوية سيكون ضعيفاً، حتى يمر عليه وقت طويل لكي يترسخ في أذهان كافة الأطراف المعنية.

أما الهوية التنظيمية القوية هي التي يشعر الأطراف المعنيون بها عند وجود السمات الجوهرية التي تميزها عن غيرها من المنظمات، مع مرور زمن طويل على تلك السمات، فالهوية التنظيمية القوية التي يتم الاتفاق على ماهيتها وأبعادها بين الأطراف المعنية كلها تساعد الإدارة على تخطي الأزمات التي قد تواجهها، ومن ثم تسهم في نجاح إدارة المؤسسة ورفع مستوى أدائها¹⁴.

هذا يعني أنه لكي تتسم الهوية التنظيمية بالقوة، يجب توافر العناصر الثلاث المكونة لها والمتمثلة في السمات الجوهرية والسمات المميزة وأن يمر على هذه السمات الزمن الكافي وهو ما يسمى بعامل الاستمرارية.

ثالثاً- أهمية الهوية التنظيمية: تكتسي الهوية

التنظيمية أهمية بالغة سواء بالنسبة للمؤسسة أو للعاملين، فبالنسبة للعاملين تعد الهوية التنظيمية القوية بمثابة الدعامة الأساسية التي تزيد من رغبة الفرد في الاستمرار بالمؤسسة والالتزام بقيمتها التنظيمية وتبي أهدافها وسياساتها، كل هذه المؤشرات بطبيعة الحال هي مؤشرات دالة على الولاء التنظيمي. وبالتالي يمكننا القول أن للهوية التنظيمية أهمية بالغة بالنسبة للعاملين تتمثل في تشكيل ولائهم. وهي ذات الأهمية بالنسبة للمؤسسة فالولاء التنظيمي يكسب الطرفين الكثير من الخصائص الإيجابية. وتزود الهوية التنظيمية المؤسسة بالعديد من الخصائص الأخرى نذكر البعض منها فيما يلي:

1- الهوية التنظيمية كإطار للقرار: يؤكد كل من البرت

وويتن في تعريفهم للهوية المؤسساتية على ثلاثة صفات تعريفية:

رابعاً-علاقة الهوية ببعض المتغيرات التنظيمية:

ارتأينا أن نورد في هذا العنصر علاقة الهوية ببعض المتغيرات التنظيمية، كالصراع التنظيمي والتنشئة الاجتماعية التنظيمية والثقافة التنظيمية للمؤسسة.

1-الهوية والصراع: "يذهب ريتشارد بربارد

R.Bréard بعيداً في تحدته عن الهوية في العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة ويربطها بالجوانب الثقافية وبعامل الصراع. إذ يمكن للجماعة أن تدخل في صراع ما بمجرد احساسها بأن هويتها مهددة أو غير معترف بها، وهذا التحرك يمس الجوانب المعنوية ذات العلاقة الوثيقة بالعامل الثقافي، وهي أبعد ما يكون عن الحركات المطلوبة التي تركز أكثر على الجوانب المادية حيث تعتبر الهوية ذات أهمية كبيرة وتتصدر قائمة المطالب.

ومع الهوية نخرج من مجال الأهداف والرهانات -التي

تتميز بها باقي الصراعات-لندخل مجال التصورات وهو ميدان لا يقل موضوعية وعقلانية، لكن ملاحظته صعبة أكثر ونتأجه ظاهرة نحلل من خلالها الصراعات وحتى الثورات الاجتماعية".²⁰

أي أن الهوية تكتسي قدراً وافراً من الأهمية لدرجة أن التعرف على الهوية الثقافية للعاملين هو الخطوة الأولى والضرورية في بناء أي علاقة اتصالية بين مختلف الأطراف في مختلف المؤسسات.

"ومن الملاحظ أن الكثير من الصراعات الاجتماعية مردها إلى عنف الهوية مثل: إضراب العمال عام 1982 في مصانع سيتروان للسيارات بفرنسا، للمطالبة بالاعتراف بهويتهم وبوجودهم رغم أنهم لم يكونوا مؤطرين في نقابة رسمية ولم تكن لهم أية مطالب فالمهم هو حصولهم على الاعتراف وحصولهم على الشرعية الاجتماعية.

ويمكن ملاحظة أهمية الهوية داخل المؤسسة والتي من عناصرها: الانتماء الجغرافي والتباين الجنسي بين الذكور والإناث، والخصائص العرقية... إلخ ويمكن ملاحظة كيف أن المسؤول الجيد يهتم بهوية أعضاء التنظيم الذين يهتمون بدورهم بهوية الأعضاء الجدد، إذ أن هناك احتمال أن يتم اختيار هؤلاء للانضمام إلى جماعتهم غير الرسمية والتحالف معهم ضد العصب الأخرى المتشكلة على أساس جهوي،

الواقع، فإذا لم يكن لدى الهوية التنظيمية مثل هذه المضامين، فهي عندئذ إما على الأرجح بأنها غير شائعة بشكل واسع بين مستخدمي الشركة أو أنها غير مناسبة لقرارات العمل التي تصدرها الشركة.

وفي الواقع فإن الجهود لإعطاء فعالية للهويات التنظيمية الضعيفة أو غير الملائمة سوف تنقص القيمة الاقتصادية للشركة. والشركات ذات الهوية التنظيمية الواضحة سوف تتجاوز في أدائها الشركات التي ليس لها هوية واضحة، وأن تأثير الهوية التنظيمية على القيمة الاقتصادية للشركة سوف يكون دال على: قوة الهوية التنظيمية، محتوى الهوية التنظيمية.¹⁸

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الهوية التنظيمية رصيماً استراتيجياً وبذلك تكون مصدراً رئيسياً للميزة التنافسية بالنسبة للمؤسسة.

3-الهوية التنظيمية كأداة للتسيير: هناك مجموعة

من العوامل التي تؤثر في ايديولوجيا وقيم وقناعات ومدركات الأفراد وتحدد مستوى دافعتهم، ومن ثمة تؤثر في مستوى الأداء والذي بدوره يحدد درجة نجاح الأدوات التسييرية للمؤسسة، وهي مسألة الهوية التنظيمية. هذه الأخيرة تعد من المسائل الرئيسية لفهم كافة الأبعاد التي قد تؤثر على نجاح المؤسسة وتلعب دوراً رائداً في التأثير على قيم وقناعات ومدركات العاملين فيها، ومن ثم على قراراتهم وسلوكياتهم.

"ومن الجدير بالذكر أن هناك دوراً لمسييري المنظمات ولقاداتها الذين يملكون قدرات كبيرة وصفات قيادية مؤهلة في تحديد معالم الهوية التنظيمية.... وهذا ما ينمي ويقوي من مستوى الانتماء لدى العاملين ليأتي سلوكهم وتصرفاتهم متطابقة مع سلوك وتصرفات قادتهم".¹⁹

من المهم أن نشير في الأخير إلى ضرورة وجود نموذج ثقافي للتسيير يتماشى مع الواقع الاجتماعي ويلبي حاجاته الخاصة، ونؤكد بذلك على عدم إمكانية نقل نماذج أجنبية جاهزة، هذا لا يعني أننا لا نستفيد من تجارب الدول الغربية ونستغلها ونستثمرها بفعالية، إلا أنه من الضروري تعديلها وتكييفها وفق الخصوصية الثقافية لمجتمعنا على مستوى ماكرو ووفق الهوية التنظيمية لمؤسساتنا على مستوى ميكرو.

الاقدام والتعرف عليهم ، بالإضافة الى أن العمل نفسه غالبا ما قد يكون مختلفا عن سابقه ويحتاج منا تعلم إجراءات ومهارات وسياسات جديدة حتى يمكنك ان تؤديه بمهارة كافية.

وبالتالي يجب على إدارة المؤسسة أن تلعب دورا فاعلا في هذه الفترة الحساسة وذلك عن طريق عملية التنشئة التنظيمية وذلك من أجل تقريب الهوية الثقافية للعاملين من الهوية التنظيمية للمؤسسة.

ويمكن تعريف التنشئة التنظيمية بأنها "العملية التي يتم فيها تحول الافراد من أطراف خارجية عن المنظمة الى أعضاء فاعلين فيها ، ويمكننا القول ان العمل أو المهنة هو سلسلة الخبرات الاجتماعية كلما انتقل الفرد من منظمة الى أخرى أو من موقع الى اخر داخل المنظمة نفسها".²⁴

كما عرفها شارلز هل وجارديث جونز بأنها "المصطلح الذي يستخدم لوصف كيفية تعلم الأفراد للثقافة التنظيمية ومن خلال تلك التنشئة الاجتماعية ، يندمج الافراد ويتعلمون القواعد السلوكية وقيم الثقافة ، حتى يصبحوا أعضاء في المنظمة".²⁵

ولأجل ذلك يجب أن يقوم قسم إدارة الموارد البشرية بالتعرف على ثقافة الموظف الجديد عند تعيينه في المؤسسة والتعرف على مدى تماشي ثقافة هذا الموظف وقابلية اندماجها مع الثقافة التنظيمية ، وتقوم بعض المؤسسات بتدريب العاملين الجدد وتهيئتهم للبيئة الثقافية والتنظيمية الجديدة ، وذلك لمدة قد تراوح ما بين 3 - 12 شهرا بهدف صهر الموظف الجديد في العمل تدريجيا من خلال الحوار مع الزملاء والرؤساء ومن خلال تعلمه لكل القيم التنظيمية.

وتمر عملية التنشئة التنظيمية للعاملين الجدد بثلاث مراحل هي:²⁶

المرحلة الاولى: وهي مرحلة ما قبل دخول الموظف إلى المنظمة للعمل بها ، وفيها يتم فرز تصنيف جميع المتقدمين لانتقاء من لا تتعارض ثقافتهم مع ثقافة المنظمة.

المرحلة الثانية: مرحلة دخول الموظف للمنظمة وتهيئته للعمل الجديد والثقافة الجديدة ، وتسمى مرحلة التصادم بين الثقافتين.

بحيث أن التعرف على الهوية هو الخطوة الأولى الضرورية في بناء اي علاقة اتصالية بين مختلف الأطراف".²¹

لذلك يتعين على إدارة المؤسسة ان تضع استراتيجية واضحة لصقل وتقريب الهوية التنظيمية للمؤسسة مع الهوية الثقافية لكل الموظفين بصفة عامة وللموظفين الجدد بصفة خاصة ، وذلك من خلال ما يطلق عليه بالتنشئة التنظيمية ، وهو ما سنتناوله في العنصر الموالي.

2- الهوية والتنشئة التنظيمية: "إن الهوية المهنية على اعتبارها هوية اجتماعية ، عبارة عن محصلة لتنشئة متتالية ونقصد بها هنا التنشئة الاجتماعية التي تلقاها الفرد قبل دخوله عالم الشغل ، بالإضافة إلى تلك التي تلقاها بعد الالتحاق بالعمل وهي التنشئة التنظيمية او المهنية ، أي أن الفرد يبني هويته المهنية من خلال مكتسبات قبلية وأخرى بعيدة.

وعليه فالتنشئة التنظيمية هي صورة من صور التنشئة الاجتماعية والتي تخص مرحلة من مراحل الفرد الحياتية ألا وهي مرحلة دخوله عالم الشغل ، ويقصد بها تلك العملية التي يصبح بواسطتها العمال الجدد مندمجين في جماعات العمل ، وهي تشتمل على ثلاث عمليات:

- تطوير المهارات والقدرات المهنية الخاصة بالعمل
- اكتساب مجموعة من أنماط السلوكيات الملائمة للعمل

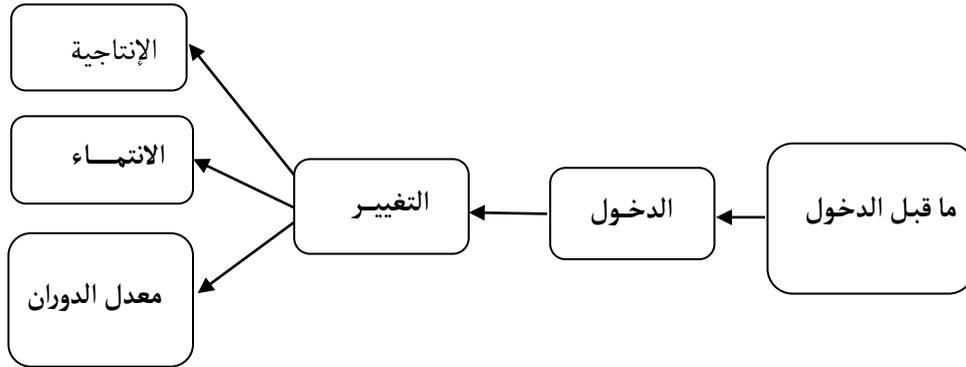
- التأقلم مع معايير جماعة العمل وقيمها".²²
ويربط "سان سوليو" بين الهوية الاجتماعية والهوية في مجال العمل ، فيقول في ذلك " يتأسس جانب مهم من الهوية الاجتماعية ، وتتكون شبكة من العلاقات بين الأفراد في العمل والمؤسسة ، لكن المؤسسات تحاول تقليص عدد العاملين وأصبحت مجالا خاصا بالأجهزة والآلات ، وبذلك فهي تجعل من الشباب والكبار والمسنيين يفقدون أعمالهم ، وبالتالي يفقدون هوياتهم الاجتماعية".²³

فعندما نضع نصب أعيننا ماضينا الوظيفي ، هل يمكننا أن نصف مشاعرنا وردود أفعالنا خلال الفترة الأولى في أي عمل أو وظيفة التحقنا بها؟ غالبا ما ستكون فترة غير مريحة لأن البيئة الوظيفية للعمل الجديد مختلفة عن سابقاتها ولأن معظم ان لم يكن كل المحيطين بنا غرباء ويجب علينا

وتؤثر المراحل الثلاثة في إنتاجية الموظف وأيضاً في سرعة أو بطء تكيفه الاجتماعي والثقافي مع جماعة العمل التي انضم إليها. وايضاً لها تأثير خاص على قراراته بالبقاء في المؤسسة من عدمه.

المرحلة الثالثة: مرحلة تغيير مهارات وسلوكيات وتوقعات الموظف الجديد وتوظيف هذا التغيير لخدمة أهداف المنظمة.

الشكل رقم (1): يوضح مراحل التنشئة التنظيمية للموظفين الجدد:



المصدر: سيد محمد جاد الرب، الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية، 2009، ص 146. المستويات بين من ينتمون إلى نفس التنظيم من جهة، وانعكاس الثقافة المحيطة من جهة أخرى".²⁷ هذا يعني أن ثقافة المؤسسة هي عبارة عن مزيج من القيم التي يحملها الفاعلون الاجتماعيون من المحيط الخارجي والتي تتفاعل داخل المؤسسة مع القيم التنظيمية والتسيرية.

وتعرف الثقافة التنظيمية أيضاً بأنها "نتيجة تفاعل كيميائي دقيق وفريد من نوعه بين المشروع المؤسس، والمؤسسين لهذا المشروع، والفاعلين الذين يقومون بالعمل".²⁸

ويعد التعريف الذي قدمه E. H. Schien في كتابه 1985 Organizational Culture and leadership للثقافة التنظيمية من أكثر التعاريف تداولاً وشمولاً، حيث اعتبرها "مجموع الافتراضات الأساسية التي اكتشفتها وأنتجتها وطورتها مجموعة بشرية معينة، في محاولاتها لإيجاد الحلول لمشاكل التأقلم الخارجي والاندماج الداخلي، والتي أثبتت نجاعتها وفعاليتها بالنسبة لهم واعتمدها، وأصبحوا يتداولونها على أنها الطريقة الصحيحة والجيدة في إدراك ومعالجة هذه المشاكل".²⁹

من خلال تعريف Schien نستنتج أنّ الثقافة التنظيمية غير قابلة للتقييم في ضوء الصواب والخطأ، بل هي

المصدر: سيد محمد جاد الرب، الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية، 2009، ص 146.

يوضح لنا هذا المخطط الترابط الحتمي للمراحل الثلاث للتنشئة التنظيمية، هذا الترابط الذي يتوقف عليه مجموعة من الإفرازات كمستوى أداء العامل (إنتاجيته) ومعدل دورانه وأيضاً درجة ولائه للمؤسسة. كل هذه المدخلات والمخرجات تتوقف على الثقافة التنظيمية للمؤسسة، فكلما كانت هذه الثقافة تتميز بالقوة والإيجابية كلما كانت هوية المؤسسة كذلك.

3- الهوية والثقافة التنظيمية: ما يمكننا التأكيد عليه

من البداية هو أن لكل مؤسسة ثقافة تنظيمية تميزها عن غيرها من المؤسسات الأخرى، حيث تعمل المؤسسة من خلال ثقافتها على قبوله وتوجيه سلوك العاملين نحو تحقيق أهدافها المسطرة، كما أن الثقافة التنظيمية تنتج لنا هويات فرعية متجانسة من خلال الوظيفة ومتطابقة من خلال المرجعيات التكوينية والتعليمية، ومتميزة ومتعارضة فيما بينها، وبذلك تصبح الثقافة التنظيمية جامعة وموحدة لهذه الهويات الفرعية من جهة، وخافضة لمجال الشكوك الذي ينشأ بين هذه الجماعات من جهة أخرى، وبين هذه الأخيرة وإدارة المؤسسة كونها تقوم على منطق تفعيل الكفاءة و التأهيل والمكافأة.

وتعرف الثقافة التنظيمية على أنها "إنتاج جديد ينشأ داخل المؤسسة من التفاعلات التي تحدث على جميع

الثقافة الرئيسية من ناحية أخرى ، وكلما تباينت الثقافات الفرعية وتعددت وكانت مختلفة عن الثقافة الرئيسية ، فإن ذلك قد يؤثر سلبا على فاعلية المؤسسة وبالتالي على هويتها التنظيمية.

"إن الثقافة التنظيمية تكسب الفرد العامل، في مجال زمني ومكاني معين، هوية ثقافية يتقمصها ويظهر من خلالها انتمائه وولائه لها من خلال سلوكياته وتصرفاته..."³³

فالثقافة التنظيمية تؤثر في هوية العاملين ، وتدعم التزامهم وتشعرهم بالمسؤولية وترشد سلوكهم ، وبالتالي يمكن وصف العلاقة بين الهوية والثقافة التنظيمية بأنها علاقة سببية (سبب- نتيجة) فالثقافة التنظيمية سبب في وجود الهوية التنظيمية ، وانطلاقا من قراءتنا لواقع ثقافة المؤسسة الجزائية يمكننا التنبؤ بملامح الهوية التنظيمية لتلك المؤسسة ، فكلما كانت الهوية قوية دل ذلك على قوة الثقافة . وهذا لا يتأتى إلا بإتباع مجموعة من الآليات التي من شأنها تفعيل الهوية التنظيمية للمؤسسة الجزائرية ، وهو ما سنتناوله في العنصر الموالي.

خامسا-آليات تفعيل الهوية التنظيمية: نقترح من خلال هذا العنصر عدد من الآليات والهيكلانيات التي نعتقد أنها أساسية في تفعيل هوية المؤسسة الجزائرية:

1-دراسة البعد الثقافي للعاملين: تفيد دراسة البعد الثقافي للعاملين في المؤسسة في الاطلاع على هوياتهم الثقافية والإحاطة بقيمهم الاجتماعية التي تشكل مجتمعة جزءا جوهريا من الهوية التنظيمية للمؤسسة ، والتي يمكن للمسيرين توظيفها في نجاح المؤسسة وتفعيل هويتها. وذلك على باعتبار أن هوية المؤسسة هي امتداد لهوية المجتمع وكذلك الحال بالنسبة لثقافة المؤسسة وثقافة المجتمع ، فإذا تعرف مسيري المؤسسات على القيم الثقافية والمجتمعية للعاملين سهل عليهم ذلك تصميم العديد من العمليات التنظيمية كالاتصال والحوافز والمشاركة في اتخاذ القرار. ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:⁽³⁴⁾

- تحديد القيم الثقافية التي يؤمن بها العاملون ويدافعون عنها ، سواء كأفراد أو كجماعات في المؤسسة ، يسمح بأخذها بعين الاعتبار عند التعامل معهم على مختلف

محددات السلوك التي يجب على العاملين الالتزام بها ، والامتثال لها دون مراجعتها أو التشكيك فيها.

وعلى العموم فإن الثقافة التنظيمية تشير إلى مجموعة من القيم التنظيمية التي يتقاسمها العاملون ويلتزمون بتطبيقها ، والتي تشكلها المؤسسة الاقتصادية الجزائرية تدريجيا عبر مراحل تطورها بهدف ضبط سلوك أفرادها وتنمية ولائهم التنظيمي ، وهي تعمل على تشكيل خصوصيتها الثقافية وإبراز هويتها التنظيمية مما يميزها عن غيرها من المؤسسات.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسة كيان بداخله ثقافات متعددة ، والمؤسسات هي فضاءات يعمل بها أفراد من خلفيات ثقافية واجتماعية مختلفة ، وهي أماكن تتفاعل بداخلها ثقافات متشابهة أو متباينة ، ويرى سان سوليو في ذلك "أن معايير العلاقات بين الزملاء في العمل من جهة وبين الرؤساء من جهة أخرى تشكل أربعة نماذج ثقافية في العمل"³⁰ ، "وتتمثل هذه النماذج في:

- ثقافة تميز العمال المختصين والعمال غير المؤهلين ، تمييز بالطابع الاندماجي للعلاقات.

- ثقافة تميز العمال المؤهلين (سواء تقنيين أو إطارات).

- ثقافة سماها سان سوليو الحركة الاحترافية تميز الإطارات العاصمية ، نمط العمل العلائقي في هذه الثقافة عبارة عن صلات انتقائية حذرة.

- ثقافة تظهر أساسا عند العمال غير المؤهلين والمحرومين من الذاكرة العمالية (العمال الأجانب والعمال الريفيين) وتتميز هذه الثقافة بالإسترداد والاستقلالية"³¹.

كما يرى "أن وسط المؤسسة نفسها توجد ثقافات مختلفة متعايشة ومتقاطعة وأن ضعف التأهيل لا يعني غياب الثقافة"³².

يظهر تصنيف سان سوليو إشارات ضمنية إلى انتماء الفئات السوسيومهنية الموجودة داخل التنظيم والمتغيرات الثقافية لكل فئة ، بمعنى آخر إشارته إلى الثقافات الفرعية الموجودة داخل المؤسسة والتي تشكل مجتمعة ما يسمى بثقافة المؤسسة. هذه الأخيرة التي تمثل القيم الأساسية التي يتفق عليها أغلبية العاملين في المؤسسة ، والتي تشكل هوية واضحة للجميع ، أما الثقافات الفرعية فتمثل القيم السائدة في الأنظمة الفرعية ، أو الوحدات والأقسام الأخرى ضمن المؤسسة ، والتي تتفاوت فيما بينها من ناحية ، وبينها وبين

الخبرات الثقافية التي يكتسبها الافراد من خلال تفاعلاتهم الاتصالية المختلفة ، ويمكن أن تكون سلبية أو إيجابية ، ثابتة أو متغيرة .

يعرف على عجوة الصورة الذهنية للمؤسسة بأنها " الصورة الفعلية التي تتكون في أذهان الناس عن المنشآت والمؤسسات المختلفة ، وقد تتكون هذه الصورة من التجربة المباشرة أو غير المباشرة ، وقد تكون عقلانية أو غير رشيدة ، وقد تعتمد على الأدلة والوثائق أو على الإشاعات ، ولكنها في النهاية تمثل واقعا صادقا لمن يحملونها . وتبنى الصورة الذهنية للمؤسسة وفق ثلاث نماذج: إما ترسم المؤسسة صورتها الذهنية بنفسها وتتولى إدارتها ، وإما سوف يبنينا الخصم ، وإما سوف تبنى بطريقة عشوائية غير منظمة." (36)

إن الصورة الذهنية التي ترسمها المؤسسة لنفسها ، يعود بالدرجة الأولى لقادتها ومسيرها بمختلف درجاتهم في السلم الهرمي وما يقومون به من إرساء ثقافة تنظيمية قوية من شأنه أن يكون انطبعا إيجابيا على المؤسسة سواء كان ذلك لدى الجمهور الداخلي أي العاملين فيها أو الجمهور الخارجي كالزبائن ومختلف الشركاء والمتعاملين. ذلك على أن تنطلق هذه العملية من الداخل الى الخارج فالمؤسسات التي تعمل على هذا الأساس يسهل عليها بناء صورتها الذهنية المدركة لدى كل من يعمل ويتعامل معها ، وبالتالي يسهل عليها بناء وتفعيل هويتها التنظيمية .

ويشير عبد الله البريدي في هذا المجال: "أن الهوية التنظيمية تشكل الصورة الانطباعية في أذهان الأفراد تجاه منظماتهم بجوانبها السلبية والإيجابية ، إذن يمكننا القول بأن الهوية التنظيمية هي الصورة الانطباعية الداخلية. وتعتبر تلك الصورة انعكاساً ديناميكياً لطبيعة الثقافة التنظيمية ، كما يقرر ذلك بعض الباحثين .

وكل ما سبق يؤكد على وجود علاقة طردية بين الصورة الانطباعية الداخلية والثقافة التنظيمية ، مما جعلنا نعيد التشديد مرة بعد أخرى على وجوب خلق ثقافة تنظيمية إيجابية ، وهذا لا يتأتى إلا إذا آمن المدير أو القائد العربي بدوره الخطير في خلق تلك الثقافة وأدرك حجم تأثيره الضخم في ذلك ، إيجاباً وسلباً." (37)

3-رسالة المؤسسة: لقد أصبح في هذه الأيام وجود رسالة واضحة للمؤسسة ميزة تطبع المؤسسات ذات الهوية التنظيمية القوية عن غيرها من المؤسسات ، ويمكن تعريف

المستويات الإدارية فيها ، واحترام الانسان يبدأ من احترام قيمه وميوله وآرائه .

- تحديد القيم المتعلقة بالأفراد في مختلف مناصبهم ، يعطي إمكانية واسعة للتنبؤ بالسلوك الذي ينتج عنهم ، سواء في الحاضر أو في المستقبل ، وخاصة ردود أفعالهم نتيجة اتخاذ قرارات متعلقة بنشاطهم في المؤسسة أو عند مشاركتهم فيها .

- التعرف على القيم التي يتصف بها الافراد في المؤسسة ، مثل الرغبة في الإنجاز ، إعطاء اعتبار للوقت ، الجدية في العمل ، وغيرها من الصفات المرتبطة بالشخصية ، كل هذا يسمح باختيار الأفراد الذين يتوفرون على استعدادات فكرية وسلوكية لتحمل المسؤوليات في مختلف مستويات الهمم الإداري .

-الاطلاع على دوافع الاشخاص ، وطرق تعاملهم مع مختلف المحفزات الممكنة ، المادية والمعنوية والإيجابية والسلبية ، وهذا انطلاقا من أنماطهم الثقافية واتجاهاتهم ، نستطيع اختيار أحسن أنواع المحفزات التي تؤدي دورها بشكل فعال وفي الوقت المناسب والظروف المناسبة .

-المعرفة الكافية للقيم الخاصة بالأفراد في المؤسسة ، تمكن الأخيرة من تكييفها مع نظام قيمهم المرتبطة بها طبقا لأهدافها وثقافتها أو البحث عن اشخاص لا يعدون عنها (من حيث القيم) ، أو يمكن لهم التكيف معها حتى لا يكون سببا لاهتزازات داخلية ، وعراقيل في نشاطاتها .

ويرى بوفلجة غياث في هذا الإطار " أن إهمال البعد الثقافي هو السبب في كثير من المشاكل التي تعاني منها الكثير من المؤسسات الجزائرية ، مثل التغيب والإهمال وانخفاض الرضا الوظيفي وسوء العلاقات بين العمال ، وانعدام الثقة بينهم وبين المشرفين والمسؤولين " . (35)

وعلى هذا الأساس إذا لم يتنبه المسيرين إلى أهمية البعد الثقافي للعاملين-هذا البعد الذي يترجم هويتهم- فإن ذلك سيؤدي لا محالة إلى انسداد قنوات الاتصال وظهور بعض جوانب الصراع في المؤسسة الجزائرية .

2-الصورة الذهنية للمؤسسة: إن الصورة الذهنية

المدركة هي مجموع العمليات العقلية من ادراك وفهم وتذكر و...التي تشكل لدى الافراد تجاه افراد اخرين أو جماعات أو مؤسسات ، انطلاقا من مجموع الخصائص والسمات التي تتصف بها هذه الأطراف. وتعد هذه الصورة نتاجا لمجموع

رسالة المؤسسة بأنها " إعلان من المؤسسة لرؤيتها وأهدافها ، وكذلك المجال الذي تعمل فيه ، وما يميزها عن غيرها من المؤسسات ، سواء كان الأمر يتعلق بالمنتجات أو الخدمات".³⁸

يشير اصطلاح الرسالة أيضا إلى " الغاية من وجود المؤسسة ، ومن ثم فهي الأداة لتحديد هوية المؤسسة ومدى تفردها عن غيرها من المؤسسات المناظرة ، وهي الأساس في بناء الغايات التي تسعى المؤسسات لتحقيقها والوصول إليها ؛ والقاعدة التي تنطلق منها الأهداف والسياسات والاستراتيجيات".³⁹

ويرى Kaplan and Norton بأن "تحديد الاتجاه الاستراتيجي في أي منظمة يبدأ أولا بتحديد رسالة المنظمة ، وفي إطار هذه الرسالة يتم تحديد لائحة القيم الأساسية التي تعمل عليها".⁴⁰

وقد يتم صياغة رسالة المنظمة في جملة بسيطة بلغة عامة وعريضة جدا ولكن تتطلب ان لا تكون رسالة المنظمة عامة وواسعة جدا الى حد يسبب الارتباك والغموض ولا يوضح مسار واتجاه المنظمة كما انها يجب ان تكون محددة الى حد لا يسمح باستغلال الفرص المتاحة بل يجب ان تصاغ بلغة واسعة نوعا ما ، وبما يساعد على تحقيق المعيارين التاليين:

"- السماح للمنظمة بتوسيع نطاقها ومجالها وتوفير المرونة لها لتطوير استراتيجيات وأهداف بديلة وبالتحديد فرص بديلة للتوسع.

- السماح لها بإشباع وتلبية حاجات مختلف الجماعات والأفراد الذين لهم علاقة بالمنظمة".⁴¹

ومما تقدم يمكن التأكيد على أنه يجب أن تصاغ رسالة المؤسسة بمشاركة جميع الفاعلين الاجتماعيين (العاملين) حتى يتم الاندماج الحقيقي والمشاركة الفعلية في تصميمها ومن ثمة في الحرص على تنفيذها ، وبالتالي لا تكون الرسالة مجرد لافتة معلقة على جدران المؤسسة ، بل يجب أن تتعدى ذلك إلى حالة وجدانية يعيشها العاملون ، وتكون بذلك المرآة العاكسة للهوية التنظيمية للمؤسسة.

"وفيما يلي نورد نماذج من الرسائل الحديثة لبعض المؤسسات:

1-المؤسسات الأجنبية:

-شركة فورد Ford: الجودة هي الوظيفة الأولى.

-شركة دلتاDelta: الشعور الأسري.

-مؤسسة Japennes: الزبون دائما على حق.

-شركة جنرال الكتريكGE: العمل كفريق ، والموردين والعلاء شركاء.

- شركة ماك دونالدMc Donald: الخدمة السريعة والجودة المتكاملة".⁴²

2-المؤسسات العربية:

- رسالة الخطوط الجوية العربية السعودية: أن تكون ناقلا جويا عالمي المستوى ، سعودي السمات ، فائق العناية بعملائه ، حريصا على رعاية موظفيه.

- رسالة الشركة العربية للنظم والمعلوماتية ITS: ستكون أكبر صانع للنظم والمعلوماتية المتكاملة في الشرق الأوسط ، وعلى أعلى مستويات الجودة والمهنية العالمية وأكثرها تميزا.⁴³

3-المؤسسات الجزائرية:

-مؤسسة سونلغاز: إرضاؤكم هدفنا خدمتكم غايتنا- لدينا التزامات نوفي بها.

-مؤسسة موبيليس: والكل يتكلم.

-مؤسسة الشروق: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأيكم خطأ يحتمل الصواب.

-اتصالات الجزائر: دائما أقرب.

وقد يكون لرسالة المؤسسة الجزائرية دورا في ازدواجية هويتها التنظيمية ، فعلى سبيل المثال المدارس الخاصة لها هوية نفعية تهدف من خلالها إلى تحقيق الريح ، وهوية معيارية تهدف إلى تحقيق رسالة سامية تتمثل في التربية والتعليم وخدمة المجتمع ، وهي الرسالة الأصلية للمؤسسات التربوية قبل أن تظهر المدارس الخاصة برسالة مزدوجة وهوية كذلك.

4- القيادة الإدارية: "القيادة هي فن التعامل مع

الآخرين على اختلاف أجناسهم وثقافتهم وديانتهم وأنماط سلوكهم ، والقدرة على كسب احترامهم وطاعتهم وثقتهم وتعاونهم هذا جانب ، ولكن الجانب المهم الآخر هو أن القيادة علم ، على القائد فيها أن يلم بعلم الإدارة بشكل خاص وقد كبير من العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والقدرة على الاستفادة منها وتسخيرها وتوظيفها لفهم الآخرين

على تعزيز القيم والمعايير الثقافية السائدة داخل المؤسسة واحتواء قيم الموظفين الجدد ويطلق عليها القيادة الثقافية Cultural Leadership والتي تلعب دورا هاما في تغيير المعايير والقيم السائدة في التنظيم من خلال إدخال هذه القيم من البيئة الخارجية إلى البيئة الداخلية ، وتستلزم هذه العملية تدعيم قنوات الاتصال داخل المؤسسة والقائد الثقافي يستخدم الرموز للتأثير على ثقافة المؤسسة في مجالين مختلفين هما:

-تحديد رؤية واضحة للمؤسسة وثقافتها التي تتناسب مع قيم ومعتقدات الموظفين الجدد ،

-تشجيع الأنشطة اليومية التي تعزز هذه الرؤية بحيث يتأكد المدير من أن إجراءات العمل ونظم الإثابة والعقاب تتلاءم مع قيم المؤسسة".⁴⁸

"يتمثل العائق الأكبر أمام التغيير الثقافي بالفجوة بين ما يزعم القادة أنهم يقدرونه وما يقدرونه بالفعل ، إذ لا يمكن إغراء طاقم المؤسسة بشعار "الثقافة التشاركية" الذي يرفعه القادة في الوقت الذي يحرص فيه هؤلاء القادة في اجتماعاتهم على المحاضرات والإعلانات وإطلاق التحذيرات وهكذا فإن الثقافة الخلاقة تصطدم بممارسة التحفظ والمزاعم حول ثقافة التوقعات العالية".⁴⁹

ويمكن للقيادة أن تعمل على تفعيل الهوية التنظيمية للمؤسسة وذلك ب:

"تنمية أو تغيير القيم والمعتقدات: عندما لا تكون القيم راسخة عن العمل يلجأ القائد إلى تنميتها ضمن برنامج محدد قد يستغرق وقتا طويلا ، ويمكن تقصيره باستخدام جرعات مكثفة من التوعية والتأثير".⁵⁰

- "زيادة الإحساس بالانتماء للمؤسسة .
- زيادة الشعور بالرضا وتحقيق الذات من خلال المشاركة .
- تقبل قيم وأفكار الآخرين .
- الحصول على رعاية الآخرين .
- إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين".⁵¹

وعموما يمكننا القول أنه كلما كانت القيادة الإدارية قوية ساعد ذلك على تشكيل ولاء العاملين لمؤسستهم والتزامهم بتحقيق أهدافها ، وكلما كانت هذه القيادة ضعيفة مال العاملين إلى التذمر والإحباط ، والتخلي عن تحقيق أهداف المؤسسة ، وهذا يجعلنا نؤكد على أنه إذا

وتوجيه سلوكهم أو تعديله لها فيه الصالح العام وتحقيق الأهداف".⁴⁴

4-1- دور القيادة في تشكيل الهوية التنظيمية:

"القيم العمل أهمية كبرى للمديرين بصورة خاصة ، وذلك أن فعالية المنظمة وتطورها يتوقف إلى حد كبير على القيم التي يحملها أعضائها خاصة أولئك الذين يتواجدون في قمة الهرم التنظيمي ، إذ من المتوقع أن يتعدى تأثير القيم التي يحملها المديرين ليؤثر على قيم وسلوك المرؤوسين ، كما أن لقيم المديرين أثر في رسم المعالم الأساسية لسلوكهم ، حيث تضع أمامهم الخطوط العريضة التي يتوجب عليهم إتباعها عند ممارستهم للعمل الإداري واتخاذهم لقراراتهم ، ووضع الأهداف والسياسات ووسائل تحقيقها".⁴⁵

"إن القيم والمثاليات والمعايير والتقاليد السائدة في أي المنظمة تمتد جذورها بصورة عامة إلى الرياديين المؤسسين فهؤلاء المؤسسين بحكم دورهم كقادة في مرحلة حساسة في مرحلة حياة المنظمة عادة يحملون رسالة / رؤية محددة لها يجب أن تكون عليه المنظمة وكيفية تحقيق هذه الرسالة ، ويقومون باستقطاب مجموعة من المديرين الذين يشاطرونهم قيمهم واعتقاداتهم ، ويبدون استعداد لتنفيذ رسالتهم ويتبع ذلك اختيار العاملين المؤهلين ذوي القيم والاتجاهات التي تتوافق مع قيم واعتقادات المؤسسين والمديرين ويبدأ بناء تاريخ جديد وثقافة جديدة".⁴⁶

"وإن أحد الأدوار الرئيسية للقائد بعبارة أخرى هي وضع نغمة التنظيم وإنشاء ثقافتها على ضوء القيم المشتركة والمعتقدات التي تعيش بها المنظمة والموظفون ، وبمجرد تأسيس الثقافة فإنها تزود كل الموظفين بدليل مرشد لهم أينما كانوا وأي ما كانوا يفعلون فإنهم سوف يكونون قادرين على استخدام القيم التي وصفوها في ترشدتهم ، فبقيم "الجودة أولا" يكون واضحا لهم أي السلوكيات التي تتبعها منشأتهم".⁴⁷

وبالتالي يبرز دور القيادة في تشكيل الثقافة التنظيمية للمؤسسة ومن ثمة تشكيل وترسيخ هويتها ، على أساس أن معظم القيم والأعراف والمعتقدات التنظيمية بمختلف أنواعها وأبعادها تعد انعكاسا لقيم وأعراف ومعتقدات القادة ولاسيما القادة المؤسسين.

4-2- القيادة الثقافية: "تحتاج عملية التطبيع

التنظيمي والتكيف الاجتماعي الى وجود قيادة واعية تعمل

الشابة حديثة التخرج من الجامعات ، خاصة في الحقوق والعلوم الاجتماعية.⁵⁴

في هذه الحالة تعتبر اللغة حاجزا يساهم في خلق الهوية بين الفئات السوسيو مهنية وهو ما يؤدي إلى انتشار التصنيفات الوظيفية والتعليمية والجنسية واللغوية والجغرافية داخل المؤسسة الجزائرية وما ينتج عن ذلك من تعدد في الهويات الفرعية والتي تعمل في كثير من الأحيان على إضعاف الهوية التنظيمية للمؤسسة الجزائرية.

خاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى أنه يمكن للقيادة الإدارية أن تعمل على تفعيل الهوية التنظيمية للمؤسسة عن طريق تشكيل الولاء التنظيمي لدى العاملين ، هذا الأخير الذي لا يتشكل بطريقة عفوية وإنما يتم تشكيله بطريقة مقصودة وهذا ما ينبغي على المديرين إدراكه ، وذلك من خلال إشباع رغبات العاملين وتحسيسهم أن أهدافهم تتحقق بتحقيق أهداف المؤسسة ، وهذا يتطلب الدراية الكافية بنظريات الدوافع والحوافز، تفعيل قنوات الاتصال وأدواته ، وتطبيق مختلف آليات المشاركة العمالية... الخ ، وذلك حتى يتمكنوا من فهم القيم الاجتماعية والثقافية للعاملين وجعلها في حالة توافق مستمر مع القيم التنظيمية للمؤسسة.

وهو ما يجعلنا نؤكد على ضرورة تبني كل الميكانيزمات التي من شأنها تفعيل الهوية التنظيمية كصياغة رسالة واضحة ومعبرة ، والاهتمام بالبعد الثقافي واللغوي للعاملين وما له من تأثير على الصورة الانطباعية الداخلية والخارجية للمؤسسة الجزائرية ، وخلق ثقافة تنظيمية إيجابية يتقاسمها جميع الأطراف المعنية.

أرادت المؤسسة تشكيل هوية تنظيمية قوية عليها دعم القيم التنظيمية ، ودعم القيم والأهداف المشتركة بينها وبين عاملها لاسيما الجدد منهم ، وذلك يكون عن طريق التنشئة التنظيمية.

5- الهوية واللغة: من خلال اللغة تتحدد هوية

المجتمع فهي عنصر مهم في نقل الخبرات والأفكار من مجتمع لآخر ، وتعد الوسيلة السريعة في عملية الاتصال سواء بين الأفراد أو بين المجتمعات وعن طريقها تفهم معاني الأفكار والخبرات ، فهي روح المجتمع وبنائه الفكري. وعلاقة اللغة بالهوية هي علاقة جد وطيدة ومتكاملة ، إذ لا نستطيع التعمق في فهم هوية وثقافة مجتمع ما لم نعرف لغته بكل مدلولاتها ومضامينها.

وما يقال عن هوية المجتمع يقال عن هوية المؤسسة ، فاللغة المستعملة في مؤسسة ما تعكس جزءا كبيرا من هويتها التنظيمية ، وتعتبر بشكل واضح وجلي عن ثقافتها التنظيمية.

"بالنسبة للغة المستعملة في المؤسسة الجزائرية يرى علي غربي وبمينة نزار - من خلال دراسة ميدانية قاما بها حول التكنولوجيا المستوردة وتنمية الثقافة العمالية بالمؤسسة الصناعية - سيطرة اللغة الأجنبية في معظم المؤسسات وخاصة الصناعية منها... فمن المعروف أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد ، إلا اللغة السائدة في الإدارة في معظم المعاملات هي اللغة الفرنسية.⁵² فإذا كانت اللغة تعكس هوية وثقافة أي مجتمع فإن وجود لغتين في المؤسسة الجزائرية يعكس وجود هويتين وثقافتين مختلفتين.

ولقد عبر أحمد بن نعمان عن هذا الوضع الذي ساد الجزائر بعد الاستقلال في قوله "لقد خلق ثقافتين لا متجانستين تتنازعان الأولوية وتتصارعان من أجل البقاء وتهددان البناء الاجتماعي بالتصدع ، ولقد نتج عن بقاء اللغة الفرنسية كلغة أولى في الإدارة الجزائرية بعد الاستقلال تكوين طبقة اجتماعية تتمتع بجميع الامتيازات في الحصول على مختلف المناصب في المؤسسات الرسمية".⁵³

"وهكذا نجد غالبية الإطارات تستعمل اللغة الفرنسية في تعاملاتها سواء اثناء الاتصالات الرسمية ، أو في تحرير الوثائق أو حتى في حديثها مع العمال البسطاء ، وهي اللغة التي لا يتقنها عدد متزايد من العمال ، بل حتى بعض الإطارات

الهوامش

1. - دنيس كوش ، ترجمة: منير السعيداني: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط 1 ، 2007 ، ص ص 149 — 148.
2. - هارلمس وهولبورن ، ترجمة: حاتم حميد محسن: سوسولوجيا الثقافة والهوية ، دار كيوان ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2010 ، ص 96.
3. - كاري نادية أمينة: العامل الجزائري بين الهوية المهنية وثقافة المجتمع ، أطروحة دكتوراه ، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2011-2012 ، ص 42.
4. - خالد حامد: مدخل إلى علم الاجتماع ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2012 ، ص 168.
5. - أحمد علي كنعان: الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة ، دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق ، سوريا ، 2008 ، ص 12.
6. Albert, Stuart and David A. Whetten (2006), " Organizational Identity" In. Organizational Identity, Edited by Mary Jo Hatch and Majken Shultz, Oxford University Press.
- نقلا عن: عبد اللطيف عبد اللطيف ومحمود أحمد جودة: دور الثقافة التنظيمية في التنبؤ بقوة الهوية التنظيمية ، دراسة ميدانية على أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الخاصة ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 26 ، العدد 2 ، 2010 ، ص 129.
7. - المرجع نفسه ، ص 129.
8. - طيبي غماري: الهوية في العمل في المرحلة الراهنة للمجتمع الجزائري ، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا ، قسم الثقافة الشعبية ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2005-2006 ، ص 109.
9. -Albert, Stuart and David A. Whetten (2006), Op Cit.
- نقلا عن: عبد اللطيف عبد اللطيف ومحمود أحمد جودة: مرجع سابق ص 131.
10. - جمال الدين محمد مرسى: إدارة الثقافة التنظيمية والتغيير ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 2006 ، ص 15.
11. - راوية حسن: السلوك في المنظمات ، الدار الجامعية الإبراهيمية ، مصر ، 2001 ، ص 285.
12. - المرجع نفسه ، ص 285.
13. - طيبي غماري: مرجع سابق ، ص ص 95-96.
14. - عبد اللطيف عبد اللطيف ومحمود أحمد جودة: مرجع سابق ، ص 131.
15. - ماجكين شولتز وآخرون ، ترجمة: رياض الأبرش العبيكات: المنظمة المعبرة — الهوية ، السمعة والعلامة التجارية للشركة-مكتبة العبيكان ، الأردن ، ط 1 ، 2004 ، ص 68.
16. - المرجع نفسه ، ص ص 69 — 70.
17. - عبد الله البريدي: الهوية التنظيمية — كيف ينظر الأفراد إلى منظماتهم-مجلة التدريب والتقنية ، العدد 96 ، المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني ، الرياض ، 2007.
18. - ماجكين شولتز وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 70 — 71.
19. - عبد اللطيف عبد اللطيف ومحمود أحمد جودة: مرجع سابق ، ص 130.
20. - ناصر قاسمي: الاتصال في المؤسسة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2011 ، ص ص 172 — 173.
21. - ناصر قاسمي: الاتصال في المؤسسة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2011 ، ص ص 172 — 173.
22. - كاري نادية أمينة: مرجع سابق ، ص 24.
23. Jean Michel Saussois : Les Organisations, Sciences Humaines Edition, Paris, 2012, p391
24. - زاهد محمد ديري: السلوك التنظيمي ، دار المسيرة ، عمان ، ط 4 ، 2011 ، ص 105.
25. - تشارلز هل ، جارديث جونز ، ترجمة: محمد سيد أحمد عبد المتعال ، إسماعيل علي بسيوني: الإدارة الاستراتيجية — مدخل متكامل-دار المريخ ، الرياض ، 2008 ، ص 996.
26. - سيد محمد جاب الرب: الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية ، دون ذكر دار النشر ، مصر ، 2009 ، ص ص 145 — 146.
27. Denys Cushe : La Notion de Culture dans Les Sciences Sociales , Casbah Editions , Alger , 1998, P100 .
28. Culture d'Entreprise et Histoire, Les Editions d'Organisation, Paris, 1991, P31.:Alain Beltran et Michel Ruffat
29. J. F Soutenain, P. Farcet : Organisation et Gestion de L'entreprise, Berti Edition, Paris, 2006, P424.
30. Jean Michel Morin: Précis de Sociologie, Editions Nathan, Maxéville, 1996, P 151.
31. Denys Cushe: la Notion de Culture dans les Sciences Sociales, Op, Cit, P 102.
32. Ibid : P 103
33. - عباس سمير: الثقافة التنظيمية واستراتيجية التغيير في المنظمات ، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2012 ، ص ص 169-170.
34. - ناصر دادي عدون: إدارة الموارد البشرية والسلوك التنظيمي ، دار المحمدية ، الحامة ، الجزائر ، 2003 ، ص ص 105 — 106.
35. - بوفلجة غيات: القيم التنظيمية وفعالية المنظمات ، دار القدس العربي ، وهران ، ط 1 ، 2010 ، ص 11.
36. - عبد الرحمان شقير: الصورة الذهنية ، مجلة المعرفة ، العدد 7 ، وزارة التربية والتعليم ، المملكة العربية السعودية ، 2013.
37. - عبد الله البريدي: مرجع سابق.
38. - محمد بن يوسف النمران العطيبي: إدارة التغيير والتحديات المعاصرة للمدير ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأودن ، ط 1 ، 2006 ، ص 152.

39. - السعيد قاسمي: التفاعل بين الرسالة والبيئة في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2002، ص 27.
40. - محمد فوزي علي العتوم: رسالة المنظمة وأثرها في تحقيق الميزة التنافسية، رسالة ماجستير، قسم إدارة الأعمال، كلية الأعمال، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، الأردن، 2009، ص 15.
41. - حريم حسن. إدارة المنظمات-منظور كلي-دار ومكتبة الحامد. الأردن. ط1، 2003، ص73؛ نقلا عن: عباس سمير، مرجع سابق، ص 31.
42. - سيد محمد جاد الرب: مرجع سابق، ص 124 — 125.
43. - محمد بن يوسف النهران العطيات: مرجع سابق، ص 153.
44. - رفعت عبد الحلیم الفاعوري: مرجع سابق، ص 178.
45. - محمد حسن حمادات: قيم العمل والالتزام الوظيفي لدى المديرين والمعلمين في المدارس، مرجع سابق، ص 32-33.
46. - حسين حريم: مرجع سابق، ص 316.
47. - جاري ديسلر: مرجع سابق، ص 557-558.
48. - شبل بدران الغريب وآخرون: مرجع سابق، ص 126.
49. - دوغلاس ريفر، ترجمة: ماجد صرب: مرجع سابق، ص 53.
50. - محمد حسن محمد حمادات: وظائف وقضايا معاصرة في الإدارة التربوية، مرجع سابق، ص 327.
51. - شبل بدران الغريب وآخرون: مرجع سابق، ص 187.
52. - علي غربي، يمينة نزار: التكنولوجيا المستوردة وتنمية الثقافة العملية بالمؤسسة الصناعية، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 93.
53. - المرجع نفسه، ص 93.
54. - بوفلجة غياث: مرجع سابق، ص 69.

اللغة العربية: من المنطق الرياضي إلى الحوسبة

Arabic: From Mathematical Logic To Computing

تاريخ القبول: 2018-06-05

تاريخ الإرسال: 2018-04-09

نبيلة قدور، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

nabilakaddour55@gmail.com

الملخص:

لا شك أنّ المتتبع للتطور اللغوي في العالم قد لاحظ الوتيرة السريعة لوسائل التكنولوجيا حيث كيفت فيها الدول الغربية المتقدمة لغاتها حسب ما تقتضيه الحاجة العلميّة والآلية وذلك باستغلال الجانب الصوري منها، وما دامت اللغة العربية إحدى هاته اللغات البشرية فهل لها نصيب من هذا التطور؟ وإلى أي مدى تم تطويعها للآلية والحوسبة؟ وهل طبيعتها خصائصها حاجز أم حافز نحو ذلك؟ ومحاولة للإجابة عن هذه التساؤلات وقف البحث منقبا عن أصول المنطق الرياضي في اللغة العربية، ثم عرض جملة من الأعمال النظرية والعملية الحاسوبية مستمدا أهم معطياته من النظرية الخليلية.

الكلمات المفتاحية: المنطق الرياضي-الحوسبة-الهندسة اللسانية-محلل الكروني-قاعدة بيانات.

Résumé :

Il n'y a aucun doute que le disciple de l'évolution linguistique du monde a observé le rythme rapide des moyens de la technologie où les pays occidentaux développés ont adapté leurs langues comme l'exige la nécessité scientifique et le mécanisme, et au temps que la langue arabe une de ces circonstances langues humaines, a une part de ce développement ? Dans quelle mesure s'est-elle adaptée au mécanisme et ? Sa nature et ses caractéristiques sont-elles une barrière ou un catalyseur ? Une tentative pour répondre à ces questions a arrêté la recherche des origines de la logique mathématique dans la langue arabe, et a ensuite présenté une collection de travaux théoriques et pratiques tirés des données les plus importantes de la théorie neo-khalilienne .

Mots clés : logique formelle, computationnalisme, génie linguistique, analyseur électronique, base de données.

Abstract :

There is no doubt that the disciple of the linguistic evolution of the world has observed the rapid pace of the means of technology where the developed western countries have adapted their languages as required by scientific necessity and mechanism, and at the time that the Arabic language one of these circumstances human languages, has a part of this development? To what extent has it adapted to the mechanism and? Is its nature and characteristics a barrier or a catalyst? An attempt to answer these questions stopped the search for the origins of mathematical logic in the Arabic language, and then presented a collection of theoretical and practical work drawn from the most important data of neo-Khalilian theory.

Keywords: formal logic, computationalism, linguistic engineering, electronic analyzer, database

مدخل:

والتعليل، وتنبهوا إلى دور الروابط في حصول الفائدة اللغوية، شكلت المقدمات الثوابت اللغوية المنطقية، وكانت النتائج المتوصل إليها من حركة هذه الثوابت في السياق هي المتغيرات التي تمنح النص خصوصيته وهويته. فأسسوا لعلم النحو نظاماً قائماً على الثوابت والمتغيرات دون أن تكتسب المعنى الاصطلاحي المتعارف عليه لأن العمل في النحو كان تطبيقاً لمبادئ الفكر الرياضي المنطقي أكثر منه تنظير؛ حيث أنهم انطلقوا من الكلام كأداء متسع لتقنين اللغة في قالب مجردة.

1/ أصالة المنطق عند اللغويين العرب القدامى:

اتخذ كثير من المؤرخين ودارسي اللغة حادثة مساواة المنطق بالنحو في محاوره أبي سعيد السيرافي النحوي ومتى بن يونس برهانا على أنّ المنطق الذي عرفه العرب منذ العقد الأول من الهجرة هو منطق يوناني أرسطي، متبعين في ذلك آراء المستشرقين منهم الألماني (ماركس) حيث زعم أن المنطق اليوناني هو المؤثر الأول في النحو العربي من ناحية المصطلحات والمفاهيم كما ورد في كتابه "تاريخ صناعة النحو عند السريان" وتبعه (كارل بروكلمان) و(هنري فليش) و(كيس كريستينغ)، وقد انحاز إلى رأيهم أدباء ومفكرون عرب أمثال: إبراهيم مصطفى وأحمد أمين وإبراهيم بيومي المذكور وشوقي ضيف، هذا الأخير يقرّ في كتابه المدارس النحوية أن النحو العربي قد تأثر بنظيره اليوناني بعد ترجمة كتاب أرسطو إلى العربية على يد ابن المقفع، حين تحدث عن أسبقية نشأته في البصرة، فيقول: "وبذلك نفهم السرّ في أنّ عقل البصرة كان أدقّ وأعمق من عقل الكوفة وكان أكثر استقراراً لوضع العلوم، إذ سبقها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني وما وضعه أرسطو طالس من المنطق وحدوده وأقيسته". (2)

ولكن جملة من العلماء العرب استفزتهم هذه الفكرة وحملوا على عائقهم أمانة تأكيد أصالة النحو العربي ومنطقه، ومن بينهم: فخري خليل النجار الذي استعرض في كتابه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" المنهج الخليلي اللغوي المخالف تماماً للمنهج الأرسطي (3) في حين بين تمام حسان في كتابه الأصول (4) أنّ وجود بعض المصطلحات المنطقية

المنطق الرياضي هو علم يقوم على تحليل الحقائق ونقدها وفقاً لشروط حيث لا تكون فكرة (ما) صادقة إلا إذا أسندت إلى مبادئ أولية) فرضيات تقبل دون برهان (، وتؤدي بمعادلات متسقة ومتناسكة إلى نتائج جديدة، فهي إذا أفكار منطقية مرتبة ومتناسكة تنتج كل فكرة عما سبقتها ببرهان منطقي.

كما يستند النظام الرياضي إلى فكري الثوابت والمتغيرات ويتم فيه الانتقال من الثوابت والبديهيات (المسلمات) والتعريفات إلى قضايا مشتقة وفقاً للنسق الاستنباطي، لذلك كلما تغير حد من الحدود أو أصل من الأصول أدى إلى تغير بناء النسق كله ويؤدي إلى نسق مخالف جديد.

وتركيب القضية المشتقة الجديدة، لا يكون إلا بوجود روابط بنية الجملة الرياضية وتسمى في مبادئ الرياضيات بالثوابت المنطقية وهي: دوال: الربط، الفصل، التناقض بالسلب، والتضمن، وقوانين الذاتية، عدم التناقض والثالث المرفوع. (1)

فالمنطق الرياضي يقوم على أسس نظرية الاستنباط، إذ ينطلق من مقدمات (بديهيات) أو مصادرات أو تعريفات وهي ثوابت لإظهار المتغيرات والمشتقات الناتجة من تبدل العلاقات المتحكممة في تعالق هذه الثوابت وارتباطها وانسجامها، يعتمد العالم الرياضي في ذلك على الاستقراء والقياس المؤدبين إلى الاستنباط فيستنتج من مقدمتين أو أكثر قضايا جديدة.

وفكرة اللغة تقوم على العلاقات، فتكون الفكرة في المنطق وهو العقل، وصورتها في المستقر أي التعبيرات، ولكي تؤدي هذه التعبيرات غايتها، يجب أن تكون مرتبة ومنظمة بطريقة يقبلها المنطق. إذا فالتحو النحو العربي عماده قوانين المنطق الرياضي، فبفضل الاستنباط توصل علماء اللغة، من خلال دراسة تراكيب اللغة السليمة ومعرفة طبيعة صيغها إلى نتائج، ثم صاغوا نظريات نحوية من بديهيات ومبادئ أولية، معيّنهم في ذلك وضع الفرضية، وتوظيف أدوات القياس

مصوّتة ونصف مصوّتة وغير مصوّتة. فلما قارن تقسيم الكلام في اللغة العربية المعروف بأقسامه الثلاثة: الاسم والفعل والحرف مع ما يقابله عند أرسطو وجدها ستة أقسام هي: الحرف، المجموع، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، الوقعة والقول، استنتج أنّ تشابه المصطلحات لا يعني بالضرورة تشابه المفاهيم فبينها بون واسع. (7)

بعيدا عن اللغويين، تحدّث إبراهيم كزو وهو باحث سوري في مجال الدّراسات العلمية وتاريخ العلوم عند العرب عن دور العرب في علم المنطق، وبعد استعراضه لجملة من التعريفات والآراء حول المنطق وعلاقته بالرياضيات وأثرهما في النّحو العربي توصل إلى خلاصة مفادها أن: علماء الغرب، خاصة المناطق المتكئين على منطق أرسطو يجعلون منه كائنا جامدا وينظرون إليه نظرة محلّية صخرية، بينما الأصل فيه أنّه يتداخل مع العلوم الإنسانية الأخرى ويتفاعل معها، وهذا ما جعل العالم الشّرقي الرّوحاني يرى بقوة البصيرة إلى روح القانون نظرة شمولية كونية، استغرق الغربي آلاف السنين ليراها اليوم في المختبر. (8)

ولذا فقد ميّز بين نوعين من المنطق: منطق جامد محلّي وحيد البعد، وآخر سمّاه روح المنطق أو منطق المنطق وهذا ما اختلف فيه العرب عن غيرهم من الأمم إذ جمعوا بين العقليّ منه والروحيّ المستمدّ من الإسلام " وإن كان هذا الأخير لم يأخذ صبغته العلميّة بعد وما ذلك إلا لأسباب زمنيّة، وهو في الواقع منطق المستقبل، وقد اكتشف العلماء أنّ الدّماغ البشري نصفه استنباطي استنتاجي ونصفه الآخر حدسي استقرائي، والحدس هو ما يربط الواقع بالروح" (9) وقد بنى هذا القول وفق ما توّصل إليه من نتائج بعد دراسته لجملة من مصادر التراث العربي في المنطق والرياضيات، منها كتب الكندي الذي تجاوز ببصيرته العلمية النّافذة نظريات أرسطو وهندسة إقليدس، ورغم دمج بين العلم وإساءته فهم الدين إلا أنه استطاع أن يصل إلى مفهوم اللّامتناهي (أساس الرياضيات الحديثة)، وقد أثبت العلم الحديث بطلان الكثير من اعتقادات أرسطو الكونية عن تركيب العالم من كرات ذات مركز واحد لا يوجد شيء خارجها، كما تنبأ الكندي بالهندسة الأقليدية وتأسيسه لعلم الجبر والخوارزميات التي هي أساس علم الحاسوبيات.

في بنية النحو العربي ليس دليلا على تأثير المنطق اليوناني، بل هو من مقتضيات التّفكير العقليّ السّديد، وأبرز الحاج صالح في مختلف دراساته الدقيقة والمقارنة استحالة التقاء المنطقين تاريخيا وعلميّا.

فيما قام المستشرق الانجليزي كارتر (Carter) بالبحث "في أصول النحو العربي" لإبطال هذه الدعوى، نجد إلى جانبه الفرنسي (جيرار تروبو) (5) أستاذ فقه اللغة في جامعة السوربون أجرى دراسة مقارنة على مستوى المفاهيم والمصطلحات بين ما ورد في كتاب سيبويه وما يقابلها من المنطق الأرسطي؛ فمن الناحية التاريخية بيّن عدم وجود أي إثبات ولو كان عن طريق النّحو السّراني يربط بينهما، ردّا على كلّ من قال بأنّ الخليل قد تعرّف على المنطق اليوناني عن طريق ترجمة حنين بن إسحاق (205هـ-256هـ) الذي أثبتت الدراسات التاريخية أنه ولد سنوات بعد وفاة الخليل، وأنّ كثرة المصطلحات وتوّعها في كتاب سيبويه هي أعظم دليل على خلوّها من أيّ تأثير أجنبي بسبب انبثاقها من حضن العلوم الإسلامية.

أمّا من النّاحية اللغويّة فوجود المصطلحات الأربعة المشتركة بين العربيّة واليونانيّة: الإعراب والصرف والتصريف والحركة، يختلف اختلافا واضحا في المعاني؛ فالإعراب في اليونانيّة مصطلح خطابي يسمّى "التّهليلن" (6) وهو التكلّم الصّحيح على وجه الصنّاعة لا على وجه العامّة بمراعاة بعض الأنظمة الداخليّة للغة، ويهتمّ الإعراب كمصطلح نحوي عربي نقيضا للبناء بدراسة التغيّرات التي تحدث في آخر الاسم المتمكّن والفعل المضارع.

ثمّ شرح معنى الصّرف في اليونانيّة على أنّه حالة للاسم يميل فيها إلى حالات أخرى يسمّيها أرسطو وقّعات الاسم والهيل والوقعة لا وجود لهما في نظام العربية، غير أنّ التّسمية نفسها عند سيبويه هي إلحاق حرف التّون (التّونين) في آخر الاسم المتمكّن، للدّلالة على استقرار الكلمة في قسم الاسم، ويفسّر التّصريف بالتغيّرات التي تحدث داخل بنية الكلمة الواحدة، والتّمكّن كذلك ميزة للكلام العربي لا وجود لها في اليوناني. كما أنّ التّحريك في النّظام الصوتي العربي لا يتفق ومفهوم التّصويت في مقابله اليوناني، فإذا كان سيبويه يقسّم الحروف إلى متحركة وساكنة فإنّ أرسطو يقسّمها إلى

ولقد ثبت عند كل مؤرخي وعلماء اللغة العربية تأثر النحاة المتأخرين بالمنطق الأرسطي تأثراً واضحاً، حجب عنهم التمييز بين التحوين لتمثيلهما الكبير في تسمية المصطلحات دون المفاهيم والذي سبقت الإشارة إليه، في حين أسقط المتقدمون منهم في القرون الهجرية الأربعة الأولى مفاهيم الفقه الديني على علوم العربية النابعة من منطق العقيدة الإسلامية، وقد دعم هذه الفكرة حسن منديل العكيلي بما ذكره سعيد الأفغاني في كتابه "في أصول النحو" قائلاً: "فالحضرمي معاصر الحسن البصري استخدم الرأي في الظواهر النحوية مثله، وتبعه تلميذه عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد تأثروا بقياس أبي حنيفة الذي وسع القياس وسيبويه تأثر بأبي يوسف محمد بن الحسن الشيباني". (13)، مبرزا من خلاله قيمة كتاب سيبويه في الفتوى الدينية، وقد ربط ابن جني بعده النحو بالفقه في كتبه، وغيرها كثير. فقط من الضرورة الإشارة إلى الاختلاف الكبير بين القياس النحوي والقياس الأصولي. (14)

وما سبق سرده من مواقف وآراء هو غيض من فيض، مفادها ضرورة إرجاع حق الفضل إلى أصحابه، حيث لا يعترف لهم بأسبقية وأفضلية إلا بعد أن يثبتها الغرب ويثبوتها عليها، وذلك أن دراسة اللغة العربية لا يمكن الإحاطة بها إلا بالتعرف العميق بمنهج اللغويين والتحوين المتقدمين الذين أخضعوا اللغة لنظام خاص يجمع بين روح العقيدة والعقل، ومرتبطة في الوقت نفسه بالأنظمة الاجتماعية والثقافية وغيرها. ومهما يكن من محاولات لتكييف اللغة حسب المنهج العقلية المنطقية فعلاقة هذه الأخيرة بالعلوم الأخرى أمر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه. (15)

ويسلط الباحث السابق ذكره بعضاً من تراكيب اللغة العربية ما لا يتماشى والمنطق العقلي، وهي كثيرة جداً في القرآن الكريم وعدت ضمن الإعجاز اللغوي، وهناك الكثير مما يتنافى والمنطق العقلي في واقع الاستعمال اللغوي، مثل:

1- "لَوْلِي مَالٌ ... فهو نفي، معناه "ليس لي مال"، ولا يعد ذلك نفيًا إلا بأداة، هو نفي التّفي أو تأكيد التّفي.

2- التّضاد عند المناطقة هو تناقض ومغالطة ولكنه بمنطق اللغة مقبول.

وما دام البحث ينبعث من جذور المدرسة الخليلية الحديثة، يؤكد عبد الرحمن الحاج صالح أن للعرب منطقاً خاصاً بهم لم يتأثروا فيه بمن سبقهم من اليونان أو الهنود، ومع أن كل اللغويين دون استثناء يصرّحون أنّ النحاة القدامى خاصة الخليل كانوا يعتمدون على المنطق، إلا أنهم يضيفون إليه الأرسطي كأنه لا يوجد منطق إلا منطق أرسطو.

ويحتج في هذا المقام بالتحليل الرياضي البارع عند الخليل في معجمه القائم على نظام التقلاب (التصريف)، الذي مثله على شكل دائرة وهو من صلب الرياضيات الحديثة، وقام بالأمر نفسه في اكتشاف دوائر العروض ولم يسبق إلى هذا أحد قبله. وإن لم يكن الخليل قد ابتكر كل شي من العدم، فلربما قد استوحاه من سبقه عند الساميين منذ ازدهار الحضارة البابلية. (10) ويضيف إلى ذلك حاجة المجتمع الإسلامي الجديد إلى معرفة لغة القرآن بعدما أصبحت اللغة الرسمية للدولة لا يمكن أن يسدها منطق مثل ذلك الأرسطي، وهي الحاجة التي مكنت المسلمين من إيجاد وسائل تثبتت بها الأحكام الشرعية للتوازن غير المنصوص صراحة، وأمر آخر مهم جداً يتمثل في طبيعة اللغة في حد ذاتها، فكل لغة تتألف من ألفاظ والألفاظ تتركب من وحدات ولكل وحدة تركيب وبنية تتشارك فيها مع وحدات أخرى، ولذا لا يمكن أن يسلب عليها في تحليلها أي نوع من المنطق، فقط ما يمكن أن يتناسب مع ماهيتها من حيث البنى والصيغ المتواضع عليها، ومهما كانت طبيعة هذه البنى فهي تحتاج إلى تحليل رياضي تركيبى. (11) وزد على ذلك أنّ النحاة العرب أول من تقطن إلى تحليل التراكيب اللغوية تحليلاً رياضياً، وأن كل ما هو عقلي ليس بالضرورة أن يكون رياضياً.

من جهة أخرى يؤكد إبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار اللغة" انفراد كل لغة بمنطقها ونظامها الخاص بها، يراعيه المتكلمون بها "لأنه شرط الفهم والإفهام في البيئة اللغوية الواحدة، وإذا أحل المتكلم بهذا النظام، حكم السامع على كلامه بالغرابة والشذوذ والغموض، ويرتبط هذا النظام بعقول أصحاب اللغة وتفكيرهم إلى حد كبير". (12) وأنّ البديهيات النحوية التي توصل إليها اليونان (أرسطو) عندما جمعوا بين اللغة والمنطق العقلي لا يمكن أن تُصَبَّ فيها جميع اللغات.

مثله سابق "20"، وكل من حاول شرح ما أبدعه كان قائماً على تحليل منطقي رياضي (21) فقد استطاع أيضاً أن يلقنها إلى تلاميذه، فأسسوا مدرسة غاية في الإبداع والمنهج المنطقي وعميقاً في استخراج مسائل النحو وتعليلها، وكتاب سيبويه خير دليل على ذلك، فكان الكتاب الأصيل الذي عبره أخذ النحاة أصول علم الحساب وهم يستخرجون أصول أحكام نحوهم.

وفيما يلي عرض لأهم المبادئ الرياضية التي استخدمها هؤلاء النحاة ممّا بنيت عليه النظرية الخليلية الحديثة ومستخلصة من مقالة لمحمد كشّاش يشرح فيها علاقة المنطق الرياضي بالنحو العربي:

1- الثابت والمتغير:

مثّل النحاة القدامى بناء الكلمة بحروف رمزية هي الفاء والعين واللام، فالأفعال الثلاثية: "جلس" و"قرأ" و"نبت" كلّها على بناء واحد (أو مثال واحد) هو (فَعَلَ) فإذا صرف الفعل في المضارع: (يَجْلِسُ)، أصبح البناء (يَفْعُلُ)، وأول من جعل (فعل) رمزا لكل مشتق منه هو علي بن إسحاق الحضرمي قال: "أصل الكلام بناؤه على "فعل" كقولك فعلتُ وفعلنا... ويزاد في أوساط "فعل" افتعل وانفعل. والأصل فعل"، (22) وهذا ممّا يقاس عليه، وهو ما يسمى بالثوابت في الرياضيات ويقابله المتغيرات، وتكون في كلّ مستويات اللغة الصّوتي منها والصّرفي والنحوي، وهذه الطريقة التجريدية هي التي أوصلت العلماء إلى إجراء التعميمات المزيلة للخلاف ويسمونه بالتجريد التمثيلي، ولا شك أنّ الخليل هو مبدعه (23) وشرحه كالتالي:

2- التجريد التمثيلي:

يطلق النحاة العرب اسم البناء على البنية الداخلية للكلمة المتصرفة، كما يطلقونه على بنية الجملة في عبارة "بناء الكلام" ويمكن أن نجد عندهم بديلاً عن البنية "المثال"، إلا أن للمثال دلالة عند القدامى تزيد على البناء معنى التمثيل.

فالمثال عند القدامى صورة للبناء وليس هو البناء بالذات، حتى وإن لم يستعمل في كلام العرب وإنّما جيء به لتفسير البنى مجردة من محتواها، يقول سيبويه: "هذا

3- التأنيث والتذكير، خاصة في القرآن الكريم، لا يمتّ للمنطق اللغوي بصلة مثل قوله تعالى: "السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ" (البقرة 276)، "يُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا" (الفرقان 49)، ولقد ساهم حسن منديل بالعدول النظامي (16)، وهو عبارة عن ظواهر لغوية خرجت عن المنطق العقلي.

2/ الفكر الرياضي عند اللغويين القدامى:

لقد نفذ الفكر الرياضي القائم على المنطق منذ وقت مبكر إلى الدرس اللغوي العربي، تزامن مع عصر التقعيد للغة، وأياً كان مصدره فقد كان الخليل بذكائه الفذ المعتمد على الحساب والجبر أول من استطاع أن يتناول اللغة بتحليل عقلي رياضي. فمنهم من رجّح بصيرة هذا التحليل المبتكر إلى منطق اليونان أو الهند كما تم التطرق له آنفاً، ومنهم ما اختار ظهور الإسلام ونزول القرآن حيث تغبّر المجتمع العربي فكرياً في فترة زمنية وجيزة، هو سبب نضج الدرس اللغوي العربي في ثوب منطقي رياضي إلى حدّ راق جدا استطاع فيه الخليل بالرّعاية وتلاميذه من بعده بشكل ثابت ومستقر التصدي لكل محاولات التغيير قديماً وحديثاً وكأنه يتماشى مع غرض القرآن في الحفاظ على نصه ولغته في كل زمان ومكان، ولا يمكن أن يكون ما ابتكره الخليل في العروض والصّوت والمعجم والصرف والنحو هو من قبيل الصدفة أو أنّه من العدم، وفي هذا المقام يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "هذا وينبغي ألا يفهم من وصفنا للوسائل التي لجأ إليها النحاة القدامى بأنّها من جوهر رياضي... والنحاة العرب هم أول من تقطن إلى أن التراكيب اللغوية التي يمكن أن تتناول بالتحليل الرياضي. ثمّ إنّ كل ما هو عقلي ليس بالضرورة رياضياً، فالمنطق بمعناه الضيق هو عقلي ويخص طريقة الاستدلال وليس بالضرورة رياضياً، ويمكن مع ذلك أن يصاغ بطريقة رياضية". (17) وربما استوحاه الخليل ممّا خلفه الأكاديون والبابليون من تراث علمي (18)، وما يؤكد ذلك استخدام المبادئ الرياضية وشبوعها في تلك الحقبة عندهم، ومنها ما ذكره اللّيث تلميذ الخليل في كتاب العين عن مصطلح "البرجين" (19) ويقصد به ما جداء كذا في كذا؟ وما جذر كذا في كذا؟ فجداءه مبلغه وجذره أصله. وإذا كان الخليل قد استطاع "أن يصل إلى ما لم يسبقه أحد وابتكر علم العروض واستنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد ولم يسبقه إلى

شائعا فيتخصص، كما أن الاسم يكون شائعا فيتخصص ويمثل له بالمعادلة التالية:

سوف يذهب (زمن مختص) = الرجل (اسم مختص).
المحصلة: الفعل المضارع = الاسم (باعتبار الإعراب)
من وجه آخر:

أن الفعل المضارع إذا دخلت عليه لام الابتداء أصبح مشابهة للاسم فيعبر عنه رياضيا كالتالي:

إنَّ زيدًا ليقوم = إنَّ زيدا لقائم (باعتبار دخول لام الابتداء).

وبعد الاختزال ليقوم = قائم.

والمتصفح لكتاب سيبويه يجد هذه المعادلة عنده ممثلة بوضوح عندما يساوي بين منزلة الفعل المضارع والاسم المبتدأ في العمل

وغيرها كثير مما لا يحصيه المقام. (28)

5- العلاقات بين القضايا والمسائل:

بغية الوصول إلى الحكم النحوي الصائب، عمل النحاة القدامى عقلا ونقلًا لإيجاد العلاقات بين المسائل المختلفة، وطبيعة هذه العلاقات هي من المفاهيم الرياضية المعمول بها في القضايا المنطقية وطرق الاستدلال والقياس.

ومن شواهد منطق العلاقات (29) في النحو، تقديم عامل الحال وتأخيره فللحال مع عاملها ثلاث حالات هي:

أ- الأصل يجوز أن تتأخر الحال ك: جاء زيدٌ ركباً، إذا كان الفعل متصرفاً.

ب- أن تتقدم عليه ك: ركباً جاء زيدٌ.

ت- أن تتأخر عنه إذا كان عاملها فعلاً جامداً ك: ما أحسنه مقبلاً.

6- الحمل والقياس:

القياس على الكلام العربي الفصيح هو أحد الأسس العملية التي قام عليها النحو العربي خاصة مع بداية نشأة النحو على أيدي البصريين، فالقياس هو إجراء المتكلم في كلامه لمفردة أو تركيب على مثال من مُثُل العرب ولو لم يسمع ذلك منهم أو من فصيح، ولكنه يجريه على قياس كلامهم، وأقوال ابن جني في ذلك مشهورة "أنَّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب" (30) وكذلك قوله: "إنَّ الغرض

التمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام" (24). والتمثيل لا ينتج كلاماً إنما هو حكاية وتصوير ورسم للكلام ووحداته، فيمثلون لكلمة (حبنطى) بـ (فَعْنَلَى) وهم يدركون أن الكلام لا يتصل بها نون في كلمة عربية (25)، والهدف من التمثيل هو تحقيق التعميم لإزالة الاختلاف وهو ما سبق ذكره في الثابت والمتغير. أي أن التمثيل هو الثوابت وما استعمل من كلام العرب هي متغيرات.

- ويؤكد عبد الرحمن الحاج صالح

في كلِّ أبحاثه ودراساته أنَّ مبادئ التحليل العلمي مفاهيمها منطقية رياضية قد استغلها النحاة القدامى بذكاء شديد في تحليل لغتهم وتقنينها، أهمها التجريد والقياس والحمل والباب والمجموعة والزمرة والنظير المكافئ والعلامة العدمية الخ والتي كانت أساس بنائه للنظرية الخيلية الحديثة. (26)

3- اجتماع الضدين السالب والموجب يؤدي إلى

نتيجة سالبة:

إذا اجتمع العدد وضده عادة ما يؤدي إلى نتيجة سالبة حسب قوانين الرياضيات ويعبر عنها بالمعادلة التالية:

$$(-) = (-) \cdot (+)$$

قد نظر النحاة الأوائل في هذا القانون ووجدوا أنَّ ما يناظره ويعادله من قواعد اللغة كثير، ومثال ذلك القاعدة الإعرابية القائلة بوجوب تجريد المضاف من التنوين (كتابٌ زيدٌ) فلا يمكن تنوين كلمة (كتاب) لأنها أضيفت إلى (زيد)؛ ويجعلون مفاد الإضافة على نية الاتصال، والتنوين على نية الانفصال، لذا لم يجمعوا أبداً بين التنوين والإضافة.

ومثلها منع جمع الاسم المذكر العاقل المختوم بالتاء ك (طلحة) والصفة المختومة بها ك (علامةٌ) جمعاً سالماً، لأن التاء علامة المؤنث والواو علامة المذكر، (27) ولأنهم وجدوا الكثير مما يكافئ من القوانين الرياضية قواعد اللغة عمداً إلى توسيع قاعدة:

4- استعمال المعادلات الرياضية:

والمعادلات شائعة الاستعمال على مستوى المفردة وعلى مستوى التركيب مثال ذلك أنَّ الفعل المضارع يكون

ومنها كذلك علل المنع من الصّرف حملوها على الفعل.

1- استعمال خواص الأعداد :

- أرجع النحاة أصل كثير من الحروف باستعمال مكونات العدد، وذلك عن طريق استبدال العدد بمجموع عددين على نحو :
 $(2+1) = 3$

مثال ذلك اختلاف البصريين والكوفيين فيما إذا كان أصل الاشتقاق الفعل أم المصدر؛ فمن بين أدلة البصريين في أن المصدر هو الأصل: أنّ الفعل بصيغته يدل على شيئين اثنين هما الحدث والزمان في حين يدل المصدر بصيغته على شيء واحد هو الحدث، وكما الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل، وتمثل هذه الفكرة رياضياً كالتالي: (35)

الدلالة على الشيء = 1.

المصدر = 1.

الفعل = 1 + 1 = 2.

وبذلك يظهر أنّ الواحد أصل الاثنين، وهذا ما أثبتته الخوارزمي في أن العدد هو الكثرة المركبة من الأحاد، فالواحد ليس بالعدد وإثما هو ركن العدد. (36)

2- استخدام المجموعات ومقارنتها:

ويظهر استخدام المجموعات بدءاً من أعمال الخليل، عندما رتب معجمه على حروف الهجاء ترتيباً صوتياً حيث صنفها إلى مجموعات وصنف عناصرها حسب المخرج، ثم صنف تفعيلات بحور العروض في شكل دوائر أي مجموعات مستخدماً مفاهيم: الزمرة والمجموعة والتناظر والتكافؤ. (37)

ومن أمثلة ذلك ما نقله ابن يعيش والأنباري في حكم "باء القسم" في أنّ الباء هي أصل وغيرها من الحروف (التاء والواو) محمول عليها، فالباء تدخل على المظهر والمضمر في قولنا "بالله لأفعلن" و"بك لأفعلن" ولا يجوز قولنا بالواو والتاء: "وك لأفعلن" و"تك لأفعلن".

و يمثلها محمد كاشاش بالرسم الرياضي التالي (38):

فيما ندوّنه من هذه الدواوين وثبته من هذه القوانين إنّما هو أن يلحق مَنْ ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح". (31)

والقياس من أهم أساسيات الملكة اللغوية فالمتكلم لا يشعر وهو يركب كلامه أنه يقيس في كلامه التراكيب التي لم يسمها أبداً بالمحتوى نفسه على حسب مهاراته اللغوية، ومن أهم ميزاته عند النحاة القدامى :

1- أن يكون القياس على مستوى البنى اللغوية إفراداً وتركيباً .

2- ليس كلّ ما في اللغة يقاس أو يقاس عليه. (32)

3- القياس تكافؤ لا تطابق ولا مجرد شبه.

4- القياس عند المتأخرين من النحاة مأخوذ عن قياس الفقهاء الأصوليين، وهو يختلف عن قياس النحاة الأوائل.

5- القياس أربعة أركان هي: المقيس عليه (الأصل)، المقيس (الفرع)، الحكم، الجامع (العلة أو النسبة) ومجاله البنى اللغوية.

6- القياس هو البحث عن المجموعات المتناظرة أو الفئات المتكافئة وهي ما تسمى عند الغربيين بالإجرائية (Operating Method).

وبقرّ عبد الرحمن الحاج صالح أنّ ما سمي بقياس الشبه بعد سيبويه هو غير القياس الذي قصده النحاة الأولون، قائلاً: "فيما أن اللغة بُنيّ ومجاري فاضطروا إلى تحليلها تحليلًا إجرائيًا دقيقًا جدًّا وتقطّئوا - وخاصة الخليل بن أحمد- إلى أن البنية لا تحليل لها إلا بوسائل عقلية هي بالضرورة من قبيل الرياضيات كما تصورها الخليل". (33)

ومن أمثلة القياس ما ذهب إليه النحاة إلى أن "حاشا" فعل واستدلوا على منهجهم بتصريف "حاشا" (34) بشاهد وحيد للتأبغة:

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه
وما أحاشى من الأقوام من أحد

خاتمة القول في هذا العنصر أن العرب قد استغلوا مفاهيم الرياضيات كالزمرة والمجموعة والقضايا والأعداد... أحسن استغلال في تطبيقها على اللغة العربية مما سهل عليهم وضع القواعد وتعميمها لدرجة شموليتها وصمودها أمام مختلف محاولات التغيير، ويؤكد التاريخ أن الإفراط في استخدام المنطق خاصة المنطق الأرسطي في نهاية القرن الرابع الهجري وما بعده أو بعض مبادئ الرياضيات أو عدم انتهاجها النهج الصحيح هو سبب ظهور مسائل الخلاف بين النحاة، وهذا الخلاف منه ما هو مثمر للدرس اللغوي ومنه ما عاد بالسلب عليه عقما، وعقمه أدى إلى عزوف الناس عن تدارس النحو خاصة، ولكي يكون الدرس اللغوي مثمرا، على الباحثين اللغويين معاودة التنقيب في التراث ومراعاة النقاط التالية:

أ- تحديث النظر إلى ظاهرة الخلاف النحوي في مجال التقدير (الاحتمالات الإعرابية) خاصة إذا كانت الآراء مثبتة على مبادئ رياضية. (40)

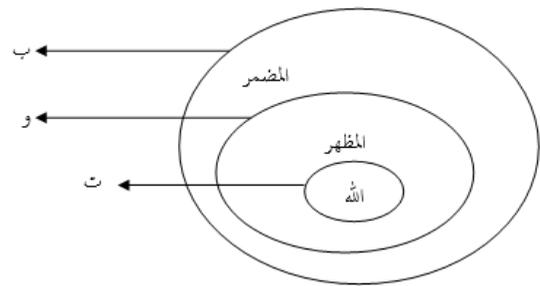
ب- عزوف طالب النحو عن تدارسه وفهمه مردّه جهله بمبادئ الرياضيات والحساب المعتمد عليها قديما، لاسيّما ونحن الآن في سير متقدّم نحو حوسبة اللغة العربية، حيث توجب إلماما بالرياضيات من جهة وبالحاسوبيات من جهة أخرى.

ت- ضرورة الجمع بين منطق الرياضيات ومنطق اللغة، فقد أثبت النحاة الأوائل أنّ الحساب واللغة يلتقيان في نقاط كثيرة، وبقي فقط أن تستغلّ هذه النقاط في الحوسبة، وقد شهدت تقدّمًا في هذا المجال، تأكيدا على أن اللغة العربية لغة طبيعية مثلها مثل باقي اللغات الطبيعية.

ولعلها تيسر سبل تعلم اللغة العربية وتعليمها وذلك بالاستفادة من المناهج والعلوم الأخرى، كما أخذ بها الأوائل من دراسات الأصوليين والفلاسفة والمناطق.

3/ حوسبة اللغة العربية نظريا:

بعد إعادة النظر الثاقب والفاحص في التراث اللغوي خاصة مؤلفات اللغة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، التي ثبت من خلالها أنّ اللغة العربية لغة جبرية رياضية يمكن استهلاكها حاسوبيا، وهي لا تقتصر إلى ميزات اللغات الطبيعية الغربية التي تعرف تقدّمًا هائلا في هذا المجال، ألّفت العديد

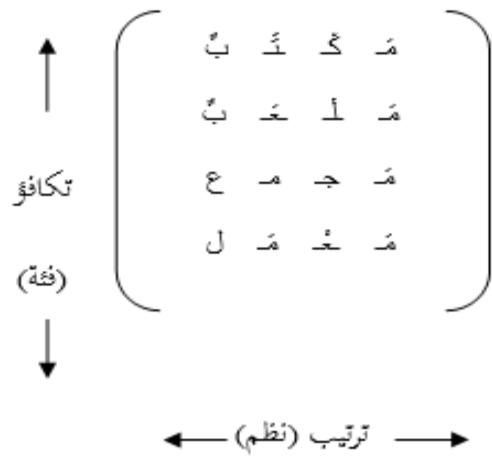


وتمثل بالمفهوم الرياضي للمجموعات كما يلي:

$$B = \{ \text{المظهر، المضمّر} \} / = \{ \text{لفظ الجلالة (مظهر)} \} / = \{ \text{المظهر} \}$$

وتقرأ: المجموعة (ب) تشتمل على عنصرين اثنين هما المظهر والمضمّر، بينما المجموعة (ت) تشتمل على عنصر وحيد هو اسم لفظ الجلالة المظهر، تبقى المجموعة (و) التي تشتمل هي الأخرى على عنصر وحيد هو الاسم المظهر، وبلغت القواعد حرف الباء الدال على معنى القسم يدخل على الاسم المظهر والمضمير بينما تدخل التاء على لفظ الجلالة فقط وتقترن الواو بالاسم المظهر فقط.

ومن الأعداد استغلّ العرب الصفر أحسن استغلال وكان لهم قصب السبق في ظهور علم الجبر واكتشاف الأعداد السالبة، أما عن علاقته بالنحو فيظهر في مشكلة ظاهرة التقدير والإضمار لما تتميز به اللغة العربية من كثرة الإيجاز والحذف، والتقدير هو نية الشيء وتصور وجوده وكثيرا ما يستخدم في مواطن الحذف، وقد استغلت النظرية الخليلية هاته الفكرة وأعطتها تفسيرها الرياضي عند الحديث عن **الموضع والعلامة العدمية**، (39) فمواضع الكلمات في البناء تشبه الخانات أو ما يسمّى بالمصفوفة وعدم وجود كلمة لا يعنى عدم وجود الخانة، فهذه الأخيرة موجودة ولكنها فارغة، وبما أنّ الكلمات داخل المثال مرتبة في مواضع، والموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر، فإنّ خلوّ الموضع من العنصر له ما يشبهه وهو "الخلو من العلامة العدمية" أو "تركها" كما ورد عن سيبويه وهو ما يسميه الحاج صالح بالعلامة العدمية (Expression Zéro) وهي التي تختفي في موضع لمقابلتها علامة ظاهرة في موضع آخر، مثال ذلك: قولك: "مكة وربّ الكعبة"؛ فمكة تعرب مفعولا به لفعل تقديره (يريد الحاج مثلا "مكة") ومثلها في القرآن الكريم كثير كقوله تعالى: "بَلْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفًا" (البقرة 135).



يمكن صياغته رياضيا كالتالي:

تَكَافُؤٌ ← فَتْحَةٌ + تَرْيِبٌ (نَظْمٌ) = فَتْحَةُ اسْمِ الْمَكَانِ أَيْ بَابِ مَفْعَلٍ وَمِثَالُهُ مَفْعَلٌ

فالمثال هو مجموع الرموز المرتبة التي تمثل بها بنية الباب.

وهناك أبواب لا فرد فيها مثل باب (فَعَلَ) في أوزان الأفعال الثلاثية، وتقابلها المجموعة الخالية (∅) في اصطلاح الرياضيين، وهناك أبواب فيه فرد واحد مثل (شَنَى) نسبة إلى شنوة، فهي مجموعة ذات عنصر واحد، وأفراد الباب الواحد هي عناصره تمثل ما يسمى بالنظائر. والأبواب كلها ناتجة عما يسميه ابن جني "بقسمة التركيب" (Combination) وهي عبارة عن استفرغ كل ما تحتمله العناصر الأصلية من التراكيب، فباب (فَعَلَ) هو أحد المثل الناتجة عن الجداء الديكارتي:

{ ف × فتحة ، ضمة ، كسرة } × { ع × فتحة ، ضمة ، كسرة ، سكون }

فحاصله هو اثنا عشر مثالا منها (فَعَلَ). (43)

(2) المثال:

هو مجموع الرموز المرتبة التي تمثل بها بنية الباب، وفائدتها عظيمة إذ هو تمثيل علمي (Simulation) للواقع غايته الجمع في باب واحد بين عناصر مختلفة للكشف عن صيغتها المشتركة لا صفاتها الذاتية فقط، ف (مَفْعَلٌ) مثال لاسم المكان المتغيرات فيه هي الحروف الأصول، حيث تمثل الفاء أي حرف صامت في المرتبة الأولى ثم يليه العين في المرتبة الثانية كذا اللام، أما الثوابت فهي الحركات

من الكتب النظرية المشتملة على الكثير من الصياغات الرياضية للغة العربية في مختلف مستوياتها ولكنها ما زالت تنتظر المهندس الحاسوبي الذي يقوم بتفعيلها آليا، ماعدا بعض الأعمال المتفرقة هنا وهناك من مختلف أقطار العالم العربي لا تدرّ في معظمها إنتاجا قوميا عربيا ناجحا.

وعلى هذا الأساس لأجل حوسبة اللغة العربية وجب الجمع بين عمليتين أو فريقين، فريق يركّز عمله على الجانب النظري أي اللساني وجمع كل البيانات القاعدية الخاصة بالكفاية اللغوية للغة العربية وتراكيبها، والفريق الثاني فريق هندسي متخصص في مجال الحاسوبيات والبرمجيات يقوم بتفعيل قاعدة البيانات اللسانية الصورية إلى الخوارزميات التي تقوم بعملية التحليل والتركيب.

وقبل الحديث عن العمليات التطبيقية التي تمت على مستوى اللغة العربية، لابد من الوقوف أمام أهم الميزات التي أهلت اللغة العربية للحوسبة رداً على كل من يتهمها بالقصور والعجز لمجارة ركب اللغات الطبيعية الأخرى (خاصة الغربية).

تحت لواء النظرية الخليلية الحديثة وضع الحاج صالح الأطر العامة التي تمكّن اللغة العربية من الحوسبة اعتمادا على ما توصل إليه القدماء وتحت منظور عصري تحكيمه وسائل التكنولوجيا وأهمها:

(1) خاصية التَّبْوِيب:

والتَّبْوِيب عند النحاة القدامى عبارة عن تصنيف ضمن مجموعات، فالباب يطلق على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة (ض ر ب ، ب ر ض ، ...) ويطلق على أبنية الكلمة، ويطلق على أوزانها وحتى على تراكيبها. (41)

والمجموعات بالمعنى المنطقي الرياضي ما يجمع أفراد الباب في صيغة أو مجرى أو بناء مشترك، يمكن فيها حمل كل فرد من أفراد هذا الباب على الآخر، وسماه النحاة القدامى حمل الشيء على الشيء، أو ما يسمى بالإجرائية حديثا.

اعتمادا على خاصية التبويب يمثل الحاج صالح رياضيا لبنية اسم المكان بالرسم التالي (42):

بل المتفق في البناء أو الصيغة (46) يعرفه الرياضيون ك (مصدر) تفريع من الأصل على سبيل مثال سابق ، ويقصد بالقياس ك (اسم) التوافق (Equivalence) أي توافق العناصر في البنية بمعنى عملية تطبيق مجموعة على مجموعة بشرط أن يكون هذا التطبيق من نوع التقابل النظري (Bijection).

ومنه يمكن تسمية الباب قياساً من حيث هو تكافؤ بنوي لعناصر تنتمي إلى فئة لذا كثيراً ما يستعمل سيبويه وغيره عبارة "وليس ذلك بالباب في كلام العرب" (47) ، وعبارة ابن جني: "وهذه أفاظ شاذة لا تعقد باباً ولا يتخذ منها قياس" (48).

4/ حوسبة اللغة العربية عملياً:

المعروف عن الحاسوب أنه أقرب الأجهزة محاكاة لدماغ الإنسان بل أكثرها استيعاباً وتخزيناً وذكاءً في طريقة عمله وفي طريقة تفكيره وتعبيره ، وكلما تطورت تقنياته فرضت وجوداً أكبر للغة في جميع المجالات وليست في اللسانيات فقط ، هي نتيجة فرضت ضرورة التمكن من المعرفة اللسانية العميقة وصفاً وتصنيفاً في ضوء مختلف النظريات المعاصرة خاصة اللسانيات الصورية ، والمعرفة الحاسوبية الخاصة بمعالجة اللغات الطبيعية وهذا ما سماه محمد محمد الحناش بالهندسة اللسانية (49) ، وهذا مختصر تجربته في مجال هندسة اللغة العربية:

لا شك أن الهندسة هي فن التحكم في التظم ، واللغة نظام ولكنّه معقد من حيث مستوياته (الصرفية ، والمعجمية والصوتية والتحويلية والدلالية) إلا أن علماء اللغة الغربيين استطاعوا أن يصنعوا برامج حاسوبية طبقت فيها جميع الخوارزميات الصورية ، حيث يسهل الحوار بين الإنسان الغربي والآلة بلغته الطبيعية عن طريق الترجمة الآلية والتوليف الصوتي والتعرف البصري على الحروف والمدقق الإملائي والنحوي .. الخ ، بيد أن هذه التطبيقات في لغتنا العربية مازالت محتشمة بسبب نقص الوسائل التكنولوجية من جهة والمتخصصين في مجال الهندسة اللسانية من جهة أخرى والمشاريع النظرية على مستوى البيانات القاعدية من جهة أخرى ، رغم أنها لغة طبيعية مثل أية لغة في العالم ، ولها من الكفاية اللسانية الأغنى والأوفر بل ميزاتها هي التي جعلها أكثر اللغات قابليةً في التعامل مع الآلة وأهمها على الإطلاق

والسكنات والروائد. والمثال كما هو موجود في مستوى المفردات موجود كذلك في مستويات اللغة الأخرى التحويلية والدلالية... ويعتبره عبد الرحمن الحاج صالح: "حدّ تحدد به العناصر اللغوية ولكنه حدّ إجرائي (processive définition) لأنه ترسم فيه جميع العمليات التي بها يتولد العنصر اللغوي في واقع الخطاب أو بعبارة نحائنا: "تبنى عليه المفردة أو الكلام". (44)

وتقابله في الرياضيات حدود الأعداد والأشكال الهندسية ، وقد ترجمه إلى اللغة الفرنسية بمصطلح: (Schéma générateur) وإلى الانجليزية (Générateur Pattern) ، أما بناء الكلام ، فأسسه هي:

أ- الحروف الأصول كمعطيات (الأصل).

ب- المثال الذي سببني عليه كضابط للعمليات المولد (كمصدر البناء).

ت- استبدال كل متغير بثابت مع المحافظة على الثوابت في المثال ويسميه بتفريع الفروع على الأصول ولا يكون إلا بضابط.

(3) مفهوم الأصل والفرع:

مفهومان مرتبطان بالنحو العربي الأصيل ، فالمذكر أصل للمؤنث والمفرد أصل للمثنى والجمع والاسم أصل للفعل والحرف فهما لا يظهران إلا مع الاسم أو مع كليهما ، "فكل كيان لغوي أصل يبني عليه غيره أو فرع يبني على أصل". (45)

أما على مستوى التراكيب ، فمعطيات اللغة يتحصل عليها بالسمع ثم تدوين هذا المسموع ثم تصنيفه إلى أصنافه وأجناسه بالاستقراء الذي يؤدي إلى إثبات الثوابت (الأصول والقوانين) ، وكان التمثيل واستنباط الحدود والمقاييس هي الوسائل العقلية المستخدمة في المنهج العربي الرياضي الذي لم يصل إليه علماء الغرب إلا مع الباحث نوام تشومسكي.

(4) مفهوم القياس:

له علاقة بمفهوم الباب ومفهوم النظائر ، فالنظائر هي مجموعة الأفراد التي تنتمي إلى باب ، وكونها نظائر بعضها لبعض معناه أن كل واحد منها يقابل ويساوي في الصيغة جميع العناصر مهما اختلفت عنه ، فالتظير ليس هو الشبيه

يمثل الجذر دخل البرنامج اللغوي في كفاية المتكلم ؛ ففي البداية يتم اختيار الجذر المراد تشغيله (ثلاثي أم رباعي) ثم تشرع الكفاية في تطبيق خوارزميات المطابقة بين مادة الجذر اللغوي والمادة الصورية (ف ع ل)، وفي مرحلة لاحقة يتم تفعيل (الوزن/الميزان) عن طريق خوارزميات الإقحام التي تقوم بإدراج الزوائد (سوابق ولواحق وأواسط وحركات) في البنية النظرية للجذر بهدف توليد الكلمة، وتسمى هذه المرحلة بالتركيب أو التوليد، فيما تكون العملية معكوسة في مرحلة التحليل.

في المستوى الصرفي تكون لكل صيغة مقابل دلالي مخزن في الكفاية، وهذا المكون الدلالي الصرفي يضمن ربط المستوى الصرفي بالمعجم والدلالة، وتؤمن ظاهرة الانصهار التي تنفرد بها اللغة العربية حرية الحركة للكلمات داخل الجملة وبالضبط المفردات ذات الجذور الثلاثية فهي أكثر مرونة خلافا للرباعية والخماسية، على أن علاقة الصرف بالمستوى الصوتي لا تحتاج إلى دليل وخاصة فيما يتعلق بالأصول المعتلة، ونظرا لارتباط كل صيغة صرفية بدلالة محددة تنتظم على شكل حقول دلالية فقد أخذ الصرف نصيبا وافرا من باب الدلالة.

بالانتقال إلى مجال التركيب يكون الفعل عبارة عن دالة (fonction) تقابلها بقية العناصر كمتغيرات، وذلك كما يلي: (53)

$$P \longrightarrow V(n_1, n_2, \dots, n_x)$$

وقد بني المعجم الإلكتروني لتراكيب اللغة العربية على هذا الأساس، وإذا قورنت الطبيعة الجبرية للغة بمكونات الآلة يمكن الحصول على ما يلي:

$$\text{بيانات مشفرة} \iff \text{ترجمة الخوارزميات} \iff \text{اللغة الطبيعية}$$

ولكن لا يمكن الوصول لهذه النتيجة إلا إذا تم تزويد الآلة بالقواعد اللسانية الصورية أي بالخوارزميات اللغوية بنوعها التوليد والتحويل.

غير أن الكثير من الباحثين المهتمين بمجال المعلوماتية وتقصيرا منهم في اطلاعهم على ميزات اللغة العربية يتهمونها بالقصور والعجز الحاسوبي، وردا عليهم هذا موجز لأهم خصائصها التي تؤهلها إلى ذلك:

أ- تقوم اللغة العربية على مكونين رياضيين هما الجذر والوزن، وهما معا غير موجودين في أغلب لغات العالم ويؤكد الحاج صالح أن مفهوم الوزن يجمله علماء اللسان الغربيين وإن عرفه بعضهم فقد كان عن طريق ما كتبه المستشرقون. (50)

ب- يتولى الجذر وضع البنية الأساسية للكلمة، ويتولى الوزن وضع هيكلها العام، إذ يقوم الوزن بتوزيع الحركات على مختلف حروف الجذر كما يقوم بتوزيع المورفيمات التي تضاف إلى مكونات الجذر بغرض توليد الكلمات: "سوابق ولواحق وأواسط" (51) لأن الطبيعة الانصهارية للغة العربية تميزها عن طبيعة اللغات الإلصاقية فيما يتعلق بتوزيع المورفيمات داخل بنية الكلمة الأساس.

ت- أما الحركات التي تقابل (les voyelles) في اللغات اللاتينية، فالمحلل الصرفي يتولى توزيعها على الحرفين الأول والثاني من الكلمة في حالة الجذر الثلاثي، والحروف الثلاثة الأولى في حالة الجذر الرباعي، في حين تسند حركة اللام إلى المحلل التحوي.

- ومادامت الدراسات الحديثة أثبتت أصالة الدرس اللغوي المبني على أسس رياضية متينة، فإن اللغة العربية لا محالة لغة رياضية مكونة من مجموعة من الخوارزميات الصورية، دخلها الجذور مرورا بالأوزان التي تتمتع بقوة الانصهار المورفيمي المبرمج، وخرجها الكلمات والجملة، وهي ممثلة حاسوبيا عند الحناش كما يلي: (52)

$$\text{الجذر} + (\text{ف ع ل}) \text{س، أ، ل، ح} \\ = \text{الكلمة} \\ \text{الوزن/الميزان}$$

5/ المشاريع الحاسوبية في اللغة العربية:

منظم تحت شعار عمل قومي ناجح، يقول في هذا المقام المهندس رأفت الكمار: "فالأمر وبعد ظهور الذكاء الاصطناعي، وظهور فرع من فروعه الرئيسية وهو معالجة اللغات الطبيعية أو اللسانيات الحاسوبية صار بحاجة إلى اهتمام من نوع جديد، اهتمام بالجانب اللغوي من منظور حاسوبي، اهتمام بتطويع اللغة العربية لحسن التعامل والتعايش مع الحاسوب ونظمه الذكية المعرفية باستخدام أحدث وسائل ونظم المعالجة المعرفية للغة الطبيعية". (54)

وعلى حد قوله، لكي نصل إلى معالجة اللغة العربية حاسوبيا على غرار باقي اللغات الطبيعية وجب التكايف بين علماء اللغة والمهندسين المتخصصين في مجال الحاسوبيات والبرمجيات، لأن اللغة العربية منظومة ذات مساحات واسعة أي مستوياتها متعددة (الصرف والمعجم والصوت والنحو والدلالة) ومتقاطعة تحتاج إلى معرفة معقّمة من طرف علماء اللغة وإلى تمثيلها نظريا لتفعيلها حاسوبيا من طرف المهندسين، وقلّمًا يجتمع ذلك في رجل واحد كما هو الحال عند الحثّاش أو نبيل علي أو عبده ذياب العجيلي أو رأفت الكمار، ومهما كثروا فهم قلة موازاة بالهدف المتوخى، لكنهم استطاعوا على الأقل كسر دعوى أن اللغة العربية قاصرة وعاجزة في مجازة اللغات الطبيعية حاسوبيا لأسباب منها:

أ- أنّ حروف اللغة العربية ذات شكل طباعي للحروف يختلف عن حروف اللاتينية، فهي تحتاج إلى الرّبط فيما بينها حسب السياق الذي توجد فيه، ممّا يسبّب مشكلا في الحوسبة.

ب- الطابع التركيبي للغة العربية معقّد وتتداخل فيه المستويات المختلفة خاصّة الصّرفية والتّحوية يختلف عن باقي اللغات الأخرى ذات الطابع الإلصافي.

ت- اتجاه الكتابة بالنسبة للغة العربية من اليمين إلى اليسار يعيق برمجتها حيث أنّ اتجاه كلّ برمجيات اللغة المنجزة معكوس وفقا لطبيعة الكتابة في اللغات الغربية.

ث- حرّية تركيب الكلمات في شكل جملة فعلية أو اسمية أو متعدية بالحرف، إضافة إلى سمات الحذف والإيجاز والتقديم والتأخير... الخ أكثر الأمور تعقيدا في عملية الحوسبة.

ج- العربية لغة تصريف تتكون من وحدات صرفية لها خصائص نحوية للكلمة.

منذ ظهور الحاسوب في أواخر الأربعينيات (1948)، ومع تطور تقنياته توثقت الصلة بينه وبين اللغة، فالتقاء اللغة والحاسوب هو تجسيد لنشاط الإنسان الذهني في شكل لغة، حيث أنّه بدأ يتّجه نحو محاكاة بعض وظائف الإنسان وقدراته العقلية، ولا يمكن تصور مدى الفوائد النظرية والتطبيقية التي يوفرها الإعلام الآلي للغة؛ خاصة في تخزين المعلومات واسترجاعها وفي مجال التعليم والبحث العلمي، ممّا يساهم بشكل جلي في اقتصاد الوقت والجهد وسرعة إنجاز العمل العلمي وتحقيق أعلى مراتب المنهجية الدقيقة والموضوعية. لذا تعدّ معالجة اللغات الطبيعية حاسوبيا من أهم الميادين المثيرة لاهتمام اللغويين منذ ظهور الجيل الأول للحواسيب سنة 1951 إلى ظهور الجيل الخامس منه سنة 1991، إذ يعدّ غاية في محاكاة الدماغ البشري والذكاء الاصطناعي، ممّا أثرى بشكل فعال في تطوير اللسانيات الحاسوبية، والأسبقية في هذا المجال تعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1954، حيث بدأت بالترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى اللغة الانجليزية في قسم اللسانيات اللغوية في جامعة (جورج تاون)، وفي سنة 1962 افتتحت إيطاليا المعهد المعجمي على ركائز حاسوبية، ثم بعدها افتتح معهد الألسنة بباريس ... وتوالى بعدها الكثير من المعاهد المتخصصة في مختلف دول وجامعات أوروبا. وما فتأت تنتشر عدوى هذا التخصص لتشمل معظم أنحاء العالم المتقدمة منها والسائرة نحو طريق النمو فلفتت أنظار علماء اللغة العربية، ولو أنها التفاتة متأخرة ومحتشمة، إلا أنّها جدية محافظة على اللغة العربية وتراثها وثقافتها في مجتمع تتنامى فيه المعرفة بسرعة فائقة لتحقيق التنمية البشرية وتهاوى إلى جانبها هويات البلدان وتختلط أحيانا كثيرة في ظلّ العولمة باستخدام الشبكة العنكبوتية ومختلف وسائل الاتصال والإعلام المتطورة التي مازالت حكرا على الدول الغربية الأكثر قوة وتطورا، وفي الوقت الذي تعمل فيه هاته الدول على التعامل المباشر بالكلام المنطوق مع الآلة، مازالت الدراسات العربية تحبو في هذا المجال، ومشاريعها المنجزة على جديتها وقتلتها هي مجرد أعمال متناثرة هنا وهناك في أقطار عربية متباينة الاتجاهات والمقاصد، سواء تحت غطاء فردي أو مؤسساتي انتظارا لعمل جماعي

اللسانية العربية بجميع مستوياتها ، يبدأ فيه بإبراز الدوافع وراء البحث في اللغة العربية والحاسوب ثم يعرض لمفهوم المنظومة لكل من اللغة والحاسوب ، وإخضاع الحاسوب للغة لا العكس ، وعلاقة الأجزاء الكلية بخصوصية العربية ، ومقارنة اللغة العربية بالانجليزية...

2- كتاب عبده ذياب العجيلي (الحاسوب واللغة العربية) (59)، صدر سنة 1996 نشرته جامعة اليرموك ، كُون مؤلفه ينتمي إلى قسم الحاسوب الإلكتروني فإن أهم ما تناوله هي التطبيقات اللسانية الحاسوبية في اللغة العربية ، انطلاقاً من لغة الذكاء الاصطناعي (برولوج) ، وتهتم بمعالجة اللغة العربية في مستوياتها التحليلية والتركيبية النحوية والصرفية والدلالية والأسلوبية والهجائية ، كما تحدّث عن الترجمة الفورية ، ليختم كتابه بتطبيقات متنوّعة كالتحليل الحرفي والتطبيق النحوي والترجمة الآلية.

3- كتاب (الحاسوب وميكنة اللغة العربية) (60) لصاحبه رأفت الكهّار ، نشرته دار الكتب العلمية بالقاهرة عام 2007 ، حيث تناول فيه منظومة اللغة العربية من الناحية الحاسوبية ، ابتكر فيها الباحث منظومات آلية للصرف والنحو والدلالة في شكل معماري منتظم إلى جانب محور المقام والسياق ، ومحاوّر أخرى أهمّها تعليمات تطبيقية. وطموح المهندس في هذا الكتاب يتناهى أن تنضمّ لغة القرآن الكريم إلى مرتبة العالمية نظرياً وتطبيقياً.

4- يعدّ كتاب نهاد الموسى الموسوم ب: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية (61) ، أول عمل يقوم به متخصص في علوم اللغة يتتبع فيه صاحبه كيفة تشكّل الأداء اللغوي على نحو مضبوط بدقّة متناهية ، غايته في ذلك نقل المعرفة باللغة العربية من اللاوعي إلى الوعي ، تم تقديمها للحاسوب قصد تهيئة كفاية لغوية تشبه إلى حدّ ما يكون للمتكلّم العربي ، وأهم الأسس النظرية التي اعتمدها في هذا الكتاب:

- إقامة الفرق بين الوصف والتوصيف.
- توصيف مفهوم الكفاية اللغوية.
- بيان مفهوم التمثيل والمعيار.

ح- التعدد الإعرابي للكلمة الواحدة في سياق واحد يعقّد عملية التحليل الصرفي.

خ- إضافة إلى ميزة العربية في استخدام الحركات مقابل الصوائت في اللغات الأخرى.

وهي أمور تعكس جهل أهلها بلغتهم وقد تولّى الرد عنها أكثر من باحث لغوي ، مؤكداً الطبيعية الجبرية والرياضية للغة العربية التي تجعلها أكثر طواعية للحوسبة من باقي اللغات الأخرى.

تكفل كلّ من الباحثين وليد العناتي وخالد الجبر جمع هذه المجهودات في كتاب دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية (55)، مع وصف لأهم أعمال كل باحث حسب تخصصه ومهارته في اللسانيات الحاسوبية بواسطة عملية إحصائية لأهم الجهود المبذولة بدءاً من سنة 1971 إلى غاية وقتنا الحالي ، ذكراً أنّ بداية هذه الجهود كانت فردية في شكل إحصائي استهلها إبراهيم أنيس في إحصاء الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية بمساعدة أحد أساتذة الفيزياء في جامعة الكويت ، ثم توالى بعدها الدراسات الإحصائية في مجال المعجم والمحللات الصرفية (56) ، لتتطور في شكل عمل مؤسّساتي ، تناولت في عمومها المجالات التالية: (57)

- استنطاق النصوص.
- إدخال النصوص وتخزينها بالمسح الضوئي.
- التحليل والتركيب النحوي والصرفي.
- الإعراب الآلي.
- المعاجم الإلكترونية.
- الترجمة الآلية.
- بنوك المصطلحات والمعلومات.
- الفهرسة.
- قواعد المعارف.
- التحليل الإحصائي.

لقد سلّط البحث الضوء على أهمّ المشاريع المثمرة في أعمال اللغويين سواء تلك المعروضة وبإسهاب في الكتاب السابق ذكره أو مراجع لأصحابها أو تلك المتناثرة في مواقع الشبكة العنكبوتية المختلفة ، منها ما يلي: (58)

1- مؤلفات نبيل علي يتصدرها كتابه (اللغة العربية والحاسوب) الصادر سنة 1988 ، تناول فيه موضوع الهندسة

خاتمة:

أحسن ما يميز العربي اللغة العربية المنطق الذي درست وفقه إضافة إلى كونه عقلي فهو منطق روحي مستمد من روح الإسلام ودساتير القرآن، فلا يمكن تسليط أي نوع من المنطق على العربية أو على أية لغة بشرية أخرى لا يتناسب وطبيعتها وتركيبها الخاص مهما كان أساسه رياضياً، ومادامت كل اللغات الإنسانية قابلة للتطويع الرياضي فهي خاضعة وبنسبة كبيرة للحوسبة على غرار تلك الغربية كالانجليزية والفرنسية التي تشهد تقدماً لافتاً للنظر، فمن المحال أن تكون العربية خارجة عن طبيعة هاته اللغات مهما كانت نسبة تحقق هذا التطويع ضئيلة وخاصة وأن النحاة القدامى قد سبقوا إلى تقنينها وفق مبادئ منطقية ورياضية جعلتها صامدة طوال حقبات من الزمن في مواجهة كل محاولات التغيير قديماً وحديثاً، لذلك فإن الضرورة تفرض نفسها على كل اللسانيين والباحثين حيثما تشعبت تخصصاتهم بين اللغة والحوسبة والرقمنة والاجتماع والتكاتف جنباً إلى جنب نحو دراسة عميقة ودقيقة وموسعة للتراث اللغوي الأصيل لاستخلاص نظرية عربية خالصة معينهم في ذلك ما أتاح لهم فيه عصر المعلوماتية من أجهزة ووسائل ونظريات معاصرة لأجل الارتقاء بالعربية نحو العالمية، وإن كان هذا الهدف بعيد الأفق إلا إن الجهود المبذولة في مجال الحوسبة على قلتها تمّ عن جدية أصحابها في احتواء النظريات اللسانية الصورية، للوصول إلى إعداد معالج آلي للغة العربية تتكامل فيه على الأقل المحللات الصرفية والمعجمية والنحوية في محل واحد والدلالية على أكثر تقدير، مع مراعاة أن تكون هذه المعالجة مفتوحة المصدر وتعمل حسب مقاييس ومواصفات دولية، في ظل غياب برمجة بالحرف العربي، وفي غياب مراكز بحثية يتعاون فيها المختصون في مجالي الحاسوبيات واللسانيات الصورية.

5- وقد قدم عبد الرحمن الحاج صالح جهوداً لا

يستهان بها على شكل مقالات طرحها في ملتقيات كثيرة حول علاقة اللغة العربية بالحاسوب أو في أعداد مجلات ودراسات (بحوث ودراسات ج 1/ج 2)، تتناول الدراسة التأصيلية التي تشيد بضرورة الانطلاق من نظرية عربية خالصة دعائمها نظرية النحاة الأوائل لبناء لغة عربية معاصرة، وإلى جانبها نظرة على مشاكل العلاج الآلي للغة العربية، ومنطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، وأهم ما يدعو إليه هو مشروع الذخيرة العربية القومية للتراث العربي.

وربما يرجع العامل المحفز في إنجاز هذا البحث هو العثور على مشاريع حاسوبية حققت نجاحاً عملياً وميدانياً ثمرة مثابرة بعض اللغويين المعاصرين واستماتتهم في تحقيق الأفضل لمستقبل اللغة العربية، من المغرب قام محمد محمد الحناش (62) بأعمال كثيرة أنجز منها جزءاً وبقي منها شطر تحت قيد التنفيذ وشطر آخر ينتظر التطبيق، يذكر له من المنجزة ما يلي:

- قاعدة بيانات حاسوبية لتراكيب القاموس المحيط.
- بناء محلل صرفي للغة العربية لفائدة المنظمة العربية للعلوم والثقافة (ألكسو) (مخبر الإعلاميات والمعالجة الآلية للغة العربية - الرباط - 1998).
- تفسير مداخل المعجم العربي البسيطة والمعربة: الأفعال الخمسة والأسماء والمصادر والمشتقات.

ويشتهر من المشرق عبد الرحمن الشارخ وشركته العالمية التي صنعت حاسوب عائلي "صخر" يعمل بنظام (أم أس اكس) الياباني والذي تمت كتابته بالعربية ومشاريع دار حوسبة النص العربي، فيما يعتبر بشير حليمي الجزائري المنشأ بكندا (63)، أول من قام بتصميم نظام عربي (دوس) موثم لنظام (MSDOS) المطور من طرف شركة البرمجيات الأمريكية وقد وصل إلى اعتماد الكلام المنطوق مع الآلة مبلغاً عظيماً جداً، وغيرها كثير من المجهودات الجبارة التي فرضت نفسها في ميدان اللغة والحوسبة معاً لا يتسع المقام لذكرهم وليس خطأ من قيمتهم.

الهوامش

1. مها خير بك ناصر، النحو العربي والمنطق الرياضي: التأسيس والتأصيل، ط 2، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2014، ص 135/125.
2. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط 1، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن، ص 20، 21، 30.
3. فخري خليل النجار، الخليل بن أحمد الفراهيدي: آراء وإنجازات لغوية، ط 1، دار صفاء، الأردن، عمان، 2008، ص 138/133.
4. تمام حسان، دراسة استمولوجية لأصول الفكر اللغوي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1411 هـ، ص 49-54.
5. جيار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، www.majma.org.jo، تاريخ الاطلاع: 10 فيفري 2009.
6. جيار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، www.majma.org.jo، تاريخ الاطلاع: 10 فيفري 2009.
7. جيار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، www.majma.org.jo، تاريخ الاطلاع: 10 فيفري 2009. وأيضاً: عمر حسن القيام، جيار تروبو ونشأة النحو العربي، www.Alukah.net، تاريخ الاطلاع: 28 أوت 2009.
8. إبراهيم كزو، دور العرب في علم المنطق، www.maaber.org، تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
9. إبراهيم كزو، دور العرب في علم المنطق، www.maaber.org، تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
10. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص 29/32.
11. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 30.
12. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط 6، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1978، ص 187.
13. حسن منديل العكيلي، الفكر النحوي في ضوء المنطق الأرسطي، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، مركز البحث العلمي جيل، العدد الرابع: ديسمبر 2014، ص 24.
14. حسن منديل العكيلي، الفكر النحوي في ضوء المنطق الأرسطي، ص 24/25.
15. حسن منديل العكيلي، الفكر النحوي في ضوء المنطق الأرسطي، ص 26.
16. حسن منديل العكيلي، الفكر النحوي في ضوء المنطق الأرسطي، ص 31/31.
17. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 31.
18. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 31/32.
19. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د. ط، سلسلة المعاجم والفهارس، د.س.ن، مادة (برج).
20. الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن)، طبقات التّحويين واللّغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، مصر، د.س.ن، ص 47.
21. خير الدين معوش، الخليل بن أحمد وأصول اللغة، دراسة وصفية تحليلية لأعمال الندوة الدولية حول الخليل بن أحمد، 25/23 تموز 2006، جامعة تيزي وزو، منشورات مخبر الدراسات اللغوية في الجزائر، ص 276/290.
22. سيبويه (أبو بشر عثمان بن قنبر)، الكتاب، طبعة بولاق، 1316هـ-1317 هـ، ج 1/386-387.
23. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 32.
24. سيبويه، الكتاب، ج 1 / 177.
25. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 280.
26. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 95/178.

27. محمد كشّاش ، المنطق الرياضي والنحو العربي ، مجلة اللسان العربي ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مكتب تنسيق التعريب ، العدد 41 ، 1996 ، ص 39/38.
28. محمد كشّاش ، المنطق الرياضي والنحو العربي ، ص 39-40.
29. محمد كشّاش ، المنطق الرياضي والنحو العربي ، ص 40.
30. ابن جني(أبو الفتح عثمان) ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، د. ط ، القاهرة ، 1952 - 1956 ، ج 1/357.
31. ابن جني(أبو الفتح عثمان) ، المنصف ، د. ط ، القاهرة ، 1956 - 1960 ، ج 1/179. نقلا عن كتاب عبد الرحمن الحاج صالح ، منطق العرب في علوم اللسان ، ص 157.
32. عبد الرحمن الحاج صالح ، منطق العرب في علوم اللسان ، ص 159/158.
33. عبد الرحمن الحاج صالح ، منطق العرب في علوم اللسان ، ص 171.
34. محمد كشّاش ، الفكر الرياضي والنحو العربي ، ص 41.
35. الأنباري (عبد الرحمن بن محمد) ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، د. ط ، د.س.ن ، ج 1/237.
36. محمد كشّاش ، الفكر الرياضي والنحو العربي ، ص 42.
37. عبد الرحمن الحاج صالح ، منطق العرب في علوم اللسان ، 134-139. وأيضا: عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ج 1/317-321.
38. محمد كشّاش ، الفكر الرياضي والنحو العربي ، ص 42.
39. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/222/221.
40. حسن خميس الملق ، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي ، د ط ، دار الشروق ، عمّان ، الأردن ، 2007 ، ص 37.
41. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/318.
42. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/319.
43. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/320.
44. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/319.
45. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/321.
46. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ج 1/333/322.
47. كتاب سيويوه ، ج 1/176.
48. ابن جني (أبو الفتح) ، الخصائص ، ج 1/67.
49. محمد الحناش محاضرة في موضوع: اللغة العربية والحاسوب: قراءة سريعة في الهندسة اللسانية أو مقارنة في محاكاة الدماغ العربي لغويا ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، أكتوبر 2002. تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
50. عبد الرحمن الحاج صالح ، بحوث ودراسات ، ج 1/321/320.
51. محمد الحناش محاضرة في موضوع: اللغة العربية والحاسوب: قراءة سريعة في الهندسة اللسانية أو مقارنة في محاكاة الدماغ العربي لغويا. أكتوبر 2002. تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
52. محمد الحناش محاضرة في موضوع: اللغة العربية والحاسوب: قراءة سريعة في الهندسة اللسانية أو مقارنة في محاكاة الدماغ العربي لغويا. أكتوبر 2002. تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.

53. محمد محمد الحناش محاضرة في موضوع: اللغة العربية والحاسوب: قراءة سريعة في الهندسة اللسانية أو مقارنة في محاكاة الدماغ العربي لغويا. أكتوبر 2002. تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
54. رأفت الكمار ، الحاسوب وميكنة اللغة العربية ، د. ط ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 2007 ، ص 6.
55. وليد العناتي و خالد جبر ، دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية ، ط 1 ، دار جرير ، عمان ، الأردن ، 2007.
56. عبد العزيز بن عبد المهيوبي ، جهود اللغويين العرب الحاسوبية لخدمة الدراسات اللغوية العربية: المحللات الصرفية نموذجاً ، Lissaniat.net ، تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
57. الحاسوب واللغة والبحث اللغوي ، dr-mahmoud-ismail-saleh.blogspot.com ، تاريخ الاطلاع: الأربعاء 25 ديسمبر 2013.
58. وليد العناتي و خالد جبر ، دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية العربية ، ص 83/84.
59. وليد العناتي و خالد جبر ، دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية العربية ، ص 66/67. وأيضا: عبد العزيز بن عبد المهيوبي ، جهود اللغويين العرب الحاسوبية لخدمة الدراسات اللغوية العربية: المحللات الصرفية نموذجاً ، Lissaniat.net ، تاريخ الاطلاع: 12 أوت 2016.
60. رأفت الكمار ، الحاسوب وميكنة اللغة العربية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 2006.
61. رأفت الكمار ، الحاسوب وميكنة اللغة العربية ، وأيضا: وليد العناتي و خالد جبر ، دليل الباحث إلى اللسانيات الحديثة ، ص 144/145.
62. محمد محمد الحناش ، السيرة الذاتية ، al-erfan.com ، تاريخ الاطلاع: 30 سبتمبر 2016.
63. مليكة فريحي ، التحو الحاسوبي لدى تشومسكي ، www.oudnad.net ، تاريخ الاطلاع: 30 سبتمبر 2012.

الأساليب الإقناعية الموظفة من قبل التنظيمات الإرهابية لاستقطاب الشباب عبر الميديا الجديدة -تنظيم داعش- نموذجا-

The Persuasive Techniques Employed By The Terrorist Organizations To Attract Youth Through The New Media – ISIS As Model -

تاريخ القبول: 2018-04-22

تاريخ الارسال: 2018-04-10

أمينة بكار، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
b.amira04@hotmail.com

الملخص:

يهدف الموضوع محل الدراسة ، إلى تفكيك الآليات والكشف عن الأساليب الإقناعية الموظفة من قبل التنظيمات الإرهابية في استقطاب الشباب سواء من الناحية الفكرية أو السلوكية (الجهاد)، عبر ما يسمى بالميديا الجديدة ومختلف الوسائط الالكترونية ، بحيث تنطلق الدراسة من البحث في نفسية الأفراد والدوافع التي تجر بهم للتخلي عن الحياة العادية وتبني حياة أخرى كلها مخاطر ، وعليه فقد توجب علينا التطرق الى نفسية الشخص العادي وتوجهه نحو الارهاب ، وكذا تحليل الخطاب الاعلامي الالكتروني الخاص بتنظيم داعش- كعينة لدراستنا- ، ومن ثم استنتاج مختلف الاستراتيجيات الاعلامية والأساليب التي اعتمد عليها التنظيم لاقناع واستقطاب الشباب للانضمام للتنظيم الارهابي محل الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الإقناع ، الأساليب الإقناعية ، الميديا الجديدة ، **الارهاب** ، تنظيم داعش.

Summary:

The objective of the study is to dismantle mechanisms and uncover the methods of persuasion employed by terrorist organizations to attract young people both intellectually and behaviorally (al-jihad) through the so-called new media and various electronic media. So that the study starts from research into the psyche of individuals and the motives that drag them to give up ordinary life and adopting another life full of risk, So we had to touch the psyche of the average person and his orientation towards terrorism, as well as analysis of the electronic media discourse on the organization of Dahesh - a sample of our study – And then conclude a various strategies and information Methods on which the organization relied to persuade and attract young people to join to Terrorist organization which is a spot of our study.

Keywords: persuasion, persuasive techniques, new media, electronic terrorism, Isis organization.

Résumé :

L'objectif de l'étude est de démanteler les mécanismes et de découvrir les méthodes de persuasion employées par les organisations terroristes pour attirer les jeunes intellectuellement et comporte-mentalement (al jihad) à travers les soi-disant nouveaux médias et divers médias électroniques, l'étude commence à partir de la recherche sur la psyché des individus et les motifs qui les entraînent à abandonner la vie ordinaire et à adopter une autre vie pleine de risques, nous avons donc dû toucher la psyché de la personne moyenne et son orientation vers le terrorisme. Et nous avons analysé le discours des médias électroniques sur l'organisation de Dahesh - un échantillon de notre étude - et ensuite conclure diverses stratégies et méthodes d'information sur lesquelles l'organisation s'est appuyée pour persuader et attirer les jeunes à se joindre à l'organisation terroriste qui est une de nos priorités.

Mots-clés : persuasion, techniques persuasives, nouveaux médias, terrorisme électronique, organisation

Isis.

مقدمة:

دريدا " Jacques Derrida، فالجماعات الارهابية لم تتأخر ولم تتوانى في استغلال مختلف تطبيقات الميديا الجديدة، بل أدركت منذ الوهلة الأولى أن المعركة هي معركة إعلام وصورة ورأي عام بالدرجة الأولى وأن استخدام الحاسوب المحمول والكاميرا هو السبيل الأمثل لكسب الحرب النفسية والدعاية وكسب عقول الشباب.

في هذا الإطار نجد تجربة التنظيم الارهابي المسمى "داعش" الذي احتضن هذا الاتجاه الرقمي الجديد، واستغله أفضل استغلال سواء من ناحية نشر الايديولوجية أو من خلال استقطاب الشباب والشابات لتجنيدهم، موظفين بذلك مختلف الآليات والأساليب الاتقاعية (العقلية والنفسية) في سبيل تحقيق ذلك، لذا سنسعى من خلال هذا العمل أن نكشف عن المشكلة التالية: ماهي الأساليب الاتقاعية الموظفة من قبل التنظيمات الارهابية (تنظيم داعش) لاستقطاب الشباب عبر الميديا الجديدة؟

وسنبداً أولاً بتعريف بعض المفاهيم وتحديد وضعيتها من دراستنا.

❖ تحديد المفاهيم.

✓ **الأسلوب:** من حيث المعنى اللغوي، فإن كلمة (أسلوب) تعني الوجه والمذهب أو الفن من القول والعمل، كما يمكن أن يعني النظام والقواعد العامة عند الحديث عن أسلوب العمل أو أسلوب المعيشة لدى مجموعة من الأفراد، أو الخصائص الفردية وذلك عند الحديث عن أسلوب كاتب معين¹، أما المعنى الاصطلاحي لكلمة أسلوب فيعني طريقة في العمل أو الأداة التي تميز فرداً أو مجموعة معينة². وهو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الايضاح والتأثير، أو هو الضرب من النظم والطريقة فيه³.

✓ **الاقناع:** من الناحية اللغوية فإن تعريف الاقناع يرجع الى الأصول اللغوية للكلمة (ق، ن، ع)، فأصله اللغوي مادة قنع، حيث نقول أقنع الرجل يده في القنوت أي رفعهما مسترحماً ربه مستقبلاً بها وجهه ليدعوا، وفي الحديث تقنع يدك في الدعاء أي ترفعهما، واذا رجعنا الى أصل الكلمة في اللغة العربية نجد بأنها تقابل كلمة Persuasion ذات الأصل اللاتيني وتتكون من مقطعين Per وتعني عاطفي أو انفصالي، و Suadre بمعنى يحث، أي أن تجعل شخصاً ما يفعل أو يعتقد في شيء ما من خلال البحث العاطفي أو العقلي⁴. أما من

لقد أحدثت شبكة الانترنت ثورة في عالم الاتصال والمعلومات فاق ما كان متوقعا، اذ وفرت لأول مرة سرعة النفاذ الى المعلومة وسرعة نشرها وانتشارها وتوظيفها، وتحولت الى عملاق الكتروني يوحد العالم، ويقدم كما هائلا من المعلومات والخدمات والتسهيلات، ويُمكن من التواصل بسرعة الزمن الحقيقي. فضلا عن ميزاتها كونها وسيلة اعلام تفاعلية تمكن المستخدم من حرية التصفح وابداء الرأي، وانتقاء ما يريد أن يتعرض له، كما أنها وسيلة اتصال تتيح له خدمات كثيرة. ان هذه الخصائص تعكس لنا سرعة التحولات في مجال الاتصال والاعلام في السنوات الأخيرة والتي أدت بدورها الى فرض نوع من التغيير في أساليب الانتاج والتوزيع وكذا تلقي المعلومات، وتَشكّل بذلك مجال أو حقل جديد يعرف بالميديا الجديدة، فكان التحول من وسائل الاتصال الجماهيري ذات الاتجاه الواحد والمحتوى المتجانس، الى تقنيات الاتصال التفاعلية ذات الاتجاهات والمضامين المتعددة.

لقد لعبت الميديا الجديدة وتطبيقاتها أدوار ايجابية في مخاطبة الأفراد وتوجيه سلوكهم وتعزيز قيم ايجابية في حياتهم، كما لعبت أدوار سلبية تتمثل في تزيف الحقائق وفبركة الأخبار خدمةً لدكتاتوريات لها سطوة عليها بطريقة أو أخرى مستفيدةً من التقنيات والامكانيات المتاحة خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ومن أكثر الأطراف المستغلة لهذه الوسائل "التنظيمات الارهابية" **Terroriste organisations** التي وجدت أرضاً خصبة للاتصال والتوسع، "فبدون اتصال يستحيل وجود الارهاب" وفق "مارشال ماكلوهان"، ان طبيعة الارهاب تتوجب حالياً الالتصاق بالتكنولوجيا الحديثة التي تمنحها تغطيةً ملؤها التضخيم والتهويل بغرض الوصول الى أكبر عدد ممكن من الجماهير من أجل التأثير فيهم، اقناعهم، واستقطابهم.

وارتباط الارهاب بالتكنولوجيا أو ما يعرف بـ "الارهاب الالكتروني" **Electronic terrorism** قد بدأ بشكل واضح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، أين انتقلت المواجهة مع الارهابيين من المواجهة المادية المباشرة الى المواجهة الالكترونية وأصبحنا نعيش الحرب الرقمية الالكترونية، التي وقودها الشبكات الالكترونية حسب "جاك

"**Medium**" يحيل على معاني الوساطة والوصل والوسط (Milieu)، وبهذا المعنى يبدو مصطلح "الميديا" أكثر دلالة على الإيفاء ببراءة ظواهره الجديدة. ثم إن الميديا الجديدة لا يمكن اختزالها في عملية إدماج أو إدراج للتقنية في العملية التواصلية والإعلامية، بل إنها تدمج الأنظمة التقنية (أجهزة الاستقبال الرقمي) والممارسات (كالتدوين) والترتيبات الاجتماعية (الأسرة والحملات السياسية). كما أنها لم تنشأ من عدم، وهي كذلك ليست وليدة قطعة جذرية ومطلقة تقصّل بين تراث ثقافي غابر مرشح للانقراض ووضع حاضر يقوم على التجديد الجذري، وإنما هي حركة للجمع والتوفيق والتجاوز في آن واحد. وهذا يعني بالنسبة للمؤلف ضرورة تجديد الجهاز المفاهيمي والمنهجي الذي وظفه الباحثون لدراسة الظواهر الإعلامية والاتصالية الجديدة، وضرورة بحث الميديا الجديدة وفق إستراتيجيات بحثية متعددة ووفق كل المكتسبات المعرفية للعلوم، وضرورة الدينامية أو الفعالية المعرفية الداخلية لبحوث دراسات الميديا الجديدة والبحث عن أطر نظرية جديدة، وتنوع مواضيعه وإشكالياته، ثم أهمية العمل الجماعي في المجال البحثي.⁷

✓ **الارهاب**: تعود كلمة ارهاب من الناحية اللغوية **Terror** الى اللغة اللاتينية، مثلما تشير اليه معاجم اللغة، وهي كلمة تمتد الى لغات ولهجات المجموعات الرومانية، ثم انتقلت فيما بعد الى اللغات الأوروبية الأخرى، والارهاب في اللغة العربية تعني نظاما من الرعب **Système de terreur**، وهي كلمة ظهرت أثناء الثورة الفرنسية، ففي الخامس من سبتمبر 1793م عندما ضم دير الرهبان اليعاقبية ممثلي 48 دائرة قرروا جميعا بأنه قد حان الوقت لارهاب كل المتأمرين، ومنذ هذه اللحظة أصبح الرعب نظاما رسميا ومنهجيا خاصا بالحكومة **un système de gouvernemen** ووصل الى معناه ارهاب **terrorisme**. وهكذا تم التحول من كلمة الرعب **terreur** الى كلمة ارهاب **terrorisme** كاسلوب أو نظام للحكومة، وقد جاء في القرآن الكريم لفظ ارهاب بما يشتمل على معنى الرهبة بمعنى اخافة عدو الله وعدو المؤمنين من خلال الجهاد لقوله عو وجل: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" سورة الأنفال الآية 60.⁸ أما في القاموس الفرنسي **La rousse** بأنه أعمال العنف التي ترتكبتها مجموعات ثورية أو أسلوب عنف تستخدمه الحكومة.⁹ ومن الناحية الاصطلاحية فان الارهاب حسب

الناحية الاصطلاحية فان الاقتناع يعرف بأنه: " دفع القارئ أو المستمع أو المشاهد للاستجابة المطلوبة، بأن توفر له أسباب الاقتناع بالمزايا أو الفوائد التي يمكن أن تحققه له السلعة، أو الخدمة المعلن عنها، وكيف يمكن أن تؤدي الى اشباع الحاجة أو مجموع الحاجات الفطرية والمكتسبة التي استثارتها المعلن في مرحلة خلق الرغبة، ولا يمثل الاقتناع الأسلوب العقلي فقط القائم على الحجج السليمة والبراهين المنطقية، بل يمتد ليشمل النواحي الأخرى، مثل الأسلوب العاطفي والايحاء غير المباشر".⁵

✓ **الأسلوب الاتقاعي**: هو: "مجموعة من العناصر القادرة على إثارة رد فعل معين مقصود لدى المستقبل، بحيث تؤدي عن طريق التأثير العاطفي والعقلي الى اقتناع الجمهور المستهدف، ومن ثم تحقيق أهداف الخبر الدعائي، وهذه العناصر تتضمن أنظمة اقناعية، تحقق الأهداف الدعائية".⁶

✓ **الميديا الجديدة**: يشير الصادق الحمامي إلى أن المصطلحات التي تتناولها دراسات الاتصال عربيا مصطلحات وافدة على اللغة العربية وتشكلت في سياقات معرفية وثقافية مختلفة، فهو يرفض مصطلح الإعلام الجديد ترجمة للمصطلح الإنجليزي "**New Media**"، والمصطلح الفرنسي "**Nouveaux media**" فإذا لم يكن هناك اختلاف في ترجمة كلمة "**New**" رغم أنه مصطلح غير محايد وذو حمولة ثقافية، فإن كلمة الإعلام لا تبدو للمؤلف الحل أمثل لترجمة "**Media**" فمصطلح الإعلام يرتبط بمؤسسات -التلفزيون والإذاعة والصحافة- تتمثل وظيفتها في إنتاج مضامين موجهة للجمهور، بينما تحيل التقنيات الحديثة إلى الوسائل التقنية الرقمية كالحاسوب والهاتف التي تقوم بعمليات التوصيل والنقل والتواصل، رغم أن هذه التقنيات أصبحت تؤدي وظيفة الصحيفة والتلفزيون والإذاعة والكتاب معا، مما أدى إلى تداخل واندماج بين وسائل الإعلام والتقنية الحديثة وإلى تنوع وظائفها وتنافسها وتفاعلها. إن الاحتفاظ بمصطلح الإعلام يوحي بأن التجديد يشمل الوسائط فقط، في حين أن الحد الفاصل بين المجالين ليس دائما الطابع الجديد أو القديم للوسائط، بل هو ظهور مجال مختلف إلى حد ما من جهة الوسائط التي تكوّنه والممارسات التي تشكل داخله. ورغم ذلك فإن مدلولات الإعلام ((**Media** مختلفة لغويا، فإذا كان الاستخدام العربي يحيل على معنى الإبلاغ والإخبار والإرسال والمعرفة، فإن مصطلح "**Media**" بسبب اشتقاقه من كلمة

قرر قاداته بعد مقتل أبي مصعب الزرقاوي تكوين الدولة الإسلامية في العراق في 15 أكتوبر 2006م إثر اجتماع مجموعة من الفصائل المسلحة ضمن معاهدة حلف المطيبين وتم اختيار "أبي عمر البغدادي" زعيماً له، وبعد مقتل أبي عمر البغدادي في يوم الاثنين، 19/4/2010م أصبح أبو بكر البغدادي العراقي زعيماً لهذا التنظيم بناء على بيان أصدره ما يسمى بمجلس شوري دولة العراق الإسلامية، إذ جاء في نص البيان: "وظل مجلس الشوري في حال انعقاد مستمر طيلة الفترة الماضية للقاء وزراء الدولة وولاتها وأهل الحل والعقد وأصحاب الرأي فيها، ونبش أمة الإسلام ونخص منهم طليعتها المجاهدة، وفي مقدمتهم شيوخ الأمة وقادة الجهاد في كل مكان، بأن الكلمة قد اجتمعت على بيعة الشيخ المجاهد أبي بكر البغدادي الحسني القرشي أميراً للمؤمنين بدولة العراق الإسلامية، وكذا على تولية الشيخ المجاهد أبي عبدالله الحسني القرشي وزيراً أولاً ونائباً له."¹⁶

التركيبة النفسية للارهابيين ... تحول الناس الأختيار

إلى أشرار:

لقد شغل الارهاب الموضوع الرئيسي للكثير من المجالات، الاعلام، علم الاجتماع، علم النفس... الخ، خاصة بعد الموجة الثانية من بروز مصطلح الارهاب، أي بعد ظهور ما يسمى بـ "الدولة الإسلامية"، وسنحاول في هذه النقطة أن نقارب الارهاب على مستوى نفسي لنلمس بذلك بنيته المعقدة، "ان الارهاب هو سلوك عنفي يُرتكب بطريقة دراماتيكية لجذب الانتباه العام وخلق نوع من الرعب، والمستهدف الحقيقي من الارهاب ليس الضحية في حد ذاتها، وانما هو الجمهور المشاهد للضحية"¹⁷ حسب الباحث بريان جنكينز **Brian Jenkins**، لكن ما يهمننا في هذا الصدد ليس السلوك العنفي في حد ذاته ولا آثاره، وانما ذلك الخط الفاصل بين فعل الخير وفعل الشر، لتقريب الفكرة أكثر نأخذ رواية روبرت لويس ستيفنسون **Robert Louis Stevenson** بعنوان "الحالة الغريبة للدكتور "جيكل" والسيد "هايد" 1886 وهي قصة مفادها أن جيكل هو رجل صالح، اخترع مادة كيميائية بمجرد تناولها يتجاوز عابراً الخط الفاصل بين الصلاح والشر، فما يهمننا في هذا الاطار ليس المادة الكيميائية، وانما ذلك الخط الذي تم تجاوزه عبر اغراءات معينة.¹⁸

تذكر العديد من مقاربات التحليل النفسي للارهاب الى أن الارهابيين هم أشخاص غير أسوياء نفسياً، لكن سرعان

الباحث **Eric David** "عمل عنف ايديولوجي يرتبط بأهداف سياسية"¹⁰

ويُعرف "الإرهاب عبر الميديا الجديدة" بأنه: "العدوان أو التخويف أو التهديد المادي أو المعنوي الصادر من الدول، أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، في دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله بغير حق، باستخدام الموارد المعلوماتية والوسائل الإلكترونية، بشتى صنوف العدوان وصور الإفساد"¹¹. فالإرهاب عبر الميديا الجديدة يعتمد على استخدام الإمكانيات العلمية والتقنية، واستغلال وسائل الاتصال والشبكات المعلوماتية، من أجل تخويف وترويع الآخرين، وإلحاق الضرر بهم.¹²

✓ تنظيم "داعش": يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام - المعروف اختصاراً بـ (داعش) أو الاختصار الإنجليزي الشهير **Islamic State of Iraq and the Levant ISIL** بالإضافة للاختصار الأشهر **Islamic State of Iraq and Syria ISIS** والذي يُطلق على نفسه الآن "الدولة الإسلامية" تنظيمًا مسلحاً يُوصف بالإرهاب يهدف أعضاؤه - حسب اعتقادهم - إلى إعادة الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة من خلال الدولة التي تتشكل حديثاً.¹³

تعود نشأة تنظيم داعش أو "الدولة الإسلامية" الى ثلاثة من الشخصيات، والتي كان لها الدور المباشر في توسيع مناطق التنظيم، أحمد الفاضل نزال الخلايلة المكنى بأبي مصعب الزرقاوي، حامد داود محمد خليل الزاوي المكنى بأبي عمر البغدادي، وإبراهيم عود إبراهيم على محمد البدري السامرائي، المكنى بأبي بكر البغدادي، ويعتقد بعض الباحثين أن التنظيم يعود الى فكر سيد قطب (الفكر السلفي)، في حين يعتقد آخرون أن الزرقاوي هو من وضع أسس التنظيم عام 1990 أثناء وجوده مع أبو محمد المقدسي في أفغانستان تحت ما يعرف ببيعة الامام.

ويذكر الباحث "خالد بن صالح الشهري" أن القاعدة تفرعت عنها عدة جماعات وتنظيمات من بينها "جماعة التوحيد والجهاد" التي تأسست على يد أحمد فضيل نزال الخلايلة الشهير بأبي مصعب الزرقاوي ثم تحول اسمها إلى "قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين"، بعد مبايعة الزرقاوي لأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة 2004/1/8م¹⁵، فأصبحت جزءاً أو فرعاً عن القاعدة. وتطور أمر قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين إذ

الغرائز دينيا والتحول حولها ، وجعلها هدفه ومبتغاه ، مما يلقي الروحانيات لديه ويعزز من سطوة غرائزه عليه ، فتفريغ الروح من الجسد ينسحب بدوره لتفريغ الحياة من الروح ، ليخلق بذلك مخلوقات شبه آدمية ، تلهث وراء اشباع غرائزها عن طريق الحياة الفانية غير المضمونة. اذا فحتى الدين الذي هو مصدر أساسي من مصادر الروحانيات ، عندما يتم تفريغه من الروحانيات ، ويتحول الى طقوس للهيام بطلب مشبعات الغرائز ، يتحول الى آلة ساحقة للروح ، وعليه يتم تبرير القتل والذبح والنهب والسلب... الخ ، من أجل ارضاء الحشو الغرائزي للانسان الذي تحيون أو تمت حيونته من أجلها²¹.

في سبعينيات القرن الماضي قام عالم النفس الأمريكي فيليب زيمباردو **Philip Zimbardo** بتجربة نفسية مهمة تحت إشراف جامعة ستانفورد وبتمويل من البحرية الامريكية ، كان الهدف منها دراسة التفريغ النفسية والسلوكية على الأفراد عند إمتلاكهم للسلطة المطلقة ، وحين يتعرضون للقهر والقمع والكبت ، وعُرفت هذه التجربة بإختبار "سجن ستانفورد" **Stanford prison experiment** تم استخدام متطوعين لتنفيذ التجربة ، حيث تم تقسيمهم إلى مجموعتين ، سجانين ومساجين ، وتم استخدام بناء مشابه للسجن يحتوي على زنانات جماعية وافرادية تستخدم للعقاب ، قبل بدء التجربة تلقى السجانون بعض الأوامر في كيفية ضبط الأمن والمحافظة على النظام وإمتلاك السلطة وضرورة إشعار المساجين بأن النظام يسيطر عليهم وعلى حياتهم وأنهم لا يملكون أي حرية شخصية ولا أي سلطة في هذا المكان ، ومع بدء التجربة تُركت مجموعة المتطوعين تحت المراقبة ولكن دون تدخل مباشر²².

بعد أسبوع واحد فقط ، تم إيقاف التجربة نظراً للنتائج الكارثية والصادمة التي آلت إليها ، حيث تنامي شعور السادة والتطرف والسلوك العدواني لدى السجانين ، يُرجع زيمباردو هذا السلوك الى ثلاثة عوامل رئيسية وهي:²³

1- السمات الشخصية للفرد واستعداده النفسي ونزعه لسلوك معين ، وهذا يتشكل من خلال الأساليب التربوية والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، ما يجعل بعض الأفراد ، ونظراً إلى تكوينهم النفسي ، أكثر احتمالاً للتأثر بالأفكار المتطرفة والقيام بأعمال عنف وإرهاب.

2- المنظومة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي يعيش فيها الشخص ، وتشمل المعايير والأنظمة والقوانين

ما تلاشت هذه التحليلات وأصبح هناك شبه اجماع لدى الباحثين في موضوع الارهاب تؤكد على أن الارهابيين أفراد أسوياء وليسوا نفسياً سايكوباتيين ، وبحسب الباحث أندرو سيلك **Andrew Silke**: "كل ما يستطيع علماء النفس قوله بثقة بعد ثلاثين سنة من البحث في الارهاب ، أن أبرز خصائص الارهابيين أنهم أسوياء"¹⁹. وهو الأمر الذي يدفعنا أكثر للغوص في نفسية الارهابيين.

وضع العديد من الباحثين نظريات تفسر لنا منبع السلوك الارهابي بحيث تم تقسيمها الى نظريات تفسر الارهاب على مستوى فردي (نظرية الاحباط- نظرية النرجسية- النظرية الفرويدية) وأخرى تفسر الارهاب على مستوى السياق والظروف المحيطة ، لكنها لاقت العديد من الانتقادات والاشكالات والمسؤولات التي تجعلها غير مفسرة بشكل دائم لجميع الارهابيين وغير منطقية بشكل دقيق على ظاهرة الارهاب ، ونجد الباحث **جون هورغان John Horgan** الذي حاول الجمع بين القالب الأول والثاني من النظريات وأطلق ما يسمى بـ "نموذج العملية" **Process Model** الذي نعتبره من أدق النماذج تفسيراً للتوجه نحو السلوك العنفي الارهابي ، اذ يرى هورغان أن "التحول الى الارهاب عملية متدرجة **terrorism as a process** ، والتي تنطوي على خطوات أو عمليات عادة ما تكون مترابطة ، فالسلوك الإرهابي مجموعة من الإجراءات وردود الفعل ، التي كثيراً ما يعبر عنها بعلاقة متبادلة على الصعيدين الآني والطويل الأجل بين مختلف الأطراف الفاعلة. ويمكن أن تشمل هذه الجهات الفاعلة على سبيل المثال لا الحصر: الحكومات والإرهابيين ووسائل الإعلام والشرطة وأجهزة الأمن والسياسيين والمدنيين بشكل عام"²⁰.

يذكر الباحث عبد الرحمان الوابلي في مقال له بعنوان "صناعة الانتحاري في ستة أشهر" أن الانسان مركب من غريزة وروح أما الأولى فهي التي تجعل حياة الانسان تستمر ، والروح هي التي تجعل حياته تسمو وتعالى فوق غرائزه المتعلقة بهاديات الحياة ، وصناعة الارهابي هي تفريغه من الروحانيات ، وحشوه بالغرائز من أجل استخدامه كوسيلة للقتل والذبح من أجل مشروع سياسي ما ، وبالعودة الى الروحانيات فان الدين هو أسمى مصدر من مصادرها ، وعندما يتم اللعب على وتر الدين ، ويتم تحويل الدين الى مصدر الهام وجذب للشباب للتدمير والقتل باسمه ، هنا فقط تتم شرعنة التوحش والتحيون ، باسم الدين وهنا تكمن الخطورة ، وذلك بشحذ

المعركة التي تخوضها ، وليس مجرد آليات للترويج والتسويق ومخاطبة العالم.

ان تنظيم داعش يعد اليوم أكثر التنظيمات الإرهابية قدرة على المناورة داخل العالم الافتراضي ، من خلال فتح العديد من المواقع واختراق بعض المواقع الأخرى ، وممارسة نوع من الكر والفر في مواجهة عمليات الحصار التي تلاحق تلك المواقع ، بحيث كلما أغلق موقع تابع له كلما لجأ إلى إنشاء مواقع أخرى ، فالمعركة كلها تجري على مستوى الميديا الجديدة. يعرف تنظيم داعش أن هناك أكثر من ثمانمئة مليون شخص يستخدمون شبكة الإنترنت بشكل يومي في مختلف أنحاء العالم ، وأن هذا العدد يعد بمثابة سوق مفتوحة أمام خطابه المتطرف ، ولذلك فهو يستخدم تلك الوسيلة أكثر فأكثر كلما شعر بأنه يفقد زمام المبادرة على الأرض ، ويدرك بأن الخسارة الميدانية قد تكون خسارة تكتيكية ، لكن الخسارة على صعيد الإعلام الافتراضي تعد خسارة استراتيجية بالنسبة إليه ، "لقد استطاع هذا التنظيم أن يطور استراتيجية إعلامية على مواقع التواصل الاجتماعي كافة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وطرقها في عالم تقنية المعلومات ، ليبتث فيديوهات وأفلام دعائية بتقنيات وجودة عالية تضاهي إنتاج أكبر الشركات الإنتاجية العالمية ، ولينفذ دعاية "تويترية" نجحت في نشر أفكاره ، فضلا عن ابتكار طرق تقنية وتطبيقات لمواصلة فتح حساباته المملوغة على شبكات التواصل الاجتماعي ، ومعاودة نشر فيديواته المحذوفة من الشركات العالمية ، وقد ذهب "التنظيم" أبعد من ذلك على المستوى التقني ليبتكر له مواقع بديلة لنشر أخباره وأفكاره وفيدويواته ، وليتجاوز ذلك أيضا بدخوله عالم الألعاب الرقمية عندما أطلق لعبة رقمية تحمل اسم "ليليل الصوارم"²⁴ في مسعى منه لرفع معنويات عناصره وتدريب الأطفال والمراهقين على القتال"²⁵، إضافة إلى أن التنظيمات بصفة عامة تجد في شبكة الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي مساحة للتواجد والحراك ، متخفية ومبتعدة عن عيون الرقابة والإدارات الحكومية ، وذلك من خلال عدة استراتيجيات منها التخفي وبث الأفكار من خلال أسماء مستعارة ووهمية عبر شبكات التواصل الاجتماعية.

ويعتبر موقع "تويتر" من أبرز شبكات التواصل الاجتماعي التي اعتمد عليها تنظيم "داعش" وما يزال في حربه الإلكترونية ، ولبث أفكاره وأخباره وفيدويواته ، يقول الباحث الاجتماعي "خالد الأحمد" ، ان تركيز التنظيم على هذه

والمعايير الاجتماعية وثقافة المجتمع بشكل عام (وتشمل البيئة على المستوى المحلي أو العالمي).

3- السياق context الآتي الذي يوجد فيه الشخص في وقت من الأوقات ، فهو قد يشكل دافعا للفرد لتبنى موقف أو سلوك معين ، وتدخل تحت ذلك السياق المؤثرات الاجتماعية والإعلامية وغيرها.

لذلك ، فإن التفسير المبسط الذي يعتمد على عزو أسباب تأثر الشباب بأفكار «داعش» والانضمام إليه أو التعاطف معه لعامل أو سبب واحد ، يعيق فهم الظاهرة بشكل صحيح ولا يمكن أن يؤدي إلى حلول فعالة لها ، بل إنه قد يساهم في تقاطعها وانتشارها وخروجها عن التحكم.

ويركز الباحث في محاضرة القاها على اليوتيوب **YouTube** على فكرة الطاعة المطلقة للسلطة ، من خروج آدم عليه السلام من الجنة نتيجة السلطة الإلهية التي مانعته على أرض الواقع وهي السلطة البشرية ويُعرف الباحث السلوك العنفي بأنه ممارسة السلطة للاحاق الأذى بالأشخاص نفسيا وجسديا ، أو هو "أن تعلم ما هو الأفضل وتفعل الأسوء" بتعبير ايرف سارنوف **Irv Sarnoff** ، فالسلطة البشرية يمكن أن تتبع من أشخاص يُفتدى بهم كادولف هتلر ، جوزيف ستالين ، الرئيس ماوتسي تونغ.. الخ ، كما يمكن أن تتبع من خلال منظومة بأكملها ، فالسلوك الإرهابي يمكن أن يكون جزء من جهاز الهيمنة العالمية وليس بالضرورة من قبل أشخاص بعينهم وهو الأمر الأشد خطورة.

الفضاء الافتراضي ... المقر الرئيسي للتنظيمات الإرهابية الحديثة (تنظيم داعش):

لقد استفادت التنظيمات الإرهابية في الألفية الجديدة من التقنيات والإمكانيات الوفيرة والحديثة التي تتيحها من أجل التبشير بأفكارها المتطرفة وغسل أدمغة المتلقين وإذاعة الأكاذيب التي من شأنها التأثير على معنويات الجمهور ، فإذا كان تنظيم القاعدة قد واكب نشأة القنوات الفضائية التي مكنته من توسيع دائرة تأثيره ، فإن تنظيم داعش قد استفاد بشكل قوي من الشبكة العنكبوتية ، حيث فتح المئات من المواقع وأنشأ العديد من المنابر والمنشورات والمجلات ، بعضها ذو طابع عسكري للتعريف بعملياته الميدانية ، وبعضها ذو طابع أيديولوجي لنشر آرائه المتشددة ، حيث تعتمد داعش على استراتيجية إعلامية متكاملة ، توفر لها طاقات كبيرة كما تحشد لها موارد مختلفة ويعتبر الاعلام فيها أداة قتال رئيسية في

البيانات في شكل صورة ، التي تصدرها تلك المكاتب ، وتعلن فيها تفاصيل عملية عسكرية للتنظيم وما أسفرت عنه من نتائج ، وبالنسبة الى المؤسسات الاعلامية الرسمية للتنظيم ، فلكل منها له وسم على تويتر ، وقبل أن تشتد الحرب على اصدارات تلك المؤسسات وتُحذف من موقع اليوتيوب ، كان المغردون يُروجون لها جيدا حتى قبل اصدارها وبعده ، بنشر روابطها ، وبعد حذفها يضعون روابط لمواقع بديلة تُوجد عليها هذه الاصدارات ، وهذا يتضح بمتابعة وسوم باسم مؤسسة "الفرقان" ، أو "الاعتصام".

ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد ، فقد تميز التنظيم بإنتاجه لتطبيقات مجانية على الهواتف الذكية يقوم بنشر أخبار التنظيم عبر "تويتر" ، حمل اسم "فجر البشائر" ، حيث يقوم التطبيق بنشر التغريدات تلقائيا على حسابات المشتركين في الخدمة ، وتشمل المواد المنشورة هاشتاقات ، وروابط ، وصورا ، ومقاطع فيديو ، وغيرها ، واستطاع التطبيق أن يصل إلى مستوى بث عالي جدا من التغريدات في اليوم الواحد ، كذلك نجد أن التنظيم اهتم بموقعي **Diaspora** وموقع **Vine** ، إذ أن لهما قالب التويتر نفسه ، وكذا موقع **VK** الروسي الذي يحتل الترتيب الثاني في روسيا ، ويمكن أن ترفع فيديوهات عليه لأنه لا يتم حذفها.

الاستراتيجية الإقناعية للتنظيم داعش عبر الميديا

الجديدة:

أوضحت بعض الدراسات أن معظم المنتمين لتنظيم داعش كانوا يتمتعون بحياة مستقرة ، فما الذي جعلهم يتركون الحياة الرغد ويرمون بأنفسهم في عالم ملؤه الصراع والوحشية والدموية ؟ ، يذكر الباحث "ستيفن" وهو مؤلف قصة "مكافحة السيطرة على العقل" عن الأساليب التي يستخدمها داعش للسيطرة المطلقة على بعض الشباب المسلمين في بريطانيا بالتحديد ، ويركز على أسلوب غسل الأدمغة ، وفكرة غسل الأدمغة ليست بالتقنية الحديثة وانما تم استخدامها في الخمسينيات فيم يُعرف بالتلقين الشيوعي ، والسيطرة على العقل هي التعبير الأكثر دقة فيم يخص أسلوب تنظيم داعش والذي يتم عبر اغراء جنسي ، عاطفي ، عقلي... الخ أو ما يُعرف بالاستمالات الإقناعية أو "وهم الاختيار" و "وهم السيطرة" ، ان أحد المفاهيم الأساسية للسيطرة على العقل هو القضاء على الخيارات المطروحة ، فالأفراد هنا لا يعلمون ما الذي يتورطون فيه بالشكل الكامل ، لكن يتم تزويدهم بمعلومات كافية

الشبكة يأتي " لكون الموقع يتصف بالعمومية وإمكانية التدوين المباشر وبث التغريدات باختصار للكثير من المستخدمين في وقت حدوث الحدث عبر الشبكة التي تجاوز تعداد حساباتها النشطة حول العالم الـ 270 مليون مستخدم يغردون قرابة 400 مليون تغريدة يوميا"²⁶

كما ركز التنظيم على خاصية مهمة جدا في التويتر وهي امكانية ملاحقة الأنشطة عن طريق "الهاشتاقات" وبث فكرة غير مرتبطة بهذه "الهاشتاقات" ، والهاشتاج (#) هو سلسلة من الأحرف يُشبه حرفاً أو علامة التجزئة (#) ، ويتم استخدامها كتسمية وصفية للربط بين المواضيع أو بين المجتمعات ، ويدل الهاشتاق عادةً على اختصار المفاهيم المتسلسلة لأنها تتكون من جملة قصيرة 140 حرف.⁽²⁷⁾ فالهاشتاق يقوم بالربط بين أشخاص لهم نفس الأفكار والاتجاهات والميولات كمثل على ذلك وفي إشارة إلى كل ما يتعلق بتنظيم داعش نكتب مثلا #الدولة الاسلامية.⁽²⁸⁾ ونجد مستخدمي الانترنت قد قاموا بتطوير علامات التصنيف أو ما يُطلق عليها بثقافة العنونة Tagging أي استخدام (#) ، فهذه العلامة خلفت ظاهرة جديدة تُدعى Micro- MeMe ، حيث يُكمن الفرق بين هذه الظاهرة الجديدة وأنظمة العلامات التجارية في كونها تسمح بالمشاركة بطريقة بديهية (نهج البدهة) ، في حين أنّ الأنظمة العلاماتية الأخرى تعتمد على نهج البعدي ، فالهاشتاق منتشر أكثر على موقع التويتر مقارنةً مع مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى ، فهو يُستعمل لربط الثقافات من جهة ، ولتنظيم المحتويات واسترجاعها في المستقبل من جهة أخرى.⁽²⁹⁾ وهذا ما اتبعه أنصار "داعش" في كثير من المناسبات لبث أفكارهم إلى جمهور معين حتى وان كانت اهتماماته غير تطرفية ، مثال ذلك استغلال التنظيم للتغريدات الخاصة بكأس العالم وبث أفكارهم وأخبارهم خلال انعقاد البطولة العالمية ، فنجده يكتب #كأس العالم ، وأمامها مباشرة #الدولة الاسلامية ، ليكون بذلك قد ربط تلقائيا جمهور كرة القدم بمضامين (صور- منشورات-فيديوهات) داعش ، كما ركز التنظيم على نشر وسوم باسم الولايات (#ولاية سيناء ، #ولاية الأنبار ، #ولاية دجلة... الخ) ينشر المغردون من خلالها اصدارات مكاتب الولايات الاعلامية ، والأخبار اليومية ، والتقارير المصورة ، أو نشاطات الولايات فيم يتعلق بإدارة الأماكن تحت السيطرة ، (نشاطات مراكز الحسبة ، دورات تحفيظ القرآن والتجمعات الدعوية ، معسكرات تدريب ، أعمال خدمية) ، فضلا عن نشر

والدعوة الى الانضمام الى التنظيم تحت عناوين مختلفة ، ومستهدفة أنظمة متفرقة ، مثل "رسالة الى أهل البحرين" ، "رسالة الى أهلنا في عمان" ، "رسالة الى أهل تونس..." الخ.

- مركز الحياة للاعلام: من أهم المراكز الاعلامية للدولة ، فهو يركز على تجنيد الشباب سيما من خارج محيطه الجغرافي ، ويقوم هذا المركز بنشر اصدارات مرئية بعدة لغات ، تصدرها الانجليزية ، وبعضها مترجم للعربية ، وتتنوع ما بين اصدارات مرئية والاصدارات المكتوبة "مجلة دابق"³² بلغات عدة والتي كانت لها أبعاد دعائية من خلال ما تناوله من موضوعات مختلفة تقوم على مفاهيم عدة ، فالتجنيد هدف أساسي ، يستخدم المركز اصداراته كأداة مهمة لتحقيقه ، وفقا لمفاهيم التحفيز العقائدي ، خطاب المظلومية.. الخ ، كما ركزت اصدارات هذا المركز على محفزات أخرى تتعلق بحقيقة وجود دولة اسلامية فعلا ، وأنها آمنة ، والحياة فيها أفضل بكثير ، ونجد أنه استخدم البعد الروحاني والنفسى كزاوية أخرى للعرض على صعيد آخر مناقض للعنف والقوة ، وربما مكمل له ، أخرج مركز الحياة عدة اصدارات استقطابية في محورها ، وترويجية في كليتها ، فضخ معلوماتها وأفكارها وقصصا عن تنظيمه ورجاله ، والحياة داخل الأراضي التي تحت سيطرته ، ويجب التنويه هنا أن مجلة دابق كانت محل دهشة الاعلام العالمي ، فهي تأكيد على وجوده ككيان ، وقد جاء العدد الأول للمجلة "دابق" حاملا دلالات ورسائل ، فعلى مستوى الشكل ، "جاء اصدار المجلة بلغات عدة ليحمل دلالة العالمية ، ومن حيث التصميم فقد أبرز دلالات أخرى على محاكاته للغرب ، وتسخير منجزاته التكنولوجية ، وقد جاءت الدعاية للمجلة عبر مختلف المواقع التابعة للتنظيم ، بصفتها لسان حل رسمي ، وعلى العموم فإن العدد الاول للمجلة جاء تعريفيا واستقطابيا وتعبويا وناعما ، قدم سرديات ومقولات وأهداف التنظيم ، ولم يدخل في الكثير من التفاصيل ، التي شكلت محتوى الأعداد اللاحقة ، فكان يعبر عن اعلان الدولة بشعاراتها ، ومبادئها ، وأهدافها ، وتأصيلاتها ، ومرتكزاتها الدينية ، وقد ضمت المجلة عدة تقارير تركز على العمليات العسكرية التي يخوضها التنظيم ، وهي وان كان هدفها الرئيسي اعلام القارئ بالتنظيم ، الا أنها توضح عدة أغراض"³³.

- مؤسسة أجناد للانتاج الاعلامي: اضطلعت مؤسسة أجناد بوظيفة اصدار الاصدارات الصوتية التي ترافق التنظيم خلفية صوتية وتشكل ترنيمات وأيقونات التنظيم الانشادية ، فأنتجت عشرات الأناشيد التي تتنوع موضوعاتها

لتحريك خيالهم ، فتتنظيم داعش يقسم الأفراد حسب تقديرنا الى أربعة (04) مجموعات:

- 1- المفكرون Thinkers : يتم التعامل معهم بطريقة مجردة.
- 2- الحساسون Feelers: هذا الصنف يُفضلون الشعور بحب الناس اليهم ، وأنهم جزء من المجتمع.
- 3- الدعاة Doers : يميلون أكثر الى العدالة ، انقاذ الأرواح ، حماية الأطفال.. الخ
- 4- المؤمنون Belivers: يجب مخاطبة هؤلاء بـ "القضاء والقدر".

فاذا استطاع التنظيم التحكم في هذه المجموعات الأربعة ، فهو بذلك يستطيع اعادة تشكيل الهوية الشخصية للفرد ، وهي حسب التنظيم هوية تعتمد على الطاعة المطلقة ، ابتداء بتغيير الاسم ، المعتقدات.. الخ ، وحتى المثقفون ضمن هذه المجموعات ، يُحملون على الاعتقاد بأنهم يتبعون الاله لا البشر ، وهذا ما يُبرر بُروز شخصيات مثقفة ومعروفة وانضمامهم للتنظيم ، وقد اعتمد التنظيم على الاعلام كوسيلة أساسية في ترويض هذه المجموعات ومن بين هذه المؤسسات نجد:

- مؤسسة الفرقان للانتاج الاعلامي: وهي المؤسسة الأم في منظومة الدولة الاسلامية الاعلامية ، وقد أسهمت في ترسيخ مفاهيم التنظيم وتصوراته ووجوده ، وهي المؤسسة الكبرى التي يعتمد عليها التنظيم ، تتجسد فيها كل أبعاد رسالته وأهدافه الاعلامية ، من ترغيب وترهيب وتجنيد وترويج ، وذلك من خلال اصداراتها المتنوعة ، من أهم اصدارات مؤسسة الفرقان سلسلة أفلام "صليل الصوارم"³⁰ ، الذي ضم مجموعة شهادات شخصيات مقاتلة خاصة في الجزء الرابع الذي كان ممهدا لظهور الخلافة ، ومؤسسة الفرقان تسهم في التسويق للتنظيم عبر تصدير صورة بطولية لقادته وجنوده ، واستعراض قوته وامكانياته وترسيخ فوقيته ، وفي نفس الوقت لها دور رئيسي في ترهيب الأعداء وهي آلية من آليات الاقتاع الموظفة من قبل هذا التنظيم.

- مؤسسة الاعتصام للانتاج الاعلامي: وهي المؤسسة الثانية بعد "الفرقان" تنتج أفلاما وثائقية ، واصدارات مرئية ، وجميعها متعددة الأهداف ، وتعد سلسلة "نوافذ على أرض الملاحم"³¹ أهم انتاجها ، بل من أكبر الاصدارات الوثائقية لمؤسسات التنظيم عموما ، ركزت هذه المؤسسة على التحريض على نظام الحكم ومؤسساته والحكام وتكفيرهم وتوعدهم ،

ويعتمد تنظيم الدولة على جملة من الأساليب

الإعلامية الإقناعية في إصداراته المختلفة، ومنها:³⁷

1. التهويل والاستعراض: أهمية الإعلام وقوة تأثيره

يدركها جيداً تنظيم الدولة، وبالتالي يجيد الاستعراض والتهويل لقادته ولعملياته، على عكس باقي الفصائل التي تتخذ من الورع والخوف من الرياء منهجاً لها في الإعلام. ونشاهد هذا بوضوح في ظهور قادة تنظيم الدولة باستعراضات هوليودية وصور تسعى للتأثير على جموع عريض يتكون من الأتباع والمتعاطفين وحتى المحايدون، إضافة إلى وصف بعضهم البعض بكل أوصاف الجهاد والعلم والقوة والرفعة. (أبو بكر البغدادي-أبو مسلم الترمكاني-محمد الانصاري-سيف الله المسلول.. الخ)

2. التأثير الطائفي: استخدام الورقة الطائفية حاضراً

بقوة في إعلام تنظيم الدولة، والسعي دائماً لإيصال فكرة رئيسية بأن التنظيم هو الممثل الوحيد للإسلام في العالم.

3. التسقيط: أحد أهم الأساليب المتبعة عند تنظيم

الدولة هو تسقيط المخالفين لهم من الجماعات السياسية أو حتى العسكرية ممن لم تنضو تحت رايتهم، وتشمل حملة التسقيط المتبعة الهيئات الشرعية التي تقتي بالضد من أعمالهم أو توجهاتهم وخاصة في سوريا والعراق. وظهر هذا بوضوح في العدد السادس من مجلة "دابق" الناطقة باللغة الإنجليزية، إذ هاجم التنظيم نوعين من المخالفين، الأول: مجموعات "جهادية" والمتمثلة بالظواهري والملا عمر وأي محمد المقدسي وأي قتادة الفلسطيني ووصفهم بأنهم أئمة الظلال والمرجئة والمبتدعة وغيرها من الصفات، الثاني: مجموعة "إعلامية" والمتمثلة بقناة الجزيرة الفضائية وبالتحديد رئيس شبكة الجزيرة السابق وضاح خنفر، والمدير الحالي لقناة الجزيرة ياسر أبو هلال، وكتب فوق رأسيهما "الإعلام الفتان" وكتبوا حديثاً "أكثر ما أخاف على أمتي المنافق البليغ".

4. إهدار دم المخالفين: يركز إعلام تنظيم الدولة على

نشر أسماء وصور ومواقع الأشخاص المعادين لهم ورصد الجوائز لقتلهم والحث على الانتقام منهم، والإصدار المرئي الخاص بالطيار الأردني معاذ الكساسبة والذي كشف أسماء الطيارين وصورهم ومواقع تواجدهم كان واضحاً في هذا.

5. إدخال الخوف والرعب على المخالفين: من

خلال فيديوات قطع الرؤوس والقتل بأبشع صوره وأشكاله، وإصدار الطيار الأردني معاذ الكساسبة كان وسيلة التنظيم لإدخال الرعب بقلوب الجميع من خلال استحداث طريقة

وأهدافها، وقد ركزت هذه الأناشيد على بعد تمجيد قتلى التنظيم، وصنع صورة بطولية لهم، وتصديرهم على أنهم نموذج يعين الاقتداء بهم، مثل نشيد "مثلما كانوا فكونوا"، "حياة الذل لا أرضيها"³⁴.

- الإذاعة: بعد سيطرة التنظيم على مدينة الموصل في العراق، أعلن رسمياً على إطلاق إذاعة "البيان"³⁵ ومع مرور الوقت اتضح أن هناك نوعين من الإرسال، أحدهما في الموصل والآخر في الرقة، وقد افتتحت الإذاعة في مبنى إذاعة الزهور التي كانت تابعة لمدينة الموصل سابقاً، بعد توقف بث الإذاعات المحلية، وبدأ استخدامها لتكون إذاعة رسمية له لمخاطبة أهالي الموصل.

من خلال متابعتنا لإعلام تنظيم الدولة نستطيع الوقوف على الاستراتيجية الإعلامية الالكترونية المتبعة من قبل الدولة الإسلامية:

أولاً: يمتلك تنظيم الدولة إستراتيجية واضحة ويسير عليها وفق هدف محدد ومعلوم ومرسوم وهو إقامة دولة "الخلافة"، ولهذا يخدم إعلامها هذا الهدف بكل وضوح، وهذا ما لا نجده في التفكير الإستراتيجي أو أحياناً حتى التنفيذ التكتيكي لباقي الفصائل المسلحة.

ثانياً: إستراتيجية «النصرة بالرعب»، فهي تسقط عدوها بالصورة قبل أن يسقط بالسلاح، فتتنظيم الدولة يسعى لتحقيق ضربة استباقية تهز معنويات ونفسية العدو، ثم الإجهاد عليه في الأرض، ويظهر هذا جلياً في معظم إصداراته المصورة، فوحشية اللقطات المختارة كقبلة الرعب في نفوس عدوه وهزيمته نفسياً قبل مواجهته. فقد سبق وان ذكرنا بأن المنهج المتبع لداعش هو منهج الرعب والخوف مبررين ذلك بالقرآن والسنة في الآية "سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب" 151 آل عمران. وبالحديث النبوي: "نصرت بالرعب على مسافة شهر"، ويقول ابن خلدون "إذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع"³⁶.

ثالثاً: استعانة تنظيم الدولة بالخبراء في المجال الإعلامي - بغض النظر عن الكيفية والآلية - له الأثر الأكبر في نجاح التفكير والتخطيط والتنفيذ الجيد ثم التسويق الجيد وبالتالي الوصول لهدفين، إلقاء الرعب في قلوب عدوها وغسل عقول المتعاطفين معه.

دعايتهم وخطاباتهم المتطرفة ، وفي هذا الإطار تتضح أهمية وقدرة هذه الوسائط في زيادة مساحة حضورهم في النقاش العام ، وما له من تداعيات ، ويتضح كذلك حجم ومستوى قدرة التنظيمات الارهابية على ادارة المعارك الالكترونية.

- ان المؤسسات الاعلامية للتنظيمات الارهابية تعتمد على شتى أساليب الاستمالات والعمليات النفسية لاستقطاب الشباب والنساء والأطفال لتوسيع نفوذهم (عقلية - عاطفية-تخويفية)

- يعتمد تنظيم الدولة الاسلامية على استراتيجية اعلامية متكاملة (ما بين الوسائل التقليدية والحديثة) لاستقطاب الأفراد ، كما يركز على الحرب النفسية انطلاقاً من فكرة أن الانسان لديه شهوة للكراهية والتدمير ، في الأوقات الطبيعية تكون تلك الرغبة خاملة ، وتظهر فقط في الأحوال غير الطبيعية ، لكن يسهل استدعاءها وتوظيفها كنفسية جماعية ، من خلال نشرهم لمشاهد العنف ، قطع الرؤوس ، تدريب الاطفال على حمل السلاح.

جديدة أكثر شدة ربما من كل الطرق السابقة ، ومع أن هناك رأي يقول إن هذا الأسلوب يعطي دافعاً لمن يحارب تنظيم الدولة أن يستبسل لأنه يعرف أن نهايته إذا سقط بيدهم فهو رأس مقطوع أو جسد معلق أو جثة محروقة.

6. الإغراق المعلوماتي: في محاولة للوصول إلى الإقناع بكثرة عدد متابعيهم ، فعند الدخول للمواقع الكبيرة والمهمة مثل الجزيرة وغيرها ، تجد أن التعليقات على الأخبار التي تناول تنظيم الدولة ممتلئ بالمدافعين عنهم ، بل إن مواقع مثل اليوتيوب وغيره تشهد سجلات كبيرة بين مؤيدين ومعارضين لتنظيم الدولة على فيديوهات تحقق مشاهدة كبيرة ، وتجد أن عدد المؤيدين غرقون هذه التعليقات بالدفاع عن تنظيم الدولة. كذلك مواقع التواصل الاجتماعي تويتر والفيسبوك وباقي الشبكات المختلفة تشهد إغراق بالنص والفيديو والصور لكل ما يدعم تنظيم الدولة ، وحتى في عملية استقطاب الأفراد فان عناصر التنظيم يسعون الى توفير المعلومات لمن يُريد الاستفسار ومعرفة المزيد عن أخبارهم ، ففي مقابلة³⁸ (سمعية-بصرية) مع ناشطة على موقع الفيسبوك والمدعوة بـ "عائشة البغدادي" والتي كنا قد طرحنا عليها مجموعة من الأسئلة المتعلقة بتنظيم داعش ، حاولت الناشطة الاجابة على الاستفسارات دون أي تردد كما دعمت اجاباتها بصور وفيديوهات من الواقع.

7. الإفتاء والرأي الديني: وهو أسلوب لا يكاد يخلو من أي إصدار من إصدارات تنظيم الدولة في الدفاع عن رأيهم أو تثبيته أو الرد على المخالفين ، مستندين على أدلة تناسب ما يعرضون من كتب التراث المختلفة.

8. التكرار في المفاهيم: يشهد التكرار الذي يهدف إلى الإقناع أحد أساليب تنظيم الدولة ، والأصل لديهم أنهم يكررون المفاهيم التي يسعون لها في كل إصداراتهم المختلفة.

9. استثمار ضعف الخصم الإعلامي: وهو أحد الأساليب غير المباشرة لدى تنظيم الدولة ، فالفراغ الإعلامي المجابه لتنظيم الدولة لازال ضعيفاً أو حتى أحياناً هزياً ويستند على مفاهيم غير مقبولة مجتمعياً كترديد مصطلح "الإرهاب" وغيره ، وهذا ينطبق على إعلام الفصائل المسلحة أو حتى الإعلام الرسمي العربي العام والخاص.

خاتمة:

- توجهت التنظيمات الارهابية بصفة عامة لاستخدام الميديا الجديدة وكل المنافذ المتاحة عبر شبكة الانترنت لنشر

الهوامش

1. - محمد أحمد القضاة: الأسلوب والأسلوبية والنص الحديث، مجلة دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، المجلد 25 ، العدد 02 ، 1998 ، ص247.
2. -Erik barnouw and others : **international Encyclopedia of communication**, new York oxford 1989, p12-71.
3. - أحمد الشايب: الأسلوب -دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، ط2 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1976 ، ص44.
4. - محمد منير حجاب: الموسوعة الاعلامية ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، المجلد1 ، ط1 ، القاهرة ، 2003 ، ص370
5. - أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الاعلام (انجليزي، فرنسي، عربي)، دار الكتاب اللبناني ، ط2 ، 1994 ، ص53.
6. - حميدة سميسم: الحرب النفسية مدخل ، دار الكتاب للطباعة ، 2000 ، بغداد ، ص116-117.
7. - عبد الحكيم أممين: الميديا الجديدة ، شبكة الجزيرة الاعلامية ، الموقع الرسمي لقناة الجزيرة ، <http://www.aljazeera.net>
8. - القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الآية 60.
9. -La rousse de poche, **Dictionnaire des noms communs des noms propre précis de grammaire**, imprimé en france par Brodard et Taupin, 1990-1992, P 750.
10. - مصطفى مصباح دبارة ، الارهاب : مفهومه واهم جرائمه في القانون الدولي الجنائي ، جامعة قار يونس ، ص 128.
11. ¹-أيسر محمد عطية ، " دور الآليات الحديثة للحد من الجرائم المستحدثة وطرق مواجهته". محاضرة أقيمت بملتقى دولي بعنوان الجرائم المستحدثة في ظل المتغيرات والتحولات الإقليمية والدولية ، عمان ، الأردن ، أيام 02-04 /09/ 2014 ، ص09.
12. ¹أيهاب شوقي ، الإرهاب الالكتروني و جرائمه ، من الموقع: <http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=121062> (د.ت.ن) تم تصفحه يوم يوم 28-01-2017.على الساعة 18.30.
13. - سامر أبو رمان: داعش (تنظيم الدولة) في عيون الشعوب ، مركز بيان للبحوث والدراسات ، الرياض ، السعودية ، ص10-11.
14. - خالد بن صالح الشمري: فكر تنظيم الدولة " داعش" ، مقال عن موقع <http://www.assakina.com/book/86921.html#ixzz4jGB0MYwS>
15. - ماذا تعرف عن الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ، ص2. وانظر: تنظيم دولة العراق والشام ، نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها ، إعداد: الشبكة السورية لحقوق الإنسان ، ص2. مجموعة باحثين ، تنظيم الدولة الإسلامية ، النشأة ، التأثير ، المستقبل ، مركز الجزيرة للدراسات ، 2014م ، ص32-33.
16. - صيغة البيعة لأمير المؤمنين أبي بكر البغدادي ، عن موقع <https://justpaste.it/ikgn> ، تم النشر يوم 23-12- ، 2014، تاريخ وساعة الولوج: 25-01-2015 ، الساعة 01:05 مساء.
17. - Brian michal Jenkins: **The Psychological implications of media — covered terrorism**, the rand corporation, santa Monica, California, june 1981, p01.
18. - Robert Louis Stevenson: **The strange case of DR Jekell and MR Hyde**, published by planet EBook, united state license, 1886, p12.
19. - Andrew silke: **research on Terrorism, Trends, Achievements and Failures**, library of congress cataloging in publication data, 2004, p 01.
20. - .20 Olivier L. Georgeon Jonathan H. Morga: **Process Modeling for the Study of Non-State Political Violence**, he College of Information Sciences and Technology The Pennsylvania State University, University Park, p02-05.
21. - عبد الرحمان الوابلي: صناعة الانتحاري في ستة أشهر ، مقال منشور بصحيفة عاجل الالكترونية ، 03 جانفي 2016 ، تم الولوج يوم 10-13-2017.
22. -Feature Film - The Stanford Prison Experiment (Documentary), YouTube, AnotherBoringWeek channel, watched on 10-23-2017.
23. - علي بن صديق الحكمي: طرائق داعش في اقناع الشباب الوديع بأفكاره الوحشية ، مركز دراسات ، مقال منشور على الانترنت ، يوم 09-07-2016 ، تم الولوج يوم 10-23-2017 ، h07:58 ، www.katehon.com
24. - لتحميل لعبة صليل الصوارم بإمكانك الاطلاع على الرابط التالي: http://ta2nea.blogspot.com/2014/09/blog-post_21.html .
25. -زهراء حيدر: الجهاد الالكتروني ، وكالة نيوز ، http://www.wakalanews.info/2014/12/blog-post_46.html?m=0 ، تم الاطلاع يوم 11-23-2017 . ، على الساعة 03.00 مساء.
26. -زهراء حيدر: مرجع سابق.
27. - Meaning as Collective use, **Predicting Sementic Hashtag Categories on Twitter**, P 02.
28. - H. Kwak, C. Lee, H. Park and S. Moon: **What is Twitter?, a social network or a new media?**, In proceeding of the 19th International Conference on World Wide Webb, Pages 591-600, 2010.
29. - Meaning as Collective use, **Predicting Sementic Hashtag Categories on Twitter**, P 01.
30. - سلسلة صليل الصوارم بأجزائها الثلاثة متاحة عبر الرابط التالي: https://archive.org/details/abohafsaalkaisy_gmail_HD4 .
31. - سلسلة "نوافذ على أرض الملاحم" الأجزاء من 1 الى 50 على الرابط التالي: <https://justpaste.it/nawafid1-50>
32. - مجلة "دابق" جميع أعداد المجلة على الرابط التالي: <http://jihadology.net/category/al-%E1%B8%A5ayat-media-center>

33. - نجلاء مكاوي ، محمد محمود السيد ، هيثم سمير: تنظيم الدولة دراسة تحليلية في بيئة الخطاب ، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات ، الطبعة 2 ، تركيا ، اسطنبول ، 2017 ، ص 81-83.
34. - كل اناشيد مؤسسة أجناد للانتاج الاعلامي على الرابط التالي: https://archive.org/details/hadmaswar_tutanota_20151128
35. - كل اصدارات اذاعة البيان على الرابط التالي: https://archive.org/details/ilovekishk_yahoo
36. - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، (ب.د.ن) الفصل 21 ، ص 61
37. - صهيب الفلاحي: اعلام تنظيم داعش —لماذا تنجح داعش؟ ، 25 فيفري 2015 ، <http://www.noonpost.org/content/5609> تم الاطلاع يوم 11-23-2017 ، (بتصرف).
38. - من مقابلة الكترونية سمعية بصرية مع عائشة البغدادية ، المقيمة بسوريا ، يوم 25 نوفمبر 2015 من الساعة 10:05 مساء الى غاية 11:15 مساء ، عبر تطبيق skype.

Contribution à l'amélioration des pratiques scolaires d'écriture. Cas des élèves de 3^{ème} A S

« Je pense en fait avec ma plume car ma tête bien souvent ne sait rien de ce que, ma main écrit » Wittgenstein

A Contribution To The Improvement Of School Writing Practices. Case Of 3^{AS} Students "I Actually Think With My Pen Because My Head Often Does Not Know Anything About It. My Hand Writes"
Wittgenstein

Date de réception : 2018-02-08

Date d'acceptation 2018-06-05

Naima Dembri, ENS-CONSTANTINE

nada-97@hotmail.fr

المخلص

أن البحث النظري حول كيفية تعلم الكتابة يبين مدى أهمية تطوير المهارات الفردية بدلا من تكثيف المعلومات النظرية ، والك عبر تنويع تقنيات العمل الخاصة التي تؤدي الي ذلك. أن تفعيل إعادة الكتابة بطريقة واعية في عملية تعلم الكتابة يغير النظرة التقليدية للكتابة ، أو يكشف حقيقة الكتابة على أنها عمل متواصل ، حيث تسمح العملية الكتابية بالانتقال من نص إلى آخر يكون أحسن منه. ومن جهة أخرى إن أخذ النص في حالاته المختلفة في الحوار البيداغوجي بعين الاعتبار ، يصبح أداة قيمة في عملية كشف وتجاوز صعوبات الكتابة لدى المتعلم.

الكلمات المفتاحية: التعبير الكتابي ، المراجعة ، الكتابة ، تعلم الكتابة ، المسودة ، تطبيقات مدرسية.

Résumé

La réflexion théorique sur l'apprentissage de l'écrit montre l'importance qu'il y a à développer des aptitudes plutôt que des contenus et de différencier les techniques de travail propres à faire acquérir ces aptitudes. La mobilisation de la réécriture de manière réfléchie dans l'apprentissage de l'écrit modifie la représentation classique d'une création ex nihilo et d'un aboutissement intangible. Elle révèle le secret d'un véritable labeur dans lequel tout texte est une transformation d'un autre texte. La prise en compte des différents états du texte dans le dialogue pédagogique devient un auxiliaire précieux pour faire le point sur les difficultés scripturales de l'apprenant.

Mots clés : Production écrite- Réécriture-Révision-Apprentissage -Pratique scolaire -Brouillon.

Abstract

The theoretical reflection on the learning of writing shows the importance of developing skills rather than contents and differentiating the appropriate working techniques to acquire these skills. The mobilization of rewriting in a reflective way in the learning of writing modifies the classical representation of an ex nihilo creation and of an intangible outcome and reveals the secret of a real labor in which all text is a transformation of another text. Taking into account the different states of the text in the pedagogical dialogue is a valuable aid to make the point on the learner's scriptural difficulties.

Key-words: Written production-Rewriting-Revision-Learning-Scholar practice-Draf

INTRODUCTION

Les recherches en didactique de l'écrit s'intéressent de plus en plus au processus d'élaboration et de production tout au long des phases constituant le circuit de l'écriture. Ce n'est plus seulement le résultat final qui est analysé mais bien tout le travail mental accompli par le scripteur.

Le modèle linéaire de la rédaction, présentant l'écriture comme moyen d'évaluer les compétences et les savoirs précédemment acquis en matière de compréhension, de grammaire, de lexique et de conjugaison, n'est plus convaincant. Il se caractérise par une certitude qui jusqu'à présent n'est pas interrogée : la recherche des idées est primordiale avant que l'écrit puisse en découler de façon miraculeuse. On oublie que c'est l'écriture qui met la pensée en mouvement et que c'est en écrivant et réécrivant que l'on produit un texte.

Présenter l'écriture comme un acte magique a été longtemps renforcé par le centrage sur des textes achevés qui occultent le travail de réécriture. Pourtant les témoignages des écrivains concernant leurs pratiques démystifient la production scripturale : les ratures, les ajouts décorant leurs brouillons, l'attention accordée à la relecture et à la révision révèlent que l'écriture n'est pas un don inné.

Ces gestes de réécriture ne sont pas ou peu utilisés en classe par les apprenants qui ignorent la fonction de la réécriture et qui, en même temps, ont de réelles difficultés à améliorer leurs productions. Sollicités sur l'écriture scolaire, nombre d'entre eux affirment leur hésitation face à l'écrit et attribuent de façon assez systématique leur échec à des facteurs tels que l'absence de don pour écrire, ou la difficulté à traiter le sujet.

Notre article se propose de se baser sur des résultats recueillis dans le cadre d'une recherche de terrain, pour les analyser du point de vue de leur contribution possible à l'amélioration de l'écriture scolaire. Pour cela nous présenterons le cadre théorique et l'hypothèse qui ont présidé au test d'évaluation des productions écrites des élèves ; le

recueil des données à examiner et le dispositif ; et les résultats obtenus.

Notre expérience consistait à vérifier l'hypothèse selon laquelle la réécriture est un outil efficace de production écrite, un moyen d'investir, de gérer et de contrôler son texte. Cette hypothèse a été mise à l'épreuve par l'analyse des productions écrites des élèves (versions successives) à partir d'une grille d'analyse (celle d'Odile et Veslin) proposant les critères qui régissent le fonctionnement d'un texte argumentatif. Cette grille a été reprise progressivement par les élèves dans des situations d'observation-analyse d'écrits, afin de les aider à s'approprier les critères d'évaluation.

1. Cadre théorique

Les années 80 ont donné naissance à des modèles et des travaux de recherches qui ont permis de mieux comprendre les multiples facettes de l'apprentissage de l'écrit, notamment ceux qui visent à montrer que les savoirs sur un texte peuvent être transposés dans une pratique didactique de l'écriture à partir d'un véritable travail de réécriture. Nous pouvons répertorier trois ancrages théoriques.

1.1. Le modèle psycho-cognitivist

Ce modèle s'inspire de l'approche cognitive (1980) et envisage la production écrite comme une activité à la fois analysable en composantes et envisageable comme tout. Il fait du sujet écrivain son centre d'intérêt en prenant en considération ses connaissances, ses habiletés et les limites qu'impose à sa performance le traitement simultané des nombreuses contraintes pesant sur l'activité de production écrite. Il aborde les processus rédactionnels en ayant comme objectif l'amélioration de la production écrite et constitue une référence importante pour l'investigation des pratiques didactiques dans le but de mieux comprendre la nature et les exigences de la tâche d'écriture qui s'effectue selon plusieurs opérations complexes (la planification, la mise en texte, la révision), avec des va-et-vient entre les différents éléments des processus mentaux pour évaluer,

repenser l'organisation de son texte et réviser la forme et le contenu.

La révision, tout particulièrement, se caractérise par une sorte d'aller-retour permanent entre les différents niveaux et les différents processus, dans le but de relire et réviser son écrit (1^{er} jet). Ce mécanisme de relecture /révision du texte est très important. Même s'il n'a pas été au centre des préoccupations de leurs premiers travaux, les auteurs de ce modèle Hayes et Flower (1980) ont très vite compris son intérêt. Ils parlent de réexamen du texte en termes de lire et corriger. Puis ils ont ajouté à leur modèle, en 1981, la notion d'«Evaluation / Révision », termes qui sous-entendent « *une intentionnalité dans l'activité de relecture, un positionnement différent du scripteur le portant à se distancier de sa tâche pour pouvoir se questionner sur elle* ». ⁽¹⁾

La révision se subdivise en deux sous-opérations :

-La Lecture critique : le scripteur procède à une lecture attentive qui vise à détecter les violations concernant le code écrit (fautes d'orthographe ou constructions syntaxiques défailtantes.), les effets d'incompréhension possibles (contradictions, impropriétés, incorrections...) pour évaluer le texte en fonction du but à atteindre.

-La mise au point permet d'élaborer la version définitive en traitant les erreurs syntaxiques et lexicales ou en réécrivant une partie du texte afin de rétablir tous les éléments d'information nécessaires à la compréhension d'un texte. Cela signifie que l'aboutissement à cette version définitive passe par des phases de relecture, de correction et de réécriture en tenant compte de la forme et du contenu du texte. « *La révision peut intervenir à des moments différents du processus rédactionnel (avant ou après qu'une phrase ait été programmée ou exécutée). Elle peut avoir comme conséquence l'interruption du processus de formulation parce que le scripteur peut à ce niveau s'autoréguler avant même de coucher sa phrase sur le papier : il l'évalue, hésite à l'écrire, la reformule. etc...* » ⁽²⁾

Hayes & Flower (1980) considèrent que les rédacteurs « *doivent gérer trois contraintes principales interférant les unes sur les autres : les connaissances dont ils disposent et qui ne sont pas accessibles sous une forme directement utilisable ; les règles et conventions de la production écrite ; et enfin les problèmes d'ordre rhétorique.* » ⁽³⁾ En revanche, la difficulté pour le jeune apprenant scripteur est de ne pas savoir par où commencer, quelle idée mettre et comment l'exprimer, comment enchaîner, conclure, tout en gardant l'attention disponible pour l'orthographe, la graphie et la ponctuation. « *Il doit repérer les erreurs langagières, détecter les incompréhensions, le manque de clarté, les problèmes grammaticaux, évaluer l'adéquation du texte aux buts poursuivis, Il se trouve ainsi en état de surcharge cognitive* » ⁽⁴⁾

Alors, comment aider le jeune apprenant à gérer ces opérations d'écriture/réécriture ?

Là encore, l'acquisition de la production écrite et sa maîtrise reposeraient beaucoup plus sur une « *meilleure gestion des ressources de la mémoire.* » ⁽⁵⁾ Ces ressources cognitives représentent « *l'énergie mentale mobilisable par un individu dans l'accomplissement d'une tâche donnée mais elles sont limitées parce que, compte tenu de sa capacité réduite, la mémoire est incapable de les maintenir et de les manipuler en même temps si elles venaient à être trop nombreuses, trop compliquées.* » ⁽⁶⁾ Par conséquent, pour diminuer son impact sur tout le système, Hayes & Flower proposent de ne pas traiter simultanément toutes les dimensions impliquées dans la rédaction afin de réduire la surcharge cognitive, ce qui peut entraîner des améliorations significatives. ⁽⁷⁾

Par ailleurs, la mise en place des « *facilitations procédurales* » pourrait aussi alléger la tâche aux élèves tout en leur laissant le soin de l'affronter dans son intégralité. ⁽⁸⁾ Cela devient possible grâce à des situations d'écriture variées, des exercices d'entraînement et l'élaboration de critères d'évaluation qui permettent d'activer et de mobiliser tel ou tel sous processus rédactionnel, tout en déchargeant les élèves des autres tâches afin de favoriser l'autocontrôle de l'activité scripturale.

La relecture / évaluation, «*qui sous-entend le diagnostic, la sélection d'une stratégie de correction, modification ou non, est une injonction très importante et opératoire dans le processus révisionnel, mais peut aussi être inefficace parce qu'on ne peut se relire sur tout en même temps.*»⁽⁵⁾ Alors, pour la rendre plus efficace, on apprend aux élèves à se relire successivement sur différents aspects : organisation globale, structurelle ou sémantique, organisation interphrastique, construction de telle zone textuelle, gestion de tel problème...etc.⁽⁹⁾

Enfin, les «*feed-back*» apportés par un interlocuteur dans le cadre d'une révision de texte peut aider l'apprenant à apprécier la clarté de sa production écrite.⁽¹⁰⁾ En effet, si un pair aide un scripteur novice par le biais de questions et de commentaires, le dialogue qui en découle permet au rédacteur d'avoir une attitude différente par rapport à son texte et sa production écrite peut s'en trouver améliorée.

On comprend donc que la référence au modèle des processus rédactionnels aide à organiser l'intervention didactique et peut être, pour l'enseignant, une aide à la programmation d'activités d'apprentissage des processus rédactionnels. En effet, il permet un déplacement de l'attention de l'analyse du produit fini à la prise en compte du processus rédactionnel ; ce qui donne à réfléchir sur le processus d'élaboration (ébauche, brouillon, écrit intermédiaire, réécriture) et, par conséquent, à s'interroger sur les pratiques d'enseignement de la production écrite. Quelle image l'enseignant se fait-il de la planification et surtout de la révision ? Quelles instructions donne-t-il aux apprenants pour leur permettre de réviser et d'améliorer leur production écrite ?

1.2. Le modèle littéraire

Le modèle littéraire (J. Ricardou et Claudette Oriol-Boyer, 1984) a, lui aussi, contribué à renouveler l'enseignement/apprentissage de l'écriture. Ses pratiques rénovatrices ont rompu avec les démarches traditionnelles connues, par l'intégration de la notion de «*réécriture*». L'activité

scripturale n'est plus conçue comme le résultat miracle d'un premier jet mais comme un processus d'élaboration nécessitant de continues modifications et un retravail en plusieurs étapes. Autrement dit, l'écriture est le produit d'une réécriture, d'un travail de transformation appliqué à un matériau : le mot qui enfante le sens, la phrase, la langue.

CL. Oriol-Boyer propose une démarche visant à faciliter la tâche scripturale aux élèves en les faisant travailler sur les mots et le sens : choisir par exemple un mot puis rechercher les termes qui peuvent lui être associés en vertu de liens sémantiques, puis écrire un texte en puisant dans ce matériau pour ainsi entrer dans l'écrit. Et, pour favoriser le travail du texte, l'apprenti scripteur est alors initié aux gestes de la réécriture : substitution, adjonction, soustraction, inversion, déplacement de la coupure.

L'initiation des élèves à la réécriture se fait de façon progressive grâce à la précision des consignes dans le but d'alléger la charge de travail et de favoriser l'apprentissage.⁽¹¹⁾ Apprendre aux élèves à se relire successivement, sur différents aspects du texte les amène à porter un regard critique sur leurs écrits à travers des outils structurés, comme des grilles d'auto-évaluation pour s'interroger sur leur savoir et leur savoir-faire.

Par ailleurs, l'interaction lecture /écriture est une aide à la réécriture à condition que le choix des textes lus soit plus pertinent, qu'il prépare les apprenants à lire, à repérer des procédés d'écriture afin de les réinvestir dans l'écrit et que la lecture repose sur une reconstruction de la signification du texte, une recréation du texte. Autrement dit, «*la véritable lecture est celle qui vise une analyse technique des textes pour dégager des indices, des règles transférables dans la pratique scripturale.*»⁽¹²⁾ C'est la connaissance intérieure des textes qui permet de transformer les jeunes lecteurs récepteurs, en lecteurs producteurs de sens.

1.3. Le modèle génétique

Le modèle de la critique génétique a lui aussi ouvert la voie à des pratiques prometteuses,

démythifiant l'image de l'écrivain inspiré et promeut, en exposant dans les classes des brouillons d'écrivains qui révèlent la vérité de l'écriture comme travail sur la langue. Il faut préciser que l'intérêt de la réécriture provient surtout de l'intérêt du modèle génétique (Gresillon, 1988 ; C. Fabre, 2002) pour les ratures considérées comme des indices d'opération et de compétence analysées en termes de substitution orientée : ajout, suppression, remplacement, permutation.⁽¹³⁾ Autrement dit, la réécriture et le brouillon offrent à la didactique un champ qui fournit aux professeurs et aux élèves des situations d'écriture réelles que le texte fini laisse souvent à l'état d'hypothèse. En effet, « l'introduction des brouillons d'écrivains dans une classe dévoile le parcours du scripteur et révèle le mode d'écriture et la logique de la réécriture et devient un auxiliaire précieux pour faire le point sur les difficultés d'un élève à un moment donné. »⁽¹⁴⁾ Cela permet aux professeurs et aux élèves de considérer d'une part, les ratures non pas comme des erreurs mais comme des témoignages d'activité, et de réflexion métalinguistiques, et, d'autre part, de prendre conscience du développement temporel et spatial des processus de production d'un texte.

Question de terminologie

Afin d'éviter la confusion, nous précisons que la réécriture est un travail au niveau du texte et non simplement de la phrase. « Elle convoque des savoir-faire et des connaissances procédurales plutôt que déclaratives. Elle nécessite d'explicitier et de se mettre d'accord avec l'élève sur les critères et de préciser la consigne de réécriture dans le but d'améliorer un texte. » (D. Bessonnat, 2000 : 7). Alors que la correction opère au niveau de la phrase. Elle nécessite de « confronter le texte à une norme et rétablir une version conforme à ladite norme. Elle fait appel à des connaissances déclaratives, à des règles pour juger de l'adéquation à la norme du segment de texte en cause » (Ibidem).

Les mécanismes de la réécriture

Pour comprendre les mécanismes de la réécriture, il faut savoir pratiquer les opérations de

base que C. Fabre a dégagées pour analyser les copies des élèves :

-**Le remplacement** est une opération qui consiste à substituer un élément par un autre en supprimant le premier, pour en ajouter un autre qui serait équivalent. Il est considéré comme l'opération la plus usitée par les scripteurs débutants ou adultes non professionnels. « Il existe même chez beaucoup d'écrivains qui, dans le premier jet, emploient des termes assez généraux qu'ils remplacent par des termes plus précis lors de la réécriture » (C. Fabre-Cols, 2002 :108).

-**L'ajout** opération rare, considérée comme un indice d'amélioration et dévoile en même temps, le caractère créateur du scripteur (Ibidem).

-**La suppression** est généralement marquée par une biffure annulant un ou plusieurs mots de la phrase, sans les remplacer par d'autres. « Pour s'effectuer au bon moment et à bon escient, cette procédure exige une attitude distanciée vis-à-vis de l'écriture » (Ibid).

-**Le déplacement** est l'opération la plus complexe, difficile à gérer car elle exige un travail sur l'axe paradigmatique et un traitement spécifique de la chaîne syntagmatique (Ibid).

Il faut reconnaître que ces procédures présentent des facilitations mais aussi des exigences car elles entraînent le professeur comme l'élève, à affronter la complexité langagière à travers la pratique de la réécriture.

Objectifs visés

Nous assignons à la réécriture un triple objectif :

-Faire comprendre aux élèves l'importance capitale de la réécriture dans la production écrite.

-Rendre les élèves capables, par la même occasion, de profiter de la réécriture comme outil et du brouillon comme espace libre pour penser en écrivant.

-Permettre aux apprenants de s'approprier les fonctionnements de l'écrit.

2. La démarche

Partant du principe que « l'écriture, ça s'apprend », que pratiquer l'écrit c'est apprendre à « faire long » (Jean-François Halté, 1981), et qu'un texte doit être repris plusieurs fois avant de pouvoir être considéré comme définitif, la réécriture restera l'outil d'intervention indispensable dans tout processus d'enseignement/apprentissage de l'écriture.⁽²¹⁾

Nous avons entamé les séances d'écriture avec les élèves suivant une démarche expérimentée, inspirée des recherches théoriques menées dans le domaine de la psychocognitive et de la psycholinguistique, et qui est basée sur les points suivants :

- Une réflexion sérieuse sur les représentations que les élèves ont de l'écriture et sur les processus rédactionnels, et cela par le biais d'une pratique d'activités variées qui consistent à faire observer et analyser par les élèves des brouillons d'écrivains, les entraîner à planifier, à réécrire des passages afin de manier les procédés de réécriture et favoriser par là, une démarche d'écriture qui assure un meilleur contrôle de leur production.

- Expliciter la fonction de la réécriture pour surmonter aussi bien l'ennui que les représentations initiales des jeunes scripteurs et leur permettre de saisir le pourquoi et le comment de la tâche à travers un apprentissage raisonné de l'écriture /réécriture.

- Montrer que cette activité exige du temps, de la patience et des efforts et que pour progresser en production écrite, ils seront amenés à se relire d'un œil critique et réécrire leur texte plusieurs fois en pratiquant des opérations simples : ajouter, supprimer, remplacer, déplacer.

- Fixer à chaque activité écrite des objectifs spécifiques et cela dans le cadre d'une progression des acquisitions qui tienne compte des capacités des élèves afin de leur éviter la surcharge cognitive.

- Donner un sens à l'activité d'écriture des élèves, c'est mettre en valeur leur premier jet. Cette attitude crée une certaine motivation et suscite en

eux le désir de poursuivre l'écriture même chez ceux qui ont des difficultés.

- Faciliter le travail des élèves par des consignes précises, en leur expliquant ce que l'on attend de leur production (décrire une personne, rédiger deux arguments pour défendre une opinion, illustrer les arguments à l'aide d'exemples, respecter les temps..., etc.).

- L'évaluation ne doit pas porter sur le respect des normes orthographiques et syntaxiques car le professeur doit tout d'abord accepter l'écrit de l'élève tel qu'il est, il doit jouer le rôle du lecteur et non de l'évaluateur pour que l'élève accepte de revenir sur son écrit, de le considérer comme un premier jet.

- Contribuer à rendre les élèves plus conscients de la tâche d'écriture qu'ils réalisent et de la manière dont ils procèdent à travers des exercices multiples, des fiches d'explicitation pour dire, par exemple, comment ils ont procédé pour réaliser la tâche.

2.1. Présentation du public

Notre corpus a été recueilli au lycée mixte « Nouiwa Fatima » à Constantine. Nous avons travaillé avec une classe (de 3^{ème}AS Langues Etrangères), constituée de 15 élèves (9 filles et 6 garçons). Agés de 18 à 20 ans, ces élèves ont fait un parcours scolaire identique, de formation arabisée (toutes les disciplines sont enseignées en langue arabe), et issus de familles peu nombreuses de parents instruits, avec un environnement social plus ou moins pénétré par la langue française.

Cette classe offrait un panel assez diversifié en ce qui concerne les capacités. Nous avons pu dégager une tête de classe de cinq apprenants de niveau moyen qui faisaient parfois des erreurs d'inattention et d'autres fois des erreurs au niveau de la cohérence. Les dix autres se trouvaient en très grande difficulté, ne savaient pas construire des phrases correctes et juxtaposaient des termes sans lien entre eux.

2.2. *Déroulement du recueil de données*

Nous avons décidé de travailler sur la production d'un texte argumentatif. Ce type de projet s'effectue, selon la progression du programme, durant le 2^{ème} trimestre de l'année scolaire. Notre but était de mettre les élèves dans une situation active d'écriture afin de donner une réelle dimension à ce qu'ils allaient écrire.

Après avoir analysé différents textes argumentatifs pour apporter aux élèves le savoir déclaratif sur les caractéristiques du texte argumentatif, et avoir mené plusieurs activités afin de les préparer à la production d'un texte, nous leur avons demandé de produire un premier jet (une première version) que nous avons corrigé et rendu aux élèves pour qu'ils réécrivent une deuxième version que nous avons récupérée à la fin de la séance.

Nous avons opéré une lecture analytique des copies et noté les remarques afin de suivre la progression dans l'écriture des élèves. Pour ce faire, nous nous sommes basée sur les critères d'évaluation du texte argumentatif. Ensuite, nous avons redistribué les copies pour permettre aux jeunes scripteurs d'apporter les modifications nécessaires et d'alimenter la troisième version par une deuxième réécriture. Comme le temps accordé à la phase de production écrite est très insuffisant (1h à 2h pour chaque séquence), nous avons décidé de programmer des séances supplémentaires pour pouvoir accomplir les activités que nous avons prévues, au total sept séances alternant préparation à l'écrit et production écrite. Il faut noter qu'avec les séances supplémentaires, le nombre d'élèves avec qui nous avons commencé notre travail a diminué, c'est pourquoi nous n'avons pu retenir que les copies de dix élèves (deux garçons et huit filles), les seuls ayant effectivement participé à toutes les séances de production écrite. En vérité, cela nous a permis de travailler avec chaque élève à part, ce qui a donné vie à l'acte d'écriture, a permis d'instaurer une communication authentique dans un climat d'attention passionnée et a favorisé la

manifestation d'une certaine motivation et d'un certain désir de réussite.

3. *LA METHODOLOGIE*

Avant d'entamer le test de production écrite nous avons prévu des activités diverses que nous avons appelées « activité éveil » (Echazier & Leguyer, 1980) permettant l'apprentissage de la construction logique du discours argumenté, à savoir : les caractéristiques du modèle textuel relatif à l'argumentation, les connecteurs et marqueurs d'enchaînement (cause, conséquence, opposition..) qui seront réinvesties par les élèves lorsqu'ils se trouveront seuls face à une tâche d'écriture.

Ces activités avaient un double objectif :

- Préparer les élèves à la production d'un texte argumentatif en développant les compétences nécessaires à l'apprentissage de l'écriture en général, et en particulier à celle du texte argumentatif.

- Expliciter la fonction de la réécriture afin de développer une attitude consciente et active des élèves et de surmonter aussi bien l'ennui que les représentations initiales⁽²¹⁾.

3.1. *Test de production écrite*

Première séance : Production du 1^{er} jet (première version)

Nous avons choisi un sujet parmi ceux proposés dans le manuel scolaire de 3 AS (P. 86) parce qu'on en désigne le destinataire. Comme nous l'avons vu, tous les travaux actuels mettent l'accent sur la nécessité de prendre en considération le contexte de production et de réception pour assurer surtout l'efficacité de l'argumentation.

Sujet : « Sur le modèle du texte, rédigez un texte à l'intention de vos camarades pour leur montrer qu'il est plus bénéfique de dialoguer que de faire preuve d'agressivité. »

Consigne n° 1 : « Imaginez que votre camarade agressif, violent, est à la source de bien des problèmes ; vous devez piquer son intérêt, car lire votre texte peut devenir question de vie ou de mort. Donnez libre cours à vos émotions, à votre

imagination et essayez de lui transmettre (votre frustration), votre opinion pour le convaincre.»

Pour voir si les élèves avaient profité de ce que nous avons proposé comme activités de préparation à l'écrit, nous avons décidé de les laisser rédiger leur premier jet comme ils l'entendaient, puis nous avons ramassé les brouillons à la fin de la séance.

Deuxième séance : Evaluation du 1er jet

Comme « *l'évaluation est un outil au service de la réécriture* »⁽¹⁶⁾ nous avons lu et annoté les brouillons des élèves pour leur indiquer les directives de travail. Mais avant de les leur remettre pour une seconde séance d'écriture qui a regroupé dix élèves, nous lisons les productions de certains élèves, choisies en fonction des erreurs, des insuffisances et aussi des réussites. Puis nous demandons leur avis sur tel ou tel aspect du texte, en essayant de focaliser leur attention sur des points précis pour les aider à prendre conscience du fonctionnement et des dysfonctionnements du texte

de leur camarade et leur permettre en même temps, de s'appropriier les critères d'évaluation.

Au fil de la discussion se détachent de façon progressive, des remarques pertinentes qui permettent une évaluation de la production écrite. Alors nous les notons au tableau puis, nous distribuons aux élèves une copie récapitulative que nous avons déjà préparée, et qui contient une liste de critères d'évaluation de spécialistes. Nous signalons que les élèves n'inventent pas les critères, ils retrouvent ceux qu'ils connaissent déjà, ceux qui ont été déjà mis en évidence par l'enseignant dans d'autres textes et qui sont en relation avec le travail d'Odile et Veslin.

L'objectif de l'élaboration de ces critères était de :

- permettre aux élèves de repérer les problèmes qu'ils devaient résoudre.
- les placer d'emblée dans une perspective d'appropriation des caractéristiques de l'écrit.

Le tableau suivant présente les critères d'évaluation du texte argumentatif.

Ce qu'il faut faire	C'est réussi si
1-Cerner le sujet Repérer le problème posé	A-Pas d'erreur sur le sens général B-S'il y a plusieurs points à traiter, ils le sont tous
2- déterminer son avis, sa position. De quoi veut-on convaincre le lecteur	A-suis-je pour ou contre, Il faut prendre position. B- l'opinion peut être nuancée
3-Rechercher, apporter des idées, des arguments	A - il en faut plusieurs. B - les arguments sont logiques C - les arguments sont clairement expliqués
4- Illustrer les arguments par des exemples	A -un exemple au moins par argument B -exemple clairement situé dans l'expérience personnelle, l'actualité, le cinéma, la littérature
5-Construire son développement	A -construction visible matériellement B - pas de sous-titre, pas de numéros
6- -Introduire le développement -Ordonner le corps du développement -Choisir l'ordre des arguments dans une même partie	A -l'introduction pose le problème. B -l'introduction ne répond pas C - elle annonce le plan A -un argument par paragraphe B - ordre logique défendable C -employer des pronoms, des synonymes des périphrases pour éviter les répétitions D-présence de mots de liaison assurant l'enchaînement.
7-Rédiger son développement	A - les phrases ne sont pas longues. B - pas de mots qui ne se disent pas en français. C -utilisation correcte des mots de liaison, des propositions de la ponctuation. D - les types de phrases sont assez variés. E -ce qu'on a écrit correspond à ce qu'on veut dire.

Tableau (1) Les critères d'évaluation d'un texte argumentatif (Odile & Veslin, 1992) ⁽¹⁶⁾

Nous signalons que nos annotations concernant les brouillons avaient comme objectifs d'amener les élèves à réfléchir sur leurs productions, intentions, ajustements éventuels. Pour les encourager, nous avons commencé par souligner les points positifs avant de cibler les problèmes à résoudre. Nous avons fixé des priorités pour aider les élèves à réorganiser les textes, et les réécritures qui suivront feront l'objet de nouvelles remarques. Les erreurs orthographiques ne sont pas signalées dès le début. Les versions finales feront l'objet d'un toilettage orthographique efficace, ce qui permet d'éviter l'impression de tourner en rond. Par contre les répétitions sont soulignées pour inciter l'élève à envisager une recherche de substituts grammaticaux ou lexicaux.

Troisième séance : Production du 2^{ème} jet (deuxième version)

Nous distribuons aux élèves les brouillons annotés avec la consigne suivante :

Consigne n° 2 : « En prenant en compte les annotations et les consignes d'amélioration proposées en marge de la version n° 1, réécrivez votre texte pour travailler la structure. »

Nous avons remarqué que les élèves commencent à lire directement les annotations, puis ils relisent le texte en vue de le réécrire, alors que d'autres nous demandent de leur expliquer ce qu'ils doivent faire. En fait, cette phase de « réexplication concrète, individualisée » est très importante parce qu'elle permet de lever les ambiguïtés et les incompréhensions, de sécuriser les élèves et de les familiariser avec leur propre travail. En effet, le fait d'être présent physiquement, de jouer le rôle de lecteur sympathique et non de professeur correcteur, d'aider à repérer les erreurs (le recours à des interactions de tutelle) (Bruner, 1983), inspire à l'élève la confiance en soi. C'est à partir de ce moment, que nous nous sommes rendu compte que les élèves commencent à s'investir réellement parce qu'ils se

sentent encouragés par notre présence. Certains même, ont repris une deuxième puis une troisième version, sans que nous ne le leur demandions.

Quatrième séance : Production de la troisième version

Avant d'entamer la séance de réécriture, et dans le cadre des aides textuelles à la réécriture (Crinos & Legros, 2002), nous avons distribué aux élèves des textes divers qui portaient sur le même thème de la violence. En vérité, nous ne voulions pas proposer des textes « modèle » mais des textes qui fournissent aux élèves des éléments qu'ils pourraient s'approprier et réinvestir dans leurs productions écrites (enrichir le vocabulaire, améliorer le contenu). Nous leur avons demandé de les lire et de les examiner puis nous les avons ramassés. Ensuite, nous avons distribué les brouillons des élèves que nous avons lus, soulevé des remarques concernant chaque copie mais que nous n'avions pas annotés pour voir si la séance d'évaluation précédente avait germé, si les élèves allaient vraiment faire des allers et retours entre les critères d'évaluation qu'ils avaient eux-mêmes dégagés et les critères qu'ils n'avaient pas maîtrisés dans leurs productions précédentes. Cependant, nous leur avons expliqué que nous étions très fière de ce qu'ils avaient fait comme travail et qu'ils avaient encore beaucoup de capacités à mobiliser lors de la deuxième réécriture.

CONSIGNE n°3 :

La consigne est la suivante (Réécrivez votre texte de façon à assurer la cohérence syntaxique (emploi des pronoms et articles) et sémantique (éviter les répétitions en employant des substituts lexicaux).

Il s'agirait d'inviter les élèves à réécrire leur texte pour mettre en jeu la cohérence textuelle, ce qui demande aussi une explication individuelle, surtout pour ceux qui ont des difficultés. Puis leur préciser que leur travail consiste à identifier, à chaque fois, quelles sont les constructions de phrases qui auraient pu interférer entre elles et décider quelle

solution conforme à la norme était possible dans les contextes considérés. L'objectif était de montrer l'interaction entre vocabulaire et syntaxe dans le tissage du sens de l'écrit et que la positivité reconnue des textes est très dépendante de la maîtrise des règles de cohérence qui sous-tendent leur production⁽²⁰⁾

Il faut avouer que le passage par le dialogue personnalisé a été utile pour éviter le découragement des élèves en difficulté qui ne voyaient pas d'évolution dans leurs résultats. Ce dialogue est souvent difficile car certains élèves refusent de collaborer, d'évoquer leurs problèmes, mais une fois qu'ils avaient admis que l'erreur permet la progression, que la repérer est une preuve de réflexion et de compétence, ils reprennent confiance en eux, et poursuivent la réécriture. On notera à cet égard que ce qui nous a aussi aidé, c'est le fait de dire aux élèves que le travail ne serait pas noté et que cette expérience allait leur prouver qu'ils étaient capables de rédiger des textes lisibles et cohérents.

Soulignons que nous avons choisi de ne pas faire réécrire sur le même brouillon, mais sur plusieurs feuilles de brouillon. Ainsi à la fin de l'expérience, chaque élève pouvait avoir un aperçu de son texte en devenir (du 1^{er} jet ... au résultat du travail accompli). Effectivement, avant de ramasser la version finale, nous avons montré à chaque élève ses trois versions pour lui permettre de comparer et de voir le travail accompli dans la production définitive. Le constat fait, les sourires timides montraient que les élèves étaient très fiers de ce qu'ils avaient réalisé. Il y a même un élève qui nous a révélé : « Madame, je n'ai plus peur d'écrire ! ».

3.2. Analyse quantitative des productions écrites des élèves

Un premier tri a permis de distinguer l'emploi de plusieurs opérations par les élèves. Chaque brouillon a été analysé à partir des critères formels retenus, empruntés aux recherches déjà citées, notamment celles de Claudine Fabre et ont permis de distinguer quatre types d'opérations employés par les élèves afin de réécrire leurs

textes. La répartition quantitative des opérations de réécriture est indiquée dans le tableau suivant :

Copies des élèves	Ajouts	Remplacements	Suppressions	Déplacements
Copie N°1	8	5	2	0
Copie N°2	5	2	4	0
Copie N°3	8	5	4	0
Copie N°4	6	3	4	0
Copie N°5	7	7	3	0
Copie N°6	10	5	6	0
Copie N°7	6	3	4	0
Copie N°8	7	5	5	0
Copie N°9	9	4	7	2
Copie N°10	4	2	2	0
Pourcentage	45,16 ^{o/o}	26,45 ^{o/o}	27,09 ^{o/o}	01,29 ^{o/o}

Tableau. 2 Répartition quantitative des opérations de réécriture dans les productions écrites

L'analyse quantitative des productions révèle que nos résultats correspondent globalement à ceux de Fabre (2002 : 95) dans le sens où l'ajout, modification largement implantée, est l'opération la plus fondamentale, la plus usitée par les élèves (45.16^{o/o}). Le remplacement vient en deuxième position (26.45^{o/o}). Le recours à l'ajout et au remplacement s'éclaircit à travers la comparaison des deux versions suivantes :

Dans sa version (1) l'élève écrit : « *Je suis d'accord que le dialogue est mieux que la violence* », alors que dans la version (2), il développe le sens, par ajout : « *Je suis **entièrement** d'accord **avec les gens qui disent** que le dialogue est mieux que la violence.* »

Dans la même copie V (1) intervient un autre exemple : « *Enfin, la violence est une mauvaise habitude qu'on a pris pour faire des solutions à nos problèmes* », puis dans la version (2), le scripteur emploie le remplacement pour renforcer le sens : « *Enfin la violence est une mauvaise habitude pour régler nos problèmes avec les autres car c'est une*

mauvaise solution » Version(3). Il s'efforce de justifier son propos et retravaille le sens de la phrase en remplaçant « *une mauvaise solution* » par une désignation plus significative « *acte stupide* », et en ajoutant un syntagme verbal « *qui crée la rancune et l'égoïsme* ». Cet ajout montre une évolution nette et peut être tenu pour une amélioration de l'écriture : « *Enfin, la violence est une mauvaise habitude qui ne nous aide pas à régler nos problèmes avec les autres car c'est un acte stupide qui crée la rancune et l'égoïsme* ».

Nous notons à cet égard que la répartition quantitative des suppressions est presque semblable à celle des ajouts. Elle représente (27,9°/°) de toutes les modifications et enfin le déplacement est l'opération la plus délicate, beaucoup plus complexe que les autres car elle oblige à traiter deux points distincts en même temps. Elle est faiblement usitée et ne dépasse pas 1.29°/°.

Notre corpus indique que les élèves qui réalisent un plus large champ de modifications par ajout (qui modifie le sens), sont ceux qui ont su profiter de l'usage du brouillon et de la réécriture, ce qui correspond, à notre sens, à une entrée dans l'écriture.

Les critères du texte argumentatif retenus par les élèves

A-L'annonce du sujet et la prise de position

Ce point est repérable dans la plupart des copies (8 copies) à travers l'utilisation du pronom (Je), le choix des tournures : « *je suis entièrement d'accord avec le dialogue et contre la violence..* » ou « *Je suis avec ceux qui disent que pour régler les problèmes il faut utiliser le dialogue* » ou « *pour moi l'agressivité n'est pas bonne*», et l'emploi des verbes d'opinion « *je pense que* », « *je crois que* », « *J'affirme que* », « *nous sommes persuadés que* » « *J'approuve que* » pour exprimer ce que l'on pense, montrer sa position et influencer le lecteur.

La totalité des copies n'évoque pas le destinataire du message en tant que personne, mais

en tant que partisan du dialogue ou détracteur. Cependant, les élèves prennent en compte le point de vue adverse, comme par exemple : « *...contre les gens qui sont persuadés que la violence est le seul moyen pour la discussion* » ou « *je suis d'accord que le dialogue est mieux que la violence...* » pour dire qu'il est d'accord avec les partisans du dialogue.

b-L'organisation du corps du développement

Ce critère se manifeste par la présence d'introducteurs d'arguments qui permettent de présenter l'ordre logique et cohérent des arguments. L'absence des introducteurs dans l'écrit des élèves peut nuire à la progression des idées et n'aide pas l'élève à évoluer, ce qui donne l'impression de statu quo, voir les copies (10) (4) (1). Cependant, dans six copies, nous avons observé l'emploi des introducteurs logiques (d'abord, ensuite, enfin, finalement).

c-L'emploi des outils linguistiques de l'argumentation

Donner une orientation argumentative à un texte se fait essentiellement grâce à la maîtrise d'un certain nombre d'outils : conjonctions de subordination et de coordination. Nous soulignons en gras les connexions introduites par quatre scripteurs.

L'explicitation des liens marqués se fait par l'emploi des marqueurs comme « *grâce à* » locution prépositive, « *parce que* » pour présenter une cause, « *donc* » ; « *ainsi* » pour exprimer une conséquence ou marquer une juxtaposition, « *au contraire* » pour marquer une forte contradiction et la conjonction de coordination « *car* » pour coordonner deux énoncés et apporter une justification à l'affirmation.

3.3. Analyse qualitative des productions écrites des élèves

3.3.1. Réécritures obtenues : stratégies, erreurs produites et extraits

Reste à présent, afin de dépasser les généralités qui précèdent, à observer plus qualitativement le travail de réécriture. Pour avoir un état plus détaillé, nous avons regroupé les écrits retenues en deux catégories : les écrits (7 copies) qui ont beaucoup profité de la pratique de la réécriture et de l'usage du brouillon ; et ceux (03 copies) qui en ont moins profité mais qui pourraient, avec d'autres versions possibles améliorer leurs textes.

Première catégorie

Commençons par un aperçu des opérations de réécriture telles qu'elles se manifestent.

La copie (3) avec ses différentes versions témoigne de difficultés rédactionnelles certaines mais en même temps, présente un travail qui comporte un nombre important de substitutions. Cela s'observe aussi bien dans la modification des mots que dans les retours sur la constitution des phrases. On retient de la première version, la phrase suivante : «*Nous sommes **entièrement d'accord avec** le dialogue **est** contre la violence* », mais dans la 3^{ème} version, l'expression «*d'accord avec* » et le mot «*est* » ont été supprimés et remplacés par la préposition «*pour* », et par la conjonction de coordination «*et* » (l'erreur la plus fréquente), ce qui modifie le sens de la phrase : «*Nous sommes entièrement pour le dialogue et contre la violence* » V3.

Pour traiter la cohésion et le contenu, l'apprenant emploie l'ajout, la suppression et le remplacement qui peuvent être tenus pour un indice d'amélioration de l'écriture. Dans la 1^{ère} version : «*D'abord nous pensons que pour éviter les problèmes et **les débats** entre les gens nous devons ignorer la violence **because** la violence ne provoque que la violence et **le déteste** entre les hommes*» V1. Puis, dans la 2^{ème} version, une réécriture économique mais efficace. L'élève supprime les termes qui rendent compte de l'erreur produite dans la V 1 : «*débats, le déteste* » pour les remplacer par des

termes plus précis «*acte stupide, conflits, la haine* ». Sans oublier «*because* » mot anglais, signe d'interférence linguistique, remplacé par son équivalent en français : «*D'abord nous pensons que le dialogue éloigne l'acte stupide et l'esprit débile qui mène à la violence parce que la violence ne provoque que les conflits et la haine*» V2.

Par ailleurs, dans la 3^{ème} version, il retravaille la cohésion de son texte. Il supprime la répétition pour mettre en valeur le terme «*dialogue* » par opposition au terme «*violence* » et remplace le marqueur de cause par une conjonction de coordination : «*D'abord, nous pensons qu'avec le dialogue **on peut éviter** les actes stupides **et corriger** l'esprit débile qui mène à la violence et provoque les conflits et la haine* » V3.

Toujours dans la même copie, nous remarquons que les idées s'éclaircissent et la production s'améliore de plus en plus avec la réécriture. Ceci vérifie ce que Bucheton (1995) avait expliqué dans son travail sur la fonction de l'écriture/réécriture, à la fois outil et objet de transformation. Ainsi dans la version (1) nous notons : «*Le dialogue est une sorte de civilisation parce qu'il permet de créer un changement à l'autre* », alors que dans la version finale (3), l'élève remplace «*une sorte de* » par «*acte* » pour dire que la civilisation est tout d'abord un acte à pratiquer, il supprime «*créer un changement à l'autre* » et le remplace par «*développe l'esprit humain* » ce qui révèle un développement de la pensée.

Il faut souligner que l'emploi des expressions et des mots soulignés ci-dessous (et aussi V3 Copie 9) est le résultat de l'accès libre à une multitude de textes qui a entraîné un retraitement du 1^{er} jet facilitant ainsi la réécriture : «*Il est certain que le dialogue est un acte de civilisation qui développe l'esprit humain et raisonne les patients de la différence*» V4, «*Le*

dialogue la seule langue de la tolérance et la compréhension»V.4

L'écrit (8) montre que l'élève tire aussi profit du dispositif, il commence par une constellation (version1) dans le but de trouver des points repères puis, à l'aide d'ajout, de remplacement et de suppression, arrive à créer des connexions nouvelles et à modifier le contenu.

Dans la version(1) nous relevons la phrase : *«La violence est la cause principale de plusieurs maladies, qui touchent le système nerveux* ». Avec la réécriture, il arrive à enchaîner dans la version finale avec une explication : *« On n'arrive pas à trouver des solutions à nos problèmes ce qui cause l'angoisse et donc les maladies »*V 3. Et dans la V(2), il a aussi remplacé *« l'être violent va être seul »* par *«perdra ses amis et sera boudé par les autres »* V 4.

La copie (5) présente une réécriture procédant par ajouts, suppressions et remplacements. L'élève a en effet, effectué 7 ajouts, 3 suppressions et 7 remplacements. Par exemple, au niveau de la 1^{ère} version: *« Je suis entièrement désaccord avec les gens qui sont persuadés que la violence est bon acte »* V1, ensuite il apporte des modifications dans la 2^{ème}version *« Je suis entièrement contre les gens qui sont persuadés que la violence est le seul moyen pour la discussion »* et il remplace la préposition « pour » par « de » dans la troisième version : *« Je suis entièrement contre les gens.....que la violence est le seul moyen de discussion.»*

Dans la même copie, nous notons des transformations au niveau des deuxième et troisième versions qui contribuent à une référencement plus précise. Si nous comparons les trois versions :

« La violence peut développer un autre fait, devient, l'homme devient criminel ne sorte pas de la prison » V1

« La violence est un phénomène dangereux c'est bien parce qu'elle crée des criminels, c'est bien qu'elle résulte développe l'intolérance » V2

« La violence est un phénomène dangereux parce qu'elle développe l'intolérance et la haine » V3

Nous remarquons que l'emploi du mot « criminel » dans la (V1) motive la suppression d'une phrase *« ne sorte pas du prison »* dans la V2 pour éviter la redondance. En revanche, l'emploi impropre des termes *« c'est bien »* et *« résulte »* dans la V(2) nuit au sens et affecte le contenu alors que leur suppression dans la V3 améliore la qualité de l'écriture.

La copie (9) montre que l'apprenant a largement profité de la pratique de la réécriture et cela apparaît à travers les diverses modifications relevées : 9 rajouts, 4 suppressions, 7 remplacements et même 2 déplacements. Au niveau qualitatif, c'est la capacité de l'élève (copie 9) à affronter sa difficulté en utilisant le déplacement qui est remarquable. Nous rappelons que le déplacement est une opération plus complexe que les autres modifications car elle implique non seulement un travail sur l'axe paradigmatique mais aussi un traitement spécifique de la chaîne syntagmatique avec la recherche d'un effet (Fabre-cols, 2002). Nous soulignons ce qu'il écrit dans la version 1 :

«...parce que le dialogue c'est une méthode sociale qui permet le vivre avec les autres. Mais la violence cause la haine et la haine, ce dernier »(V1.1^{er} paragraphe) ;

« En plus le dialogue cause la solidarité et bien traite avec les autres » (V1. 2^{ème} paragraphe).

Pour rendre ce contenu plus pertinent, l'apprenant opère des modifications phrastiques et discursives au niveau de la V2, en supprimant l'expression *« traiter avec les autres »* du 2^{ème}paragraphe et en l'insérant dans le 1^{er} paragraphe. L'effacement du terme *« méthode »* du début de la phrase et sa réutilisation à la fin indique la recherche d'un effet, d'un sens et révèle le travail du texte. Par ailleurs, nous notons un traitement de la cohésion au niveau de la 3^{ème}version, par le

remplacement du verbe « *traiter* » par « *vivre* » puis « *vivre* » par un autre plus précis « *communiquer* » et par l'usage de l'ajout, opération assez étendue qui approfondie le sens et assume une valeur explicative. Les exemples ci-dessous explicitent les transformations opérées :

« *Mais la violence cause la haine* » V 1 ;
 « *En plus la violence est un acte stupide qui cause la haine et les problèmes* » V 2 ; « *En plus la violence est un acte stupide qui cause la haine et les problèmes alors que la tolérance est une preuve d'amour et d'intelligence.* » V3

Deuxième catégorie

C'est cette catégorie d'élèves qui a eu le plus de difficultés et qui a le moins profité de la pratique de la réécriture. Cependant, nous avons relevé l'emploi de l'ajout dans le but de retravailler la structure textuelle. Nous rappelons que l'ajout est une opération rare et considéré par Fabre comme un indice de compétence. Dans les copies des élèves (2, 7, 10) nous notons l'ajout des introducteurs logiques (d'abord, ensuite, enfin) pour réaliser une certaine organisation dans le corps de l'argumentation.

L'écrit (7) se caractérise par l'introduction d'une habileté qui confirme les propos de Py (1975) et Edelsky (1982) sur le transfert des stratégies de la langue maternelle à la langue étrangère. Ces deux chercheurs considèrent que la langue maternelle constitue une ressource de base sur laquelle se base le scripteur novice et « *fournit des schèmes et des critères de sélection qui l'aident à interpréter la nouvelle matière linguistique.* »⁽¹⁸⁾ En effet, l'élève fait appel à ces ressources et stratégies en langue arabe pour écrire en langue étrangère. Il exprime ses idées en arabe puis essaye de les traduire en français. Aussi, il emploie le remplacement et la suppression dans le but d'améliorer son texte : « *Quand il y a une bagarre* » V1 ; « *Quand il y a un conflit* » V2

Synthèse

La description succincte des différentes versions révèle un changement remarquable qui, à notre sens, est en relation directe avec la pratique de la réécriture. En effet, les dix productions finales montrent que les élèves ont tous progressé, même celui qui prétendait ne pas avoir d'idées, ne pas savoir écrire : sa production s'est améliorée avec la réécriture et s'est enrichie par l'emploi des connecteurs qui réorganisent le texte dépourvu, et par l'emploi de termes plus significatifs, plus précis, au fur et à mesure de l'écriture/réécriture.

Cependant nous retiendrons de cette analyse qui constitue pour nous autant de pistes de recherche possibles :

1) que l'application de ces pratiques scripturales nouvelles est conditionnée par le volume horaire disponible. Dans le cas d'un enseignement /apprentissage à horaire réduit comme le nôtre, l'objectif visant la pratique d'une compétence scripturale ne saurait être atteint du fait que la possession du code écrit est conditionnée par le facteur « temps », le temps de la maturation qui permet la prise de distance avec le 1^{er} jet, et ouvre un nouvel espace à la pensée.

2) que l'objectif de la pratique de la réécriture n'est pas d'essayer d'aboutir à la production d'un texte « parfait » mais d'acquérir des compétences d'écriture transférables « *en permettant aux élèves d'en mesurer eux-mêmes les gains que ce soit sur le plan du texte ou sur celui de l'écriture* »⁽²¹⁾. Ceci devient possible à partir du moment où on ne se contente plus seulement d'énumérer un nombre de savoirs qui couvre la production d'écrits, mais de préparer des activités diverses qui créent un lien dynamique entre activités d'investissement de savoirs et activités d'appropriation de ces savoirs.⁽¹⁷⁾ Autrement dit, il s'agit d'outiller l'apprenant en apportant des savoirs liés à l'acte scriptural, à la grammaire textuelle, au genre de texte, en développant des compétences langagières à partir notamment de lecture de textes, mais aussi de

permettre une pratique active de l'écriture, d'aménager plusieurs séances où les élèves s'entraînent à écrire et réécrire pour organiser leurs idées. C'est dans l'installation d'une durée dans l'écriture que des savoir-faire peuvent être mobilisés.

3) que les objectifs assignés à une séance d'écriture doivent être limités et les consignes précises pour éviter le risque de surcharge cognitive. Aussi, le temps de l'évaluation est précieux et doit être investi pour apprendre aux élèves le contrôle de leurs productions tout en élaborant avec eux des outils d'auto-évaluation pour les sensibiliser aux problèmes de langue, de cohérence textuelle et leur permettre de faire le retour sur leur texte.

4) que l'introduction de la réécriture dans la production de l'écrit nécessite une phase de négociation avec les apprenants et qu'ils comprennent l'utilité de la réécriture comme outil qui permet d'avoir un produit fini de qualité. Et que la rature est en elle-même une progression.

5) le professeur doit être capable d'inspirer à l'élève, par un comportement sécurisant, une réelle confiance en lui apportant une aide individualisée (surtout pour les élèves en difficultés), en lui accordant le temps nécessaire pour réaliser cette tâche, et le guider par une évaluation formative permettant d'objectiver ces avantages.⁽²¹⁾

Conclusion

Notre travail avec les élèves (qui avait comme objectif la production d'un texte argumentatif à travers la pratique de la réécriture) leur a donné l'occasion de vivre une expérience longue. C'est le temps nécessaire à la maturation et la structuration des idées, par le recours à la pratique de la réécriture qui favorise la production de textes finis mieux écrits. En effet, l'expérience vécue leur a permis de modifier leur représentation de l'écrit. Ils semblent avoir pris conscience du fait que la

révision, la réécriture peuvent améliorer sensiblement la qualité de leurs textes.

Nous n'osons pas prétendre leur avoir tout appris sur la complexité de l'acte scriptural mais nous croyons qu'ils ont compris la fonction de la réécriture : à quoi sert un brouillon et comment réécrire pour améliorer la rédaction d'un texte et en même temps, la nécessité de revenir, de réfléchir sur leurs écrits. Les élèves ont appris que l'écriture n'est ni un don ni un acte spontané mais un labeur qui exige qu'on s'interroge sur son propre texte, qu'on le relise et le réécrite pour pouvoir l'améliorer et qu'on réinvestisse nos lectures dans l'amélioration de la production écrite tout en essayant de résoudre nos propres problèmes de langue.

Nous pouvons dire que le point essentiel de cette modeste expérience est d'avoir permis aux élèves de produire plusieurs versions d'un texte origine et de procéder à des modifications qui ont favorisé sa cohérence. Seulement nous reconnaissons qu'ils ont besoin d'entraînement pour développer une véritable aptitude scripturale (celle d'assurer la cohérence de leurs écrits), ce qui demande d'une part, un enseignement explicite permettant de hiérarchiser les opérations d'écriture dont le poids cognitif est différent, allant des opérations les moins coûteuses en ressources cognitives au plus gourmandes (planification et traduction) selon les caractéristiques du rédacteur (son âge, son niveau d'expertise rédactionnelle, ses connaissances culturelles et linguistiques).⁽²²⁾ Et d'autre part, l'importance des entraînements à l'écrit favorisant non seulement, l'automatisation des processus mais aussi le développement de stratégies rédactionnelles⁽²³⁾ pour contrôler efficacement ces processus d'écriture.

Bibliographie

1. Fayol, M. (1997). Des idées au texte, psychologie cognitive de la production verbale, orale et écrite. Paris, PUF, p. 134
2. Chanquoy, L & Alamargot, D. (2002). « Mémoire de travail et rédaction de textes : évolution des modèles et bilan des premiers travaux ». L'année psychologique, 2002, 102, pp.363-398
3. Fayol, M. (2002). L'apprentissage de l'écriture. Hermès science, Paris.
4. Fayol, M & Gombert, J.E. (1987). « Le retour de l'auteur sur son texte: bilan provisoire des recherches psycholinguistiques. » Repères, n°73, pp. 85-95
5. Chanquoy, L & Alamargot, D. (2002). (op.cit)
6. Foulin, J & Mouchon. (1998). Psychologie de l'éducation. Paris, PUF, p.48
7. Roussey, J. & Piolat, A. (2005) « La révision du texte : une activité de contrôle et de réflexion » Psychologie Française, 50,3, pp. 351-372
8. Garcia Debanc, C. & Fayol. (2002) « Apports et limites des modèles du processus rédactionnel pour la didactique de la production écrite. Dialogue entre psycholinguiste et didacticiens » Pratiques, n°115/116, pp. 37-50
9. Reuter, Y. (1996) Enseigner et apprendre à écrire. ESF éditeur. Paris
10. Fayol, M. (1997). (Op.cit)
11. Fayol, M. (2002). (Op.cit.)
12. Reuter, Y. (2002) « Quelques questions à propos des formalisations de l'écriture en didactique du français » Pratiques, n° 115-116, pp. 29-37
13. Reuter, Y. (1989) « L'enseignement de l'écriture. Histoire et problématique. » Pratiques, n°61, pp 68-90
14. Gresillon, A. (1988) « Les manuscrits littéraires, le texte dans tous ses états » Pratiques, n° 57, 107-118
15. Bessonnat, D. (2000). « Deux ou trois choses que je sais de la réécriture. » Pratiques, n° 105-106, pp.5-22
16. Odile & Veslin, J. (1992) « Corriger des copies, évaluer pour former ». Hachette éducation, pp 105-106
17. Duhamel, B, Leclair, A ; Neumayer, M. (1981) « Vous avez dit échec scolaire ? » in Pratiques n° 29, pp. 107-119.
18. Py, B. (1975) « A propos de quelques publications récentes sur l'analyse des erreurs », in Bulletin C.I.L.A, n°22, Neuchâtel.
19. Fabre-Cols, C. (2002) Réécrire à l'école et au collège. De l'analyse des brouillons à l'écriture accompagnée. ESF éditeur.
20. Petitjean, A. (1981) « Ecrire, décrire » in Pratiques n° 29, p. 92
21. Reuter, Y. (2000) « Table-ronde sur la réécriture. Contribution d'Yves Reuter », in Pratiques n° 105-106, pp.222-224
22. Piolat, A, Roussey, J-Y, Olive, T, Farioli, F. (1996) « Charge mentale et mobilisation des processus rédactionnels : examen de la procédure de Kellogg ». Psychologie française, 41 (4), 339-354
23. Piolat, A, Roussey, J-Y (1990) « A propos de l'expression et stratégie de révision, texte en psychologie cognitive », in Lis tes ratures, N° 10

Références bibliographiques

- 1- Anis, J. (1988) « L'écriture : théories et description », De Boeck-wesmael SA.
- 2- Barré-de Miniac, C. (2000) « Le rapport à l'écriture. Aspects théoriques et pratiques » Villeneuve, presses Universitaires du Septentrion.
- 3- Bore, C. (2000) « Le brouillon introuvable objet d'étude » in Pratiques n°105/106.
- 4- Borgognan, M. (1998) « Ecrire avec un traitement de texte », Revue de littérature. Lausanne/CVRP
- 5- Bucheton, D. (2000) « Réécrire ou penser à nouveau son texte » in, Pratiques n°105-106. 10)
- 6- Bucheton, D. (2000) « Devenir auteur de son texte : une révolution tranquille » in Le français dans tous ses états. CNDP N°43.
- 7- Charolles, M. (1986) « L'analyse des processus rédactionnels : aspects linguistiques, psycholinguistiques et didactiques » pratiques, n° 49.
- 8- Clesse, C. (1979) « Apprendre à lire en parlant » in, Du parler au lire. Interaction entre adulte et enfants. Editions ESF Laurence Lentin.
- 9- Coste, D. (1974) « Lire le sens » in Le Français dans le monde, n°109 décembre 1974
- 10- Fayol, M. (1984) « L'approche cognitive de la rédaction : une perspective nouvelle » in repères n° 63.

12- Garcia Debanc, C. (1986) Intérêts des modèles du processus rédactionnel pour une pédagogie de l'écriture ». Pratiques n°49.

13-Halte J-F. (1981) « *Pour changer l'écriture* »,Pratiques n°29. 39)

14-Hayes , J.R. (1998) « *Un nouveau cadre pour intégrer cognition et affect dans la rédaction* » in la rédaction de textes, Approche cognitive, Ss. La dir. de Piolat A & Pelissier.A. Delachaux et Niestlé, Lausanne.

ANNEXES

Copie 8 -> Version 1

je suis entièrement ~~d'accord avec~~ ^{et convaincu} ~~d'accord avec~~ ^{d'accord avec} que la discussion est mieux que la violence pour la raison suivante :

à compléter D'abord j'approuve que avec la discussion on peut arriver aux solutions de nos problèmes

à compléter je suis convaincu que avec la violence on n'arrive pas à nos solutions on s'engage au fait avec en fatiguant le système nerveux et en engageant la violence on perd sa vie son ami complications des problèmes

C'est bien vous pouvez développer vos arguments

perdre l'équilibre
C. nerveux
complications des problèmes

à compléter le dialogue on écoute l'avis de des différents on peut trouver des choses que on n'aurait pas trouvés

en outre je suis convaincu que la violence est la cause principale de plusieurs maladies qui touchent le système nerveux et car elle nous pousse à l'engoisse elle

Copie 8 Version 2

je suis entièrement d'accord avec ceux qui disent que la discussion est mieux que la violence pour la raison suivante :

D'abord je suis convaincu que la violence est la cause principale de plusieurs maladies qui touchent le système nerveux à travers car on n'arrive pas aux solutions à nos problèmes on les complique et on complication cause l'engoisse qui finit par une maladie en outre j'approuve que la violence est un acte de terrorisme en effet chaque personne violent veut imposer ses idées perdre aux autres et ça cause la perte des amis et vers l'engoisse et être violent on va être tous seul par les autres enfin je suis convaincu que la violence est incontestablement et inacceptable car c'est une preuve d'egoisme et d'intolérance

Copie ⑤ → Version 3

Je suis entièrement d'accord avec ceux qui disent que la discussion est mieux que la violence pour les raisons suivantes:

D'abord je suis convaincue que la violence est la cause principale de plusieurs maladies qui touchent le système nerveux car avec elle on arrive pas aux solutions de notre problème, on les complique, c'est en outre la violence est une et ça cause l'engourdissement qui finit par une maladie en outre la violence est une acte de terrorisme en effet chaque personne violent veut imposer ses idées aux autres et ça cause la perte des amis, et l'être violent va être tout seul en fin la violence est une preuve d'egoïsme, d'intolérance

Copie ③ → Version 1

avec que ?

remplacer →

répéter la répétition

remplacer

reformuler

reformuler

est encourageant

vous avez respecté le plan (globalement) le texte.

Bien.

vous sommes entièrement d'accord avec le dialogue et contre la violence et cela pour les raisons suivantes:

D'abord ~~pour éviter les problèmes et les débats~~ ^{pour éviter les problèmes et les débats} entre les gens nous devons ~~ignorer~~ ignorer la violence parce que la violence ne provoque que la violence, et le déteste entre les hommes. ensuite le dialogue est ~~une sorte~~ ^{une sorte} de civilisation parce qu'il ~~est~~ permet de ~~devenir~~ créer un changement positif pas à l'autre et ~~avec nous~~ ^{avec nous} nous passons nos rêves et nos opinions à toutes l'humanité. ~~enfin le dialogue~~ ^{enfin le dialogue} Puis nous estimons que le dialogue ~~est~~ ^{est} la seule langue qui du monde.

Copie ③ → Version 2

Nous sommes entièrement d'accord avec le dialogue est contre la violence et cela pour les raisons suivantes:

D'abord nous pensons que avec le dialogue on peut éviter les actes stupides et corriger l'esprit débilés qui mènent à la violence et provoquent les conflits et l'haine.

ensuite nous sommes persuadés que la paix aux mande demande le dialogue et répand la justice mondiale parce que avec le dialogue lui on sortant d'une étroite à une ouverture d'esprit pour lutter contre le profitage.

enfin il est certain que le dialogue est une sorte de civilisation parce qu'il permet de convaincre l'autre et lui passer nos rêves et nos opinions.

Le dialogue reste toujours la seule lanague de la tolérance et la compréhension

copie ③ Version 3

Nous sommes entièrement d'accord avec le dialogue et contre la violence et cela pour les raisons suivantes:

D'abord nous pensons que le dialogue évite l'acte stupide et l'esprit débil qui mène à la violence parce que la violence ne provoque que la violence et les conflits et l'haine.

ensuite le dialogue nous sommes persuadés que la paix aux mande demande le dialogue et répand la justice mondiale parce que avec lui on sorte d'une étroite à une ouverture d'esprit pour lutter contre le profitage et encourager les peuples à

Copie ③ Version 4

Nous sommes entièrement pour le dialogue et contre la violence et cela pour les raisons suivantes :

D'abord nous pensons qu'avec le dialogue on peut éviter les actes stupides et corriger l'esprit débile qui mènent à la violence et provoquent les conflits et la haine.

ensuite nous sommes persuadés que la paix dans le monde demande le dialogue et répand la justice mondiale, par conséquent on sort d'une étroitesse à une

ouverture d'esprit pour lutter contre l'injustice enfin il est certain que le dialogue est une route de civilisation qui développe l'esprit humain et raisonne les problèmes de la différence.

En conclusion reste le dialogue toujours la seule langue de la tolérance et la compréhension.